مَنَاهِجِ عِلْمِ اللّغَة

من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي

تأليف

بريجيته بارتشت

ترجمه وعلق عليه وقدم له

أ.د. سعيد حسن بحيري

مؤسسة
المختار
للنشر والتوزيع

مَناهِج عِلم اللّغَة

من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي

مناهج علم اللغة
من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكى
د. سعيد حسن بحيرى

الطبعـــة الأولى
(طبعة مؤسسة المختار)
طبعة مزيدة ومنقحة
١٤٢٥هـــ ٢٠٠٤م

رقم الإيداع : ١٩٦٣٦/ ٢٠٠٤
الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977 - 382 -034 - 3

مؤسسة المختار
للنشـــر والتـــوزيـــع

القاهرة : ٦٥ شارع النزهة ـ مصر الجديدة
تليفون : ٢٩٠١٥٨٢
Email:Mokhtar_est@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والديّ رحمهما الله

مناهج علم اللغة

من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي

تأليف
بريجيته بارتشت

ترجمه وعلق عليه وقدم له
أ.د. سعيد حسن بحيري

مؤسسة
المختار
للنشر والتوزيع



هذه ترجمة عربية لكتاب:

Bartschat Brigritte:

Methoden der Sprachwissenschaft

von Hermann Paul bis Noam Chomsky

Berlin : Erich Schmidt Verlag

1996

فهرس المحتوى

الموضـــوع	الصفحة
تمهيد	١٥ ـ ٢٣
مقدمة المؤلفة	٢٥ ـ ٢٩
الفصل الأول : مدرسة النحاة الجدد	٣١ ـ ٥٩
١ ـ ١ ممثلو مدرسة النحاة الجدد الرئيسيون	٣١ ـ ٣٤
١ ـ٢ التقليد والتجديد فى تفكير النحاة الجدد اللغوى . . .	٣٥
١ ـ٢ـ١ أوجـه التـصـــادم المباشـر فى الأفكار بالنسـبـة للنحــاة الجدد	٣٥ ـ ٣٨
١ ـ ٢ـ ٢ موضوعات النحاة الجدد ومناهجهم الرئيسة . . .	٣٨ ـ ٥١
١ ـ٣ علاقات بالعلوم الإنسانية المجاورة	٥١
الفلسفـة وعلم النفس	٥١ ـ ٥٣
١ ـ٤ تأثير مدرسة النحاة الجـدد فى علم اللغة فى عصرهم	٥٣ ـ ٥٥
١ ـ٥ نقد الأتبـاع والخصوم	٥٥ ـ ٥٦
١ ـ ٦ بيانات المراجع	٥٧ ـ ٥٩
الفصل الثانى: جان بودوان دى كورتينى (١٨٤٥ـ١٩٢٩) . .	٦١ ـ ٨٢
٢ ـ ١ سيرة بودوان العلمية	٦١ ـ ٦٤
٢ ـ ٢ أهم مجالات البحث لدى بودوان دى كورتينى . . .	٦٤
٢ ـ٢ ـ ١ موضوع علم اللـغة ومناهجه	٦٤ ـ ٦٩
٢ ـ ٢ ـ ٢ علم الأصوات/ علم الأصوات الوظيفى	٦٩ ـ ٧٢

الموضـــوع	الصفحة
٢ ـ ٢ـ ٣ علم التنميط اللغوى	٧٦ ـ ٧٢
٢ـ ٢ ـ ٤ علم الاجتماع اللغوى	٧٧ ـ ٧٦
٢ـ ٢ ـ ٥ مجالات بحثية أخرى	٧٩ ـ ٧٧
٢ ـ ٣ تأثير بودوان فى علم لغة القرن العشرين	٨٠ ـ ٧٩
٢ ـ ٤ بيـانات المراجع	٨٢ ـ ٨١
الفصل الثالث: فردينان دى سوسير (١٨٥٧ ـ ١٩١٣)	١١٤ ـ ٨٣
٣ ـ ١ سيرة فردينان دى سوسير العلمية	٨٦ ـ ٨٣
٣ ـ ٢ تأثيـــرات من علـم اللغـــة والعلوم المجـــاورة	
(النحاة الجدد، وايتنى، دوركايم)	٨٨ : ٨٦
٣ ـ ٣ «بحـث» حـــول نظـام الحـــركـــات الأصـلى	
للغات الهـندوأوربية	٩٢ : ٨٨
٣ ـ ٤ «الدروس» القضايا الأساسية فى علم اللغة العام . .	٩٤ : ٩٣
٣ ـ ٤ ـ ١ موضـوع علم اللغة العـام ثنائيات دى سوسـير	١٠١ : ٩٥
٣ ـ ٤ ـ ٢ اللغة نظام علامات	١٠٥ : ١٠١
٣ ـ ٤ ـ ٣ «القيـمة» اللغـوية	١٠٦ : ١٠٥
٣ ـ ٥ تقـــويم نقـــدى، تأثيـــر دى ســـوســـيـــر	
فى علم لغة القـرن العشرين	١١٢ : ١٠٦
٣ ـ ٦ بيـانات المراجع	١١٤ : ١١٢

الموضـــوع	الصفحة
الفصل الرابع: حلقة لغويى براغ	١١٥ ـ ١٦٦
٤ ـ ١ تأسيس حلقة «علم اللغة الوظيفى» ومؤسسوها ...	١١٥ ـ ١١٨
٤ ـ ٢ تأثيرات من علم اللغة ومن العلوم المجاورة: بودوان دى كورتينى، ف. دى سوسير علم النفس (الجشتالت)	١١٨ ـ ١٢٣
٤ ـ ٣ مجالات البحث الرئيسة فى حلقة لغويى براغ ...	١٢٣ ـ ١٢٩
٤ ـ ٤ نيكولاى س. تروبتسكوى	١٢٩
٤ ـ ٤ ـ ١ علم الأصوات الوظيفى «الفونولوجيا»	١٢٩ ـ ١٣٧
٤ ـ ٤ ـ ٢ الفونولوجيا الصرفية «المورفونولوجيا»	١٣٧ ـ ١٤٠
٤ ـ ٤ـ ٣ مجالات بحثية أخرى	١٤٠ ـ ١٤٣
٤ ـ ٥ رومان أ. ياكوبسون	١٤٣ ـ ١٤٤
٤ ـ ٥ ـ ١ علم الأصوات الوظيفى «الفونولوجيا»	١٤٥ ـ ١٤٧
٤ ـ ٥ ـ ٢ المورفولوجيا وعلم الدلالة	١٤٨ ـ ١٥٤
٤ ـ ٥ ـ ٣ علم العلامات «السيميوطيقا»	١٥٤ ـ ١٥٦
٤ ـ ٥ ـ ٤ علم الشعر	١٥٦ ـ ١٥٨
٤ ـ ٥ ـ ٥ مجالات بحثية أخرى	١٥٨ ـ ١٦٠
٤ ـ ٦ ڤيلم ماتسيوس: النحو	١٦٠ ـ ١٦٢
٤ ـ ٧ الموضع الصحيح لحلقة براغ فى علم لغة القرن العشرين	١٦٢ ـ ١٦٤
٤ ـ ٨ بيانات المراجع	١٦٤ ـ ١٦٦

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الخامس: الجلوسماتية .... ١٦٧ ـ ١٩٨

٥ ـ ١ تأسيس الجلوسماتية وبنيوية كوبنهاجن، ومؤسسوها . . . ١٦٧ ـ ١٧١

٥ ـ ٢ تأثيرات من علم اللغة ومن العلوم المجاورة:

ف. دى سوسير، والحلقة فينا .... ١٧١ ـ ١٧٥

٥ ـ ٣ لويس هيلمسليف «مداخل إلى نظرية لغوية» النقاط المهمة ١٧٥ ـ ١٧٦

٥ ـ ٣ ـ ١ تعبير ـ مضمون، شكل ـ مادة .... ١٧٧ ـ ١٨٠

٥ ـ ٣ ـ ٢ شبكة العلاقات .... ١٨٠ ـ ١٨٢

٥ ـ ٣ ـ ٣ تحديد ل. هيلمسليف للنظرية اللغوية .... ١٨٢ ـ ١٨٤

٥ ـ ٣ ـ ٤ العلامات ـ الصور، اللامتغيرات ـ المتغيرات ..... ١٨٤ ـ ١٨٨

٥ ـ ٣ ـ ٥ لويس هيلمسليف، «مختصر نظرية للغة» ١٨٨ ـ ١٨٩

٥ ـ ٤ لويس هيلمسليف، مجالات بحثية أخرى .... ١٨٩ ـ ١٩١

٥ ـ ٥ هـ. ى. أولدال «جبر اللغة» .... ١٩١ ـ ١٩٤

٥ ـ ٦ الموضع الصحيح للجلوسماتية فى علم لغة

القرن العشرين .... ١٩٥ ـ ١٩٦

٥ ـ ٧ بيانات المراجع .... ١٩٧ ـ ١٩٨

الفصل السادس: علم اللغة الوصفى .... ١٩٩ ـ ٢٤٨

٦ ـ ١ وضع علم اللغة فى الولايات المتحدة الأمريكية

فى مطلع القرن العشرين: بواز ـ سابير ـ بلومفيلد .... ١٩٩ ـ ٢٠٤

٦ ـ ٢ تأثيرات من علم اللغة ومن علوم مجاورة:

فرديناند دى سوسير و«السلوكية» فى علم النفس ..... ٢٠٤ ـ ٢٠٧

الموضـــوع	الصفحة
٦ ـ ٣ كتاب ليونارد بلومفيلد «اللغة»	٢٠٨ ـ ٢١٣
٦ ـ ٤ مقـال ليونارد بلومفيلد « مـجـموعة مـن المسلمات لعلـم اللغـــة»	٢١٣ ـ ٢١٨
٦ ـ ٥ محور النحـو لدى من خلف بلومفيلد	٢١٨ ـ ٢١٩
٦ ـ ٥ ـ ١ مقال ر. س. ولس «المكونات المباشرة»	٢١٩ ـ ٢٢٧
٦ ـ ٦ زليج س. هاريس	٢٢٧ ـ ٢٢٨
٦ ـ ٦ ـ ١ «علم اللغـة البنيوى»	٢٢٨ ـ ٢٣٤
٦ ـ ٦ ـ ٢ بحوث فى تحليل النص والنظرية التحويلية ...	٢٣٤ ـ ٢٤٢
٦ ـ ٧ الموضع الصحـيح لعلم اللغة الوصـفى فى علم لغة القرن العـشرين	٢٤٢ ـ ٢٤٦
٦ ـ ٨ بيـانات المراجع	٢٤٦ ـ ٢٤٨
الفـصل السـابع: المدارس الكلاسـيكيـة فى علم اللغـة البنيوى. أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف	٢٤٩ ـ ٢٦٢
موجز	
١ ـ الخلفيـة العلميـة النظرية	٢٤٩ ـ ٢٥١
٢ ـ موضوع علم اللغة	٢٥١ ـ ٢٥٢
٣ ـ الهدف: نظرية أم منهج؟	٢٥٢ ـ ٢٥٤
٤ ـ المطالب الرئيسية من البحث اللغوى	٢٥٤ ـ ٢٥٥
٥ ـ التزامنية: التعاقبية	٢٥٥

الموضــوع	الصفحة
٦ ـ مسـتويات النظام الـلغوى	٢٥٦ ـ ٢٥٧
٧ ـ الـشكـل: المـادة	٢٥٨
٨ ـ «الوظـيــفــة»	٢٥٩ ـ ٢٦٠
٩ ـ اللغـة والمجـتـمع	٢٦٠
١٠ ـ مثال : مفـهوم الفونيـم	٢٦٠ ـ ٢٦٢
الفصل الثامن: ناعوم تشومسكى	٢٦٣ ـ ٢٩٨
٨ ـ ١ سيرة تشومسكى العلمية	٢٦٥ ـ ٢٧٠
٨ ـ ٢ النماذج التوليدية: المرحلة الأولى	٢٧٠ ـ ٢٧٧
٨ ـ ٣ النماذج التوليدية: المرحلة الثانية	٢٧٧ ـ ٢٧٨
١ ـ مكونات النحو وبناء القواعد	٢٧٨ ـ ٢٨٣
٢ ـ عرض الوظائف الـنحوية	٢٨٣ ـ ٢٨٤
٣ ـ كـفـاية الأنحـاء	٢٨٤ ـ ٢٨٥
٤ ـ مشكلة الكليات «الشـموليات»	٢٨٥ ـ ٢٨٧
٥ ـ الكفاءة اللغوية والأداء اللغوى	٢٨٧ ـ ٢٨٩
٦ ـ مــوجـــز	٢٨٩ ـ ٢٩٠
٨ ـ ٤ نظرة عامة حول التطور اللاحق	٢٩٠ ـ ٢٩٥
٨ ـ ٤ ـ ١ نظرية عامة حول التطور اللاحق للنظرية النحوية	٢٩٠ ـ ٢٩٤
٨ ـ ٤ ـ ٢ النظرية النحوية وقـولبـة المعـرفـة الإنسـانيـة	٢٩٤ ـ ٢٩٥
٨ ـ ٥ مــوجـز	٢٩٥ ـ ٢٩٦

الموضـــوع	الصفحة

٨ ـ ٦ بيـــانات المراجع	٢٩٦ ـ ٢٩٨
قـائـمـة المصطلـحـات	٢٩٩ ـ ٣٤٨
ترجمات أخرى للمترجم	٣٤٩ ـ ٣٥٠

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

يتفرد هذا الكتاب الذى أقدمه مترجماً إلى القارىء العربى الكريم فى تناوله تأريخ علم اللغة الحديث، وتتبع مراحل تطوره بأنه يرصد مسارات الأفكار اللغوية لدى عدد من أهم علماء اللغة فى العصر الحديث، إذ يعد تاريخ علم اللغة فى رأى المؤلفة جزءاً من تاريخ العلم بوجه عام، يجب العناية به. ويمكن دون شك من خلال رصد هذه الأفكار تحديد الأدوار التى قام بها كل عالم، والجهود التى بُذلت لبناء علم اللغة الحديث. وقد استطاعت من خلال مناقشة الأفكار التى تضمنتها المؤلفات الأصلية لبعض الشخصيات اللغوية المحورية أن تحدد بوضوح الملامح الأساسية التى تتسم بها مناهج علم اللغة الحديث، وأن تبرز بجلاء الإسهام الحقيقى لتلك الشخصيات من خلال متابعة دقيقة للأفكار المهمة التى طرحت فى مؤلفاتهم الأصلية، والإضافات أو التعديلات أو التغييرات المؤثرة التى أسهمت فى تشكيل اتجاهات متميزة فى البحث اللغوية.

لقد اتخذت المؤلفة نهجاً لم تَحِد عنه فى معالجة الموضوعات التى طرحتها فى كتابها، إذ إنها لم تستق مادتها فى التأريخ اللغوى من المراجع والشروح، وإنما رجعت إلى المؤلفات الأصلية حتى يكون عَرضها موثقاً، وتكون مناقشتها للآراء الأصلية مناقشةً مباشرة، ويكون استنباطها من النصوص الأصلية مباشرةً. ولذلك دعت الحاجة فى مواضع كثيرة إلى العناية بالشروح والتعليقات على المواد الأصلية. واهتمت كذلك بتوظيف النقول، وتفسير ما غَمُض فيها، يساعدها على ذلك حاسة نقدية قوية وخلقية علمية ومعرفية لا غنى عنها لمن يريد الخوض فى تأريخ الأفكار وتتبع مساراتها عبر أزمنة مختلفة. وقد سلكت فى ذلك مسلكاً وسطاً، فلم تبنِ فصول كتابها على أساس المدارس أو الاتجاهات اللغوية فى مراحل

زمنية متابعة كأغلب المؤلفات التى عنيت بالتأريخ لعلم اللغة الحديث، ولم تُقَسَّم فصوله على عدد من الشخصيات اللغوية المهمة كما فعلت بعض المؤلفات الأخرى فى هذا المجال، وإنما مزجت بين هذا وذاك، وجعلت همها الأكبر تحديد المهام التى طرحت فى هذا العلم، والمناهج التى وضعت لأداء هذه المهام.

ومن ثم كان بعض الفصول يحمل عنوان مدرسة من المدارس اللغوية (الأول والرابع والخامس والسادس والسابع)، وبعضها يحمل اسماً من أسماء الشخصيات اللغوية، مثل جان بودوين دى كورتينى وفرديناند دى سوسير وناعوم تشومسكى. ويتحدد فى عنوان الكتاب المدة الزمنية التى أُخِذَت بعين الاعتبار فى المعالجة، فلم تُدْرَج تحت العنوان الذى اختارته المؤلفة، وهو «مناهج علم اللغة، من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكى»، إلا التيارات الفكرية والمناهج اللغوية التى طرحت فى تلك الفترة الزمنية، من سنة ١٨٧٠م (تقريباً) حتى سنة ١٩٦٠م (تقريباً). ولذا كان هرمان باول بوصفه منظراً للنحاة الجدد، وناعوم تشومسكى بوصفه مؤسساً ومرشداً روحياً للنحو التوليدى ــ كما ذكرت المؤلفة فى المقدمة ص ٢٦ ــ الحدين الفاصلين. ولم ترَ فى ذلك تقييداً زمنياً فحسب، بل تقييداً مضمونياً أيضاً، إذ إنها لم تتجاوز معالجة معلومات تلك الفترة الزمنية أساساً، وكانت إشاراتها عابرة، وبطريق الإحالة، إذا ما اقتضى الأمر الرجوع إلى أفكار مهمة كان لها تأثير واضح فى المدارس والتيارات والمناهج والشخصيات الداخلة فى الفترة الزمنية التى حُدِّدَت معلماً لبداية الكتاب ونهايته.

ومما يميز هذا الكتاب أيضاً أن مؤلفه قد نشرته للمرة الأولى نشرة متواضعة بغرض تعليمى سنة ١٩٨٥م، ثم أعيد طبعه أكثر من مرة، وظلت المؤلفة، وهى من ألمانيا الديمقراطية سابقاً، مثل جرهارد هليش الذى ترجمتُ له كتابه «تاريخ علم اللغة الحديث»، ونُشِر منذ عام تقريباً؛ فهى تعرض فى كتابها أيضاً تطور هذا العلم من وجهة نظر باحثة لها صلة وثيقة بعلم اللغة فى بلدان أوربا الشرقية، ويتضح ذلك فى عمق تناول الأفكار اللغوية للعالم البولندى دى كورتينى، وعلماء مدرسة براغ وبخاصة العالم الروسى تروبتسكوى، والعالم الفذ المتعدد المواهب

الثرى فى إنتاجه بلغات عدة، الروسى الأصل أيضاً رومان ياكوبسون ــ ظلت تنقح كتابها وتعدله وتضيف إليه طيلة عشر سنوات. وظهرت الطبعة الأخيرة له فى برلين سنة ١٩٩٦م، وهى الطبعة التى اعتمدتها للترجمة.

وقد حافظت المؤلفة على طريقة واحدة فى الأغلب فى عرض الموضوعات، فقد حرصت على أن تبدأ حين تتناول شخصية أو مدرسة لغوية، بنبذة تأريخية موجزة عنها، ثم تنتقل بعد ذلك إلى مناقشة آرائها وأفكارها وتصوراتها من خلال نقول محددة من نصوص المؤلفات الأصلية كما أشرت إلى ذلك آنفاً. وتعرض النصوص باللغات الأصلية فى الأغلب كما هى الحال بالنسبة للنصوص الألمانية والانجليزية. أما النصوص الفرنسية والروسية وغيرها فترجع فيها إلى الترجمات الألمانية لها (فى الأغلب قامت هى نفسها بالترجمة). وحرصت بشكل واضح على إبراز أسماء العلماء والمفاهيم الأساسية والعبارات المهمة بخط مغاير لخط الكتاب بوجه عام، فتكون أحياناً بحروف ثقيلة وأحياناً بحروف مائلة، وقد حافظتُ على الالتزام بذلك قدر المستطاع فى نص الترجمة.

ويلاحظ هنا كذلك إلى جانب القيمة البالغة فى استقاء المعلومات والأفكار اللغوية من المادة الأصلية، حيث قُدِّمت موثقةً بصورة مباشرة من الأصول، لم يصبها أدنى تشويه أو تزييف أو تزيد أو اختصار أو إضافة أو تعديل أو تغيير، مثلما يحدث فى المؤلفات التى تؤرخ لعلم اللغة معتمدةً على مراجع ثانوية، لا تضم سوى ما فهمه مؤلفوها من الكتب الأصول. واهتمت المؤلفة كذلك بإضافة معلومات خاصة حول المراجع فى المتن، وأردفت بكل فصل قائمةً وافية بالمراجع مرتبةً ترتيباً هجائياً حسب أسماء المؤلفين، مثبتةً دون تمييز بين المراجع الأساسية التى اعتمدت عليها، والمراجع الثانوية التى يمكن الإفادة منها لمن يريد مزيداً من التفصيل حول الموضوعات المعالجة.

ويغلب على لغة المؤلفة الوضوح سواء فى العرض أو فى التعليق على النصوص بطريق الاستنباط منها أو تفسيرها أو نقدها إلا فى بعض المواضع التى

استلزم الغموض فيها إضافة بعض الهوامش لإيضاح قصد المؤلفة الوارد فى المتن.
وقد تدرج نهجها فى النقل، ففى البداية اتخذت نهج المختارات، ثم تغير الأمر فيما بعد إلى الاستعانة بنص كامل متصل، أدخلت فيه اقتباسات أصلية. فهى تقدم كتاباً للقراء المهتمين من كل الحقول المعرفية، تطلعهم فيه على أهم التيارات اللغوية منذ فترة تاريخية مبكرة (أواخر القرن التاسع عشر الميلادى) وحتى المرحلة المبكرة للنحو التوليدى فى الخمسينيات والستينيات. وأكد النهج الذى اتبعته الآثار السلبية — دون أن تذكر ذلك صراحةً — التى تنجم عن جعل دراسة النصوص الأصلية فضلةً. ولذا فإنها تأمل أن تثير بمعلوماتها واقتباساتها الاهتمام بدراسة النصوص الأصلية الكاملة.

وقد قسمت المؤلفة كتابها ثمانية فصول بخلاف المقدمة التى حددت فيها المادة، والمنهج، وطريقة العرض والتناول والاستنتاج، والهدف الأساسى من تأليف الكتاب. وخُصِّص الفصل الأول لمدرسة النحاة الجدد، الذين أحدثوا بآرائهم الجديدة ثورة فى البحث اللغوى الذى كانت السيادة فيه لقرون عدة لدراسة اللغات الهندوجرمانية. ومن أهمهم بروجمان وأوستهوف وديلبروك وبراونه وسيفرز وباول وليسكين. وقد درسوا جميعهم فى ليبزج على يد علماء اللغات فى الهندوجرمانية، ثم انقلبوا على التصورات الفلسفية المثالية والميتافزيقية عن اللغة والتطور اللغوى، وطالبوا بوصف الحقائق (الوقائع) التى يمكن ملاحظتها ليس غير. وشكَّل التجريد والعامل النفسى والآلية الصارمة وتفسير الواقعة اللغوية وفق قوانين مطردة لا تعرف الشذوذ الإطار المنهجي لبحوثهم اللغوية، واستطاعوا بذلك أن يكونوا اتجاهاً مطرداً فى الدرس اللغوى، كان لمبادئه فى تحليل الظواهر اللغوية ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً تأثيرٌ بالغ العمق فى الاتجاهات اللغوية اللاحقة دون استثناء.

وخُصِّص الفصل الثانى لعالم اللغة البولندى جان بودان دى كورتينى، وصدَّرته بسيرة علمية مفصلة له، ثم عرضت أفكاره مفصلةً فى أهم مجالات البحث التى اشتغل بها، مبرزةً عنايته البالغة بالعوامل النفسية فى دراسة تطور

اللغات، وإصراره على اعتبار اللغات الفردية هي الحقيقة النفسية الوحيدة، وعدم فصله الدراسة الوصفية عن الدراسة التاريخية، إذ إن «سكون اللغة حالة خاصة من ديناميتها». ومن أهم المجالات التي عُني بها بودوان الأصوات والصرف والنحو والاشتقاق وعلم المعاجم وعلم اللهجات والتنميط اللغوي. وكشفت آراؤه عن علاقة وثيقة بآراء النحاة الجدد؛ تتأرجح بين القبول والرفض ومن أهم محاور نهجه في البحث اللغوي تقديم النظرة التاريخية للغة على غيرها، والاهتمام بالقوانين التي تعمل فيها وتحدد حياتها وتطورها، والنظر إلى اللغة على أنها أداة ونشاط، لا تحيا إلا داخل حامليها، والحفاظ على الموقف النفسي في المعالجة، ودراسة اللغة الحية، لغة الفرد في المقام الأول، وعدم استبعاد العوامل الاجتماعية برغم سيادة مذهبه النفسي، وكذلك عدم الفصل بين الصوت والمعنى، ويرتبط ذلك بتحليله الوظيفي للفونيم سواء في الفونولوجيا أو المورفونولوجيا. وأثرت جهوده في دراسة الفونيم تأثيراً كبيراً في استمرار تطور فروع مهمة في علم اللغة، وكذلك في مجال التنميط اللغوي، وطور نظرية اللغات الخليط (الهجين)، وبحث بعمق التنوعات الاجتماعية والاحتكاكات اللغوية ولغات الأقليات ولغة الأطفال واللغات المساعدة العالمية، وقد انتهت إلى نتيجة لم يصرح بها أحد من قبل في هذه الجرأة، وهي: إن كثيراً من آراء بودوان تتوازى مع آراء فردينان دي سوسير، الذي كان قد درس كذلك إرث النحاة الجدد في ليبزج.

وفي الفصل الثالث (فردينان دي سوسير) بدأت أيضاً بسيرة ذاتية مختصرة له، ثم انتقلت بعد ذلك إلى مبحث أساسي يتناول تأثير أفكار بودوان ووايتني والنحاة الجدد في نظريته اللغوية، هذا بالنسبة لتأثير علم اللغة. أما من خارج علم اللغة فقد تأثر بعلم الاجتماع وبخاصة في صياغة دوركايم وشوشارت، وخُصِّص مبحث آخر للبحث الذي حقق لدى سوسير شهرة واسعة، وهو «نظام الحركة الأصلي للغات الهندوأوربية» الذي قدم في عرض شامل علاقات تحول الحركة في تلك اللغات، وتوصل إلى استنتاجات مهمة حول إعادة بناء المكون الحركي الأصلي. وخُصِّص مبحث تال لمناقشة بعض الموضوعات المحورية في كتابه المشهور

«الدروس» الذي أطلقت عليه «القضايا الأساسية في علم اللغة العام». وبدأت بإيضاح تقسيماته أولها التفريق بين اللغة الإنسانية، واللغة المعينة (اللسان) والكلام، وتأكيد دى سوسير على أن موضوع علم اللغة هو اللغة المعينة، وتُجمل السمات المميزة الأربعة لتلك اللغة، ثم انتقلت إلى ثنائية التزامن في مقابل التعاقب، وثنائية المجال (النطاق) الخارجي، والمجال (النطاق) الداخلي. وخُصِّص مبحث لفكرة: اللغة نظام للعلامات، ومبحث لفكرة: «القيمة» اللغوية.

وفي الفصل الرابع (حلقة لغويي براغ) بدأت بنبذة عن تأسيس حلقة «علم اللغة الوظيفي» ومؤسسيها، ثم يُخَصِّص مبحث آخر لتأثير بودوان فيها في المرحلة الأولى ثم ظهور أثر دى سوسير في مرحلة تالية، وبخاصة أفكاره حول فهم اللغة على نظام مترابط من العلامات، البحث التزامني للغة، وختمته بتأثير علم النفس (الجشتالت) فيها، وحددت مجالات البحث الرئيسية لباحثي هذه الحلقة، وهي الفونولوجيا والصرف والنحو وعلم الدلالة، والعناية كذلك بعلم اللهجات وعلم الشعر ومشكلة لغة الكتابة. وخُصِّص مبحثان لعالمين ينتميان إلى هذه الحلقة غير أنهما من أصل روسي، كان لهما أثر بالغ في تطوير الدرس اللغوي لهذه الحلقة، وهما تروبتسكوي التي أبرزت جهوده في الفونولوجيا ووضع نظرية للفونيم وتحليلاته الصوتية الرائدة، ومبدأ التقابلات وأنواعها، والتلازمات المورفولوجية، وأفكاره كذلك حول المورفوفونولوجيا، وتصوراته العميقة حولا مفهوم «الرباط اللغوي». وحَظِي ياكوبسون أيضاً بمبحث مستقل تناول بحوثه في الفونولوجيا وتقديمه نموذجاً لغوياً عالمياً مكوناً من اثني عشر زوجاً من العلامات الثنائية المتقابلة إلى جانب تطويره المبدأ الفونولوجي المهم في التحليل وهو مبدأ السمات الفارقة، وناقشت بعض بحوثه في المورفولوجيا وعلم الدلالة معاً لأنهما مترابطان لديه، ثم في علم العلامات (السيموطيقا)، ثم في علم الشعر، وخُتِم بمبحث ماتيسيوس في النحو وجهود البراغيين في تطوير دائرة البحث في اللغة.

وفي الفصل الخامس (الجلوسماتية) خُصِّص المبحث الأول لتأسيس الجلوسماتية وبنيوية كوبنهاجن، وأهم مؤسسيها، مثل: هيلمسليف وبروندال وأولدال. وقدّمتْ لكل منهم سيرة ذاتية مختصرة. وكما هي الحال في الفصول

السابقة خُصِّص مبحث لتأثيرات علم اللغة والعلوم المجاورة في الجلوسماتية. وأبرزت إصرار هيلمسليف على أن يتبع أفكار دي سوسير حتى النهاية، وبخاصة فهم اللغة على أنها نظام من العلامات، وتأكيد أهمية نظام العلاقات والأفكار المتعلقة بالشكل والمادة، هذا من جهة علم اللغة. أما تأثير العلوم المجاورة فيتجلى من خلال تأثير مذهب الوضعية الجديدة في تلك المدرسة، وكذلك تأثرها ببحوث حلقة فيينا الفلسفية والمنطقية، وبخاصة في تأسيس علم المنطق الرياضي، وتعميق المعارف القيمة لنظرية العلم ومنهجيته. ثم ناقشت النقاط المهمة في كتاب هيلمسليف «مداخل إلى نظرية لغوية» وبخاصة ثنائياته: التعبير ــ المضمون، والشكل ــ المادة، ومفهومه حول شبكة العلاقات، ومكونات نظريته اللغوية، وثنائية العلامات ــ الصور، واللامتغيرات ــ المتغيرات، وأخيراً جهوده في مجالات بحثية أخرى. وخصصت مبحثاً مستقلاً لكتاب أولدال «جبر اللغة»، قدمت فيه مثالاً مفصلاً لذلك التحليل الجبري الجلوسماتي للغة. وتجمل في الخاتمة أهم إسهامات الجلوسماتية في البحث اللغوية.

وفي الفصل السادس (علم اللغة الوصفي) تَصَدَّر موضوع الاستقلال النسبي لتطور علم اللغة البنيوي الأمريكي، وجهود مؤسسيه الثلاثة: بواز، وسابير، وبلومفيلد، ثم تُخَصَّص مبحثاً آخر لمناقشة مدى تأثير دي سوسير، وإبراز تأثير علم النفس السلوكي، وتقديم رؤية عامة عن المبادئ الأساسية للسلوكية (وبخاصة تجارب بافلوف وواطسون) التي أثرت في نظرية بلومفيلد حول اللغة. وخُصِّص مبحث آخر لمناقشة أهم الأفكار التي طرحت في كتاب بلومفيلد العمدة «اللغة» المكون من ثمانية وعشرين فصلاً في وصف كل مستوى من مستويات النظام اللغوي، والقرابة اللغوية، والأسر اللغوية، والتغير اللغوي، والاستعمال اللغوي وأنظمة الكتابة وموضوعات أخرى كثيرة وهو ما يزال مدخلا مفيداً في بعض موضوعات اللغة، وأفردت لموضوعي الاستعمال اللغوي والمعنى اللغوي حديثاً مستقلاً، والفروض التي طرحت في مقالة «مجموعة من المسلمات لعلم اللغة» حول خمسة مجالات. وفي مبحث محور النحو لدى من خَلَف بلومفيلد يتناول

مفهوم المكونات المباشرة، والتحليل التوزيعي، ثم مقال ولس حول تحليل المكونات المباشرة الذي يقوم على إجراءين أساسيين هما: التجزيء والتصنيف، كما يحدد المكونات المباشرة من خلال أوجه الاستبدال والتوسيع. وتختتم جهد ولس بشرح ما قصده بفروضه الخمسة. وفي المبحث الخاص بزليج هاريس حددت بالتفصيل محاور كتابه «علم اللغة البنيوي»، ثم انتقلت إلى بحوثه حول تحليل الخطاب (النص) ووضعه أسس نظرية تحويلية لم ينكر تشومسكي تلميذه إفادته منها. فقد مَهَّد هاريس من خلال توسيعه للوصف ليشمل النصوص، واستكماله المناهج بمجموعة وسائل التحويلات النحوية ــ الطريقَ لفهم جديد للنحو، وجد دعائمه المهمة نظرياً في النحو التوليدي، في نماذج ناعوم تشومسكي. وتختتمه بتحديد الخصائص البارزة لعلم اللغة الوصفي الأمريكي.

وفي الفصل السابع تطرح من خلال رؤية جامعة مقتضبة أوجه الاختلاف وأوجه الاتفاق بين اتجاهات علم اللغة البنيوي (المدارس الكلاسيكية). ويلاحظ أنها قد ذُكرت في الفهرس عنوان الفصل فقط، ولكني رأيتُ أن أبرز النقاط العشرة التي ذكرتها في المتن والفهرس على حد سواء.

وفي الفصل الثامن والأخير (ناعوم تشومسكي) تشير إلى ضرورة عرض نظرة عامة حول نماذجه التوليدية في خاتمة الكتاب، بدأت فيها بالسيرة العلمية لأكثر علماء اللغة شهرة وتأثيراً الذي شُبِّهت الثورة التي أحدثها في البحث اللغوي بالثورة الكوبرنيكية. وخصصت مبحثاً للنماذج التوليدية في المرحلة الأولى، وآخر للنماذج التوليدية في المرحلة الثانية، يضم ستة محاور. وتختتمه ببحث عن التطور اللاحق للنظرية النحوية بصورة موجزة للغاية.

وينبغي ــ في الواقع ــ أن أشير إلى أمرين مهمين، الأول أن المؤلفة لم تُذيِّل كتابها بقائمة بالمصطلحات التي وردت في المتن مكتفية بإبرازها ببنط ثقيل. وهو أمر لم أستحسنه، ورأيت أنه من المفيد أن تُضاف إلى الكتاب قائمة بأهم المصطلحات ليفيد منها القارىء مباشرة إذا ما أراد ذلك دون أن يبذل مجهوداً ووقتاً

للعثور على ضالته فى ثنايا الترجمة. أما الأمر الثانى فهو الهوامش والتعليقات فإنى أعتذر للقارىء لأننى أحسست بعد مراجعة الترجمة أكثر من مرة أنى أطلت فى بعض المواضع، ولكنى كنت مضطراً لذلك لعدة أسباب، وإن لزم أن أؤكد أن ما حذفت منها أكثر مما أثبتُّ، فلم أذكر إلا ما وجدته ضرورياً ومفيداً للقارىء العربى دون تزيد أو تصنع. ومن هذه الأسباب: استخدام المؤلفة مصطلحات لا عهد للمداخل اللغوية باستخدامها. ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى توضيحها، وكذلك لجوء المؤلفة فى بعض المواضع إلى التلميح دون التصريح، فتشير فى عبارتها إلى قصدها إشارة عابرة ظناً منها أن القارىء قادر بفطنته على التقاط الإشارة وتفسيرها، وكذلك عزوف المؤلفة عن الاهتمام بتفصيل فكرة أو رأى أو وجهة نظر أشبعتها المؤلفات الأخرى فى تاريخ علم اللغة الحديث بحثاً، ولكن لما كان المترجَم من هذه المؤلفات إلى العربية محدوداً، وأغلب المراجع التى اعتمدت عليها المؤلفة فى تأريخها غير معروفة لمن لا يعرف الألمانية، فقد وجدت أن أُقدِّم إيضاحاً لما ورد فى المتن عابراً برغم أهميته، ولكن بإيجاز شديد.

وقد حرصت على ذكر أمثلة المؤلفة مع ترجمتها إلى العربية حتى يظهر غرضها من التمثيل، إذ إنه ربما يضيع فى الصياغة العربية، كما أنى لم أسوغ لنفسى أى وجه من أوجه التصرف فى الترجمة. فقد تحريت نقل النص كما ورد فى الأصل كاملاً، وأثبتُّ صفحات النص الأصلى بوضع أرقامها فى النص المترجَم جهة اليسار. أخيراً آمل أن تكون ترجمة هذا المدخل إثراءً للغة وتحفيزاً للبحث فى اللغة، وإضافة جديدة لمعلومات موثقة للقراء المهتمين بعلم اللغة ومسائله وقضاياه. وقد بذلت كل جهد ممكن لتقديم نص واضح سليم دقيق. ولذا يسعدنى أن أتلقى ملحوظات القراء الكرام وتصويباتهم للإفادة منها إن شاء الله تعالى.

والله هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل...

القاهرة   سعيد حسن بحيرى

١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

مقدمة المؤلفة

في الواقع ما نحن فيه كنا فيه تاريخياً في
الوقت نفسه أو بشكل أدق، على نحو
ماكنا عليه ـــ [. . . . .] لا يكون الماضي
إلا جانباً: وهكذا فما نحن فيه هو
الجماعي الخالد غير منفصل عما يرتبط بما
كنا فيه تاريخياً. . . فما بلغه كل جيل
في علم ما في إنتاج عقلي ما، هو جزء
موروث، اشترك العالم السابق كل في
جمعه. . .

ج. ف. هيجل محاضرات
في تاريخ الفلسفة
المجلد الأول(١)

٩

دون معرفة تاريخ العلم يمكن ألا تفهم العمليات الحالية، وألا تدرك مسارات التطور المستقبلية أيضاً إدراكاً استشرافياً؛ هذا الملمح الفعلي لتاريخ العلم يسري على كل علم وعلى نشاط علمي. وهي تقتضي أن يلاحظ في تاريخ العلم جزء من تاريخ أفكار الإنسانية وأن يوضح ما المهام الذي طرحها العلم في أزمنة مختلفة، وما المناهج التي عدها فيها مناسبةً لأداء هذه المهام. ويعني هنا بالنسبة لنا أن نتتبع تطور علم اللغة في سياق الفكر المجمل للعصر من جهة استمرار الموضوعات المتبادلة وعدم استمرارها، وبحث علاقة المناهج بعضها ببعض وبالعلوم المجاورة.

---

(١) ليزج ١٩٧١، ٨٦ ــ ٨٨.

ويعرض هذا الكتاب لهذه المطالب من تاريخ العلم. فقد نشأ من مختارات «نصوص مشروحة» في التاريخ الحديث لعلم اللغة، لا ينبغي أن يظل تاريخها السابق لا يذكر عنه شيء:

«فالمؤلفة تقرأ منذ عدة سنوات «تاريخ علم اللغة في القرنين التاسع عشر والعشرين» في جامعة ليبزج، وتخطط بوجه خاص للحصول على درجة جامعية عليا. ولم يكن علم اللغة العام موجوداً في جمهورية ألمانيا الديمقراطية/ نهجاً دراسياً، فلم يُدرَّس في المناهج الدراسية للدراسات فقه اللغة المفردة تاريخ العلم، غير أنه فيما بعد عند الإعداد للدكتوراه تأكد أن هذا الإهمال عيب خطير يجب أن يسوى بالاستعانة على الأقل بالمصادر المتاحة. وهكذا نشأت في البداية سلسلة من المحاضرات ـ فلم يكن البحث ممكناً بسبب وضع المراجع السائد في جمهورية ألمانيا الديمقراطية والصعب تحققه للمحايدين ـ ولا يستطيع المرء أن يتوقع من مستمعيه أن يكونوا قد علموا ودرسوا كل المؤلفات المهمة. ومن ثم فقد جمعت المؤلفة بادى الأمر النصوص الأصلية ذاتها ـ بمجهود كبير إلى حد ما ـ ونُشِرَت في بعض نسخ قليلة. وفي منتصف الثمانينيات واتت الفرصة لنشر المادة التعليمية بطريقة الأوفسيت في طبعة جامعية خاصة بها. وأمكن أن يضاف آنذاك إلى النصوص الأصلية (في مستلات) شروح يقدم فيها مؤلفها تحديد موقعه في تاريخ العلم وتوضيح صلاته بالعلوم المجاورة، وبدءاً من هنا اختصر مضمون الأجزاء المطولة من النص، وأضيفت معلومات خاصة بالمراجع إلى المراجع المستأنفة. وامتدت الموضوعات من مدرسة النحاة الجدد حتى علم اللغة الوصفي، وطبعت النصوص ذاتها بلغتها الأصلية. ونشر العمل المكون من ٤٣٥ صفحة في جزءين (الجزء الأول سنة ١٩٨٥، والثاني سنة ١٩٨٨)؛ وذاع بسرعة في المعاهد العليا في جمهورية ألمانيا الديمقراطية لدرجة أنه كان قد ظهرت هنا نشرة ـ وإن كانت شبه رسمية فقط ـ لمجال تعليمي، لم توجد له مادة سواها، وتبعاً لذلك كان الإقبال عليها كبيراً.

١٠

وهكذا فقد أمكن أن يفيد الكتاب المقدم هنا الآن من مادة تعليمية مجربة لسنوات، ومن جهة أخرى يُتبع فيه تصور منقح كلية:

ـ لم يعد يطابق البناء نهج المختارات،بل قُدّم نص متصل، أدخلت فيه اقتباسات أصلية.

ـ مع هذه الاقتباسات سُلِك مسلك لغوي على النحو التالي: ما دامت الكتب مقدمة في صياغة ألمانية فإنه تستعمل هذه الصياغة، أما النصوص الانجليزية غير المترجمة فيُبقى عليها كما هي في الأصل، والنصوص الفرنسية والروسية فأقدم لها ترجمات لي.

ـ أدرج حديثاً فصلٌ عن المرحلة المبكرة للنحو التوليدي في الخمسينيات والستينيات. وواكبت المختارات علم اللغة الأمريكي حتى علم اللغة الوصفي فقط.

وطبقاً لذلك استكملت بيانات المراجع المدينة للظروف، الضئيلة في عددها. وربما يعد ذلك التغير من أقوى التغيرات اللافتة للنظر. فقد ألحقت المراجع بكل فصل. ولم تُرتَّب وفق المراجع الأساسية والمراجع الثانوية؛ وأمام الاختيار المطروح، هل ينبغي أن تقدم المؤلفات في ترتيب زمني حسب سنة الظهور أم في ترتيب ألفبائي/ حسب أسماء المؤلفين، فقد انتهيت إلى (الترتيب) الأخير.

11

ـ أبرزت بحروف ثقيلة أسماء ومفاهيم مهمة، تشكل نوعاً من الخيط المرشد خلال كل فصل. وبحروف مائلة قدمت بوجه خاص أوجه الإبراز في النصوص الأصلية.

وقد حوفظ على التوجيه المستمر إلى دائرة القراء المخاطبين من قبل أيضاً. فالكتاب يرغب في أن يطلع طلاب فروع علم اللغة والعلوم المجاورة بوجه خاص، بل ومن البدهي أيضاً القراء المهتمين من كل الحقول على أهم التيارات اللغوية في التاريخ المبكر. ولا يرغب في أن يجمل دراسة النصوص الأصلية فضلةً، بل على العكس من ذلك تأمل المؤلفة أن تثير بمعلوماتها واقتباساتها الاهتمام بدراسة النصوص الأصلية الكاملة. ولم يخطط هذا الكتاب للملمين بموضوعه.

إن العنوان «مناهج علم اللغة، من هرمان باول حتى تشومسكى» هو برنامج فى الوقت نفسه. فهو يشير من جهة إلى أن المدة الزمنية من سنة ١٨٧٠ (تقريبا) حتى سنة ١٩٦٠ (تقريباً) قد أخذت بعين الاعتبار، ومن جهة أخرى إلى أن ثمة تحديداً للنقاط المهمة (الصعبة) قد اتبع؛ تحديداً يؤطر بوعى التيارات والمناهج الأخرى فى ذلك الوقت. ووضعت مدرسة النحاة الجدد منطلقاً، واستعين باتجاهات نشأت بوصفها رد فعل واعٍ على هذا المذهب التعليمى الثرى للغاية، أى علم اللغة البنيوى فى صياغاته المختلفة.

وقد تناولنا فى الفصل الأول النحاة الجدد، وفى مقدمتهم كارل بروجمان وهرمان باول، وانتظامهما فى علم اللغة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر وفى مجال العلم فى هذا القرن بوجه عام، وبخاصة صلاتهما بالوضعية وعلم نفس الفرد(٢). ويُوصل تقويمٌ لهذه المدرسة ونقدٌ لها من الداخل والخارج إلى الفصل الثانى الذى يُقدم فيه واحد من كبار لغويى القرنين التاسع عشر والعشرين، وهو البولندى جان أ. ن. بودوين دى كورتينى بأفكاره فى علم اللغة، بل ببحوثه أيضاً الموجهة إلى علم الأصوات/ علم الأصوات الوظيفى، وفى التنميط اللغوى. وتعقب موجزاً للنظرية اللغوية لدى فرديناند دى سوسير (الفصل الثالث) حلقةُ لغويى براغ (الفصل الرابع)، والجلوسماتية أى البنيوية الدغراكية (الفصل الخامس) وعلم اللغة الوصفى (الفصل السادس). وفى الفصل السابع اختصرت أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين «المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوى» المعالجة من الفصل الرابع حتى السادس.

١٢ / ونتيجة لذلك فإن هرمان باول بوصفه منظراً للنحاة الجدد وناعوم تشومسكى بوصفه مؤسساً ومرشداً روحياً للنحو التوليدى هما الحدان الفاصلان، بينهما نُظِّمت نصوص هذا الكتاب. ومع ذلك فلم يقدم بذلك تقييداً زمنياً فحسب، بل تقيداً مضمونياً أيضاً.

ولم تُتناول هنا الفلسفة اللغوية فى القرنين التاسع عشر والعشرين (لا يذكر

---

(٢) لا ينبغى أن توضح هنا اقتباسات أكثر تفصيلاً عما فى الفصل التالى، كيف استطاعت تلك المدرسة أن تحتل مكاناً سامياً.

إلا أهم ممثليها . ف هومبولت ــ هـ. شتاينتال ــ أ. أ. بوتبنيا ــ أ. مارتي ــ هـ. بولر)، ولم يُتناول بحث المضمون اللغوي، والجغرافيا اللغوية واتجاهات أخرى؛ لأنه لا يلزم أن يكون مرجعاً موسوعياً، بل مدخلاً عاماً.

ومن البدهي أن يستتبع ذلك المطلب مقتضيات أيضاً في أسلوب العرض ومفرداته. واستغنى عن عمد عن المبالغة في استعمال المصطلحات التقنية termini technici وعن الأسلوب المدرسي. وتأمل المؤلفة أن تكون قد صنعت بهذه الطريقة كتاباً محبباً للقراء.

مراجع حول موضوعات الكتاب بوجه عام

T.A. Amirova, B.A. Ol'chovikov, Ju.V. Roždestvenskij (1980): Abriß der Geschichte der Linguistik. Leipzig.

Ju.D. Apresjan (1971): Ideen und Methoden der modernen Linguistik. Berlin.

H. Arens ([2]1969): Sprachwissenschaft. Der Gang ihrer Entwicklung von der Antike bis zur Gegenwart. Freiburg/München (Taschenbuchausgabe in 2 Bänden: Frankfurt 1974).

H.E. Brekle (1987): Was heißt und zu welchem Ende studiert man Sprachwissenschaftsgeschichte?. In: Zur Theorie und Methode der Geschichtsschreibung der Linguistik. Analysen und Reflexionen (Hrsg. P. Schmitter). Tübingen.

G. Helbig ([8]1989): Geschichte der neueren Sprachwissenschaft. Opladen.

R.H. Robins (1973): Ideen- und Problemgeschichte der Sprachwissenschaft. Mit besonderer Berücksichtigung des 19. und 20. Jahrhunderts. Frankfurt/M.

سبتمبر ١٩٩٥ — ب. بارتشت

الفصل الأول

١ ـ مدرسة النحاة الجدد

١ ـ ١ ممثلو مدرسة النحاة الجدد الرئيسيون

١٣ / فى السبعينيات من القرن التاسع عشر اتحد فى ليبزج مجموعة من العلماء الشبان فى دراسات فقه اللغة المتباينة، الذين مهدوا لمرحلة جديدة فى علم اللغة التاريخى ـ المقارن. وأثروا تحت اسم «النحاة جدد» تأثيراً كبيراً فى علم اللغة على الصعيد العالمى وعبر عقود. ومن هؤلاء عالم فقه اللغة القديم والدراسات الهندو جرمانية كارل بروجمان (١٨٤٩ ـ ١٩١٩)، وعالما الدراسات الألمانية اللغوية والهندوجرمانية(*) هرمان باول (١٨٤٦ ـ ١٩٢١) وهرمان أوستهوف (١٨٤٧ ـ ١٩٠٩) وعالم الدراسات السلافية أوجست لسكين ومن الأعضاء غير الألمان فى هذه المجموعة يجب أن يذكر الدنمراكى كارل فرنر (١٨٤٦ ـ ١٨٩٦)، والبولندى جان بودوين دى كورتينى (١٨٤٥ـ ١٩٢٩) والسويسرى فردينان دى سوسير (١٨٥٧ـ ١٩١٣).

وقد خُصِّص للأخيرين بسبب أهميتهما للتطور التالى لعلم اللغة العام لكل منهما فصل خاص فى هذا الكتاب.

حصل ***كارل بروجمان*** Karl Brugmann سنة ١٨٧٧ على الأستاذية لدى عالم اللغة اليونانية القديمة وحضارتها جيورج كورتيوس فى ليبزج. وكان بعد ذلك فى البداية محاضراً فى الجامعة، ثم لبى نداء العمل أستاذاً كرسياً لفقه اللغة الكلاسيكى لمدة ثلاث سنوات فى جامعة فرايبورج فى برايسجاو i.Br. وعاد سنة ١٨٨٧ إلى ليبزج حين حُوِّل كرسى تدريس جيورج كورتيوس بعد وفاته لفقه

(*) ظهر مصطلح "indogermanisch" هندوجرمانى لأول مرة عام ١٨٢٣، واستعمله بوت Pott عام ١٨٣٣، وقد ورد مصطلح Indo - European فى الإنجليزية بداية من ١٨١٤، ولا يخفى على القارىء إيثار العلماء الألمان المفردين فى هذه الدراسات استعمال المصطلح الأول. (المترجم)

اللغة (الكلاسيكي) من أجله بالذات إلى كرسي تدريس علم اللغة الهندوجرماني وحتى وفاته سنة ١٩١٩ عمل بروجمان إذن ما مجموعُه حوالي ٤٠ سنة في ليبزج، وحصل بوصفه عالم الدراسات الهندوجرمانية على شهرة لا مثيل لها في بحث علم اللغة التاريخي ــ المقارن وتدريسه. وهو أيضاً الذي أيد اسم «النحاة الجدد» (الذي أُطلِق) على هذه المجموعة، وثَبَّته، فحسب كلامه كان في الحقيقة حلاً لحيرة، إذ لم يخطر على باله اسم مناسب ــ وفي الواقع كان «النحاة الجدد» الاسم التهكمي فيما يراد من إطلاق العميد آنذاك فريدريش تسارنكه على تلك الجماعة التي كانت وقتذاك في الثلاثينيات (قارن تواريخ الحياة لممثلي المجموعة السابق إيرادها)(*). ويجب أن يبرز بوجه خاص من المؤلَّف الجامع الغني لكارل بروجمان «البحوث المورفولوجية في عدة مجلدات في مجال اللغات الهندوجرمانية» (بدءاً من سنة ١٨٧٨ مع هرمان أوستهوف)، و«نحو اللغة اليونانية» (١٩٠٠) الذي أكمله ونقحه ادوارد شفايتسر، ظل إلى الوقت الحاضر كتاباً تعليمياً مهماً.

١٤ / وحصل **هرمان باول** Hermann Paul سنة ١٨٧٢ على الأستاذية كذلك في ليبزج. وفي السنة ذاتها بدأ أيضاً ـــ بالاشتراك مع فيلهلم براونه ــ إصدار «إسهامات في تاريخ اللغة والأدب الألمانيين». وفي سنة ١٨٧٤ دُعي إلى فرايبورج في برايسجاو في البداية أستاذاً كرسياً غير عامل (متفرغاً)، وفي سنة ١٨٧٧ أستاذاً كرسياً (عاملا) للغة والأدب الألمانيين. وفي سنة ١٨٩٣ لبى نداء جامعة ميونخ، التي مثَّل فيها حتى ١٩١٦، أي حتى السبعين من عمره الدراسات اللغوية والأدبية الألمانية. وقد أعاقه مرض عينه الذي كان قد ظهر في سنة ١ للدراسة زمناً من حياته. وفي سنة ١٩١٤ بدأ يفقد بصره كلية بسبب انفصال في الشبكية، ولذلك

(*) يتضح هنا أن علة إطلاق «النحاة الجدد» على هذه المجموعة الشابة تهكمية من جيل كبار فقهاء اللغة، كما تؤكد المراجع اللغوية. وانفرد رونز بأنه لقب ذو إيحاء سياسي حين قال في الموجز ص ٢٩٧: وقد تصادف لأستوف وبروجمان أن يعلنا هذه الآراء بشكل منهجي باعتبارها آراء أساسية لعلم اللغة التاريخي، وأن يقبلا بفرح لقب «القواعديين الجدد (Junggrammatiker) بوصفه لقباً رسمياً، وهو لقب ذو إيحاء سياسي أصلاً أطلق على مجموعة من العلماء الشبان في ليبزج حيث كانوا يعملون. (المترجم)

ربما أعقب ذلك أيضاً تقاعده سنة ١٩١٦. ولم يستطع أن ينهى أعماله الأخيرة إلا بمساعدة آخرين عملوا ما يمليه عليهم.

وقد عُنِى هرمان باول بوصفه عالماً فى الدراسات اللغوية والأدبية الألمانية بتاريخ اللغة الألمانية، والعَروض، وتاريخ النصوص، وتاريخ علم اللغة. ومن أشهر مؤلفاته فى هذه المجالات نحو اللغة الألمانية الفصحى الوسطى "Mittelhochdeutsche Grammatik" (١٨٨١)، ونحو اللغة الألمانية «الجرمانية» "Deutsche Grammatik"[*] (٥ مجلدات من ١٩١٦ ــ ١٩٢٠)، ومعجم اللغة الألمانية «الجرمانية» "das „ Deutsche Wörterbuch" (١٨٩٧). وقد عرفت مؤلفاته عدداً كبيراً من الطبعات (التى نقحها هو نفسه إلى حد ما أيضاً)، وهكذا ظهرت فى سنة ١٩٨٩ الطبعة ٢٣ من كتابه «نحو اللغة الألمانية الفصحى الوسطى»، وسنة ١٩٩٢ الطبعة ٩ من معجم اللغة الألمانية.

وقد عالج هرمان باول بوصفه عالماً فى الدراسات الهندوجرمانية قضايا منهجية بوجه خاص؛ فأدخل اهتماماً قوياً بالفلسفة اللغوية فى مناقشة موضوعات النحاة الجدد ــ تكونت فى أثناء زمن دراساته فى برلين بتأثير حاييم شتاينتال المحاضر هناك ــ ويعد منظراً ومنظماً لمدرسة النحاة الجدد. أما مؤلفه الأساسى فى تلك الموضوعات فهو «أسس تاريخ اللغة Prinzipien der Sprachgeschichte » (الطبعة الأولى ١٨٨٠)، قارن حول ذلك ما يرد تحت ١ ــ ٢ ــ ٢.

وحصل **هرمان أوستهوف** Hermann Osthoff أيضاً سنة ١٨٧٥ فى ليبزج على الأستاذية، «ببحوث فى مجال بناء الجذر الاسمى فى اللغات الهندوجرمانية». ودُعِى سنة ١٨٧٧ إلى هايدلبرج، وعمل هناك بدءاً من ١٨٧٨ أستاذاً كرسياً.

(*) ربما كان الأفضل أن يُترجم عنوان هذا الكتاب إلى نحو اللغة الجرمانية، لأنها المقصودة وكذلك المعجم إلى معجم اللغة الجرمانية فالمقصود اللغة الألمانية القديمة لا الحديثة. وقد نبه رويتر إلى ذلك فى إشارة ذكية إلى ضرورة فهم كتاب جريم Deutsche Grammar القواعد الجرمانية لا القواعد الألمانية. (المترجم)

وظل فى اتصال بالخطابات مع ليزج ـ وفى سنة ١٩٩٣ نشرت على سبيل المثال رسائل أوستهوف إلى كارل بروجمان من ١٨٧٥ ـ ١٩٠٤ (نشرتها آ. اينهاوسر). ونشر أوستهوف بالاشتراك مع بروجمان بدءاً من ١٨٧٨ «البحوث المورفولوجية فى مجال اللغات الهندوجرمانية». وقد عولجت مقدمة المجلد الأول من هذه النشرة المكونة من عدة مجلدات بسبب أهميتها البالغة، معالجة خاصة تحت ١ـ٢ـ٢.

ويشغل *أوجست لسكين* August Leskien مكانة خاصة داخل مدرسة النحاة الجدد. وقد عُدَّ أحياناً بسبب علاقته العلمية بأوجست شلايشر (قارن ١ـ٢ـ١) من جانب، وبسبب الفارق العُمرى من جانب آخر، أستاذاً للنحاة الجدد، وليس عضواً فى هذه المدرسة. ومن جهة أخرى يرى مؤرخو الدراسات السلافية فيه قطب هذه المدرسة. وفى الحقيقة الفارق العمرى ضئيل، بل يدخل بالأحرى فى الحسبان أن لسكين قد حصل فى وقت مبكر جداً قبل الآخرين على/ منصب الأستاذية (سنة ١٨٧٠ أستاذاً مساعداً، وسنة ١٨٧٦ أستاذاً كرسياً للدراسات السلافية فى ليبزج). ومن سنة ١٨٧٠ حتى وفاته سنة ١٩١٦ عمل فى هذه الجامعة، فى العقود الأخيرة إلى جوار كارل بروجمان ـ كلاهما أسس السمعة العالمية لعلم اللغة التاريخى ـ المقارن(*) فى ليبزج، وينبغى أن يعرضا أيضاً مترابطين. ويعد من أهم مؤلفات أوجست لسكين «المرجع فى اللغة البلغارية القديمة (السلافية الكنسية)» (١٨٧١)، ونحو اللغة البلغارية القديمة (السلافية الكنسية)» (١٩٠٩) ـ ظهر كلاهما فى عدة طبعات ـ والكتاب الفائز بجائزة جمعية يلونوفسكى(Societas Jablonoviana ١٨٧٦) «التصريف فى اللغات السلافية ـ الليتوانية والجرمانية»

"Die Deklination im Slavisch - Litauischen und Germanischen".

15

(*) يبدو أن مصطلح Vergleichende Grammatik («القواعد المقارنة» الذى ظل يستعمل كثيراً عنواناً لعلم اللغة المقارن والتاريخى) قد وضعه شليجل. وفى الواقع كانت مقارنة الصرف التصريفى والاشتقاقى للسنسكريتية واللغات الهندوأوربية الأخرى، وبشكل خاص اللاتينية واليونانية، هى التى رُكز عليها علماء الدراسة المقارنة الأوائل. (المترجم)

١ ـ ٢ التقليد والتجديد في تفكير النحاة الجدد اللغوى

١ـ٢ ـ ١ أوجه التصادم المباشر في الأفكار بالنسبة للنحاة الجدد

في مطلع القرن التاسع عشر كان قد أسس فرانتس بوپ (١٧٩١ ــ ١٨٦٧)، وياكوب جريم (١٧٨٥ ـ ١٨٦٣)، وراسموس راسك (١٧٨٧ ــ ١٨٣٢) والكسندر فوستوكوف (١٧٨١ ــ ١٨٦٤) الدراسات التاريخية المقارنة، التي ينعكس فيها روح عصر الرومانسية مع عودة الوعى بتاريخ الشعوب وتاريخها اللغوى، وتحديد السنسكريتية بأنها لغة هندوجرمانية[1](*) . وكان ياكوب جريم قد سوَّى بين النحو العلمى والنحو التاريخى. وكان كتابه «نحو اللغة الألمانية (الجرمانية)» (١٨١٩ وما بعدها) فى الواقع نحواً مقارناً للغات الجرمانية.

وقد كان مماله أهمية إلى جانب ذلك كتاب فرانتس بوپ «النحو المقارن للسنسكريتية والزرادشتية والأرمينية واليونانية واللاتينية والليتوانية والسلافية القديمة والقوطية والألمانية» (بدءاً من ١٨٣٣) ، بل والأقل شهرة أيضاً لأسباب لغوية «بحوث فى مجال النوردية، أو أصل اللغة الايسلاندية (ظهرت بالدنمراكية سنة ١٨١٨، والعنوان الأصلى هو: "Undersögelse on det gamle Nordiske

---

(١) فى محاضرة للمستشرقين الانجليز، لوليام جونز الذى كان يعمل قاضياً فى البنغال، أمام الجمعية الآسيوية فى كلكتا سنة ١٧٨٦، طبعت سنة ١٧٨٨ فى البحوث الآسيوية.

(*) وردت العبارة المعنية فى فقرة من تقرير جونز وردت فى الموجز ص ٢٢٤. إذ يقول: وفى سنة ١٧٨٦ قرأ السير وليم جونز Sir W. Jones، وكان قاضياً فى المحكمة البريطانية فى الهند، ورقته الشهيرة فى الجمعية الملكية الأسيوية فى كلكتا التى أثبت فيها ــ من دون شك ــ القرابة التاريخية للسنسكريتية، اللغة الكلاسيكية للهند، مع اللاتينية واليونانية واللغات الجرمانية. فقد ورد فى تقريره: اللغة السنسكريتية مهما يكن قدمها، لغة ذات تركيب عجيب، وهى أكثر كمالاً من اليونانية، وأغزر إنتاجاً من اللاتينية، وأكثر منهما تهذيباً بشكل رائع، وهى فوق ذلك على قرابة بكل منهما فى جذور الأفعال وصور القواعد معاً، قرابة أقوى من أن تكون نتاجاً للمصادفة، وهى قرابة قوية فى الواقع للدرجة أن أى عالم فى الفيلولوجيا لا يمكنه أن يفحص اللغات الثلاث جميعاً، دون أن يعتقد أنها نشأت عن أصل معين مشترك ربما لم يعد موجوداً. كما أن هناك مسوغاً مشابهاً، برغم أنه ليس قوياً تماماً، لافتراض أن كلاً من القوطية والسلتية تشتركان فى نفس الأصل مع السنسكريتية. (المترجم)

"aller islandske Sprogs Oprindelse» لراسموس راسك، وكذلك «شروح حول اللغة السلافية» المتخذ مدخلاً إلى نحو هذه اللغة، جمعت حسب أقدم آثاره الكتابية» (١٨٢٠ العنوان الأصلي الروسي „Rassuždenie o slavjanskom jazyke, služašče vvedeniem k grammatike sego jazyka, sostavljaemoj po drevnejšim onogo pis'mennym pamjatnikam") لالكسندر فوروفيتش فوستوكوف.

/ وربما كان من غير الممكن أن توجد بحوث النحاة الجدد دون هذه المرحلة في تطور العلم. ومع ذلك لم تكن التصحيحات فقط ضرورية بالتفصيل، بل وجب أن يعاد تمحيص التصور الكلى من الناحية المنهجية وأن يوضع على أساس أكثر دقة.

١٦

إنه أوجُست شلايشر August Schleicher (١٨٢١ ـ ١٨٦٨) الذى يمثل همزة وصل على نحو خاص بين علم اللغة التاريخي ـ المقارن المبكر في القرن التاسع عشر والنحاة الجدد. وقد ضم بوصفه أستاذاً لعلم اللغة المقارن والسنسكريتية في يينا Jena إلى دراساته اللغوية السلافية والبلطية(*). وفي أثناء منصب الأستاذية السابق له في براغ أشيعت عنه معرفة رائعة بالتشيكية، وقد نشر ١٨٥٢ «علم الصيغ في اللغة السلافية الكنسية»، وسنة ١٨٥٦ المجلد الأول من «مرجعه في اللغة الليتوانية، وهو «نحو اللغة الليتوانية». أما مؤلفه الرئيس فهو: "Compendium der vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen" موجز النحو المقارن للغات الهندوجرمانية (١٨٦١/ ١٨٦٢).

وقد استخدم عند سعيه إلى بحوث لغوية تاريخية أكثر دقة مصطلح "Lautgesetz" (القانون الصوتي) الذى لم يكن بعد قد مُورس لديه في نظام من المفاهيم، ولم يصر مفهوماً مركزياً إلا في علم مناهج النحاة الجدد(**) ـ فقد كان

(*) اللغات البلطية: مجموعة من اللغات الهندوأوروبية: اللاتفيانية والليتوانية والبروسية القديمة.

(**) من المؤكد أن مفهوم القانون الصوتي ليس من اختراع النحاة الجدد، فقد كان له ظهور لدى جريم وبوب، وإن سلما بوجود استثناءات بشكل واضح. وعلى الرغم من تأكيد شلايشر على الاطراد فقد سلم هو أيضاً بحدوث التطورات الشاذة بوصفها شواهد اتيمولوجية. غير أنه صار على يد النحاة الجدد مبدأً صارماً، لا يجيز أى استثناء. (المترجم)

أوجست لـكين تلمـيذه وخليفته لمـدة قصيرة فى يينا، قبل أن يـدعى إلى ليبزج.
(انظر ما يلى ١ ــ ٢ ــ ٢).

وقد نشأت دقـة البحث لدى شلايشر من ميـوله إلى العلوم الطبيعيـة. فقد دافع، مثـل دارون، ولكن بشكل مسـتقل عنه، عن أفكار التطور. والمظهـر لذلك كتابه «نظرية دارون وعلم اللغة» (١٨٦٣)، نشر على أنه رسالـة مفتوحة إلى السيد د. ارنـست هيكل أستاذ كرسى عـلم الحيوان ومدير متحف الحيـوان فى جامعة يينا (أعيد طبعه لدى كورنر (١٩٨٣) وكريستمان (١٩٧٧)). إن اللغة بالنسبة لشلايشر مثل الكائن الحى»[٢] الذى مثل كل كائن حى ينمو ويزدهر ويتدهور[*]. والتطور اللغوى يحدث وفقـاً له بالتبادل مع تطور الإنسانية والحضارة الإنسانـية، فقد وجد عصر ازدهار اللغات فى زمن مـا قبل التاريخ، أما اللغات الحديثـة فتعكـس مرحلة التـدهور. ومن المنطقى أن ينتـج عن ذلك مطلب بحث الأحـوال اللغـوية المبكرة للغاية ــ على نحو مـا كان ياكوب جريم قد رأى هدف البحوث اللغـوية التاريخية فى رد كل الصيغ اللغـوية المعاصرة إلى مـراحلها الأقدم. وقد توج شـلايشر هذا البرنامج البحثى بوضع حكاية خرافيـة فى أصلها الهندوجرمانى («الشاة والجياد») ومع ذلك فإن النتيجـة، السـاحرة غالبـاً، / وإن كانت بسـبب ما اسـتتبع إعادة البناء **١٧** جديرة بالإعجاب، تتضمن خطأ فكرياً حقيـقياً: فقد تألفت الصيغ المعاد بناؤها فى طبقة لغـوية موحدة، على الرغم من أنه ليس من الممكن إثبـات أن هذه الصيغ ــ بافتراض أنها قد أعيد بناؤها بشكل صـحيح ــ قد استخدمت فى وقت واحد، أى من الجيل ذاته من المتكلمين.

أما التعبير عن فهم بيولوجى للكائن الحى فهـو تعبير شلايشـر أيضاً المشهور

---

(٢) قارن مفهوم الكائن الحى فى القرن الثامن عشر.

(*) اعتبـر شلايشر نفسه عالماً طبيعياً، فقـد رأى أن موضوعه ــ اللغـة ــ بوصفها نظاماً من الأنظمة الطبيعية للعالم ــ يجب أن يعـالج بمناهج العلم الطبيعى، وهو نظام له مراحل نشأة ونضج وتدهور بشكل مستقل عن إرادة متكلميه أو وعيهم. ولقد تطلع إلى علم الأحياء فى بحثه عن نموذج علمى لعلم اللغة التاريخى. (المترجم)

«نظرية شجرة النسب "Stammbaumtheorie"، عرض القرابة اللغوية بين اللغات الهندوجرمانية (استخدم عالمياً بدلاً من ذلك مصطلح «هندوأوروبية») فى صورة شجرة مع جذور وساق وفروع؛ عرضها سنة ١٨٥٠ فى: «لغات أوربا من خلال رؤية منظمة». وظلت هذه النظرية متغلغلة فى قرننا إلى حد بعيد أكثر من بقائها تعميماً واضحاً لمعارف لغوية تخصصية، حتى وإن كانت قد هوجمت وصححت بعد ظهورها بوقت قصير[٣].

ولتبسيط التيارات اللغوية فى القرن التاسع عشر، وبخاصة إبراز البحوث الشديدة الثراء فى الفلسفة اللغوية لفيلهلم فون هومبولت وحاييم شتاينتال وغيرهما، ينبغى أن ينظر إلى الاتجاهين المرتكزين على جريم وشلايشر على أنهما تصادم فكرى حاسم بالنسبة لجيل النحاة الجدد.

١ ـ ٢ ـ ٢ موضوعات النحاة الجدد ومناهجهم الرئيسية

لقد درست موضوعات النحاة الجدد ومناهجهم الرئيسية، التى تطورت فى هذه المدرسة، من خلال مؤلفين مهمين؛ مقدمة المجلد الأول من: «بحوث مورفولوجية فى مجال اللغات الهندوجرمانية لـ ك. بروجمان وهـ. أوستهوف، و«أسس تاريخ اللغة» لـ هـ. باول».

---

(٣) كذا من خلال «نظرية الموجات اللغوية» ليوهانس شميت بوجه خاص.

(*) أوضح رويتز فى موجزه ص ٢٩١ هذه النظرية أو النموذج بأنه أقام عن طريقه العلاقات بين اللغة الأم وبين اللغات الهندوأوروبية المعروفة. ولقد افترضت لكل منها لغة أم مشتركة Grundsprache (مثل اللاتينية المنطوقة المعروفة بوصفها أماً للغات الرومانية) وأرجعت كل هذه الأسر الفرعية إلى Ursprache (لغة أصلية) واحدة، تمتلك خصائص مشتركة بينها كلها. وهذا السلف المشترك للغات الهندوأوربية يمكن إعادة بنائه عن طريق مقارنة الصيغ المتماثلة المدلل عليها فى الأسر الفرعية المختلفة، كما أن النظام الكامل للغات فى علاقاتها التاريخية قد أقيم فى شكل الشجرة. وهذه الصيغ المعاد بناؤها كانت بالطبع مختلفة عن الصيغ المعروفة (وعن الصيغ المخمنة فى لغات معروفة بشكل جزئى كما فى النقوش المهشمة). وقد شرع شلايشر فى ممارسة تمييزها بعلامة نجمية (من هنا نشأ المصطلح المتأخر «صيغ منجمة»). (المترجم)

ففي سنة ١٨٧٨ ظهر المجلد الأول من «بحوث مورفولوجية في مجال اللغات الهندوجرمانية» ويُصَدِّره المؤلفان بروجمان واستهوف بمقدمة[٤]، بدآها على النحو التالي:

«منذ ظهور كتاب شيرر Scherer «في تاريخ اللغة الألمانية» (برلين ١٨٦٨)، وفي الواقع من خلال الباعث المنطلق من هذا الكتاب تغيرت معالم وجه علم اللغة المقارن تغيراً كبيراً، فقد شق منهجٌ للبحث لنفسه منذ ذلك مساراً، وكسب باستمرار أتباعاً، منهج يختلف اختلافاً جوهرياً عن المنهج الذي انتهجه النحو المقارن في نصف القرن الأول من وجوده (١٨٧٨، III)[*].

١٨ / ينتقد بروجمان البحث اللغوي آنذاك، فقد هوجم موضوع بحثه، اللغات الهندوجرمانية دون إيضاح المسائل الأساسية مسبقاً، مثل: كيف تحيا اللغة الإنسانية وكيف تتطور بوجه عام؟ ما العوامل التي تؤثر عند التكلم، كيف تتفاعل عند التغير اللغوي؟

يجمل كارل بروجمان قائلاً:

لقد بُحثت اللغات باجتهاد شديد، ولكن لم يبحث ***الإنسان المتكلم*** إلا بحثاً ضئيلاً للغاية (١٨٧٨، III استقيت أوجه الإبراز هنا وفي الاقتباسات التالية من الأصل).

وقد وصفت هذه المقدمة بعد وقت قليل بأنها **عقيدة** Kredo، شهادة هذه المدرسة. إنها توضيح أساسي لزم أن يكون مبدأ للأتباع، بل أن يقدم في الوقت

---

(٤) ذكر بروجمان فيما بعد أن نص «المقدمة» قد ألفه هو وحده، ولكن أوستهوف قد وقع عليها معه.

(*) الاقتباسات هنا من مقدمة أهم مؤلف لاستهوف وبروجمان، وهي في الحقيقة جديرة بالترجمة للغة العربية لأهميتها البالغة، فهي ليست عقيدة أو شهادة هذه المدرسة فحسب، بل هي دستورها في العمل، وتذكر مختصرة في أغلب المواضع، وعنوانها الكامل هو: Morphologische Untersuchungen auf dem Gebiete der indgermanischen Sprachen «بحوث مورفولوجية في مجال اللغات الهندوجرمانية». (المترجم)

نفســه حججاً أيضـاً للنقاش آنذاك طيلة ما يقـرب من عشر سنوات حول المعـالجة المنهجية في بحوث تاريخية ــ مقارنة:

بيد أنه يمكــن في هذا الموضـع أيضاً أن نرجو نقـادنا المحتـملين كل مرة أن يلاحظوا ما المبادىء التي انطلقنا منها لتقرير هذا الفرض أو ذاك. للأسف للمرء في السنوات الأخيرة في مرات عدة أحكام حول اتجاهنا رافضة بشكل شديد العموم أو يستحسن بعض الآراء التي طرحهـا هذا الاتجاه، تلك التي لا تثبت إلا أن حالات الاحكام المعنية لم تتدبر بعد مطلقاً ما الدوافع التي قادتنا إلى اتباع هذا المنهج بعينه وليـس منهجاً آخر (١٨٧٨، XIX).

في الفقرات التالية تُقَدم أهم الآراء من تلك المقدمة.

١ ــ اللغة بالنســبة للنحاة الجـدد ليست كائناً حـياً بل هي **نشاط نفسي فيزيائي**. ليست كائناً حـياً خارج البشر وإلى جوارهم بل هي نشـاط تابع للبشر الذين يستخدمونها:

لآلية الـكلام الإنسانية جـانبان: جـانب نفـسي، وجـانب بدني. ويجب أن يكون الهدف الأساسي للباحث اللغـوي المقارن إيضاح نوع نشاطه، ذلك لأنه بناء على معرفة أكثر دقة بنظام هذه الآلية الروحية ــ الجسدية وطريقة فعلها فقط يمكنه أن يكون تصوراً عما هو ممكن لغوياً بوجه عام [...] (١٨٧٨، III).

هكذا فقط يستطيع الباحث أن يعرف أيضاً كيف تنفذ التجديدات اللغوية في الجمـاعة اللغوية، وذلك انطلاقـاً من متكلميـن فرادى، ذلك أنه: بالنسبـة للنحاة الجدد مـا هو واقعي ليس إلا لغة الفرد، فـالأساس النفـسي لهـذه المدرسة هو علم نفس الفرد لهربرت[٥]. إذ إن كل تغيرات اللغـة يمكن أن تفهم/ وأن توضح من الأفراد المتكلمين فقط. وقد كان هذا النشاط النفسي الفيزيائي للإنسـان عند التعامل مع اللغة واحـداً في كل الأزمنة، وهكذا يمكن للمرء أن يوضح (يفـسر) عمليات لغوية في أزمنة سحيقة بالقوانين ذاتها مثلما يفسـرها في الوقت الحاضر.

١٩

---

(٥) يوهان فـريدريش هربرت J.F. Herbart (١٧٧٦ ــ ١٨٤١) فـيلسـوف وعـالم نفس وتربوي من كونجســبرج قوى التأثير.

٢ ــ وبناءً على كون الإنسان قد وضع في القلب يفسر أيضاً التقويم الجديد تلك الأحوال اللغوية المبكرة للغاية بما فيها اللغة الأصل.

فاللغة الأصل Ursprache بالنسبة لمدرسة النحاة الجدد هي افتراض. وتقويم الأحوال اللغوية السحيقة بأنها زمن الازدهار، والحط من الفترات الأحدث بوصفها تعبيراً عن التدهور ــ على نحو ما رأى أوجست شلايشر الأمر ــ بالنسبة لهم استنتاج خاطيء. فلا يمكن للمرء أن يبحث كيف تحيا اللغات وتتطور إلا من خلال التاريخ اللغوي المسجل في آثار لغوية، والمسجل عن نحو أفضل في اللغة المعاصرة واللهجات(*). وحسب مبدأ الانتقال من المعروف إلى المجهول يجب على المرء لذلك أن ينطلق من اللغة الحالية، وبمساعدة المعارف المكتسبة على هذا النحو ينفذ إلى الأحوال اللغوية الأقدم. ومن المسوغ وسيلةً لهذه المعرفة أن يعاد بناء صيغ لغوية أصلية مفردة. ومع لا يمكن أن يعاد بناء حال لغوية كلية. فالمرء لا يستطيع مطلقاً أن يثبت أنه قد وُجد جيل من المتكلمين قد عرف وتكلم في الوقت نفسه كل الصيغ التي أعاد بناءها أوجست شلايشر كلها مثلاً.

ولما كانت هذه الفرضية بالنسبة لعلم مناهج النحاة الجدد فرضية مركزية فينبغي أن يدلل عليها باستشهاد أطول:

لقد كان إعادة بناء اللغة الهندوجرمانية الأساسية حتى الآن الهدف الرئيس دائماً ولب البحث اللغوي المقارن كله، وكان من نتيجة ذلك أن المرء في كل بحث قد يمم وجهه شطر هذه اللغة الأصل دائماً. وعُنى داخل اللغات المفردة المعروفة لنا من خلال الآثار الكتابية [. . .] بالفترات السحيقة الأشد قرباً من اللغة الأصل فقط تقريباً [. . .]. وكُوِّنت من صيغ الفترات اللغوية السحيقة المتاحة تاريخياً

(*) صرفوا النظر عن الـ Ursprache بوصفها واقعاً مفترضاً قبل تاريخي ووجهوه إلى المادة الموجودة في المدونات المكتوبة ولهجات الوقت الحاضر المنطوقة. وقد أكدوا على اللغات الحية وعلى عدم ملاءمة حروف اللغات الميتة إعطاء معلومات عن نطقها الفعلي، وجعلوا اللهجات المنطوقة لأوربا ميداناً حيوياً للبحث العلمي فيما يمكن أن تلقيه من ضوء على التغيير اللغوي. (المترجم)

الصيغ الهندوجرمانية الأساسية. وسرعان ما جعلت هذه الأخيرة آنذاك فيها المعيار العام للحكم على التكوينات اللغوية التاريخية، ***حيث حصل علم اللغة المقارن أساساً بمساعدة الصيغ الهندوجرمانية الأصلية على تصوراته العامة عن الكيفية التي تحيا بها اللغات ويستمر بناؤها ويتغير***. (١٨٧٨، V/VI).

بيد أنه من الضرورى أن يتغير هذا الموقف. فالباحث يحتاج إلى جمع المادة، يسجل ما أمكن التغيرات اللغوية دون فجوات عبر القرون، وكلما ازداد قرب النصوص من الوقت الحاضر كان وضع الانطلاق أكثر ملائمة، لأن: الباحث اللغوى: [. . .] يجب أن يتحرر آخر الأمر من كل فكرة كلية، يحتاج المرء بوصفه عالم الدراسات الهندوجرمانية المقارنة إلى أن يعنى بالمراحل المبكرة جداً للغات الهندوجرمانية فقط حين تقدم مادة لغوية، توضع فى الاعتبار لإعادة بناء اللغة الهندوجرمانية الأصلية. (١٨٧٨، VII).

٢٠ / وغالباً ما استشهد بالموجز التالى لمهام اللغوية:

وهكذا: فالباحث اللغوى المقارن هو وحده ذلك الذى يخرج من دائرة بخار الورش المعبَّأ بالافتراضات التى شُكِّلت فيها الصيغ الهندوجرمانية الأساسية، إلى الهواء النقى للواقع الملموس والحاضر، للوقوف هنا على ما حالت أبداً النظرية الغامضة دون معرفته، فهو فقط الذى يمكنه الوصول إلى تصور صحيح عن طريقة حياة الصيغ اللغوية وطريقة تغير بنيتها، وأن يظفر بتلك الأسس المنهجية التى لا يمكن للمرء مطلقاً أن يتوصل بدونها فى البحوث اللغوية التاريخية إلى نتائج جديرة بالتصديق [. . .]. (١٨٧٨، IX)[*].

(*) ورد هذا الاستشهاد مبتوراً مع بعض التغييرات فى الموجز لروبنز ص ٢٩٩، إذ يقول: اللغوى المقارن وحده هو الذى ينبذ جو الحلقات الدراسية المعبأ بالافتراضات الذى تتم فيه صياغة جذور الأسرة الهندوجرمانية، ويظهر فى الضوء الساطع للواقع الحاضر الملموس من أجل أن يحصل من هذا المصدر على المعلومات التى لا يمكن أن تمنحه إياها النظرية الغامضة، ويمكنه بذلك الوصول إلى عرض صحيح لحياة الصيغ اللغوية وتحولاتها. (المترجم)

ولا يجوز للمرء بوجه خاص أن يقتصر على اللغة، «على الكتابة» يجب عليه أن يوفق في تجاوز أوصاف وتصنيفات نحوية، لأنه لا شيء يُظفر به حين يُعطى للشيء اسمٌ، دون أن يُسبر جوهره. لقد صار «سبر جوهر اللغة» الموضوع المركزي للنحاة الجدد.

٣ ـ المفهوم المفتاح لمدرسة النحاة الجدد هو مفهوم ***القانون الصوتي***. فقد استخدم النحاة الجدد هذا المفهوم الذي أنشيء من قبل لدى ياكوب جريم، وأدخله أوجست شلايشر مصطلحاً، للارتفاع بعلم اللغة إلى علم القوانين. وقد ركزوا، بتأثير من الوضعية من الناحية الفلسفية وحفز من خلال نجاح علم الأصوات وبخاصة فسيولوجيا الصوت (علم وظائف الأعضاء الصوتية)، علمهم على الحقائق الممكن ملاحظتها، ومن ثم قاموا ببحوث تاريخية مقارنة بوجه خاص في التطور الصوتي وفي علم الصرف. هنا أحسوا «بأرض ثابتة تحت أقدامهم»، ووجدوا أنفسهم أقرب إلى العلوم الطبيعية(*). فمن هذه العلوم استعاروا أيضاً مفهوم القانون، وعالجوا في البداية القوانين الصوتية مثل القوانين الطبيعية، أي أنهم أكدوا خواصها الحتمية، إذ «لا شذوذ في القوانين الصوتية»، التي تعمل بقانون «الضرورة العمياء للطبيعة "mit der blinden Notwendigkeit der Natur"»:

كل تغير صوتي، ما دام يحدث (يطرأ) بشكل آلي، يتم وفق قوانين لا شذوذ فيها، أي أن اتجاه الحركة الصوتية لدى جميع أتباع الجماعة اللغوية هو نفسه

(*) أراد القواعديون الجدد أن يجعلوا علم اللغة التاريخي علماً منضبطاً متوافقاً مع تلك الطبيعة التي حققت تقدماً مدهشاً في القرن التاسع عشر، وكان منها علم الجيولوجيا على وجه ملحوظ، وقد آمن علماء القرن التاسع عشر بقوة بعمومية القوانين الطبيعية التي فهمت فهماً صحيحاً، كما أن اتساق الطبيعة كان دجمة dogma (عقيدة) سائدة. وفي ظل هذه الروح كتب اوستهوف عن القوانين الصوتية التي تسير وفقاً للضرورة العمياء، وبشكل مستقل عن إرادة الأفراد، مع أن اللغة ليست كياناً عضوياً فوق شخصي بنشأتها وحياتها، كما أكد همبولت وشلايشر من قبل، ودي سوسير من بعد (تحت تأثير دوركايم)، فاللغة ببساطة تحقق وجودها من خلال الأفراد الذين يكونون جماعة لغوية، والتغيرات اللغوية عبارة عن تغيرات في عادات الأفراد الكلامية. الموجز ص ٢٩٨، ٢٩٩، وانظر كذلك ص ٣٠٧، ٣٠٨. (المترجم)

دائماً باستثناء حالة دخول انقسام لهجي، وكل المفردات التي يظهر فيها الصوت قد أخضع لحركة صوتية في إطار العلاقات ذاتها، يعتورها التغير دون استثناء. (١٨٧٨، XIII).

ومع ذلك يحاول المرء ابتداء أن ينظر إلى استثناءات قائمة فعلاً على أنها نتيجة قوانين لم تعرف بعد.

٤ ـ بيد أنه ما لبث أن قاد الدور المحوري للإنسان المتكلم ومن ثم للنشاط الكلامي المقتضي نفسياً أيضاً النحاة الجدد إلى إدخال مبدأ تأثير ***القياس*** Analogie تكملةً لمفهوم «القانون الصوتي». وتبين أقوال متأخرة أن ممثلي هذه المدرسة قللوا من الاعتزاز دائماً/ باللاشذوذ بمفهوم العلم الطبيعي، ومن ثم ظهر مفهوم القانون أقل حفزاً دائماً. وهكذا حدد دلبروك Delbrück[٦] في سنوات متأخرة أن القوانين الصوتية ليست شيئاً آخر سوى أوجه انتظام، تظهر في لغة وزمان محددين، ولا ترى إلا عليهما.   ٢١

وقد عدت تأثيرات القياس (أي تداعيات الصيغة) بين الصيغ اللغوية للحاضر منذ مدة طويلة بدهية. وكما يعرض الاقتباس التالي ينبغي لذلك أيضاً أن «يُقر دون حرج» للفترات الأقدم والسحيقة عمل أبنية القياس.

ولما تجلى بوضوح أن تداعي الصيغة، أي البناء الجديد للصيغ اللغوية على طريق القياس، وأنه يؤدي في حياة اللغات ***الحديثة*** دوراً مهماً جداً، فإن هذا النوع من التجديد اللغوي يجب أن يُقَر دون حرج أيضاً للفترات ***الأقدم والسحيقة***، [. . .]، يجب أن يستفاد من مبدأ التفسير هذا على النحو ذاته أيضاً، في تفسير الظواهر اللغوية في فترات متأخرة، ولا يجوز أن يلفت ذلك النظرَ في كثير أو قليل حين تواجهنا أبنية قياس في الفترات اللغوية الأقدم في المحيط ذاته أو حتى في محيط أكبر، كما هي الحال في الفترات الأحدث والأكثر حداثة. (١٨٧٨، XIII/XIV).

---

(٦) برتولد دلبروك (١٨٤٢ ـ ١٩٢٢) كان بدءاً من سنة ١٨٧٠ ـ خليفة شلايشر ولكين ـ أستاذ علم اللغة المقارن والسنسكريتية في يينا.

ومع ذلك فتداعى الصيغة هو مخـرج أخير لا يجوز للمرء أن يلجأ إليه إلا حين لا ترصد القـوانين الصوتية أى تفسـير، وتجبرنا إلى حد مـا على اللجوء إلى تفسير من خلال تأثير القياس:

إن تداعى الصـيـغة مـا يزال بالنسـبـة لنا أيضـاً «الملاذ الأخيـر ultimum refugium»، فالفارق هو فـقط أننا نواجه هذه فى وقت مبكر للغاية وكثـيراً جداً من الأخـريات، وذلك لأننا نعامل ذلك بدقـة معـاملة القـوانين الصوتيـة، ولأننا مقـتنعون بأن أجرأ افتـراض لتأثير القـياس، حين يكون فى مـجال الممكن، يزعم بشكل متزايد أنه سيصير «مُصَدَّقاً» أكثر من أوجه الخرق العشوائية للقوانين الصـوتية الآلية، (١٨٧٨، XVII/CVII).

وهكذا فالقيـاس المقتضى نفـيـاً أيضاً ليس عشوائيـاً، بل يعمل وفق آليات ثابتة يجب معرفتها.

أخيراً يصوغ بروجمان الموجز المتـزن التالى، بل والبعيد المدى للنقاش حول القانون الصوتى وتأثير القياس:

الشىء الأساسى إلى حين هو أن يكـون لدى المرء الإرادة الحسنة لأن يتعلم من حقائق التطورات اللغوية الحديثة وأن يستفـيد من اليقين المتعلم للفترات اللغوية الأقدم. (١٨٧٨، XVIII).

٢٢ / وبعد ظهور المقدمة بسـنتين ظهر كتاب «*أسس تاريخ اللغة* Prinzipien der Sprachgeschichte» لهرمـان باول، أى سنة ١٨٨٠[٧]. وقد أدى الكـتاب فى نقاش النحاة الجدد حول موضـوع علم اللغة ومناهجه دوراً يمكن مقارنته بدور «المقدمة». ولذلك كان يتحدث أحـياناً عن «أسس تاريخ اللغة» أيضاً على نحو ما يتحـدث عن «الكتاب المقدس للنحـاة الجدد». قام هرمان بـاول هنا بإدخال تنظيم

---

(٧) يوجد له حتى الآن ثمانى طبعات ـ صحح الطبعات الأولى منها ووسعها هـ. باول نفسه، وظهرت الطبعة الأخيرة سنة ١٩٦٨ (كطبعة للدراسـات سـنة ١٩٧٠ ـ اقتبس هنا من هذه الأخيرة).

الدراسات اللغوية التاريخية ـ المقارنة فى نسق العلوم بمنح مدرسة النحاة الجدد إطاراً نظرياً، وعزو مكان الصدارة لها ـ أخيراً ربما كان القصد الأهم ـ بين الاتجاهات اللغوية فى عصرها. وقد بين دوافع كتابه فى مقدمة «الأسس» بالنظرات التالية:

منذ نهاية السبعينيات فى القرن التاسع عشر خاصة التُمِس اتجاه شق طريقه، اتجاه يدفع إلى تحول جذرى للمناهج. وعند الخلاف الذى بدأ حول ذلك ظهر بجلاء مدى شدة عدم الوضوح حول عناصر علمه الذى كان ما يزال لدى كثير من الباحثين اللغويين. هذا الخلاف بالذات قد قدم الباعث الأقرب لنشوء هذه المقالة. وهى تود ما أمكنها ذلك أن تسهم فى أن تؤدى إلى توضيح الرؤى وأن تهدف إلى الإفهام على الأقل بين أولئك الذين يتوفر لديهم عقل مفتوح على الحقيقة. (١٩٧٠، ٦).

ولذلك عد هرمان باول من الأهمية بمكان أن يعالج كل الموضوعات ما أمكن التى يمكن أن يكون لها أهمية لنظرية التطور اللغوى. ومع ذلك لا ينبغى أن يُتناول فى «أسس تاريخ اللغة» هذا العرض الشامل لكل مجالات علم اللغة التاريخى ـــ المقارن، بل الفرضيات ذات الخلفية النظرية التى ذكرت آنفاً، على نحو ما يوجد فى المقدمة وفى أجزاء من الباب الأول «عموميات حول جوهر التطور اللغوى» وفى مقدمات الطبعة الثانية والرابعة أيضاً.

١ ـــ عد هـ. باول اللغة **علم ثقافة** *(حضارة)* **Kulturwissenschaft** وقسم العلوم بشكل مجمل إلى علوم الطبيعة وعلوم الثقافة. وعلوم الطبيعية يمكن أن تكون علوم طبيعة تاريخية أو علوم قوانين محضة. ويعد من الأخيرة الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم النفس (كذا!). أما علم اللغة فعلم ثقافة، ولكنه ذو طبيعة خاصة، لأنه:

/ لا يوجد فرع للثقافة يمكن أن يتعرف معه على شروط التطور بمثل هذه الدقة، مثلما هى الحال مع اللغة، ومن ثم لا يوجد علم للثقافة يمكن أن توصل مناهجه إلى تلك الدرجة من الكمال مثل مناهج علم اللغة. (١٩٧٠، ٥). ٢٣

ذلك يقربه من علوم الطبيعة دون أن يتبعها. فمن خصوصية كل علم للثقافة التأثر بالعوامل النفسية. ويؤكد هرمان باول هذه الأفكار بالكلمات التالية:

العنصر النفسي هو العامل الجوهري في كل حركة ثقافية، فكل شيء يدور في فلكه، ومن ثم فعلم النفس هو الأساس الأخص (الأوجه) لكل علم للثقافة مدرك بحاسة أسمى، غير أن العامل النفسي ليس لذلك العامل الوحيد؛ فلا توجد ثقافة دون أساس نفسي محض [...]. (١٩٧٠، ٦، القطع في النص الكلي في الأصل).

مع اللغة على وجه الدقة لا يجوز أن تهمل وفق هـ. باول العوامل الفيزيائية أيضاً، إذ يجب أن تبحث في تضافرها مع العوامل النفسية.

ولذلك يُحتاج إلى جانب علم النفس إلى معرفة أيضاً بالقوانين التي تتحرك العوامل النفسية للثقافة وفقاً لها. (١٩٧٠، ٦/ ٧).

(قارن: «اللغة نشاط نفسي فيزيائي» في مقدمة بحوث مورفولوجية «صرفية» ("Morphologische Untersuchungen").

كل علم للثقافة هو علم للمجتمع، لأنه لا يتيح الثقافة إلا المجتمع، وهو يجعل من الإنسان جوهراً تاريخياً.

ويكمل باول:

ومن المؤكد لروح الإنسان المستقلة أيضاً وجود تاريخ تطور لها، وذلك بمراعاة علاقتها بجسده ومحيطه، غير أن الموهوبة ذاتها قادرة على أن تجلب لها ثقافة بدائية للغاية فقط، ربما انقطعت بموته. وفقط من خلال نقل ما ظفر به الفرد إلى أفراد آخرين ومن خلال تعاون أفراده عدة من أجل الغرض ذاته يُتاح نموٌ عبر هذه العوائق المتلاصقة. (١٩٧٠، ٧).

وهكذا فالفيصل هو التأثير المتبادل للأفراد بعضهم في بعض ــ وعلاوة على ذلك يؤثر هـ. باول مصطلح «علم الثقافة» على «علم إنساني»، لأن المرء يستطيع بذلك أن يدخل في الاعتبار أيضاً موضوعات مادية، أطلق عليها «ثقافة مادية».

ويجب أن يلاحظ أن علوم الثقافة موجهة أساساً توجيهاً تاريخياً. سوف تفصل فيما يلي نتائج هذه الفكرة بالنسبة لعلم اللغة تفصيلاً خاصاً.

/ ٢ ــ علم اللغة بوصفه علماً للثقافة هو علم تاريخي، وله أيضاً بوصفه علم قوانين[٨] صلات بعلوم الطبيعة[*]. وضع هـ. باول الآن «***علماً للأسس (المبادىء)***» Prinzipienwissenschaft وسيلةً بين هذه الأضرب من العلوم، علم، يعنى بالشروط العامة لحياة الشيء المتطور تاريخياً، ويعالج المشكلة التالية: **٢٤**

كيف يكون تطور تاريخي ما في إطار شرط القوى والعلاقات المستمرة ممكناً، أي تقدم من أبسط الأبنية وأكثرها بدائية إلى الأبنية الأشد تعقيداً؟ (١٩٧٠، ٢).

ويتضمن علم الأسس أحكاماً أخرى للبحث، وهكذا فإنه يستوعب مسائل منهجية في الوقت نفسه أيضاً، وبذلك فهو ليس نظرية محضة حتى وإن دعمته بداهة أفكار نظرية. فأساس علم للمناهج يقدم شرحاً لعلم المبادىء حيث إن هـ. باول يطالب بنقل طريقة النظر المعتادة بالنسبة لعلوم الطبيعة إلى علم الثقافة؛ علم اللغة.

وباختصار: علم الأسس يشرح العلاقات التي تعد أساس عمليات التطور التاريخية ويستند إلى نتائج علوم القانون (وعلم النفس أيضاً) دون أن يفقد استقلاله بوصفه علماً خاصاً.

---

(٨) قارن «القوانين الصوتية».

(*) رأى بعض العلماء أن مبادىء القواعديين الجدد لم تأت بجديد، ولكنها مجرد صياغة لما كان يفعله اللغويون المقارنون والتاريخيون على أي حال، وهذا يعني ما واضحٌ بشكل كاف. فالقواعديون الجدد كانوا إلى حد كبير ينطلقون مما كانت تتضمنه الخبرة الحقيقية بالموضوع، مميزين لها عن الافتراضات غير الضرورية والمضللة. وكان هذا فضلاً في حد ذاته كما هو الشأن في أي تقيم في النظرية العلمية والمنهج العلمي، فضلاً عن أنهم ــ في تحديدهم للأسس التي يقوم عليها العلم ــ قد قطعوا شوطاً طويلاً نحو التأكيد على أن التفكير المشوش غير المنضبط، هو الذي يقبل الحجج الباطلة والصلات الاتلسجية الزائفة. الموجز ص ٣٠٢، ٣٠٣. (المترجم).

ومع ذلك فقد وجد باول بالتحدد عند تفسير القوانين الصوتية صياغات حذرة جداً. ولما كان واعياً كل الوعي بموقع علم اللغة داخل علوم الثقافة وليس علوم الطبيعة، فقد أقر أيضاً بالوضع المختلف للقوانين في كلا القسمين للعلوم بوصفهما مهمين لعلم اللغة.

٣ ـ وبالنسبة لهرمان باول يؤدى ***الفرد*** دوراً حاسماً في الخلق والتطور اللغويين. فالإبداع اللغوى ـ وغير الاصطناعى (المفتعل) الموجود يومياً أيضاً ـ هو حسب هـ. باول إبداع فرد مفرد دائماً، ولا يقوم به مطلقاً أشخاص عدة معاً، كما هى العادة في الاقتصاد والسياسة. ومع ذلك تجرى العمليات اللغوية لدى الأفراد المختلفين في انتظام كبير، وهو ما يعد جوهرياً لإمكانية معارف علمية دقيقة.

ويجب أن يفسر التطور اللغوى أيضاً من خلال التأثير المتبادل للأفراد بعضهم في بعض. فالأبنية اللغوية تخلق بوجه عام دون قصد واعٍ. وكل ما يصل إلى اللغة بطريق اصطناعي يكون حسب كلماته عرضة «للعب بطاقاتها». وبذلك يعنى هـ. باول أن الاستعارات وأشكال الخلق الجديدة وما أشبه تُخضع في اللغة المعنية/ للقواعد السارية، أى تتكيف في نطقها وتصريفها.... إلخ.

٢٥

اعتمد باول على وجهة نظر علم نفس الفرد حين كتب:

على الأرجح ثمة حقيقة ذات أهمية أساسية لا يجوز أن تغيب عن أعيننا مطلقاً، وهى أن كل تأثير متبادل نفسى محض، لا يتم إلا داخل روح فردية. فكل حركة للأرواح فيما بينها ليست إلا وسيطاً مباشراً بطريق نفسى. (١٩٧٠، ١٢) (طبعت الفقرة لدى هـ. باول بحروف متباعدة).

أحرزت هذه الفقرة الأخيرة التى صيغت في بادى الأمر فصلاً عن علم النفس القومى لموريتس لازروس Mortiz Lasarus وحاييم شتاينتال[٩]، مع نشر فيلهلم فونت Wilhelm Wundt مؤلفه «علم النفس القومى Völkerpsychologie (بدءاً

(٩) أصدر كلاهما بدءاً من سنة ١٨٦٠ «مجلة علم النفس القومى وعلم اللغة».

من ١٩٠٠ - في عشرة مجلدات)، أحرزت واقعاً خاصاً. ولذلك أفاد هـ. باول من «مقدمته للطبعة الرابعة» سنة ١٩٠٩ في الغالب في الجدل مع أقوال فونت:

ربما يُتوقع من الطبعة الجديدة بوجه عام جدلٌ مع المجلد الأول لمؤلَّف فونت «علم النفس القومي» (ليبزج ١٩٠٠، ١٩٠٤). للأسف لا يمكنني إلا أن أعارض هذا المؤلَّف بقدر ما يورد من إشارات بالتفصيل أيضاً، بل إني أرفض كل الرفض نقاطه الأساسية [...].

يضع ونت، كما يبين العنوان الكلي لمؤلفه الضخم، علم النفس القومي إلى جوار علم نفس الفرد، ويشكل كامل الجدية في مفهوم، حاربته في مقدمة كتابه [...]. ففي رأيه تقع تغيرات اللغة من خلال تغيرات في روح الشعب، وليس من خلال تلك التغيرات في الأرواح المفردة. والمشكلة التي تحتل بالنسبة لي قلب البحث، وهي سؤال: كيف يتم التأثير المتبادل للأفراد فيما بينهم، هي بالنسبة لونت ليست مشكلة على الإطلاق. (١٩٧٠، V/ VI).

ويختتم باول جدله بمحاولة ونت أن يقرر في اللغة بالكلمات التالية:

في بعض أوجه النقد لمؤلَّف ونت أُعْرِبَ عن التفاؤل بأنه يمكن أن ينطلق منه ذاته إصلاح جوهري لعلم اللغة. إنني لا أستطيع أن أشاطر ذلك التوقع. (١٩٧٠، VI).

٤ ـ بالنسبة لهرمان باول النظرة العلمية للغة هي دائماً النظرة التاريخية. ذلك النهج فقط يمكن أن يتناسب و«الموضوع المتطور تاريخياً» (١٩٧٠، 1). هذه الفرضية هي الأكثر تغلغلاً في كتابه «أسس تاريخ اللغة». وقد أكدت المكانة الاحتكارية المأمولة لعلم اللغة التاريخي ــ المقارن، / وصيغت ــ كرد فعل على نقد السويسرى فرانس ميستلي Franz Misteli ــ صياغة أكثر تأكيداً منذ الطبعة الثانية:

٢٦

كان عليَّ أن أبرر في إيجاز شديد أنني اخترت عنوان ***أسس تاريخ اللغة***. فقد يعترض معترض بأنه توجد نظرة علمية أخرى للغة غير النظرة التاريخية[١٠] يجب أن أنكر ذلك. فما وضِّح بالنسبة للنظرة غير التاريخية والنظرة

(١٠) يشير باول في هامش في هذا الموضع إلى ميستلي.

العلمية للغة هو في الأساس ليس شيئاً غير نظرة تاريخية ناقصة، ناقصة بسبب الملاحظ تارة، وبسبب مادة الملاحظة تارة أخرى(*). وبمجرد أن يتجاوز المرء التقرير المجرد لتفصيلات، وبمجرد محاولة فهم السياق وإدراك الظواهر فإنه يخطو على أرضية تاريخية أيضاً. وإن كان من الممكن أيضاً أن يكون بدونها في جلاء من أمره. (١٩٧٠، ٢٠).

حول هذه الفرضية نشب الخلاف في الرأي، وطور المدافعون عن التناول التزامني في جدلهم معها مواقفهم (مثلاً جان بودوان دى كورتينى وف. دى سوسير، قارن الفصل التالى).

تعارض هذه الفرضية المصاغة صياغة حادة للغاية، للوهلة الأولى تعارضاً ظاهراً مع مطلب مدرسة النحاة الجدد المدون في مقدمة «البحوث المورفولوجية»، يبحث الأحوال اللغوية الحديثة والأحدث. حقاً لم يعرض ــ إذا ما نظر إلى الأمر عن كثب ــ ممثلو هذه المدرسة لهذه المهمة في أعمالهم الخاصة. وهكذا فمن جهة بُرِّر الهجوم الشديد على هذه الصياغة لـ هـ. باول ــ الموضع المستشهد به على نحو أكثر شيوعاً من «أسس علم اللغة» بوجه عام ــ من حيث إن باول قد طالب في الحقيقة بدراسات تاريخية مقارنة، ومن جهة أخرى لا حاجة لأن يَعْنى منظور تاريخى في ذاته أنه لا يجوز أن يكون موضوع البحث اللغوى إلا أحوالاً لغوية واقعة في الماضي فقط، غير أن هذا التفكير المنهجى لم يؤد أى دور في النقاش المعاصر حول مؤلَّف هرمان باول.

١-٣ علاقات بالعلوم الإنسانية المجاورة

الفلسفة وعلم النفس

ينبغي أن نجمل مرة أخرى الصلات المذكورة في مواضع عدة تحت ١ ــ ٢ بالعلوم المجاورة.

(*) لم ير باول معالجة اللغة معالجة علمية في غير المعالجة التاريخية. وقد فصل هذا الرأى في كتابه في نقد شديد لأوجه المعالجة الأخرى. (المترجم)

أولاً: لم يصدر عن ممثلى مدرسة النحاة الجدد أية أقوال عن خياراتهم الفلسفية، غير أن الصورة الظاهرة لأعمالهم العلمية تشير بوضوح بشكل موضوعى إلى مذهب الوضعية Positivismus. / فهذا الاتجاه الفلسفى الذى أسسه أوجست كونت[11] يؤكد دور «الحقائق الوضعية» فى مقابل الفلسفة التأملية، فقد أحس علماء معينون من علوم الطبيعة الصاعدة بقوة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بأنهم منجذبون إلى برنامجه، فكانت الوضعية نقطة التجمع الفلسفية للعلوم الدقيقة. توجه النحاة الجدد إلى هذه البحوث، وعرفوا إلى جانب ذلك نجاح بحوث دقيقة من الجوار المباشر أيضاً، أى من علم الأصوات، وبلفظ أدق من علم وظائف الأعضاء الصوتية. وتحولوا عن علم الطبيعة «البيولوجيا» فى رد فعل على تصور الكائن الحى الذى عرفوه فى تفسير أوجست شلايشر، بل كان قد صعد علم الفيزياء ليصير العلم المرشد للعلوم الوضعية. فقد استخدمت القوانين الفيزيائية مثل قانون الغاز المثالى(*) من النحاة الجدد نموذجاً لإنشاء قوانين لغوية، وفى حالتهم القوانين الصوتية. وقد تحدث النحاة الجدد فى صحوتهم البحثية الأولى بكل جدية عن «القوانين الصوتية العاملة بالضرورة العمياء للطبيعة»، صورة مأمولة لا يمكن بداهة أن يكون لها وجود (قارن ما يلى أيضاً فى علاقاتها بعلم النفس).

وكان وضعياً أيضاً أن مناهج بحث المادة قد حركت إلى القلب ــ وليس بناء نظرية، بل كانت الحقائق ذاتها هدف العمل العلمى، وكان التخلى شبه الكامل عن بناء نظرية قد أدى إلى أن الحقائق قد تجاورت بلا وسيط إلى حد ما، وبشكل ذرى ولم تربط أو نادراً ما رُبطت بأنظمة. ومن المحتمل أن النحاة الجدد قد رأوا بوجه عام أن تنتظم الحقائق فى أنظمة، ولكن لم يعن بحقيقة أن ما تراعيه لم يتبع المهام

---

(11) المؤلف الأساسى لأوجست كونت (1798 ــ 1857) هو:
„Cours de philosophie positive" ("dt.„ Positive Philosophie) محاضرات الفلسفة الوضعية، 6 مجلدات 1830 ــ 1842.

(*) يعنى بقانون الغاز المثالى das vom idealen Gas قانون حرارة ضغط الغاز.

(المترجم)

الموضوعة ذاتها أو المقدمة سلفاً من خلال موقفهم الفلسفى الأساسى. ــ لا خلاف فى أن ممثلى هذه المدرسة استهدفوا ببرنامجهم البحثى نجاحات عظيمة. سيكتب عنها بالتفصيل فيما يلى (انظر ما يلى ١ــ٤ بصفة خاصة).

ثانياً: سرعان ما اصطدمت كل محاولات ممارسة علم اللغة بوصفه علماً دقيقاً بحواجز لا يمكن تجاوزها، وبخاصة تلك التى يقيمها الفرد المتكلم (والسامع) من خلال وجوده المجرد. فقد عمل النحاة الجدد له حساباً، إذ أدركوا فى اللغة (بشكل أدق: فى الكلام) «نشاطاً نفسياً فيزيائياً»، نشاطاً يعزى إليه جانب «روحى» أيضاً إلى جانب «الجانب الجسدى». وقد قبلوا/ فى علم النفس العلم الأساسى الذى لا خلاف عليه، أساسه الأسمى، غير أنه يفهم تحت ذلك علم نفس تجريبى دقيق، يعده لذلك أيضاً من «العلوم القانونية البحتة». ففى فهمهم ــ وقد صاغ ذلك هرمان باول صياغة غاية فى الوضوح ــ لا يمكن أن يكون ذاك (أى علم اللغة) إلا علم نفس للفرد. الفرد فقط ظهر واقعاً، المتكلم المفرد فقط، وليس جماعة لغوية ذات حياة خاصة لا يمكن تحديدها. لقد كان باول أيضاً هو الذى صرح باسم المصدر النفسى للنحاة الجدد: يوهان فريدريش هربرت J. F. Herbart (قارن هامش ٥)، الذى اشتغل على القانونين النفسيين: وعى الذات الاستبطانى Apperezeption، والتداعى Assoziation. وعلى العكس من ذلك لم يستطع هـ. باول أن يفعل شيئاً حيال علم النفس القومى، الذى عرفه فى أثناء حياته العلمية فى ضربين: ذلك الذى عرفه من م. لازروس ود. شتاينتال (قارن هامش ٩)، وفيما بعد من فيلهلم فونت، وقد تناولناه فيما سبق.

۲۸

١ــ٤ تأثير مدرسة النحاة الجدد فى علم اللغة فى عصرهم

يجب أساساً أن تحدد هذه النظرة العامة موضوع التأثير المتفرد للنحاة الجدد المتجاوز عصرهم ومكانهم، لأن هذه المدرسة قد أمسكت ــ دون مبالغة ــ بزمام علم اللغة فى أوربا كلها (وبناء على ذلك) عبر عدة عقود (يجب أن نبين تحت ١ ــ٥ كون ذلك لم يؤثر تأثيراً إيجابياً فحسب). فمن نقطة انطلاقها ليزج أكد النحاة

الجدد السيطرة المطلقة لمناهجهم البحثية داخل الدراسات الهندوجرمانية، وكذلك ـ من خلال السطوة الكبيرة التي اكتسبها ممثلوها ـ السيطرة في مقابل ممثلي دراسات فقه لغة أخرى.

وينبغي أن يذكر هنا آخر الأمر على الهامش، أنه يُلقي المثال التالي ضوءاً مميزاً على المناخ العلمي لذلك العصر: ففي ليبزج عمل في الوقت ذاته ـ باهتمام قوي بعلم اللغة العام ـ عالم الدراسات الصينية هانزجيورج كونون فون جابلنتس (١٨٤٠ ـ ١٨٩٣)، الذي، دون كرسي في الجامعة، وبذلك دون كرسي وصوت في الكلية، لم يقبله علماء الدراسات الهندوجرمانية شريكاً في النقاش، على الرغم من أنه قد جلب أفكاراً بالغة القيمة إلى نقاش علم اللغة العام (قارن جابلنتس (١٨٩١/ ١٩٦٩). ولقد تبنى ـ هـ. باول ـ أفكاره خاصة حول وظيفة النحو، وصارت مثمرة من خلال هذه الوساطة لعلم اللغة في القرن العشرين بوجه خاص، وفي الحقيقة ليس بطريق مباشر من خلال مؤلفات جابلنتس ذاتها، وقد تمتع على العكس من ذلك بوصفه عالماً في الدراسات الصينية بسلطان كبير. وعدا ذلك لبى جابلنتس سنة ١٨٩٠ نداءً إلى برلين، وهو ما يعني بوجه عام علامة على الاستسلام للمقادير في مقابل الموقف الفيلولوجي في ليبزج.

لنعد إلى تأثير النحاة الجدد في البحث المقارن ـ التاريخي داخل الدراسات الهندوجرمانية. كما ذُكر كان كارل/ بروجمان وأوجست لسكين اللذين عملا في الأربعينيات في جامعة ليبزج، ويمثلان القطب الهادىء في نقاش علم اللغة. لقد خرَّجا أجيالاً من اللغويين حسب فهمهما العلمي، احتفظوا بالكراسي العلمية ذاتها، وواصلوا من جهتهم حمل تأثير مدرسة النحاة الجدد. وقد عُدّت ليبزج في ذلك العصر «مركز العالم في علم اللغة»، وكانت الدراسة لبعض الفصول الدراسية في هذه الجامعة من البرنامج الإيجابي إلى حد ما. وكانت شهادات لغويي ليبزج توصية رائعة عند شغل وظائف جامعية. وكان أرشيف جامعة ليبزج في تلك العقود مثل معجم للغويين: جان بودوان كورتيني (بولندا)، وفردينان دي سوسير (سويسرا)، وليونارد بلومفيلد (الولايات المتحدة الأمريكية)، ولوسيان تنيير (فرنسا)، ونيكولاي

٢٩

ـ سرجيفتش تروبتسكوى (روسيا) ورودلف توربزن (سويسرا) ـ لم تذكر إلا بعض أسماء ـ درست فى ليبزج؛ فقد أنهوا إلى حد ما دراسة فيلولوجية، وأرادوا أن يعمقوا معارفهم. وصاروا جميعهم فيما بعد لغويين فطاحل فى بلادهم.

وعلى نحو آخر أيضاً صارت عالمية بحوث النحاة الجدد واضحة، وفى ١٩١٢ تأسست من خلال تعهد بروجمان بوجه خاص «جمعية الدراسات الهندوجرمانية» بوصفها اتحاداً عالمياً لعلماء الدراسات الهندوجرمانية؛ وأصدروا «الكتاب السنوى للدراسات الهندوجرمانية» باعتباره نوعاً من خدمة المحاضرات العلمية.

ويجب أن يقال باختصار أنه لا يستطيع أحد أن يجادل فى الخدمة المتفردة لهؤلاء الباحثين بالنسبة لتأسيس فهم علمى لعلمىْ الأصوات والصيغ (الصرف). وألفت فى ذلك الوقت مؤلفات لا نظير لها، مثل كتاب كارل بروجمان «الأساس فى النحو المقارن للغات الهندوجرمانية "Grundriss der vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen" (١٨٨٦ وما بعدها).

تناول فيه ما يقرب من سبعين لغة ولهجة هندوجرمانية، وقد وُسّع بالاشتراك مع برتهولد دلبروك ثلاثة مجلدات أيضاً للنحو، وكتاب أوجست لسكين «المرجع فى اللغة البلغارية القديمة (السلافية الكنسية القديمة) Handbuch der altbulgarischen (altkirchenslavischen) Sprache" (١٨٧١)، وكتاب هرمان باول «النحو الألمانية الفصحى الوسطى» Mittelhochdeutsche Grammatik (١٨٨١)، وذلك ليس إلا لذكر ثلاثة من أشهرها (انظر أعمالاً أخرى تحت ١ ـ ١).

١ ـ ٥ نقد الأتباع والخصوم

يقصد «بنقد الأتباع» نقاطاً بحثية نشأت داخل هذه المدرسة ذاتها، ولم يشكك فيها اتجاه النحاة الجدد، بل إنها سعت إلى تصحيح آراء خاطئة بشكل واضح. ومن ذلك نقد برتهولد دلبروك الموجه إلى لا شذوذ القوانين الصوتية. وفى بعض الأحيان فقط تبنى أفكار النحاة الجدد البولندى جان بودوان دى كورتينى الذى خصص له الفصل التالى، ولذلك لا ينبغى أن نتناوله فى هذا الموضع

بالتفصيل. واستمر فردينان دى سوسير/ فى التخلى عن آرائه التى أخذها فى الأصل ٣٠
عن النحاة الجدد (الفصل الثالث). وقد تجادل باحثون آخرون مع هذه المدرسة، دون أن يشعروا بأنهم مرتبطون بها. ومع ذلك فمن المميز أنه فى تلك العقود لم يكن النقاش حول موضوع علم اللغة ومناهجه ليجاوز مدرسة النحاة الجدد.

أما النقد الأساسى إلى النحاة الجدد فقد تحدد عبر عقود فى النقاط التالية بوجه خاص:

* فى مبدأ لا شذوذ القوانين الصوتية (وبخاصة من قِبل هوجو شوشارت H. Schuchardt ـ متخصص فى الدراسات الرومانية والكويولية(*)، ومن قبل فردينائد فِرده F. Wrede ـ باحث فى اللهجات)؛

* فى الفصل بين تاريخ اللغة وتاريخ الشعب، وفى عزل اللغة عن حامليها، وقد تحقق فعلاً برغم تصريحات مغايرة مثلاً فى مقدمة «بحوث مورفولوجية» فى عملهم البحثى (بخاصة من قبل جان بودوين دى كورتينى وفيلهلم فونت)؛

* فى الاقتصار على الأصوات والصيغ دون مراعاة المضامين اللغوية (بخاصة من قبل كارل فوسلر K. Vossler، متخصص فى الدراسات الرومانية، ممثل «الفلسفة اللغوية الجمالية»)؛

* وبوجه خاص فى تحديد علم اللغة وتاريخ اللغة، وفى عرض اللغة على أنها جملة من الحقائق المفردة (من قبل جان بودوين دى كورتيناى، وفردينان دى سوسير).

(*) الكريولى: أحد مواليد جزائر الهند الغربية أو أميركا اللاتينية المنحدرين من أصل أوربى أو من أصل أسبانى بخاصة ـ أبيض متحدر من نزلاء بعض الولايات الأمريكية الفرنسيين أو الأسبان الأولين، ولكنه لا يزال يحتفظ بلغته وثقافته الأصليين ـ شخص يجرى فى عروقه مزيج من الدم الفرنسى (أو الإسبانى) والزنجى يتكلم لهجة من لهجات الفرنسية أو الإسبانية. والكريولية: الفرنسية التى ينطق بها كثير من الزنوج فى الجزء الجنوبى من لويزيانا. (المترجم)

B. Bartschat (1979): Der Beitrag H.G.C. von der Gabelentz' zur Entwicklung der allgemeinen Sprachwissenschaft. In: Linguistische Studien Reihe A 59. Berlin.

B. Bartschat (1992): August Leskiens Syntaxbild. In: Slavistische Beiträge Band 292 (Slavistische Linguistik 1991). München.

F. Bopp (1833-1852): Vergleichende Grammatik des Sanskrit, Zend, Armenischen, Griechischen, Lateinischen, Litauischen, Altslavischen, Gothischen und Deutschen (3 Bände). Berlin.

K. Brugmann (1878ff.) s. u. H. Osthoff.

K. Brugmann (1885): Zum heutigen Stand der Sprachwissenschaft. Straßburg.

K. Brugmann (und B. Delbrück, 1886-1900): Grundriß der vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen. Kurzgefaßte Darstellung der Geschichte des Altindischen, Altiranischen (Avestischen und Altpersischen), Altarmenischen, Altgriechischen, Lateinischen, Umbrisch-Samnitischen, Altirischen, Gotischen, Althochdeutschen, Litauischen und Altkirchenslavischen. Straßburg [unveränderter Nachdruck der 2.Auflage 1897-1916: de Gruyter Berlin 1967].

K. Brugmann (1900): Griechische Grammatik. München (siehe auch unter E. Schwyzer).

H. H. Christmann (Hrsg., 1977): Sprachwissenschaft des 19. Jahrhunderts [Wege der Forschung CDLXXIV]. Darmstadt.

E. Coseriu (1969): G. v. d. Gabelentz et la linguistique synchronique. In: H. G. C. von der Gabelentz. Die Sprachwissenschaft. Nachdruck. Tübingen.

E. Coseriu (1980): Vom Primat der Geschichte. In: Sprachwissenschaft 5, 2.

J. Dietze (1966): August Schleicher als Slawist. Berlin.

E. Einhauser (1989): Die Junggrammatiker: Ein Problem für die Sprachwissenschaftsgeschichtsschreibung. Trier.

E. Einhauser (Hrsg., 1992): Lieber freund ... Die Briefe Hermann Osthoffs an Karl Brugmann 1875-1904. Trier.

H.G.C. von der Gabelentz (1891/1969): Die Sprachwissenschaft. Ihre Aufgaben, Methoden und bisherigen Ergebnisse. Leipzig. 1969: Nachdruck der 2. Auflage von 1901 (Hrsg. G. Narr und U. Petersen). Tübingen.

J. Grimm (1819-1837): Deutsche Grammatik Bd. 1-4. Göttingen.

K. R. Jankowsky (1972): The Neogrammarians. The Hague.

E.F.K. Koerner (Hrsg., 1983): August Schleicher. Linguistics and evolutionary theory: three essays / by August Schleicher, Ernst Haeckel, and Wilhelm Bleek; with an introduction by J. Peter Maher; edited by Konrad Koerner. Amsterdam.

A. Leskien (1876): Die Declination im Slavisch-Litauischen und Germanischen. Preisschrift der Societas Jablonoviana. Leipzig.

A. Leskien (1871/[10]1990): Handbuch der altbulgarischen (altkirchenslavischen) Sprache. Heidelberg.

A. Leskien (1909): Grammatik der altbulgarischen (altkirchenslavischen) Sprache. Heidelberg.

A. Leskien (1919): Litauisches Lesebuch mit Grammatik und Wörterbuch (= Idg. Bibliothek, hrsg. v. H. Hirt und W. Streitberg. I. Abt., 1. Reihe: Grammatiken 12). Heidelberg.

H. Osthoff, K. Brugmann (1878 ff.): Morphologische Untersuchungen auf dem Gebiete der indogermanischen Sprachen. Leipzig [Photomechanischer Nachdruck als „Documenta Semiotica, Serie I Linguistik" bei Georg Olms Verlag Hildesheim/New York 1974/75].

H. Osthoff (1879): Das physiologische und psychologische Moment in der sprachlichen Formenbildung. Berlin.

H. Paul (1880/[8]1970): Prinzipien der Sprachgeschichte. Halle [8. Aufl. 1968; Studienausgabe dieser Auflage als „Konzepte der Sprach- und Literaturwissenschaft 6". Tübingen 1970].

H. Paul (1881/[23]1989): Mittelhochdeutsche Grammatik. Niemeyer: Halle/Tübingen.

H. Paul (1897/[9]1992): Deutsches Wörterbuch. Niemeyer: Halle/Tübingen.

H. Paul (1916-1920): Deutsche Grammatik (5 Bände). Halle.

R. Rask (1818): Untersuchungen auf dem Gebiete des Altnordischen, oder der Ursprung der isländischen Sprache [dänischer Originaltitel: Undersögelse om det gamle Nordiske eller islandske Sprogs Oprindelse]

M. Reis (1978): Hermann Paul. In: Beiträge zur Geschichte der deutschen Sprache und Literatur 100.

R. Růžička (1977): Historie und Historizität der Junggrammatiker. Sitzungsberichte der Sächsischen Akademie der Wissenschaften, Philologisch-historische Klasse, 119/3. Berlin.

A. Schleicher (1848-1850): Sprachvergleichende Untersuchungen. Band 1, 1848: Zur vergleichenden Sprachgeschichte; Band 2, 1850: Linguistische Untersuchungen: Die Sprachen Europas in systematischer Übersicht. Bonn.

A. Schleicher (1852): Die Formenlehre der kirchenslavischen Sprache, erklärend und vergleichend dargestellt. Bonn.

A. Schleicher (1856/57): Handbuch der litauischen Sprache. Band 1, 1856: Litauische Grammatik; Band 2, 1857: Lesebuch und Glossar. Prag.

A. Schleicher (1861/62): Compendium der vergleichenden Grammatik der indogermanischen Sprachen. Kurzer Abriß einer Laut- und Formenlehre der indogermanischen Ursprache, des altindischen (sanskrit), alteranischen (altbaktrischen), altgriechischen, altitalischen (lateinisch, umbrisch, oskisch), altkeltischen (altirischen), altslavischen (altbulgarischen), litauischen und altdeutschen (gotischen). 2 Bände. Weimar.

A. Schleicher (1863): Die Darwinsche Theorie und die Sprachwissenschaft. Offenes Sendschreiben an Herrn Dr. Ernst Haeckel, ord. Professor der Zoologie und Direktor des Zoologischen Museums an der Universität Jena. Weimar [Wiederabdruck in H. H. Christmann (1977) und in E.F.K. Koerner (Hrsg., (1983)].

A. Schleicher (1868): Eine Fabel in indogermanischer Ursprache. In: Beiträge zur vergleichenden Sprachforschung 5.

H. Schuchardt (1885): Über die Lautgesetze. Gegen die Junggrammatiker. Berlin [Auch in: Hugo Schuchardt-Brevier. Ein Vademecum der allgemeinen Sprachwissenschaft, zusammengestellt und eingeleitet von Leo Spitzer. Halle 1922; reprographischer Nachdruck der 2. Aufl. 1928: Darmstadt 1976].

E. Schwyzer (1990[6]): Griechische Grammatik: auf der Grundlage von Karl Brugmanns Griechischer Grammatik. München.

L. Seppänen (1984): Hermann Paul. In: Sprache und Literatur in Wissenschaft und Unterricht 54. 15. Jg., 2. Halbjahr.

A. Ch. Vostokov (1820): Darlegungen über die slavische Sprache, als Einführung in die Grammatik dieser Sprache dienend, zusammengestellt nach ihren ältesten Schriftdenkmälern [russischer Originaltitel: Rassuždenie o slavjanskom jazyke, služašče vvedeniem k grammatike sego jazyka, sostavljaemoj po drevnejšim onogo pis'mennym pamjatnikam; Handschrift, erst 1856 veröffentlicht]

W. Wundt (1900-1920): Völkerpsychologie. Eine Untersuchung der Entwicklungsgesetze von Sprache, Mythus und Sitte (10 Bde., Band I: Die Sprache). Leipzig.

الفصل الثانى

٢ ـ جان بودوان دى كورتينى

٣٣

٢ ـ ١ سيرة بودوان العلمية

جان اجناسى نيسيسلاف بودوان دى كورتينى(١) من أهم الشخصيات داخل علم اللغة فى القرنين التاسع عشر والعشرين. ينحدر من أسرة بولندية ذات أصل فرنسى (نزحت سنة ١٧١٧ من افينيه Avesnes). وُلِد سنة ١٨٤٥ بالقرب من وارسو، التى كانت تابعة آنذاك ــ فى زمن عقب تقسيم بولندا ثلاثة أقسام ــ لامبراطورية القياصرة الروسية. درس فى جامعة وارسو وحصل على الدكتوراه فى ليبزج، درس فى جامعات روسية (سان بطرسبورج وكازان) وروسية ــ ألمانية (دوربت) ونمساوية (كراكاف). وآب وهو متقدم فى السن سنة ١٩١٨ عائداً إلى الجامعة البولندية آنئذ فى وارسو. فقد أحس بودوان دائماً بأنه بولندى، ومن ثم عاش القسم الأكبر من حياته ممثلاً للأقلية الوطنية، حيث يتضح ذلك من ملامح كثيرة من شخصيته العلمية.

كان بودوان عالماً فى السلافية والهندوجرمانية ومنظراً لغوياً. وأعماله التى كتب القسم الأعظم منها بالبولندية والروسية مبعثرة للغاية(*)، وقد صعب نشرها إلى حد ما فى الفترات التى كانت متاحة فيها. ولكون آرائه النظرية اللغوية بوجه خاص أيضاً فى بعض مؤلفات مكتوبة بالألمانية والفرنسية فإنها كانت معروفة فى الخارج معرفة ضئيلة إذا ما قدرت قيمتها. ولهذا السبب طالب رومان ياكوبسون سنة ١٩٢٩ فى تأبينه بكتاب عن «بودوان» على نموذج كتاب «هوجو شوشارت» الذى أصدره

---

(١) فى المؤلفات الروسية ايان الكساندروفيتش بودوين دى كورتينه.

(*) لم يلق اهتماماً كافياً فى الأوساط العلمية وإن كان فى منزلة دى سوسير، لأن مؤلفاته ظلت مبعثرة، ولم يبدأ الاهتمام به وبخاصة من الروس إلا بعد إدانة مار، وبعد رفع الحظر اللغوى أو بالأحرى العقائدى عند فونولوجيا تروبتسكوى، وبدأت أفكاره تزدهر فيما بعد فى الغرب. ونشر احد اتباعه وهو ل. ف. شيربا Ščerba مقالة تحت عنوان «بودوان دى كورتينى وأهميته بالنسبة لعلم اللغة». (المترجم)

نيوشيتسر. ومع ذلك لم يظهر إلا سنة ١٩٦٣ نشرة بأعماله بالروسية في مجلدين، وفي سنة ١٩٧٢ نشرة انجليزية، وبدءاً من ١٩٧٤ نشرة بولندية، وفي سنة ١٩٨٤ نشر ى. موجدن J. Mugdon بعض مقالات بودوان المكتوبة بالألمانية[٢].

وبذلك يمكن أن يوضح تأثير بودوان الكبير على التطور العلمي بأنه تربى في ليبزج من خلال الدراسة والحصول على الدكتوراه داخل إرث النحاة الجدد. لقد شارك ذلك حقاً في تفعيل قيامه بتراسل علمي مع هرمان باول، وفرديناد دى سوسير، وهو جو شوشارت، ويوسى ميكولا (فنلندا) وانطوان مييه (فرنسا)، وأوتو يسبرسن (الدنمراك) وآخرين./ وأخيراً قد درس الملهمون المشاركون في ٣٤ تأسيس حلقة لغويى براغ رومان ياكوبسون وسيرجى كرسزيوسكى[*] ونيكولاى تروبتسكوى في جامعات روسية، تلامذة لبودوان.

لنقدم بادى الأمر موجزاً مختصراً عن سيرته العلمية، فقد أكمل بودوان دى كورتينى دراسته في وارسو (في «سكولا جلوفنا»، المدرسة البولندية العليا، التى يمكن ألا يطلق عليها في الامبراطورية الروسية جامعة) خلال توقفه للدراسة في ألمانيا ١٨٦٧/ ١٨٦٨، وذلك في يينا لدى أوجست شلايشر. وكان سنة ١٨٧٠ في ليبزج أول طالب دكتوراه لدى أوجست لسكين ورسالته «تأثير القياس في تصريف اللغة البولندية» Die Wirkung der Analogie in die polnischen Deklination (قارن بودوان أيضاً (١٨٧٠/ ١٨٦٨)). وبهذا العمل أسهم بودوان بشكل حاسم في خلق جداول النحاة الجدد التصريفية (النماذج) مع حجرى الزاوية القانون الصوتى والقياس (قارن الفصل الأول). وفي الفقرات التالية سوف يشرح إلى أى مدى ظل ملتزماً بهذا الاتجاه فيما بعد أيضاً.

---

(٢) قارن البيانات الببليوجرافية الأدق تحت ٢ ـ ٤ في نهاية الفصل.

(*) كان كورتينى يعد تلميذه كرسزيوسكى أنبه تلاميذه، فقد أسهم ذلك التلميذ الموهوب بمناقشاته مع أستاذه في أثناء إقامته في كازان في بلورة مفهوم «الفونيم» بشكل نهائي، بل لقد أطلع بودوان في ١٨٨١ ــ ١٨٨٢ دى سوسير على أفكار كروسزيوسكى في لقائهما في الجمعية الباريسية لعلم اللغة حين انتخب بودوان عضواً فيها. (المترجم)

وبعد عودة بودوان إلى روسيا كان في بادئ الأمر بدءاً من سنة ١٨٧١ مدرساً لعلم اللغة العام والمقارن في سان بطرسبورج، ثم لبي سنة ١٨٧٥ نداءً إلى كازان، في البداية محاضراً، وبدءاً من ١٨٧٦ حصل على منصب أستاذ عامل. ويمكن أن تعد السنوات الثماني التالية في جامعة كازان ـ وبسبب التلاميذ والمساعدين الممتازين أيضاً ـ الأهم بالنسبة لإنتاجه العلمي. وقد قُدِّرت فترة كازان في الفقرة الخاصة بإسهام بودوان في علم الأصوات/ وعلم الأصوات الوظيفي. ـ وفي سنة ١٨٨٣ دُعِي بودوان إلى دوربت، بـلدة استنية(*) داخل الامبراطورية الروسية، في جامعتها كانت لغتا التدريس الروسية والألمانية. وفي الثمانينات تماماً تولى في دوربت حملة قوية للتحويل إلى الروسية (وقد غُيِّر اسم البلد نفسها إلى يورايف "Jur'ev"). شغل بودوان بالإضافة إلى ذلك مكانة على طريقته، انظر ما يلي ٢ ـ٢ ـ ٣. الآن صارت البلدة استنية مرة أخرى، وحملت اسمها القديم تارتو Tartu، وجامعتها لها شهرة عظيمة إلى اليوم.

وفي سنة ١٨٩٣ انتقل بودوان إلى جامعة كراكوف/ Karków كراكو Krakau، بلدة تتبع آنذاك المملكة النمساوية. وكان له هناك أيضاً تلاميذ، صاروا فيما بعد علماء مهمين (مثل هنريك أولازين، وكزيميرتس نيتش). وكان عليه أن يغادر كاراكو سنة ١٩٠١، إذ لم يمد منصبه أستاذاً الذى حصل عليه بوصفه بولندياً إلا لأجل محدود فقط. فعاد إلى بطرسبرج، وتولى الكرسي العلمي لعلم اللغة المقارن والسنكريتية. ويعد تأسيس مدرسة بطرسبورج، إلى جانب مدرسة كازان، بلغوييها الذين اشتهروا فيما بعد مثل ماكس فاسمر M. Vasmer ول. ق تشربا L. V. Scerba و. د. بوليفانوف E. D. Polivanov المرحلة الثانية المهمة في حياة بودوان العلمية. ـ وحين أعيد تأسيس الدولة البولندية سنة ١٩١٨ عقب الحرب العالمية الأولى، رجع بودوان إلى وطنه، وتولى وهو في سنة الثالثة والسبعين منصب أستاذ غير متفرغ لعلم اللغة في جامعة وارسو. ـ يلاحظ على الهامش: أن تعاطفه

(*) estländisch = estnisch صفة تتعلق بإستلاند، واللغة الاستنية هي لغة الاستن تتبع الأسرية اللغوية الفنلاندية المجرية.

مع الأقليات قد قدره اتحاد هذه الأقليات داخل جمهورية بولندا (الأوكرانيين، والروس البيض، والألمان، واليهود، والليتاونيين) حيث نصبه/ مرشحاً لمنصب رئيس الدولة. وفي عام ١٩٢٩ توفي جان بوادون دي كورتيني. ٣٥

٢ـ٢ أهم مجالات البحث لدى بودوان دي كورتيني

شكل بودوان دي كورتيني منظوراً للتساؤلات اللغوية، فقد بحث إلى جانب الموضوعات النظرية العامة، في علم الأصوات والصرف والنحو وعلم المعاجم، والاشتقاق وعلم اللهجات والتنميط اللغوي وغير ذلك أيضاً، ودرس هذه المجالات. ولا تبين بيانات المراجع في آخر الفصل إلا اختياراً صغيراً جداً من قائمة من منشوراته البالغة ما يقرب من ٤٠٠ عملاً. وفيما يلي سيقدم في إيجاز: آراء بودوان في موضوع علم اللغة ومناهجه (٢ـ٢ـ١) وأعماله في علم الأصوات/ وعلم الأصوات الوظيفي (٢ـ٢ـ٢) وتجديداته في مجال التنميط اللغوي (٢ـ٢ـ٣) وأعماله اللغوية الاجتماعية وبخاصة في البحث اللهجي (٢ـ٢ـ٤)، وكذلك تحت «مجالات بحثية أخرى» (٢ـ٢ـ٥) لغة الأطفال وإشكالية اللغات المعاونة العالمية.

٢ـ٢ـ١ موضوع علم اللغة ومناهجه

لم يدون بودوان آراءه حول علم اللغة مترابطة مطلقاً. ولذلك فإنها تصاغ في الفرضيات العشر، التي جمعت من أعماله المفردة. بعضها عثر عليه في محاضرته الأولى في سان بطرسبورج سنة ١٨٧٠ (نشرت ١٨٧١م)، وقد استقيت الاقتباسات الواردة من ذلك النص. والمحاضرة بعنوان (مُترجم) هو «بعض ملحوظات عامة حول علم اللغة واللغة»، عقدها بعد حصوله على الدكتوراه في ليبزج مباشرة وعودته من ألمانيا، ولذلك فهي جديرة بالملاحظة، لأنه فيها ما تزال علاقته بآراء النحاة الجدد طازجة للغاية:

١ ــ ليست النظرة الواصفة ولا النظرة البدهية للغة نظرة علمية، بل ليس علمياً حقيقة سوى النظرة التاريخية للغة مع تعميم الحقائق، وقصد الطاقات (القوى) والقوانين التي تعمل في اللغة، وتحدد حياتها وتطورها.

ويختتم بودوان هنا برأى النحاة الجدد (الذى صاغه هـ. باول خاص فيما بعد مختصراً، قارن ١ـ٢ـ٢):

«ينظر الاتجاه العلمى حقاً، التاريخى، الجينى(*) إلى اللغة على أنها مجموعة من ظواهر واقعية، حقائق واقعية، ويجب نتيجة لذلك أن يعد العلم الذى يعنى باختيار هذه الحقائق، من العلوم الاستقرائية. وتكمن مهمة العلوم الاستقرائية فى ١ ـ تفسير الظواهر من خلال المقارنة، و٢ـ القصد إلى القوى والقوانين، أى/ للمقولات أو المفاهيم الأساسية، التى تربط الظواهر وتعرضها كسلسلة متصلة من السبب والنتيجة. (١٩٦٣، ٥٥).

٣٦

وبالنسبة لمفهوم النحاة الجدد «القانون الصوتى» اتخذ بودوان فيما بعد موقفاً متباعداً بعض الشىء. وفى سنة ١٩١٠ رفض فى مقالة بالبولندية(٣) الآلية فى عملها، وأكد أن ثمة شبكة كاملة من العوامل المؤثرة التى تتكامل، بل لا يمكن أن تتعارض أيضاً، يجب ملاحظتها؛ ومن ثم ينبغى على المرء أن يتجنب مفهوم «قانون».

ويلاحظ حول منهج علم اللغة أن المصطلحين «علم اللغة المقارن»، و«البحث اللغوى المقارن» (أعطى بين قوسين المصطلحات الألمانية أيضاً) هما حشو (Tautologie أو تكرير بلا فائدة)؛ لأن المقارنة عملية من العمليات الحتمية فى كل العلوم، ترتكز عليها عملية التفكير بوجه عام: فإذا كان الرياضى يقارن بين الكميات، ويحصل بذلك على معلومات لأفكاره التأليفية والاستنباطية فإنه لا يمكن للمؤرخ أن يستخلص أية نتائج إلا من خلال مقارنة بين مراحل تطور متباينة لشكل ظاهرة إنسانية محددة. [...]. فالدور الذى تؤديه المقارنة فى علم اللغة تؤديه فى كل العلوم الاستقرائية. [...] وفضلاً عن ذلك فالمرء يمكنه أن يسمى

---

(٣) "Oprawach gtosowych" (حول القوانين الصوتية) ـ مع ملخص بالفرنسية ظهرا فى: Rocznik slowistyczny 3 , Kraków, 9/10.

(*) يترجم مصطلح "genetisch" إلى سلالى وأسرى ونسبى وغير ذلك ولكنى أميل إلى تعريبه الذى صار شائعاً فى العصر الحديث. (المترجم)

علماً ما على نحو ما يشاء، ويمكنه بوجه خاص أن يعنونه بـ «مقارن»، حين يعرف فقط أن المقارنة هنا ليست الهدف، بل إنها ليست إلا وسيلة من الوسائل، وأنها ليست تميزاً وحيداً لعلم اللغة، بل مادة مشتركة لكل العلوم بلا استثناء. (١٩٦٣، ٥٦/ ٥٧).

٢ ـ اللغة ليست كائناً حياً، بل هي أداة ونشاط، وهي لا تحيا إلا داخل حامليها.

ذلك تحول للنحاة الجدد عن أوجست شلايشر، وقد وضعت اللغة فيما بعد في مقدمة «البحوث المورفولوجية» ١٨٧٨ (قارن الفصل ١ـ٢ـ٢) بأنها نشاط نفسي فيزيائي(*). كتب بودوان:

من يعد اللغة كائناً حياً فهو يُشَخِّصها، وينظر إليها منفصلة عن حامليها، عن الإنسان، ويجب أيضاً أن يُعد قص أحد الفرنسيين محتملاً. فالكلمات وفقاً له سنة ١٨١٢ [عند الانسحاب من روسيا، بريجيتيه بارتشت] لا تصل إلى أذن السامع، لأنها تتجمد في منتصف الطريق. (١٩٦٣، ٧٥/٧٦).

٣ ـ ينبغي أن يعاد بناء الصيغ الأصلية، بل يجب على الباحث أن يكون على يقين من أن إعادة البناء تؤدي إلى أبنية، وليس إلى صيغ لغوية واقعية.

وهذا أيضاً فرض من فروض النحاة الجدد الأساسية، كتب بودوان سنة ١٨٧١:

(*) عني بودوان بالعلاقات بين اللغة والعوامل النفسية والاجتماعية. وكان مفهومه عنها نفسياً بشكل أساسي، فهو يرى في اللغة واقعة نفسية أولاً. وهذا يعني أن العوامل النفسية تحدد تطور اللغات. وقد لاحظ أن هذا التطور خاضع لعوامل تخص علم النفس الجمعي، إلا أنه استمر في إبراز المظهر الفردي للغة، وفي تأكيد «أن ليس هناك سوى الكلام الفردي»، وأن ما نسميه اللغة الروسية يمثل خيالاً محضاً، إذ لا وجود للغة الروسية ولا لأية لغة قبلية أو قومية على العموم. والحقيقة النفسية الوحيدة هي اللغات الفردية وتشكل أدق الأفكار اللغوية الفردية. جورج مونان: علم اللغة في القرن العشرين صـ ٢٨، ٢٩. (المترجم)

٣٧ / من الأهمية بمكان ومن المحتم بالنسبة للعلم أن يعاد بناء «اللغات الأصل» و«اللغات الأساسية»[٤]، أى اللغات التى تعرض كل مجموعة من اللغات المعطاة حقيقة تحولاتها المتباينة. ويجب على المرء أن يلاحظ فى ذلك أن اللغات الأصل والأساسية كما أعيد بناؤها من قبل العلم، لا تقدم أى مركب لظواهر واقعية، بل مركب فقط من الحقائق العلمية التى وُجِدت بطريق الاستنباط. (١٩٦٣، ٧٠، هامش ٣٥).

٤ ـ الفيصل هو النظرة النفسية: القياس هو العامل النفسى عند التطور الصوتى؛ إذ ليست واقعاً من الناحية النفسية سوى لغة الفرد.

اتخذ بودوان مثل النحاة الجدد موقفاً أساسياً خاصاً بسيكلولوجية الفرد وحافظ عليه دائماً فيما بعد أيضاً. وقد أدى ذلك دوراً خاصاً بالنسبة لفهمه للفونيم، قارن ما يلى كذلك تحت ٢ـ٢ـ٢ .

ومع ذلك فقد انفصل بودوان، بداية من ذلك المؤلف المبكر سنة ١٨٧١، فى موضوعات معينة عن فرضيات نحو النحاة الجدد، ويتبع ذلك أيضاً:

٥ ـ يقبل مجالاً فرعياً لعلم اللغة الصرف (فى مقابل: علم اللغة التطبيقى)، الذى لا يعد علم لغة تاريخى، بل يبحث العلاقات بين اللغة وحاملى اللغة، أى (فى إرث هومبولت) تأثير رؤية الشعب للعالم فى تطور اللغة، وعلى العكس من ذلك مثل أوجه طرح لموضوعات ذات قرابة:

إذ تعالج فى المركب الثانى بعلم اللغة الصرف مسائل تقع خارج حدود الحقائق التاريخية: بداية اللغة الإنسانية [. . .]، والشروط النفسية ـ والفسيولوجية لوجودها المستمر، وتأثير رؤية الشعب للعالم فى تطور متميز للغة، والعكس بالعكس تأثير اللغة فى رؤية حامليها للعالم [. . .]. كثير من باحثى اللغة يعد هذه المسائل من الانثروبولوجيا وعلم النفس، غير أنه يبدو لى أنها، لما كانت تستند إلى

---

(٤) يقدم بودوان فى النص الروسى هذه المصطلحات بين قوسين بالألمانية.

اللغة، يجب أن ينظر إليها من طرف علم اللغة أيضاً، ويجب أن تُخضع حقائق حلها أكثر ما يُخضع لتاريخ اللغة. (١٩٦٣، ٧٤).

٦ - لم يؤكد بودوان أهمية اللغة الحية لعلم اللغة فحسب - هذا ما فعله النحاة الجدد أيضاً - بل درس هو نفسه اللغات الحية. يدلل على ذلك دراساته الحقلية التي مارسها لعقود في مجال علم اللهجات (قارن ما يلي ٢-٢-٤)، وكذلك أعماله في علم وظائف الأعضاء الصوتية (٢-٢-٢) ولغة الأطفال (٢-٢-٥) وغير ذلك.

٣٨ يصف الاقتباس التالي موقفه من بحث اللغات الحية:/ (أولاً:) المادة المعطاة مباشرة، اللغات الحية للشعوب بكل تنوعها، مثل تلك المادة تعرض اللغات التي تحيا في الحضار والمتاحة للباحث. ويُعد منها لغة الشعب، اللغة السائرة (المستعملة) لكل الطبقات الاجتماعية لهذا الشعب، وليس فقط لمرتدى القفطان وجلباب الفلاحين، بل لمرتدى السُّتْرات (الحُلَل) أيضاً، ليس لغة ما يسمى بالشعب البسيط فقط بل اللغة المستعملة لدى ما يسمى الطبقة المثقفة أيضاً. (١٩٦٣، ٦٢، هامش ٢٧).

٧ - برغم القبول الوحيد للغة الفرد لم يستبعد مذهب بودوان النفسي عوامل اجتماعية، فاللغة بالنسبة له ظاهرة نفسية - اجتماعية، والأفراد الذين وهبوا القدرة اللغوية، يجب أن ينظر إليهم من جانب اجتماعي أيضاً(*).

٨ - في علم الأصوات يجب أن يجرى فصل صارم بين الصوت والحروف، وللفصل نتائج أيضاً بالنسبة للمورفولوجيا، ويجب أن يفرق بين الصوت (المادة المجردة) والفونيم (الوحدة الصوتية). وفي السنوات الأخيرة، وبخاصة في الفترة الثانية في بطرسبورج صار للفونيم لدى بودوان تفسير نفسي جد قوى، قارن حول ذلك ٢ - ٢ - ٢. في النص الموجود في محاضرة سنة ١٨٧٠ لم يعبر عن ذلك بعد، ولكن وردت الفكرة التالية:

٩ - الصوت والمعنى مرتبطان ارتباطاً لا انفصام له، فلا يجب أن يبحث الشكل فقط، بل وظيفته أيضاً.

(*) عبر تروبتسكوي عن ذلك التشابه بين نهجي كل من كورتيني ودى سوسير بقوله: كان ف. دى سوسير ودى. دُوكورتيني اللغويين الوحيدين، لفترة ما قبل الحرب، اللذين لم يعدا النظام الفونولوجي ناتجاً عرضياً، وطارئاً (أي غير صحيح) لعملية ربط ذهني، بل اعتبراه نقطة انطلاق للبحث وأحد المبادىء الأساسية للمنهج. مونان ص٢٧ (المترجم)

يفصل بودوان بين علم وظائف الأعضاء الصوتية و«النظرة المورفولوجية» أى دور الاصوات فى آلية اللغة، حيث يشار بذلك إلى تحليل وظيفى بمفهوم الفونولوجيا (وحتى المورفونولوجيا، انظر الفصل الخاص بحلقة لغويى براغ).

١٠ ــ يوجد بالنسبة لبودوان ثنائيتان تعدان أساسيتين للنظرية اللغوية، الاولى بين القدرة الإنسانية على الكلام واللغات المفردة، والثانية بين اللغة بوصفها «طاقة كامنة» واللغة بوصفها عملية متكررة باستمرار فى الفهم بين البشر، ويضاف إلى ذلك تفريق للغة فى حال الثبات وفى حال الحركة، فلا يوجد بالنسبة له أى جمود فى اللغة، والثبات ليس إلا حالة خاصة للحركة. ونتيجة لذلك يجب تقويم مناهج ثابتة ومناهج متحركة بشكل متساوٍ للبحث اللغوى (قارن الفرضية ٥ و٦).

٢ـ٢ـ٢ علم الأصوات / علم الأصوات الوظيفى

٣٩ / عنى بودوان ببحث الصوت من خلال جوانب بالغة الاختلاف. فقد اهتم بالبحوث السمعية ــ وهكذا كان تلامذته هم الذين أسسوا أولى المعامل الصوتية فى روسيا (بوجورودیكای فى كازان، وبوليتش فى سانت بطرسبورج)، وقد أسره التدوين الآلى للأصوات (ألقى سنة ١٨٨٣ فى كازان محاضرة «عن آلة فابر الناطقة»). ومن الجدير بالملاحظة فصله الصوت عن الحرف، ومطالبته بدراسات إحصائية لشيوع الحروف، وعمله التحضيرى لإصلاح قواعد الكتابة (والإملاء) فى اللغة الروسية (الذى استكمله فيما بعد تلميذه ليف تشربا Lev Scerba وآخرون، وقد حُقِّق بعد ثورة ١٩١٧) وما إلى ذلك.

بيد أن فصل بودوان بين الصوت والفونيم قد أثر التأثير الأكبر فى استمرار تطور علم اللغة فى هذا المجال (*). وغالباً ما حُدِّد بحثه الفونولوجى فى المراجع

(*) ويتمثل مفهوم الفونيم فى ضرورة التمييز بين الصوت الخام فى الكلام وبعبارة أخرى بين ما يلفظه المتكلم حقاً وشيء آخر هو الفونيم، أى ما يظن المتكلم أنه يلفظه والمستمع أن يسمعه. ويرى أن تتبع دراسة الأصوات الخام للكلام علمى الفيزياء والفسيزيولوجيا أى علم الأصوات السمعى وعلم الأصوات اللفظى، ويجمعهما تارة تحت اسم «علم الأصوات الفسيزيولوجى La Physiophonétique، وتارة تحت اسم علم الصوت الإنسانى L' anthropophonic كما أعلن عن ضرورة تأسيس علم خاص أسماه علم الصوت النفسى La Psychophonie غايته دراسة الفونيمات، موتان ص/ ٣. (المترجم)

بفترة كازان، بل إن هذا الموضوع قد شغله منذ أقواله الأولى حول ذلك في أولى محاضراته في بطرسبورج سنة ١٨٧٠ طيلة حياته كلها. وفي الواقع صارت «مدرسة كازان» قيمة ثابتة في تاريخ العلم. وليس آخر الأمر أيضاً بسبب مقالة رومان ياكوبسون سنة ١٩٦٠ (١٩٧١)[٥] الجديرة باعتبار كبير. ويطلق ياكوبسون عليها «مدرسة كازان في علم اللغة البولندي»، مع اعتناء بكلا البولنديين بودوان دي كورتيني وكروسزيوسكي Kruszewski[*]؛ ويؤثر اللغويون الحاليون في كازان أن يتحدثوا عن مدرسة كازان الدولية»، حيث عمل إلى الوقت الحالي أيضاً الروسي (ف. أ. بوجورودكي، والألماني (. رادلوف) والتتري (ن. س. كوكرانوف وغيرهم (هكذا صيغ في مؤتمر لتكريم بودوان سنة ١٩٨٩). كان في القلب على كل حال بودوان دي كورتيني. ويعد الوصف بمدرسة مناسباً أيضاً. وقد بُحث بوجه خاص في الأصوات والمورفولوجيا وعلم المعاجم في لغات سلافية ولغات أخرى.

وفيما يلي نحب أن نتناول بإيجاز آراء بودوان في الفونيم، حيث يُفرق فيها بين ثلاثة جوانب، فُصِّلت بشكل متوالٍ زمنياً إلى حد ما، وهي:

١ - الفونيم المكافيء النفسي للصوت

الأصوات أجزاء من مقاطع، دراستها مرتبطة بعلم الأصوات السمعي وعلم وظائف الأعضاء ارتباطاً وثيقاً، ويمكن قياسها قياساً موضوعياً.

---

(٥) حول ياكوبسون انظر الفصل الرابع.

(*) يرى جاكوبسون أن اكتشاف بودوان للطبيعة اللغوية للفونيم يرجع أساساً إلى مناقشات بودوان مع تلميذه الموهوب كروزيوسكي، بل يرى أن التلميذ قد تجاوز الأستاذ. ويقول شوجت Schogt الذي درس الموضوع بدقة كبيرة أنه من غير المنطقي أبداً أن تنسب أصل نظرية الفونيم إلى كروزيوسكي La linguistique, 1996/ 2p.16. فالحقيقة تكمن في التفاعل المثمر بين الرجلين. وعلى أية حال فقد اعترف بودوان دوماً بدينه لكروزيوسكي في هذا المجال. وذلك على الرغم من أنه أبدى أسفه فيما بعد لأن كروزيوسكي لم يستخلص من المعرفة التي وضعها تحت تصرفه كل ما كان منتظراً منه، حسب قول بودوان. موناك ص ٣٠، ٣١. (المترجم)

الفـونيمـات تعمـيمـات، تصـورات ذاتية، دراسـتهـا مرتـبطة بعلمى النفس والاجتماع. وقد ألحق بودوان كلتا الوحـدتين بعلوم متباينة، وفى سنة ١٨٧٠ تحدث عن «علم وظائف الأعـضاء الصـوتى»،/ و«التـحليل الوظيـفى»، وفيـما بعـد عن «انثروبولوجيا صوتية»، و«علم الأصوات النفسى». وفى «محاولة لنظرية فى التبادلات الصوتيـة، فصل من علم الأصـوات النفسى» (١٨٩٥) قـدم العلاقـات الموجودة فى الثمانينات للفونيم بشكله الصوتى. وحُدِّد من الناحية النفسـية فقط على النحو التالى:

40

شرح بعض المصطلحـات وتحديدها: الفـونيم: تصور موحـد، تابع للعالم الصوتى، ينشـأ عن طريق مزج نفسى لانطبـاعات فى الروح متحـصلة من خلال نطق صوت بعينه = المكافىء النفسى للصوت اللغوى (١٩٨٥، ٩).

٢ـ الفونيم يتجزأ إلى أجزاء أصغر

أبرز بودوان هذا الجانب الثانى بداية فى «بعض فصول فى النحو المقارن للغات السلافية» (١٨٨١). فقد فرق ـ فى «حول القوانين الصوتية» (١٩١٠، ١٠ فى اللغة البولندية) ـ أ) عنـاصر نطقيـة («كينيمات»)، وب) عـناصر سمعـية (اكوسـمات)، بوصفها وحدات مزدوجة، أى أزواج تظهر فى الوقت نفسه، لا يمكن التفريق بينها.

٣ـ الفونيمات أجزاء من مورفيمات

تعنى «النظرة المورفولوجيـة» أن المرء يجب أن «يدرس دور الأصوات فى آلية اللغة» (١٨٧٠/١٨٧١). ليس للفونيمات ذاتها أى معنى، غير أنه يمكن أ) أن تصيَّر لهـا دلالة، أى تسـتـخدم للتـفـريق الدلالى، مـثل g : k فى الصوت الأول من: Garten: Karten (حديقة: بطاقات)، وب) توظف مـورفولوجيا، أى تؤدى وظائف مورفـولوجية، مثل التـغير فى الحركـة للتعبـير عن العدد (Mutter : Mütter) «أم: أمهات» أو عن التصـغير Diminutivum (Kuss : Küsschen) «لثمة: لُثَيْمَة».

وقد تبنى خَلَف بودوان الجـوانب من ١ ـ ٣ واستمروا فى تطويرهـا. فقد دخل الجانب النفسى (١) والجانب التفريقى (٢) فى نظرية الفونولوجيا، فى روسيا فى المدارس المختلفة لبطرسبورج وموسكو، وفى أوربا الغربية فى حلقة لغويى براغ

(ن. س. تروبتسكوى ور. ياكوبسون)، وصارت نظرة بودوان المورفولوجية (٣) أساسَ مورفو (فو) نولوجيا تروبتسكوى، وبتوسط ياكوبسون بشكل خفى ولكنه واضح، أساسَ الفونولوجيا التوليدية فى الولايات المتحدة الأمريكية.

ويجب هنا لأسباب تتعلق (بضيق) المكان أن يتخلى عن تناول ميكولاى كروسزيوسكى (١٨٥١ ــ ١٨٨٧)(*)، تلميذ بودوان وشريكه العلمى فى فترة كازان، الذى كان له نصيب أساسى فى تطوير الأفكار الفونولوجية والمورفولوجية. ويحال المهتمون بها إلى الأعمال الأصلية الواردة فى بيانات المراجع حول هذا الفصل وإلى المراجع الثانوية.

٢ـ٢ ـ٣ علم التنميط اللغوى

/ عُرِضَت تجديدات بودوان المؤثرة على وجه الإجمال فى مجال التنميط اللغوى Sprachtypologie بوجه خاص فى الأعمال التالية: تصورات علمية للسنوات الدراسية ١٨٧٦/ ١٨٧٧ (نشر ١٨٧٧) و١٨٧٧/ ١٨٧٨ (١٨٧٩)، وفى المحاضرة الأولى فى دوربت ١٨٨٨ («حول مهام علم اللغة») ومقالة (باللغة الروسية فى الأصل) «حول خاصية الخلط فى كل اللغات»، وهى فى الأصل محاضرة افتتاح سلسلة «النحو المقارن للغات السلافية فى سياق اللغات الهندوأوروبية الأخرى»، وترجع إلى سنة ١٩٠٠. إن التنميط المورفولوجى فى القرن التاسع عشر مرتبط فى خَلَف ــ هومبولت باسم حـ. شتاينتال بوجه خاص، وتُوَصف الأنماط المقترحة فى الغالب بنمط لغوى عازل ــ لاصق ــ متصرف ــ مدمج(**). وقد جاء النحاة الجدد فى نقاشهم حول هذه الأنماط بفكرتين: بالنسبة لهم لم تكن واقعاً سوى بينما لغة الفرد، اللغة الكلية مجرد افتراض، ونتيجة لذلك فالإلحاق بأنماط بالنسبة للغات كلها مجرد افتراض، ويقتضى قبول اللغات

٤١

(*) عبر دى سوسير بوضوح عن أفكار كل من بودوان وكروسز يوسكى بقوله: كان بودوان دى كورتنى وكروسزيوسكى أقرب الناس إلى الرؤية النظرية للغة، ودون الخروج عن الاعتبارات اللغوية البحتة. غير أنهما لم يكونا معروفين من مجموع العلماء الغربيين. مونان ص ٢٨. (المترجم)

(**) فى الأصل: isolierender - agglutinierender - flektierender - inkorporierender Sprachtyp.

الفردية فقط أنه يوجد «مزج لغوى دون انقطاع»، فالمتكلم يؤثر مع كل منطوق «فى أبعاد تصور السامع المتعلق باللغة» (هـ. باول).

تبنى بودوان فى موقفه الأساسى من التنميط هذه الحجج بدقة، وطور على أساسها تنميطاً لغوياً جديداً.

وفى سنة ١٨٧٧ دوّن فى تصوره تحت «تصنيف اللغات» الموضوعات التالية: هل توافق القرابة الجينية ضرورة الاتفاق فى النمط المورفولوجى؟؛ ومبادىء التصنيف المورفولوجى، ونقد تدرج الكمال، وهل التصنيف المورفولوجى ممكن بوجه عام؟، ومسألة اللغات الخليط.

وفى سنة ١٩٧٩ أكمل: ما الجوانب المورفولوجية والنحوية التى يجب أن تسخر للتصنيف المورفولوجى (البنيوى) للغات؟ ــ وبهذا التحديد للموضوعات بالنسبة لسلسلة محاضراته فى كازان حدد بودوان إجمالاً فى نهاية السبعينيات برنامجه فى التصنيف:

١ ــ يعنى التصنيف الأسرى (إلى عائلات لغوية) وحده التخلى عن مقارنة لغات حديثة فيما يتعلق ببنائها النحوى بشكل مستقل عن وجود القرابة اللغوية أو درجتها. ويمكن لذلك أن يُستخدم بحث تنميطى ضرورى فضلاً عن ذلك أيضاً لاكتشاف فصائل لغوية عالمية فى كل المستويات.

٢ ــ اللغات ذات القرابة الأسرية ليست موحدة ضرورةً فى بنائها النحوى، قارن الفرنسية التى تميل إلى الإلصاق Agglutination فى مقابل اللاتينية ذات النمط المتصرف، والانجليزية فى مقابل لغات جرمانية أخرى، التى تقترب من العزل كما فى اللغة الصينية (التى ليست لها بها قرابة) إلخ. / ويعنى ذلك أن البحث السُّلالى (النَّسَبى) والتصنيفى يجب أن يمارس كل منهما مستقلاً عن الآخر.

٣ ــ ثمة استنتاج مهم، يفضى إلى نقد البحث التنميطى الحالى، نصه: ***الأنماط اللغوية ليست أبدية ولا غير متغير***. وهو يلحق بالجانب المؤقت وهو

٤٢

أن التنميط الصرفي يكاد يكون غير ممكن في ذلك الوقت، إذ ما تزال توجد لغات كثيرة لم تُبحَث، وثمة جانب أساسي أيضاً، يجعل بودوان يتشكك بوجه عام في إمكان الإلحاق الصارم بأنماط وجدواه، فاللغات الهندوأوربية التي تعد مثالاً لنمط تصريفي متكامل يتفتت بعضها عن بعض.

٤ ــ طور بودوان ***نظرية اللغات الخليط*** «الهجين» Mischsprachen (وبخاصة في ١٨٨٨ و ١٩٠٠) بوصفها حجر الزاوية لتنميطه اللغوي، وقد شكلت منطلقها فرضية هرمان باول عن الخلط (المزج) اللغوي المستمر. وقد صاغ بودوان ذلك قائلاً: كل اللغات الموجودة والتي كان لها وجود في وقت ما نشأت على طريق الخلط! «فاللغات الخليط هي أولاً وسائل التواصل الطبيعية التي نشأت حقيقة من خلال الخلط، والممكن ملاحظتها في الوقت الحاضر مثل اللغات الهجين (مثلاً من الصينية والانجليزية في جنوب الصين) واللغات الكريبولية وغيرها. وثانياً اللغات المصطنعة مثل الاسبرانتو وغيرها (قارن ٢ــ٢ــ٥). وبناءً على ذلك تشكك بودوين أيضاً في نقاء أية لغة، ففي كل لغة وجدت عناصر أجنبية، وتبعاً لذلك تعد كل لغة خليطاً. ويمكن أن يحدث الخلط في بعدين: بعد جغرافي ــ إقليمي، وبعد زمني. ويقع الثاني مع التأثير المتبادل بين لغة دينية أو مقدسة قديمة ولغة حديثة، والأول شرط لكل خلط يجري بطريق طبيعية. وبعبارته:

عاشت الشعوب والقبائل وتحيا في تجاور مباشر أو متداخلة أيضاً. ويُوجد على حدود الشعوب والقبائل ضرورة التعدد اللغوي الذي يؤدي إلى الخلط «التهجين» اللغوي.

حياة البدو والحملات الحربية والخدمة العسكرية بوجه عام، وسلب النساء والعبيد في القبائل المعتدية، وفيما بعد التجارة والتبادل العلمي... إلخ. ــ كل هذه عوامل، مشجعة على الخلط اللغوي (١٩٦٣، ٣٦٤).

ثم يناقش بودوان من خلال بعض اللغات العناصر المشاركة في المزج، فيبين أن لهجات ــ ريزيا السلوفانية (قارن ٢ــ٢ــ٤) لا يمكن إيضاحها إلا من خلال

تأثير رومانى، إذ إنه من جهة أخرى قد تحولت لغة المستوطنين الألمان فى تلك المنطقة إلى السلوفانية، ويتعقب شركاء المزج الذين يمكن معرفتهم بالنسبة للغة اللتية(*)، والأرمينية(**) ولغات أخرى. الأرمينيون فى جوار القوقازيين، واللتيون إلى جوار الإستيين (لفتهم فنلاندية بحر الشرق)، والبلغار السلاف إلى جوار اليونانيين والألبان والرومينيين والأتراك ـ بهذه المقارنة بين مناطق لغوية متباينة أسريًا، ولكنها متجاورة إقليمياً قدم بودوان/ الباعث للنظرية المتأخرة عن الجماعات اللغوية على نحو ما طورت فى حلقة براغ (قارن الفصل الرابع).

43

٥ ـ من الأهمية بمكان ما يُسمى ***تفسير بودوان البنيوى للخلط «التهجين»***. فهو يحصل من جانبين: بداية يعنى الخلط بداهة استيعاب عناصر أجنبية، غير أن الخلط يتجلى كذلك فى أن الصيغ تُبَسَّط بشكل أسرع، وما إلى ذلك، قارن:

يتبين تأثير الخلط «التهجين» اللغوى فى اتجاهين: الأول يدخل الخلط فى اللغة المعطاة عناصر لغة أجنبية (كلمات، واستعمالات نحوية، وصيغ، ونطق)، والثانى يكون السببَ فى تخفيف درجة الاختلاف وقوته فى أجزاء مفردة للغات المعطاة ذاتها. ومن خلال تأثيره يطرأ تبسيط للصيغ وخلط (مزج) لها سريع للغاية، وكذلك زوال الاختلافات غير الضرورية وتأثير القياس، وفقدان التصريف، وإحلال صيغ مع حرف محله [...]، وفقد النبر المتحرك المتشكل مورفولوجياً إلخ. (١٩٦٣، ٣٦٦).

(*) من أهم لغات البلطيق إلى جانب اللغة الليتوانية، وهى لغة جمهورية لاتفيا. (المترجم)

(**) فرع مستقل من أفرع الأسرة الهندية الأوربية، دونت فى القرن الخامس الميلادى، ومر تاريخها المدون بمراحل متتابعة، وقد خضعت المنطقة اللغوية الأرمينية لدول كبرى مختلفة على مر التاريخ، فتأثرت بلغات الفرس والرومان والبيزنطيين والعثمانيين، وأدى هذا إلى تأثر بنية اللغة الأرمينية ومعجمها بهذه اللغات الكثيرة التى احتكت بها. (المترجم)

٦ ــ بتصور الخلط اللغوى نحت بودوان التنميط الحالى من الداخل إلى حد ما، وبالنسبة له اشتمل الخلط على عناصر معجمية وأسس البنية أيضاً، وهو يفسر كيف يمكن أن تتغير التبعية النمطية للغة ما. وقاد نقد بودوان للإلحاق المخطط بأنماط لغوية صارمة إياه إلى مقترحات خاصة حول تنميط جديد، يمكن أن يكون أكثر مناسبة للأنظمة اللغوية، فلم يطمح إلى **تصنيف**، بل **إلى وصف مقارن** بمراعاة جوانب فردية كثيرة من مستويات لغوية متباينة.

ينتج عن النقاط من ١ ــ ٦ منطقياً موقف بودوان من تقويم اللغات إلى لغات أفضل، ولغات أسوأ، ولغات أكثر تطوراً، ولغات أقل تطوراً. فهو يجرد من كل تقويم الأساس، مثلاً افتراض أن اللغات الهندوأوروبية المتصرفة هى قمة الكمال، وُصِف مثلاً بأنها فكرة متسرعة أو أنه زهو هندوجرمانى ووصف الصينية العازلة بأنها بدائية نسبياً، إذ يمكن أن يلاحظ الاختلاط المستمر للأنماط فى كل مكان (قارن اتجاه الانجليزية إلى العزل).

٢ـ٢ـ٤ علم الاجتماع اللغوى

بداية من تزايد الاهتمام بالموضوعات الاجتماعية اللغوية (اللغوية الاجتماعية) لاحظ اللغويون أن بودوان قد أنجز فى هذا المجال أعمالاً تمهيدية مهمة. فقد بحث التنوعات الاجتماعية والاحتكاكات اللغوية ولغات الأقليات، حيث وفرت له محطات حياته الفرصة، فقد قابل هو نفسه بوصفه بولندياً فى الامبراطورية الروسية، فى كازان مثلاً قوميات هندوأوروبية وتركية وفنلندية ــ أوغرية(*). ــ كانت لغة التعليم فى هذه الجامعة فى أقصى شرق روسيا بمرسوم/ ٤٤

(*) لغتهم فينو ــ أجريش finnougrisch (الفنلندية الأوغرية) وهى فرع كبير من عائلة اللغات الأورالية، وهى فرعان: الفرع الأوغرى المختلط باللغة المجرية (والمختلط أيضاً بلغات أوب جريش وهى خانتى ومانسى). والفرع الفينيشى ويضم لغات بحر الشرق (الفينيشية والاستاشية والكاريليشية والسيشية). انظر:
G. Décsy: Einführung in die finnisch - ugrischen Sprachen, Wiesbaden 1965.
(المترجم).

هى الروسية، وفى تارتو/ دوربت/ يوريئيف عاش إلى جانب الاستيين/ الألمان والروس أيضاً، وفى كاركو ضاويون وبولنديون وأكرانيون ويهود وغيرهم. لم يبق الإنسانى بودوان دى كورتينى ذلك مطلقاً بعيداً عن دراساته اللغوية، وقد حارب أيضاً بالنشر ضد المغالاة فى الوطنية Chauvinismus، والاضطهاد القومى واللغوى (قارن حول ذلك أيضاً كالفيه Calvet (١٩٧٨) وجلوك Glück (١٩٨٦).

غير أنه لا ينبغى أن يتناول ذلك بالتفصيل فيما يلى، بل دراسات حول التنوع الإقليمى بمساعدة ملحوظات عن اللهجات السلوفنية حول رزيا Resia فى شمال إيطاليا، وكان سنة ١٨٧٢ للمرة الأولى فى فريول Friaul فى منحة، ونهضت نتيجة لها «محاولة دراسة صوتية للهجات الرزيانية»، التى بها حصل على الأستاذية. ثم كان بعد ذلك مراراً فى منطقة رزيا، ودرس استمرار تطور اللهجات المنطوقة فى هذه المنطقة، تأثرها بالمحيط الإيطالى، وتماثلها النشط مع المستوطنين المتحدثين بالألمانية. وفى المسائل التفصيلية ندت عنه فى ذلك الشأن صور من عدم الدقة أيضاً، مثل إصراره على عدم تسويغ الأساس التحتى الفيتو ــ أوجريشى (الفنلندى ـــ الأوغرى)، ولكن بشكل مجمل هذه هى الدراسات التى مارسها عبر عقود فى علم اللهجات على سبيل التمثيل.

ويجب أن يذكر فى هذا السياق أن بودوان طالب سنة ١٩١٢ بأكاديميات علمية للبلدان السلافية لتنسيق بحوثها اللهجية، حتى يمكن إنشاء خرائط لغوية على هذا الأساس. وفيما بعد أيد هذا الإيعاز، إذ يجرى العمل فى الأطلس اللغوى السلافى.

وكانت دراست بودوان اللهجية أيضاً دافعاً ومادة أساسية لبحوثه فى التنميط بمفهوم «اللغات الخليط» (قارن ٢ــ٢ــ٣)، فقد صارت بذلك عبر توثيق محض للموقف اللغوى فى منطقة جغرافية أساس بناء النظرية أيضاً.

٢ــ٥ مجالات بحثية أخرى

من عدد كبير من المجالات الأخرى التى عمل ونشر فيها بودان ينبغى أن تذكر الآن أيضاً ***لغة الأطفال وإشكالية اللغات المساعدة العالمية.***

عالج أحد مؤلفات بودوان دى كورتينى المبكرة جداً اكتساب اللغة الأولى لدى الأطفال (انظر بودوان ١٨٦٩))، وقد عنى بهذا الموضوع فيما بعد باستمرار أيضاً (انظر مثلاً بودوان (١٨٨٥/ ١٨٨٦)). ولم يكن ذلك مجرد اهتمام نظرى. فقد صادفت قدرة بودوان على الملاحظة الدقيقة مجال نشاط رائع هنا. وأنهى بودوان بدقة كتاباً عن اكتسابهم اللغة، وبخاصة عن ابنته ايلينا (ولدت سنة ١٨٩٢؛ ملاحظاته حتى سن النضج!)، لأنها أمضت ــ إذ ولدت فى فترة كاراكو ــ أهم سنوات تعلمها اللغة فى محيط لغوى بولندى فى الغالب. وقد خلَّف بودوان وراءه ما مجموعه ٤٧٣ كراسة أى ما يزيد على ١٣٠٠ صفحة مع ١١٤٥٢ ملاحظة لغوية (موجدن ١٩٨٤).

وبعد اختراع طبيب العيون البولندى لودفيج زامنهوف Ludwig Zamenhof الاسبرانتو Esperanto سنة ١٨٨٧، ولغات اصطناعية أخرى وبخاصة الإيدو Ido (سنة ١٩٠٧ على يد عالم المنطق الفرنسى ل. كوتورا L. Couturat)[٦]. بدأ بين اللغويين أيضاً النقاش حول مزايا اللغات المخترعة وفوائدها. وقد ذاع الخلاف علناً بين كارل بروجمان وأوجست لسكين من جهة (قارن بروجمان/ لسكين (١٩٠٧)) وبودان دى كورتينى (١٩٠٧) و(١٩٠٩) أيضاً وكذلك هويسلر Häusler (١٩٨١)) من جهة أخرى. فبينما سجل بروجمان/ لسكين فى الاسبرانتو «أخطاء فى البنية» وأوجه لا منطقية فى بناء الصيغ والكلمة، التى ينبغى أن تُعلَّم بشكل أكثر وضوحاً خالية من كل الاستثناءات وبسهولة خاصةً، فقد قابلها بودوان بمطلب إنسانى أساسى: كانت كل محاولة حسب رأيه يمكن أن تعين على الفهم بين الشعوب، يجب أن يرحب بها، وإن لم توفق توفيقاً كاملاً. وكان بودوان إلى جانب إلى أوتو يسبرسن نائبى رئيس اللجنة الدائمة «الوفد الاحتفاء بلغة مساعدة عالمية». وعدَّ المؤتمرات الدولية والحركة الدولية للشعوب المتحدثة بلغات محدودة،

(٦) تعنى إيدو فى الاسبرانتو «نجل، سليل». وهكذا فإنها توصف بذلك بأنها لغة مشتقة من الاسبرانتو.

أقل انتشاراً مجالات تطبيق مستقبلية للغة مساعدة عالمية (قارن بودوان (١٩٠٧)، ومرة أخرى: (١٩٧٦). ويتبين هنا من جديد جهد بودوان طيلة حياته ـ وخارج تأثيره بوصفه لغوياً أيضاً ـ لمساعدة الأقليات وتشجيعها والحياة المشتركة السلمية بين جماعات لغوية متباينة. ج. بودوان دى كورتينى يمثل حُجيراً آخر من الفسيفساء لصورة العالم والإنسان.

٢ ـ ٣ تأثير بودوان في علم لغة القرن العشرين

كتب أ. أ. ليونتيف A. A. Leont'ev سنة ١٩٦٠، الذى كان قد اشترك أيضاً فى إصدار النشرة الروسية لمؤلفات بودوان سنة ١٩٦٣:

كل جيلٍ لاحق من علماء اللغة يكتشف فيه شيئاً جديداً، يعد مهماً لهذه المرحلة فى تطور علم اللغة. وفى عصرنا أيضاً لدى بودوان دى كورتينى ما يقدمه. (اقتبس عن موجدن ١٩٨٤، ١٩٠).

/ وكان رومان ياكوبسون سنة ١٩٢٩ قد أبرز فى تأبينه مكانة بودوان المتفردة فى علم اللغة فى عصره: فقد شارك فى تأسيس مدرسة النحاة الجدد من خلال رسالته للدكتوراه فى ليبزج عن دور القياس النحوى، بل اتخذ مذهب النحاة الجدد فى مطالبه أيضاً بدراسة اللغات الحية فى جد وبحث اللهجات، واللغة المستعملة بين طبقات اجتماعية مفردة، ولغات خاصة مهنية، وباثولوجيا (علم أمراض) اللغة (لغة الأطفال وعوائق اللغة)؛ وقد نظر إلى اللغة بوصفها نشاطاً، وبحث وظائفها، كل ذلك إذن ليس فى عقب النحاة الجدد، بإيجاز: ليس من الممكن تحديد انتمائه لمدرسة ما، بل جعلت أصالته فى التفكير، التى تأصلت فى معرفة مؤكدة بالبحوث التاريخية ـ المقارنة، أحَد موسعى نهج علم اللغة فى القرن العشرين. ففهمه للفونيم وفهمه لشكل اللغة ووظيفتها بشكل مجمل وثنائياته التى تتعلق باللغة وتمس خاصية النظام فيها أيضاً، وليس آخراً تفسيره البنيوى للخلط «التهجين» اللغوى قد تبنته خارج روسيا/ الاتحاد السوفيتى بحوث حلقة براغ بوجه خاص (قارن الفصل الرابع).

٤٦

إن كثيراً من آراء بودوان تتوازى مع آراء فردينان دى سوسير(*) (قارن الفصل الثالث)، الذى كان قد درس كذلك إرث النحاة الجدد فى ليبزج. عرف كل منهما الآخر، وعرف كل منهما أعمال الآخر: فقد كان بودوان فى سنتى ١٨٨١/١٨٨٢، بحصوله على منحه للسفر إلى الخارج فى فيينا وباريس. وهناك نجح دى سوسير فى التأثير فى قبول بودوين فى الجمعية اللغوية Société de Linguistique بمناسبة توقفه فى باريس. وعلى النقيض من كتاب دى سوسير «دروس فى الألسنية العامة» لم يقدم بودوان دى كورتينى أى عرض متكامل لنظريته اللغوية؛ فآراؤه مبعثرة فى أعمال فردية، كما أن لغات النشر أيضاً تؤدى دوراً، حيث قدم دى سوسير، وليس هو آخر الأمر، الباعث الفكرى الحاسم لعلم اللغة البنيوى فى القرن العشرين

(*) يلح تروبتسكوى كثيراً فى مقالته التى نشرت عام ١٩٣٣ على تطابق مواقف هذين العلميين العملاقين فيما يتعلق بمفاهيم الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية. ويشير قائلاً: «لقد ولدت نظريات سوسور وبودوان فى عصر يكاد يكون فيه مصطلح علم اللغة مرادفاً لعلم اللغة التاريخى، ولما كان علم اللغة التاريخى هذا تجزيئياً لا يدرس سوى تاريخ العناصر المنعزلة، فقد تعارض مع اتجاهات النظريات الحديثة الكلية والبنيوية. مما دفع سوسور وبودوان إلى الإلحاح على أهمية علم اللغة الثباتى Statique (السكونى، الوصفى حسب تعبير سوسور) ومشروعيته، وذلك من أجل الدفاع عن وجهة نظرهما (...)، ويمكن أن نلاحظ لدى بودوان هذا الموقف من علم اللغة التاريخى، على أن سوسور بالذات قد جعل من التعارض بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية أحد القوانين الأساسية لنظريته». ولا يزال هذا الرأى صحيحاً حتى أيامنا هذه. لقد طرح بودوان بقوة، ومن خلال تعبير واضح الواضح مشروعية وجود علم اللغة الوصفى أو الثباتى (النقى من كل شائبة معيارية) إلى جانب علم اللغة التاريخى أو الديناميكى. مونان ص ٢٩. (المترجم)

B. Bartschat (1989): Die kritische Weiterentwicklung der morphologischen Typologie des 19. Jahrhunderts durch Jan Baudouin de Courtenay und H.G.C. von der Gabelentz. In: Jan Baudouin de Courtenay a lingwistyka światowa, siehe dort.

J. Baudouin de Courtenay (1869): Einige Beobachtungen an Kindern. In: Beiträge zur vergleichenden Sprachforschung.

J. Baudouin de Courtenay (1870): Die Wirkung der Analogie in der polnischen Deklination (Dissertation Leipzig; Teilveröffentlichung 1868 in „Beiträge zur vergleichenden Sprachforschung" Berlin).

I. A. Boduèn de Kurtenè (1871): Nekotorye obščie zamečanija o jazykovedenii i jazyke (Einige allgemeine Bemerkungen über Sprachwissenschaft und Sprache). Antrittsvorlesung am Lehrstuhl für vergleichende Grammatik der idg. Sprachen am 17./29. Dezember 1870 an der Universität St. Petersburg [Wiederabdruck in Boduèn de Kurtenè 1963].

J. Baudouin de Courtenay (1875): Opyt fonetiki rez'janskich govorov (Versuch einer Phonetik der Dialekte von Resia). Varšava/Peterburg.

J. Baudouin de Courtenay (1876): Rez'ja i Rez'jane (Resia und seine Bewohner). In: Slavjanskij Sbornik (Peterburg) t. 3, otd. 1.

J. Baudouin de Courtenay (1884): Übersicht der slavischen Sprachenwelt im Zusammenhang mit den andern arioeuropäischen (indogermanischen) Sprachen. Antrittsvorlesung, gehalten an der Universität Dorpat am 6./18. September 1883. Leipzig.

J. Baudouin de Courtenay (1888): Über die Aufgaben der Sprachwissenschaft. Erster Dorpater Vortrag [Wiederabdruck in J.I.N. Baudouin de Courtenay 1974: „O zadaniach językoznawstwa"].

J. Baudouin de Courtenay (1895): Versuch einer Theorie phonetischer Alternationen [Wiederabdruck in J. Baudouin de Courtenay 1984].

J. Baudouin de Courtenay (1895a): Materialien zur südslavischen Dialektologie und Ethnographie I. Resianische Texte, gesammelt in den JJ 1872, 1873 und 1877. St. Petersburg.

I.A. Boduèn de Kurtenè (1901): O smešannom charaktere vsech jazykov (Über den Mischcharakter aller Sprachen), Vorlesung St. Petersburg 1900 [Wiederabdruck in Boduèn de Kurtenè 1963].

J. Baudouin de Courtenay (1907): Zur Kritik der künstlichen Weltsprachen. In: Annalen der Naturphilosophie (Leipzig) 6 [Wiederabdruck in R. Haupenthal (Hrsg.) 1976: Plansprachen. Darmstadt].

J. Baudouin de Courtenay (1909): „Deklaro" (von der Redaktion aus dem Deutschen ins Ido übersetzt). In: Progreso (Paris), Yaro 1, No. 7.

J. Baudouin de Courtenay (1910): Klassifikation der Sprachen. Vortrag auf der Grazer 50. Versammlung deutscher Philologen und Schulmänner. In: Anzeiger für idg. Sprach- und Altertumskunde (Beiblatt zu Indogermanische Forschungen XXVI, 1-3) [Wiederabdruck in Baudouin de Courtenay 1984].

I.A. Boduèn de Kurtenè(1963): Izbrannye trudy po obščemu jazykoznaniju (Ausgewählte Werke zur allgemeinen Sprachwissenschaft) I-II (Hrsg. V.P. Grigor'ev, A.A. Leont'ev). Moskva.

A Baudouin de Courtenay Anthology. The Beginnings of Structural Linguistics (Übers. u. Hrsg.: Edward Stankiewicz). Bloomington/London 1972.

J.I.N. Baudouin de Courtenay (1974ff.): Działa wybrane (Ausgewählte Werke), Redaktionskomitee unter Vorsitz von Witold Doroszewski. Warszawa.

J. Baudouin de Courtenay (1984): Ausgewählte Werke in deutscher Sprache, mit einem Vorwort von Ewelina Małachowska (hrsg. von J. Mugdan). München.

Jan Niecisław Baudouin de Courtenay a lingwistyka światowa (J.N. Baudouin de Courtenay and the world linguistics). Materialien der internationalen Konferenz Warschau 4.-7.9.1979. Ossolineum 1989. Bodun de Kurten i sovremennaja lingvistika. K 140-letiju so dnja roždenija I. A. Boduena de Kurtené (Baudouin de Courtenay und die gegenwärtige Linguistik. Zum 140. Geburtstag von I. A. Baudouin de Courtenay). Kasan 1989.

K. Brugmann/A. Leskien (1907): Zur Kritik der künstlichen Weltsprachen. Straßburg.

M. di Salvo (1979): J. Baudouin de Courtenay and Linguistic Contacts in the Eastern Alpine Area. Report of an international conference held at Prato de Resia (Udine) 23-24 September 1979. In: Historiographia Linguistica 6.

G. Feudel (1976): J. Baudouin de Courtenay und F. de Saussure – zwei Traditionslinien in der Entwicklung der Sprachwissenschaft. In: Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikationsforschung 29/5-6.

H. Glück (1986): Die Speisekarte der Sprachenfresser. Zur Aktualität von Jan Baudouin de Courtenay (1845-1929) für die sprachensoziologische Forschung. In: Germanistische Mitteilungen 23.

F. Häusler (1968, ²1976): Das Problem Phonetik und Phonologie bei Baudouin de Courtenay und in seiner Nachfolge. Halle.

F. Häusler (1981): Baudouin de Courtenays Stellung zum Problem der Welthilfssprachen. In: Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikationsforschung 34/3.

R. Jakobson (1929): Jan Baudouin de Courtenay. [Nachdruck: Th. Sebeok (ed.), Portraits of Linguists. Westport, Conn.: Greenwood 1966].

R. Jakobson (1971): The Kazan School of Polish Linguistics and its Place in the International Development of Phonology. In: Jakobson 1971-1979, Selected Writings II [poln. Original 1960: Kazańska szkoła polskiej lingwistyki i jej miejsce w światowym rozwoju fonologii. In: Biuletyn polskiego towarzystwa językoznawczego XX].

J. Klausenburger (1978): Mikolaj Kruszewski's Theory of Morphophonology. An Appraisal. In: Historiographia Linguistica 5.

E.F.K. Koerner (1972): J. Baudouin de Courtenay: His Place in the History of Linguistic Science. In: Canadian Slavonic Papers (Ottawa) 14 [Nachdruck: Koerner 1978: Towards a Historiography of Linguistics. Selected Essays. Amsterdam].

M. Kruszewski (1881): Über die Lautabwechslung. Kasan.

M. Kruszewski (1883): Očerk nauki o jazyke (Abriß der Wissenschaft von der Sprache). Kazan.

J. Mugdan (1984): Jan Baudouin de Courtenay (1845-1929). Leben und Werk. München.

J. Radwanska Williams (1993): A Paradigm Lost: The Linguistic Thought of Mikolaj Kruszewski. Philadelphia.

E. Stankiewicz (1976): Baudouin de Courtenay and the Foundations of Structural Linguistics. Lisse [Nachdruck aus „A Baudouin de Courtenay Anthology" 1972].

٣ ـ فرديناند دى سوسير (١٨٢٧ ـ ١٩١٣)

١٩

٣ ـ ١ سيرة فرديناند دى سوسير العلمية

ولد فرديناند دى سوسير فى عائلة علماء فى جنيف[(١)]. تجلى اهتمامه باللغات وبحثها فى وقت مبكر جداً، وقد شجعه على ذلك صديق للعائلة.

وفى أثناء فترة الدراسة فى جنيف اهتم باللغات الكلاسيكية والسنسكريتية. وقد اهتدى فى ذلك ــ بناءً على بحوث فى نصٍ لهيرودوت إلى أنه يجب أن يكون قد وجد فى اللغة الأصل الهندوأوربية أصوات أنفية مقطعية[(٢)].

فى أول الأمر بدأ سوسير فى جنيف دراسة علوم الطبيعة، ثم فى سنة ١٨٧٦ تبع أصدقاء له إلى ليبزج، وهناك تحول فى الحال إلى كلية الفلسفة (الآداب) ليدرس علم اللغة. وكان ذاك الزمن الذى كان قد طور فيه اتجاه النحاة الجدد أفكارهم الأساسية، وبلغ قمته الكبرى الأولى نشر «بحوث مورفولوجية» فى

---

(١) فقد كان جده نيكولاس ــ تيودور (١٧٦٧ ــ ١٨٤٥)، أستاذاً فى جنيف، عالماً فى الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا وعلم المعادن، ووالده هنرى (١٨٢٩ ــ ١٩٠٥)، أستاذ فى جيسن وجنيف، كان عالماً فى الجيولوجيا، وقد وضع عن رحلات ممتدة إلى مكسيكو والولايات المتحدة الأمريكية والهند الغربية بين الأمريكتين مجموعات عن علم المعادن. ولا يذكر كذلك من العدد الكبير من العلماء (والفنانين) فى عائلة دى سوسير إلا أخوة فرديناند الثلاثة: هوراس رسام للأشخاص والطبيعة، وليوبولد فى البداية ضابط فى البحرية، ثم عالم فى الصينية، متخصص فى علم الفلك الصينى، ورينيه أستاذ فى الرياضيات فى واشنطن وجنيف، وقام أيضاً بدراسات فلسفية ومنطقية، وعنى كذلك باللغات الاصطناعية وعلاقتها باللغات الطبيعية.

(٢) ينبغى هنا أن يتناول بشكل أكثر دقة أن كارل بروجمان أيضاً ــ بشكل مستقل ــ قد وصل إلى هذه النتيجة ونشر سنة ١٨٧٦ هذا القانون «الأصوات الأنفية المشكلة للمقطع **nasalis sonans**. وكما وصف دى سوسير بالتفصيل فى مخطوط يوجد فى مكتبة جامعة جنيف، كان عند توقفه فى ليبزج مندهشاً للغاية، فكم أشيد باكتشاف بروجمان هذا الذى وصل إليه هو نفسه سنة ١٨٧٢/ ١٨٧٣. ومع ذلك فإن علاقته الطيبة ببروجمان لم تكن لتعكر هذا التطابق الزمنى غير السار.

مجال اللغات الهندوجرمانيـة، المجلد الأول (١٨٧٨) مع المقدمة الخاصة بالبرنامج لبروجمان/ وأوستهوف (انظر الفـصل الأول). وظل سوسير ٤ فصول دراسية في ليبزج، واستمع إلى محاضرات لدى جيـورج كورتيوس (النحو المقارن) وأوجست لسكين (السلافيـة والليتوانية)، وهاينريش هوبشـمان (الفارسـية القـديمة) وهرمان استهـوف (السـنسكريتية) وغيـرهم. واشترك في المناقشـات في جمعيـة كورتيوس النحوية، وفيـها قابل أيضاً كـارل بروجمان. وفي سنة ١٨٧٨ نشر سـوسير ثلاث مقـالات في "Mémoires de la Societé de linguistiquc" (بحـوث صغـيرة للجمعيـة الغوية)، باريس من بينها: "Essai d'une distinction des différents a indo -européens" (مقالة حول التـفريق بين صوت a في اللغات الهندوأوربية المختلفة)، عمل تمهيدى «البحث» يتحدث عنه فيما يلى تحت ٣ ـ٣.

٥٠

حصل فـرديناند دى سوسـير سنة ١٨٧٩ على الدكـتوراه في برلين بـرسالة حول «استعمال الإضافة المطلقة في السنسكريتية(*)». رسالته هذه للدكتوراه جديرة بالملاحظة لأنه نادراً تماماً في ذلك الوقت أن يـعالج موضوع نحوى، غـير أنه بقى دائماً في ظل «البـحوث الصـغيرة»، منهـا «بحث حول نظام الحـركة الأصلى في اللغات الهندوأوربية» الذى نشره سنة ١٨٧٩ في ليبزج(**).

(*) يلاحظ أن المصطلح الموجود في النص الألمانى absolutes Genetiv وترجمـته حـالة الإضافـة المطلقة. أما في كتاب موتان ص ٤٨ فتوجد عبارة: ثم كانت أطروحته للدكـتوراه حول حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية (جنيف ١٨٨١).

(**) ورد في النص الألمانى لفظ Denkschrift ترجمة حـرفية للكلمة الفـرنسـية Mémoire، وتعنى مذكرة كما ورد في ترجمة د. نجيب غزاوى لكتـاب موتان، إذ ذكر العنوان كما يلى: (مذكرة حول النظام البدائى لأحـرف العلة في اللغات الهندية الأوربيـة). حقق للعـالم الشاب البالغ من العـمر إحدى وعشرين عاماً، شهرة عالمية صاحبته حتى وفاته، وحتى بعد وفاته. ص ٤٨.
ولكنى آثرت ترجمة Mémoire إلى بحث «يقع في ثلاثمائة صفحة وصفـحتين» وقد كانت السـمة الغالبة على ما نشره دى سوسير، بحوث او مقالات صغيرة أو تعليقات وملحوظات، مقارنة بحجم المؤلفات آنذاك.

(المترجم)

وفي سنة ١٨٧٩ بدأ سوسير مساره الأكاديمي في باريس، وفي ذلك الوقت زاول نشاطه أيضاً سكرتيراً للجمعية اللغوية بباريس، وفي أثنائها تعرف بودوان دي كورتيني وأعماله اللغوية (قارن الفصل الثاني).

وفي سنة ١٨٩١ عاد سوسير إلى مسقط رأسه جنيف. وحتى يحصل على كرسي تعليمي في كوليج دي فرانس كان عليه أن يقبل الجنسية الفرنسية، حيث لم يستطع أن يقبل ذلك بوصفه مواطناً سويسرياً. ومن المؤكد إلى حد ما أنه قد أنشيء تعبيراً عن شكره في جنيف من أجله منصب أستاذ (غير متفرغ) للسنسكريتية وعلم لغة اللغات الهندوأوروبية. وفي سنة ١٨٩٦ حُوِّل إلى منصب أستاذ عامل، وفي سنة ١٩٠٧ إلى كرسي تعليمي لعلم اللغة العام. وقد درس فردينان دي سوسير في جنيف حتى وفاته ١٩١٣. وبغض النظر عن أعماله المبكرة فنادراً مانشر(*)، بل ركز كلية على عمله أستاذاً في معهد عالٍ. ولم يوجد في تركته مخطوط كتاب، وإنما تحضيرات مفصلة لمحاضرات ومواد لتدريب الطلاب وما أشبه. في ثلاث دورات دَرّس علم اللغة العام (١٩٠٧، ١٩٠٨/١٩٠٩، ١٩١٠/١٩١١)، وبدهي بالإضافة إلى ذلك محاضرات في السنسكريتية، بل إنه قد قام أيضاً بسلاسل من المحاضرات في الدراسات الألمانية. وتذكر غالباً محاضرته في ملحمة Nibelungenlied(**) وأبحاث دي سوسير الخلافية أيضاً حول الجناس التصحيفي Anagramm (Les anagrammes)، حيث يريد

(*) يذكر مونان ص ٤٨: وكل ما نشر بعد ذلك، تم بعد وفاته ما عدا مجموعة مذكرات ومقالات وملاحظات نشرت في فترات متباعدة وجمعت بعد وفاته في كتاب:

Recueil des publications scientifique de Ferdinand de Sausure (Genève, sonor èdit, et Heidelberg. K. Winter edit, 1922) مجموعة منشورات فردينان دو سوسور العلمية. وهو مؤلف لم يحظ بالكثير من الاهتمام، ولذا فنحن لا نجده في كل المكتبات الجامعية. ولم تتح الفرصة لسوسور لإنهاء مقال طويل عن وايتني، كان يحضره بمناسبة وفاته عام ١٨٩٤، ولقد عثرنا على سبعين صفحة منه تحتوي على ملاحظات ناقصة.

(المترجم)

(**) ملحمة باللغة الألمانية الفصحى الوسيطة لمؤلف مجهول ترجع إلى القرن الثالث عشر.

(المترجم)

بمساعدتها أن يكتشف الرسائل المشفرة خلف نصوص حقيقية لآثار مكتوبة، وكلها تتبع ذلك المجال.

لم تعرف نظرية سوسير اللغوية المؤثرة فيما بعد حتى تاريخ وفاته المبكر إلا لدى سامعيه في جنيف. ولم ينشر اللغويان شارل باللي والبرت سيشهاي، وهما نفسهما ليسا تلميذين لفرديناند دى سوسير، بمساعدة ملحوظات آخرين على محاضراته كتاب Cours de linguistique générale/ «دروس في الألسنية العامة» إلا سنة ١٩١٦، أى بعد وفاته، ومن ثم دُوِّنَ إذن من سوسير. حول تاريخ نشأة الإشكالية التى نتجت عن ذلك انظر تحت ٣ ــ ٤.

51

٣ـ٢ تأثيرات من علم اللغة ومن العلوم المجاورة

(النحاة الجدد، وايتني، ودوركايم)

لأن فرديناند دى سوسير، كما ينبغى أن يُبين فى هذا الفصل، قد شغل مكانة متصدرة في علم لغة القرن العشرين، فمن المهم للغاية إبراز الخلفية العلمية والمنهجية لنظريته اللغوية. ولا يجوز أيضاً أن ينشأ انطباع، مع دى سوسير وحده، أن علم اللغة الحديث قد بدأ من لا شيء إلى حد ما ــ ذلك تقديرخاطىء، لحسن الحظ لا يتردد إلا فى أعمال قليلة غير جادة.

كان فرديناند دى سوسير بالنسبة لمعاصريه مؤلف «البحث الصغير» "Mémoire" بوجه خاص (انظر ما يلى ٣ ــ ٣). وكان قد تربى فى ليبزج بين أحضان علم اللغة التاريخى ــ المقارن، فكان خبيراً بمضامين مدرسة النحاة الجدد ومناهجها. وفى ٣ ــ ٣ يُبين إلى مدى واضح انحرفت «هذه البحوث الصغيرة» عن نموذج التفكير لدى النحاة الجدد. وحين لا ينعكس ذلك بوجه عام أيضاً فإنه قد كان عارفاً بعلماء الدراسات الهندوجرمانية الأوائل بغير شك (قارن تأبين[1] شترايتبرج W. Streitberg ١٩١٣).

وقد أشير من قبل فى الفصل الثانى إلى أن سوسير عرف أعمال بودوان دى كورتيني. وقد قدّر بودوان وكروزيوسكى تقديراً كبيراً، وأسف لأنهما لم يُعرفا فى

أوربا الغربية إلا معرفة ضئيلة. وفي اتهام نظريته اللغوية يتبين تأثير اللغويين البولنديين في مواضع كثيرة. ويذكر مفهوم الفونيم مثالاً لذلك؛ فإن تناول سوسير للفونيم على أنه **وحدة النظام اللغوى** له هنا مصدره، فقد كان متأثراً فيه بنظرة بودوين للجانب الاجتماعي إلى جوار الجانب الفردى للغة بوجه خاص أيضاً.

وثمة لغوى آخر تأثرت نظرية سوسير اللغوية به هو عالم الدراسات الهندوأوربية الأمريكي و. د. وايتنى W. D. Whitney (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤). فقد كانت أوجه التطابق المضمونية واضحة، وبخاصة في فهم اللغة على أنها نظام علامات، والعلاقة بين الفرد والجماعة وبين اللغة والفكر. وقد ثُبت أن سوسير قد عرف تصورات نظرية لوايتنى، إذ يذكره في «الدروس» في ثلاثة مواضع. ومن تلك الأسباب يمكن أن يفترض كذلك معرفة مبكرة جداً لسوسير بأفكار وايتنى: فقد كان قد تُرجم عملاه: "Language and the Study of language" «اللغة ودراسة اللغة»، و"Life and Growth of language" «حياة اللغة ونموها» إلى الألمانية (إما سنة ١٨٧٤ وإما ١٨٧٦)، وقد أصدر أوجست لسكين كذلك كتابه "Leben und Wachstum der Sprache" «حياة اللغة ونموها. و: أبرز كارل بروجمان/ سنة ١٨٩٤ في تأبينه لوايتنى تأثيره فيه وفي جيله في السبعينيات (من القرن التاسع عشر). ٥٢

ويجب أن يلاحظ بالإضافة إلى ذلك أن رواد التخصيص اللغوى ليسوا وحدهم يؤثرون في تشكيل النظرية، بل توجد أيضاً صلات بالعلوم الأخرى، وهى تأثيرات مباشرة وأفكار ومناهج أيضاً، تشكل العصر على نحو معين، كما يقال «شيء في الجو» وتبنتها علوم كثيرة. ففي تاريخ علم اللغة يمكن للمرء أن يتعرف علم النفس على أنه ذلك العلم الأساسي[٣]، ففي قرننا تؤدى علوم البنية أيضاً ذلك الدور المجاوز. لقد تلقى سوسير تأثيرات من خارج علم اللغة من علم

(٣) قارن بالنسبة لعلم نفس الفرد في القرن التاسع عشر لدى هربرت، انظر الفصل الأول وبخاصة ١ـ٣ وقارن بالنسبة للقرن العشرين مثلاً الفصل الخاص بحلقة لغويى براغ من جهة وعلم اللغة الوصفى من جهة أخرى

الاجتماع بوجه خاص، وبشكل أكثر دقة من علم الاجتماع الفرنسى فى صياغة اميل دوركايم Emile Durkheim، وفى الواقع يوجد خلاف شديد فى البحث حول إدخال أفكار اجتماعية فى نظريته اللغوية ومتى كان ذلك (أو هل لم يفعل ذلك إلا ناشرا «الدروس»). ومع ذلك تبدو حجج تأثر آراء دى سوسير بعلم اجتماع دوركايم مقنعة. فقد استطاع سوسير أن ينقل عن اميل دوركايم الذى عد مرجعاً لا خلاف عليه، بعد أن كان قد وسع النهج الوضعى لدى أوجست كونت، عبر «علم للمجتمع» إلى علم مستقل، ـ ينقل عنه خواص المجتمع فى مقابل مجموعة من الأفراد. فـ «التصورات الجمعية» و«الواقعة الاجتماعية» fait social[٤]، كلاهما يعمل «بسلطة (أو قوة) غالبة» بشكل مستقل عن الفرد، ويُلْزَم ذلك الفرد بها (قارن دوركايم (١٨٩٩/ ١٩٦١).

وتعكس ثنائية: اللغة : الكلام (انظر تحت ٣ـ٤ـ١ مواضع نصية متوازية أيضاً من مؤلف دوركايم ومؤلف دى سوسير) هذا الموقفَ الأساسى القائم على أساس اجتماعى، وتبين الاختلافَ عن أساس النحاة الجدد القائم على علم نفس الفرد. ولا يمكن أن تكون أوجه الاتفاق أيضاً فى الثنائية المفهومية «التزامن ـ التعاقب» (قارن أيضاً ما يرد تحت ٣ـ٤ـ١) مصادفةً. فقد لوحظت فى توازيها مع علم الاجتماع الثابت ـ وعلم الاجتماع المتحرك لهوجو شوشارت من قبل أيضاً فى نقد «الدروس».

يسقط هنا عن قصد شيء، وهو تَعَقُّب تحليلات حاذقة آراء سوسير حول النظام اللغوى حتى القدم، غير أنه يمكن أن يسجل باختصار أنه قد وجدت بحوث لغوية واجتماعية خاصة فى القرن التاسع عشر، أثرت فى سوسير تأثيراً شديداً.

٥٣

٣ـ٣ بحث حول نظام الحركة الأصلى للغات الهندوأوربية

كتب فردينان دى سوسير "Mémoire sur le systéme primtif des voyelles dans les langues indo - européennes" «بحث حول نظام الحركة

(٤) فى علم الاجتماع الألمانى، ترجمتها بـ: sozialer Vorgang مألوفة.

الأصلى فى اللغات الهندوأوروبية» بحثاً لحلقة دراسية ١٨٧٧/ ١٨٧٨ فى ليبزج، ونشره هناك أيضاً سنة ١٨٧٩. وقد نشر مرة أخرى سنة ١٩٦٨ فى هيلدزهايم إعادة طبع عن الأصل دون أدنى تغيير فيه، ومع ذلك فلم يترجم مطلقاً إلى الألمانية. ولهذا البحث حجم جدير بالاحترام وهو ثلاثمائة وصفحتان ومضمون غير عادى. ويشغل هذا البحث موقع الصدارة فى تاريخ مناهج علم اللغة. فهو من جهة مثال عظيم للدراسات التاريخية المقارنة فى مدرسة النحاة الجدد ــ فقد حللت فى عرض شامل علاقات تحول الحركة فى اللغات الهندوأوروبية، واستخلصت استنتاجات حول إعادة بناء المكون الحركى الأصلى الذى يسرى إلى يومنا هذا. ويتجاوز هذا البحث من جهة أخرى فى نقاط جوهرية مواقف النحاة الجدد، وينبغى الآن أن يشار إليها بالتفصيل.

ويمكن للمرء أن يحمل توجيه أفكار البحث فى أربع فرضيات؟:

١ ــ أكّد اكتشافُ الأصوات الأنفية المقطعية والأصوات المائعة (تذكر: على يد بروجمان وسوسير، كل منهما مستقل عن الآخر) بمادة جديدة. وفى ذلك يبرز سوسير أن: الأصوات الأنفية المقطعية الطويلة والأصوات المائعة تنشأ بإضافة عنصر إلى صيغ قصيرة؛ هذا العنصر يقدمه سوسير بـ "A"، ويطلق عليه «معامل صوتى»(*) (انظر ما يلى الفرضية٣).

٢ ــ انطلاقاً من بحث الحركة "a" أعيد بناء المحتوى الكلى للحركات الهندوأوربية الأصلية. يقول سوسير حول ذلك:

«الموضوع المباشرة لهذا البحث الصغير هو دراسة الصيغ المتنوعة التى يظهر فيها الصوت الهندوأوربى "a". أما الحركات الأخرى فسوف يستخدم فقط باعتبار أنها ظواهر تترابط مع هذه الحركة "a"، وتقدم الفرصة لذلك، غير أنه حين يتوصل إلى هدف المجال الواضح المعالم؛ وهو أن صورة الحركات الهندوأوربية قد تغيرت أمام أعيننا شيئاً فشيئاً، ونرى كل الحركات قد تجمعت حول الـ "a" ـــ حيث يصدر عنها

(*) المصطلح هو "sonantischer Koeffizient" مكون من الاسم **Koeffizient** وهو مصطلح رياضى يعنى معامل، والصفة sonantischer وهى من الاسم sonant ويعنى الصوت أو الحركة المشكلة للمقطع.

سلوك جديد ــ فإنه يصير واضحاً أنه يوجد في الحقيقة **نظام للحركات ككل**، نلاحظه، ويدخل ضمن عنوان هذا البحث (١٩٧٩، ١؛ الإبراز من المؤلف).

هنا يشرك سوسير إذن المواقف الذرية غالباً للنحاة الجدد. ويبرز فيلهلم شترايتبرج ذلك في تأبينه عند تقدير هذا البحث الصغير Mémoire بصفة خاصة.

٥٤ / تكمن أهمية (سوسير) المتفردة في قدرة عقله على بناء النظام، وقوته التي لا تقارن هي التأليف Synthese؛ أي أن كل الملاحظات المفردة ليست بالنسبة له إلا أحجار أساس لبناء النظام موضوع بشكل منهجي (١٩١٤، ٢٠٣).

وقد تأكد في ذلك ضمن ما تأكد أن السنسكريتية لا تمثل الحال القديمة للغاية المفترضة إلى الآن داخل اللغات الهندوأوربية، بل إنها حديثة نسبياً في نظام الحركات بوجه خاص.

٣ ــ يصعب إثبات «المعامل الصوتي» الذي يقدمه بـ "A"، في أية لغة هندوأوربية مستشهد بها. وقد حسبه سوسير من خلال إمكان إيضاحه بشكل منظم بتبادلات حركية معينة لوجوده فقط. فقد كانت الوظيفة وحدها في البنية هي الفيصل لافتراض "A"، إذ لا يعني سوسير بخواصه الصوتية ــ التي ربما كانت لها أهمية على الأرجح بالنسبة للنحاة الجدد ــ وإنما رد أفكاراً عن التحقيق الصوتي لهذا العنصر المجرد، بصورة تأملية(٥).

وقد أكمل التأريخ التالي لبحث عنصر البنية هذا: عالم الساميات الألماني ــ الدنمراكي هرمان مولر H. Møller (١٨٥٠ ــ ١٩٢٣؛ ومن سنة ١٨٨٨ ــ ١٩٢١ في جامعة كوبنهاجن) الذي عرف عقب نشر «بحث صغير» مباشرة توازيه مع الشفا السامية Schwa(*) واقترح لها اسم «الشفا الهندوجرمانية Schwa

---

(٥) ثمة تواز وارد غالباً حول ذلك من الفلك وهو حساب مسارات الكواكب، بل توجد بالأحرى إمكانات آداتية لرؤية هذه الكواكب.

(*) schwa [illegible] تعني في العبرية السكون وهي قسمان تامة السكون وسكون متحرك، فإذا وجد حرفان متاليان تحتهما علامة السكون هذه كانت الأولى [illegible] أي تامة السكون والثانية [illegible] أي سكون متحرك وتسمى mobile مثل [illegible] يقتلون.

«indogermanicum». ويعد موت سوسير، في وقت معين، حين وُفق فيه في فك نقوش كثيرة من آسيا الصغرى، أمكن أن يتعرف في الحيثية عليها بوصفها لغة هندوأوربية. شاهد على اكتشاف المُعَامل الذى وضعه سوسير نظرياً. وفى الوقت اللاحق يفرق بين عدة مُعاملات متباينة، وقد سميت حسب مواضع نطقها المحتملة «الأصوات الحنجرية» Laryngale (Kehlkopflaute)(٦). الأصوات الحنجرية إذن عناصر صامتية اختفت فيما بعد حين نشأت أنماط أساسية لتحول الحركة.

وربما كان من المهم أن لا تنساق فى هذا الموضع وراء الافتراضات المتباينة التى تتجلى فى بقية الأصوات الحنجرية فى تلك اللغات الهندوأوربية التى لم يُستَطع أن يُثبت فيها الأصوات الحنجرية ذاتها؛ مثل افتراض تفسير صيغ متلاحقة يتجانس فيها الحرف الأول محددة فى اللغات الجرمانية وما إليها لا تفسير لها فى غيرها. يجب هنا حقاً أن يغض النظر عن أنه ثمة خلاف حول وضع الحقائق بوجه خاص.

/ ومع ذلك يجب أن يتمسك بأن نظرية الأصوات الحنجرية التى عولجت معالجة مكثفة فى الدراسات الهندوأوربية فى قرننا ـ ترجع بلا شك إلى فرديناند دى سوسير وهرمان مولر. **55**

٤ ـ ليس «البحث الصغير»(*) هو العمل الوحيد فى علم الأصوات. فمن خلال التأليف الجدير بالإعجاب أقيمت علاقة بين الظواهر الصوتية والحقائق المورفولوجية، وعلى هذا النحو صارت التفسيرات الموفولوجية أيضاً ممكنة. ويوصف «البحث الصغير» غالباً بأنه «نظرية الجذر» ويجب أن يرى ذلك فى سياق المعامل الوارد تحت ٣. ويجيز المعامل A تقسيم كل الجذور الهندوأوربية إلى قسمين، وهما مقطعان مع A («جذور كامل» فى الدراسات الهندوجرمانية

---

(٦) يفرق أحياناً بشكل متضخم تقريباً بين عشرة أصوات حنجرية.

(*) تستخدم هذا العنوان اختصاراً للبحث الذى أشرنا إليه من قبل حول النظام الأصلى (البدائى) للحركات فى اللغات الهندوأوربية، على نحو ما يستخدم Mémoire للإشارة إلى هذا البحث بعينه، وكما يستخدم "cours" للإشارة إلى كتاب (دروس فى الألسنية العامة).

(المترجم)

الألمانية، «قواعد عسيرة»،) ومقطع واحد دون A («جذور مقلصة أو «قواعد يسيرة»)، حيث ينشأ بذلك نظام للجذور واضح تماماً، بينما أصاب من قبل عدد كبير من أوجه عدم الاطراد والاستثناءات الصلة المنظمة بالعتمة. وقد لاحظ نقاد متأخرون حول هذا التأثير للبحث الصغير في علم الصرف خاصةً أن سوسير لم يفصل الحقائق الصوتية عن الحقائق الصرفية فصلاً دقيقاً دائماً، وأن «نظرية الجذر» (من فضل القول أن هذه التسمية لا ترجع إلى سوسير نفسه) ربما لها وقع حماسي إلى حد ما أيضاً، لأن سوسير حيَّد كليةً الأفكار الدلالية، أي أنه لم يدخل في الاعتبار دلالة الجذور الهندوأوربية.

لا يمكن أن يكون هدف هذا المبحث الإشارة إلى «البحث الصغير»، وإيصال معارف بذلك في علم اللغة التاريخي ــ المقارن، بل ينبغي أن يُقدم على الأرجح انطباع عما استهدفه سوسير، والقليل أيضاً عن طريقته المنهجية. فيمكن أن يشار هنا فقط إلى الدقة الشديدة في عرضه التي تصل إلى أشكال وجداول،[٧] فهي تعطي الانطباع بأنها حديثة بشكل يثير الدهشة، وينبغي أن تقرأ في الأصل.

ويلاحظ في ذلك أن مؤلف «البحث الصغير» كان طالباً في سن العشرين. وتروى نادرة أيضاً، وهي أن العميد المحبوب لكلية الفلسفة في ليبزج فريدريش تسارنكه F. Zarnke (الذى صاغ أيضاً ملحة في النحاة الجدد) حين قُدِّمَ له سوسير، سأل هذا (الشخص) باهتمام إن كانت له قرابة باللغوي المشهور فردينان دي سوسير، مؤلف «البحث الصغير» "Mémoire". فهذا في الحقيقة ليست له طبيعة البحث الطلابي، فهو مؤلف قد كُتب بشكل مقنع وعناية كبيرة ورؤية شمولية،/ أنجز بشكل أقوى من عمل تمهيدي خاص بنظرية لغوية، يفترض أحياناً لكتاب «دروس في الألسنية العامة» الذى سيتحدث عنه فيما يلي. وعلى الهامش فقط، وإن كان مهماً أنه: قد عولج في «البحث الصغير» نظام الحركة في اللغة الهندوأوربية الأم، الهندوأوربية الأصلية Protoindoeuropäische أي **لحال لغوية** Sprachzustand ــ مع كل حذر ضروري ــ، وليس لتغير لغوى (انظر ما يلي تحت ٣ ــ ٤ ــ ١ ثنائية «التزامن ــ التعاقب»).

٥٦

(٧) قارن مثلاً ص ١٣٥ جدول نظام حركات الجذر في الهندوأوربية، وص ١٨٤ أشكال حول النمطين الأساسيين للجذور الهندوأوربية، وقانونين حول بناء هذه الجذور.

٣ــ٤ «الدروس»، القضايا الأساسية في علم اللغة العام

في سنة ١٩١٦ ظهر كتاب «دروس في الألسنية العامة "Cours de linguistique générale" أحد أكثر الكتب تأثيراً في علم لغة القرن العشرين. إن تاريخ نشوئه مهم لتقديره، لأنه يوضح جزءاً من الاختلافات في الرأى، التى ظهرت فيما بعد بين علماء اللغة والمدارس اللغوية. وكما ذُكر من قبل لم ينشر سوسير في حياته إلا القليل جداً. ففى جنيف حاضر ثلاث مرات حول علم اللغة العام وذلك في ١٩٠٧، ١٩٠٨/١٩٠٩، و١٩١٠/١٩١١. غير أنه في هذه السنوات قد استمر أيضاً في تطوير نظرياته عن اللغة والنظرية اللغوية. وبعد وفاته سنة ١٩١٣ قرر اللغويان الموجودان من قبل شارل باللى والبرت سيشهاى، طالبين مبكرين لسوسير(*) أن يلتمسا الملحوظات على محاضراته في علم اللغة العام وأن يجمعاها في دراسة Monographie. وهكذا لم يظهر كتاب «دروس في الألسنية العامة» إلا بعد وفاة سوسير، فلم يستطع أن يأذن به، وقد ثبت أنه من الصعوبة الشديدة أن يوجد من ثلاث دورات من المحاضرات نص متناسب في كل أجزائه. ويضاف إلى ذلك أن الناشرَين كان لهما من قبل شخصية علمية خاصة، وأن تصوراتهما الخاصة قد ضُمِّنت بلا شك في نص «الدروس»(**). يجب أن يُقدم ذلك، فيصير مفهوماً بذلك، لماذا تطور في العقود التالية شرح Exegese منظم

(*) تناقض المؤلفة نفسها هنا إذ إنها أكدت من قبل عن باللى وسيشهاى أنهما ليسا تلميذين لدى سوسير، وعبارتها هى: .selbst nicht Studenten Ferdinand de Saussures. وقد قال ميه عن الكتاب: إنه عبارة عن صياغة لأفكار (سوسير) «من قبل اثنين من أهم تلامذته» ليس إلا. (المترجم)

(**) عالج مونان هذه القضية معالجة مسهبة بدءاً من ص ٥٦ حتى ٦٥ بدءاً من طرحه أسئلة جوهرية حول أصالة الكتاب، منها: كيف جُمع الكتاب؟، وما مدى صدق ملاحظات الطلبة التى كانت أساساً له؟ وإلى أى درجة كان نقل باللى وسيشهى لكلمات هذه الأمليات وأفكارها دقيقاً؟ وهل بإمكاننا التأكد من أننا نعرف مذهب سوسير الحقيقى. (انظر نقد ميبى وبنفنست وانجلر وجوديل وغيرهم). واعترف الناشران بأنهما يحاولان تقديم صورة عامة عن فكر سوسور، من خلال الحل أكثر جرأة، من خلال حل يمكن أن يقوم على نشر بعض المقتطفات فقط، كما اقترح عليهما البعض ذلك. مونان ص ٥٦. (المترجم)

لسوسير، وبخاصة أن المرء كان في جنيف ذاتها قد اجتهد في جد في دراسة مخطوطات سوسير الأصلية وفي اختبار تناسب «الدروس» معها (أو لا شيء) (قارن مثلاً جودل Godel (١٩٥٧). وقد أتاحت التعارضات التي تظهر في النص وأوجه الغموض في القول، بناءً على ذلك أنه يمكن أن تستند عدة مدارس لغوية، لا يمكن حتى التوحيد بينها في المجالات الفرعية، إلى سوسير، لأن كلاً منها انتقى من النص بدقة ما طابق تصوراته الخاصة. وسيكون التحقق من وقوع ذلك ضمن غيره موضوع الفصل التالي.

لنعد بدايةً إلى «الدروس». فقد كان في البداية بلا شك ليس «أفضل المبيعات»، إذ إن عدد النسخ المباعة كانت في السنوات الأولى ضئيل للغاية. أما في نهاية العشرينيات فقد تغير ذلك. فقد نشأت مدارس لغوية عُنيت بالنظرية اللغوية ووصف اللغات المعاصرة، وتبنت «الدروس» نموذجاً لآرائها الخاصة أو تأكيداً لها.

٥٧ / وفي سنة ١٩٣١ ظهرت ترجمة ألمانية أعدها هرمان لومل H. Lommel وقد اضطلع بالطبعة الثانية التي ظهرت سنة ١٩٦٧، وكان على لومل لذلك أن يصوغ عدداً ضخماً من المصطلحات الألمانية التي قُبلت بسرعة شديدة، واشتغل بها أجيال من علماء اللغة. وتلى ذلك ترجمات إلى لغات أخرى، بدهي أنه قد نشرت أيضاً طبعة فرنسية جديدة، أضيفت إليها سلسلة من طبعات مشروحة[٨].

وتعد طبعة لومل في ترجمة العنوان أيضاً موفقة للغاية، فهو ليس ببساطة «دورة دراسية»، سلسلة محاضرات، بل قد عولجت فيه في الواقع «القضايا الأساسية» في علم اللغة العام، كل المجالات التي على علم اللغة أن يدرسها. وتعد بعض الفصول من الناحية النظرية أصعب من الأخرى، فليست كلها تتصف بالثورية revolutionär، وقد نسي ذلك أحياناً في النشوة الأولى حول ذلك الكتاب[*].

---

(٨) قارن حول ذلك في بيانات المراجع حول هذا الفصل وغيره انجلر Engler (١٩٦٨)، ودي مورو De Mauro (١٩٨٤).

(*) وصفه بنفنيست بأنه (يشمل مجموعة ملاحظات عبقرية، يتطلب بعضها تفسيراً، ولا يزال بعضها الآخر يثير الجدل). (المترجم)

٣-٤-١ موضوع علم اللغة العام:

ثنائيات سوسير

أبرز فردينان دى سوسير فى مقدمة «الدروس» أنه توجد مهمة أساسية لكل علم، يجب أن تحد وأن تعرف هى ذاتها. وبالنسبة لعلم اللغة فإن ذلك مهم بوجه خاص لأن كثيراً من العلوم من جهة تعنى بالإنسان، ومن ثم باللغة الإنسانية أيضاً، ومن جهة أخرى قد بيّن الماضى أيضاً أن علم اللغة فى خطر أن تمتصه علوم أخرى (وبخاصة علم النفس وعلم الفلسفة). إنه يوافق على الاحتكاك بتلك العلوم المجاورة، غير أن علم اللغة يجب أن يبدأ من مواقع علم مستقل، ويتبع ذلك أن يحدد موضوعاً خاصاً وأن يطور مناهج خاصة لبحثه.

وحتى يعثر على هذا الموضوع اختبر سوسير بوصفه ممتحناً اللغة Langage (الكلام الإنسانى) واللغة المعينة Langue (اللسان) والكلام parole (التحدث). ويحد هذه المفاهيم بعضها عن بعض على النحو التالى:

الكلام الإنسانى، ككل، له أشكال كثيرة وغير متشابه، تابع لمجالات مختلفة، فهو فيزيائى ونفسى وفسيولوجى فى الوقت ذاته، ويتبع فضلاً عن ذلك المجال الفردى والمجال الاجتماعى، /ولا ينتظم فى فصيلة من العلاقات الإنسانية لأن المرء لا يعرف كيف اشتقت وحدته (١٩٦٧، ١١).

٥٨

ولذلك لا يمكن أن تكون اللغة، *الكلام الإنسانى*، موضوع علم اللغة، لأنه يجب أن يشترك فيه كل العلوم العقلية وعلم وظائف الأعضاء. ويعقد سوسير مقارنة، وهى أن أعضاء الكلام علاقتها بالكلام ضئيلة مثل الأجهزة الكهربائية، تلك التى تستخدم فى إيصال الغيابة موريس، فلها علاقة بهذه الألفبائية.

أما اللغة المعينة Langue (اللسان) على العكس من ذلك فهى ليست إلا جزءاً معيناً، جوهرياً حقيقةً منه، كُلٌ فى ذاته وأساس للتصنيف، وفى اللحظة التى نقر لها فيها بالمكانة الأولى بين حقائق الكلام الإنسانى، تأتى بنظام طبيعى فى مجموع لا يجيز أى تصنيف آخر. (١٩٦٧، ١١).

ويجمل سوسير السمات المميزة للغة المعينة في أربعة نقاط (قارن ١٩٦٧، ١٧/١٨)(*):

١ ـ اللغة المعينة جزء اجتماعي من الكلام الإنساني ومستقل عن الفرد الذي لا يمكن أن يخلقها ولا أن يغيرها لنفسه وحده؛ فهي تنشأ على أساس نوع من الاتفاق بين أعضاء الجماعة.

٢ ـ اللغة المعينة يمكن أن تبحث مستقلة عن الكلام، قارن ما تسمى «اللغات الميتة» التي لم تعد تُتحدث، ولكنها تُبحث وتُعلَّم.

٣ ـ اللغة المعينة حسب طبيعتها متجانسة في ذاتها، نظام من العلامات، كلا جانبيه نفسي (انظر ما يلي ٣ـ٤ـ٢).

٤ ـ كل ما يتعلق باللغة يمكن تحديده، وأداة ذلك الكتابة.

هل اللغة المعينة الآن هي موضوع علم اللغة أم الكلام؟ هنا نتعرض للثنائية الأولى من ثنائيات دي سوسير:

اللغة المعينة في مقابل الكلام

اللغة المعينة اجتماعية (فقط ما يهم الجماعة يدرج في اللغة)، فهي تستوعب ما هو جوهري، وتسمى من خلال معايير ثابتة إلى الثبات وتوجهها قواعد، وهكذا: فاللغة المعينة هي شكل.

الكلام هو الحديث الفعلي، فردي، يستوعب ما هو عارض بدرجة أقل أو أكثر، ويسعى إلى الدينامية، ويجيز نشوء القياسات، وهكذا: فالكلام مادة.

ونجمل ذلك بكلام دي سوسير:

(*) ينقل مونان عن الجلمر أن مذهب سوسور يقوم على مجموعة من التقسيمات نُسبت إلى «هوس التقسيم» لديه. وإذا كان سوسور مهووساً حقاً فقد وعى تماماً هذا الهوس، إذ كتب يقول: «تقسم اللغة إلى خمس أو ست ثنائيات أو أزواج من القضايا». انظر تفصيل هذه الثنائيات في كتاب مونان: علم اللغة في القرن العشرين من ص ٤٩ حتى ٥١.

المترجم

/ فى الوقت تُفصل فيه اللغة المعينة عن الكلام فإنه يُفصل:

١ ــ ما هو اجتماعى عما هو فـردى، و٢ــ ما هو جوهرى عما هو إضافى وما هو عارض بدرجة أكثر أو أقل. (١٩٦٧، ١٦).

وتتضح العلاقات المذكورة تحت ٣ ــ ٢ بعلم اجـتماع دوركايم فى الفقرات التالية حول اللغة المعينة إلى حد التطابق الحرفى، قارن(*):

* دوركـايم: تسكن الحقـائق الاجـتمـاعيـة فى المجتـمع ذاته، وليس فى أجزائه، أعضاء المجتمع، ولا يتضح الناتج الاجتماعى كاملاً لدى أى فرد مفرد.

سوسير: اللغة المعينة لا توجد كاملة إلا فى الجماعة.

* دوركايم: الحقائق الاجتماعية ملزمة للفرد.

سوسير: اللغة المعينة نتاج، لا يتملكه الفرد إلا بصورة سلبية، وهى ملزمة للفرد الذى لا يستطيع أن يوجدها ولا أن يغيرها من نفســه.

* دوركايم: يجب أن يبحث التفكير الجمعى «فى ذاته ومن أجل ذاته».

سوسير: يجب أن تبحث اللغة المعينة «فى ذاتها ومن أجل ذاتها »

in sich und für sich selbst.

(نقلاً عن كوزريو ١٩٥٧/ ١٩٧١).

موضوع علم *اللغة* بالنسبة لـسوسير هو اللغة المعينة (اللســان) وحدها، فهى فقـط بالنسـبـة له لها بنيـة، أى أنها كلٌ يتكون من أجـزاء متـرابطة به ترابطاً غـير مستقل.

(*) أشار مونان إلى علاقة أخرى تحتاج إلى وقفة أيضاً، حين قال فى كـتابه ص٤٩: كما بين الباحث الشاب جـان مولينو Jean Molino أن ما اسـتقـاه هذا المذهب من اقـتصاد فـالراس (Walras) السياسى الكلاسيكى السـويسرى كان أكثر مما يتوقع.

(المترجم)

لاحظ سوسير بوجه عام علاقة التبادل بين اللغة المعينة والكلام: فكل فرد يجب عند **الكلام** أن يتبع قواعد اللغة **القائمة** حتى يصير مفهوماً. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكلام وحده هو الواقعي وعبر الكلام فقط يمكن أن تدرس اللغة المعينة. وهكذا فقط يمكن أن يقدم التغير اللغوى وما إلى ذلك، ولكنه ينكر على الكلام مع ذلك أن يكون منظماً، ولذلك يستبعد الكلام من مجال موضوع علم اللغة. فى ٣ ـ ٥ يتناول النقد الموضوع بشكل منطقى المُوجَّه إلى تعريف سوسير لهذه الثنائية.

أما الثنائية الثانية ***التزامن فى مقابل التعاقب*** فهى لم تُنشأ فى اللغة المعينة ذاتها، بل إنها تختص بالتناول المنهجي لعالم اللغة لموضوعه. فهو يبنى نظاماً إحداثياً (تناظرياً)(*) ذا محورين التزامن (Synchronie) والتعاقب (Diachronie)، ويتحرك إذن فى بحوثه فى إطار هذا النظام الإحداثى.

وهكذا فالتزامن والتعاقب ليسا منهجين، بل هما إجراءان عامان، يتحدد من خلالهما اختيار مناهج معينة. وكان علم اللغة التاريخى ـ المقارن قبل سوسير قد بحث التعاقب وحده (قارن الفصل الأول حول مدرسة النحاة الجدد، وبخاصة (١ـ٢ـ٢))، وعلى العكس من ذلك فإنه لا يوجد بالنسبة لمتكلم لغة ما/ إلا تزامن الصيغ فى حالة لغوية معينة. وحل سوسير الاختلاف بين كليهما لصالح علم اللغة التزامنى (الوصفى)(٩)، حيث يُبحث كل حال لغوية دائماً تزامنياً. وفى ذلك تجرى خطوة إلزامية ـ كما يدرك هو نفسه أيضاً ـ (لاحظ: تلك الخطوة يمكن أن تستعمل فى الماضى أيضاً، أى مثلاً لما يخص القرن السادس عشر، وليس الحاضر فقط، ويكون ذلك أيضاً إجراء تزامنى). وقد أنكر سوسير على التعاقبى أى التاريخى، الالتزام بنظام، فقد رأى فى الظواهر التعاقبية تراكماً من حالات خاصة دون ترابط داخلى، يجب على المرء أن ينشئه أولاً، قارن: ٦٠

(*) يتكون مصطلح Koordinatensystem من كلمتين: System وتعنى نظاماً و Koordinaten وتعنى فى الرياضيات «إحداثيات»، أو التنظير: المتساوى مع غيره فى الرتبة والأهمية. (المترجم)

(٩) يعد المصطلحات synchron و synchronisch (وصفى) مترادفين، كلاهما مستعمل.

الظواهر التعاقبية إذن مجرد حالات خاصة؛ فقد حدث التغير فى نظام ما بتأثير وقائع ليست غريبة عليه فقط، بل منعزلة أيضاً، ولا تؤسس فيما بينها نظام (١٩٦٧/١١٣)

وحول تفسير آخر لهذه الثنائية قارن الفصل الخاص بحلقة لغويى براغ.

لقد طالب ف. دى سوسير حقاً بفصل صارم بين نظرة تزامنية ونظرة تعاقبية فى أثناء البحث، غير أنه قد لفت النظر إلى أنه:

حتى لو أُقرت الاختلافات المطروحة هنا هذه المرة، فإنه ربما يمكن للمرء ألا يطالب باسم هذا النموذج بأن تنحو البحوث نحوه بدقة شديدة. (١٩٦٧، ١١٨).

ويلاحظ من الآن فصاعداً أن كل التغيرات اللغوية تُحد من الناحيتين الزمنية والمكانية، فلا يوجد زمن عام Panchronie.

فى علم اللغة توجد قواعد، كما هى الحال فى لعبة الشطرنج، تبقى كل الوقائع، ولكن تلك حقائق أساسية عامة تسرى مستقلة عن حقائق معينة؛ وعلى نحو ما يتحدث عن علاقات خاصة ومدركة لا توجد نظرة زمنية عامة، ولذا فإن كل تغير صوتى، وإن امتد امتداداً كبيراً، محدد بزمان معين ومنطقة معينة، فلا يجرى أى تغير في كل زمان وكل مكان، إنه لا يوجد إلا فى المجال التعاقبى. (١٩٦٧، ١١٣).

وتُقابِل الثنائية التالية بين ***النطاق الداخلى والنطاق الخارجى*** لعلم اللغة. ويشمل النطاق الداخلى النواة، النظام الداخلى للغة، النظام اللغوى. هذا بالنسبة لسوسير موضوع علم اللغة، كما وصفنا من قبل. أما النطاق الخارجى فيشمل كل العلاقات بالعلوم الأخرى ومجالات الحياة،

٦١ / أى: البحث اللهجى، والعلاقات بتاريخ حاملى اللغة وثقافتهم بما فيها الأدب وما إلى ذلك. ويتجاور كلا النطاقين دون واسطة ويتطلب مناهج متباينة.

أفضل دليل على ذلك أن كل نظرة من النظرتين تجلب معها منهجاً غير الآخر. فعلم اللغة الظاهرى يمكنه أن يحشد كميات ضخمة من التفصيلات دون

أن توضع فى شبكة نظام ما [...] حين تُرَتَّب الحقائق على نحو منظم بدرجة أكثر أو أقل، وهكذا فإن ذلك يخدم فقط النظرة الشاملة.

وعلى العكس من ذلك فإنه يُسلك مسلك مغاير تماماً مع علم اللغة الداخلى: إذ لا يستطيع المرء أن يستخدم أية خطة عشوائية؛ فاللغة نظام لا يجيز إلا نسقه الخاص. (١٩٦٧، ٢٧).

نقل سوسير، الذى أوردَ بشكل غالب وأثير مقارنات بين اللغة ولعبة الشطرنج، كلا المجالين إلى لعبة الشطرنج على النحو التالى: يتبع المجال الظاهر أنها جاءت من الشرق إلى أوربا، وأن القطع تصنع من مواد متباينة (من العاج واليشم والخشب والعجين وغير ذلك) ويمكن أن تكون ذات أشكال شديدة التباين (من التقليدى إلى التجريدى). أما ما يتبع المجال الداخلى فهو عدد القطع وإمكان اختلاف بعضها عن بعض وقواعد اللعبة. وهكذا فالمحورى بالنسبة للغة مثل الشطرنج المجال الداخلى.

وفى الواقع عنى سوسير نفسه عناية أشد مما يفترض خالفوه بالمجال الظاهر أيضاً، وأكد علاقات التبادل بين كلا المجالين، وهكذا فقد علل مثلاً البنية الركامية للنظام اللغوى الليتوانى بالوثنية التى حوفظ عليها طويلاً فى ليتوانيا، وانعزال حاملى اللغة الناتج عن ذلك.

ويوجه البناء الداخلى للغة من خلال نمطين من العلاقات التى تكون أساس الثنائية الأخيرة المتحدث عنها هنا: علاقات ترابطية (= جدولية) وعلاقات ترتيب (= تركيبية). وتختص العلاقات الجدولية بعلاقة العناصر اللغوية بعضها ببعض داخل النظام اللغوى، والعلاقات التركيبية، نتيجة الأفقية الحتمية للغة، تحدد تآلف العناصر فى أشكال وجمل معقدة، قارن:

توجد العلاقة التركيبية أو علاقة الترتيب حضورياً in praesentia فهى ترتكز على عنصرين أو أكثر موجودين متجاورين فى سلسلة قائمة. وعلى النقيض من ذلك تربط العلاقة الجدولية العناصر غيابياً in absentia فى تسلسل محتمل من الذاكرة (١٩٦٧، ١٤٨).

يريد سوسير التقسيم إلى علم الأصوات، وعلم الصيغ والنحو وبحث الثروة اللغوية بهذين النمطين. وقد كانت العلاقات الجدولية (الصرفية) بالنسبة له محددةً، لأن أوجه الربط التركيبية الممكنة تقدم من خلال التبعية لجدول ما في الوقت نفسه أيضاً. وتعزى تلك الأخيرة لديه، لأنها في هذا التفسير/ ليست منظمة بشكل مستقل، إلى الكلام (parole)[١٠]. ويعني ذلك أن القسم الأكبر من النحو يستبعد لدى سوسير من النظام اللغوى.

٦٢

٣ـ٤ـ٢ اللغة نظام للعلامات

يجب أن تسبق هذا المبحث ملحوظة تمهيدية:

العلامة في أوسع معانيها هي حاملة لمعلومة، ونحن نتحدث بدقة عن علامة حين تستخدم إشارة فيزيائية ــ يمكن أن تكون سمعية، أو كهربائية أو أفقية أو مسطحة أو غير ذلك ــ لنقل خبر. وبهذا المعنى تكون العلامات أعواد نقش للشعوب البدائية، إشارات الطبل، وإشارات الأعلام والإذاعة، وإشارات المرور والحركات ولغات الحيوانات والإنسان؛ لم يُذكر إلا بعض منها. ويجب أن يفرق بين العلامات والأمارات Anzeichen (توصف في الغالب بأنها رموز): فالعلامات تؤشر إلى شيء، أما الرموز فهي أمارات على شيء (فالدخان أمارة على النار، والميزان أمارة على العدل... إلخ).

وبهذا الفهم تكون العلامات معروفة منذ مدة طويلة، وقد كان معروفاً أيضاً أن العلامات اللغوية هي ربط بين تصور وصورة صوتية. فإن لم يكن فردينان دى سوسير بذلك مؤسس علم العلامات اللغوية، فإنه من جانب آخر هو ذلك الذى نهض بكل المفاهيم الحالية للعلامات في تأليف معين إلى مستوى أعلى، والذى رتب العلامات في ***أنظمة علاماتية*** Zeichensystemen، والذى حدَّد خواص العلامة اللغوية، والذى بحث العلاقات بين لغات إنسانية طبيعية وأنظمة علاماتية أخرى. وتوجز الآن تفسيراته حول ذلك في هيئة فرضيات، ينبغى أن تبين أهم الأفكار بشكل مفهوم للغاية، ولذلك لا يمكن تجنب أشكال التبسيط في عدة مواضع. وينبغى حتماً للتعميق أن تستخدم المراجع الواردة تحت ٣ ــ ٦.

---

(١٠) تستثنى من ذلك استعمالات ثابتة ينظر إليها على أنها وحدات.

١ ــ العلامة اللغوية بالنسبة لسوسير هي كُلٌّ، يتكون من تصور وصورة صوتية؛ يستخدم المصطلحين "signifié - signfiant" (المدلول ــ الدال)[11] وكلا جانبي العلامة غير منفصم، مرتبط كل منهما بالآخر، ويستلزم كل منهما الآخر؛ في صورة أن:

اللغة يمكن أن تقارن بسطحي الورقة: التفكير هو الجانب الأمامي لها والصوت هو الجانب الخلفي. ولا يستطيع المرء أن يقطع الجانب الأمامي دون أن يقطع الجانب الخلفي في الوقت نفسه، وكذلك لا يستطيع المرء في اللغة أن يفصل الصوت عن الفكرة، ولا الفكرة عن الصوت (١٩٦٧، ١٣٤).

٦٣ / كلا الجانبين نفسي، والدال أيضاً، الصورة الصوتية، ليس صوتاً (مركباً صوتياً) واقعياً، بل يرتكز على تجريد من أصوات (مركبات صوتية) واقعية كثيرة، لها كلها العلاقة ذاتها بمدلول، تصور. قارن: الصورتية الصوتية:

[. . .] ليست الصوت الفعلي الذي هو ليس إلا شيئاً فيزيائياً، بل إن الانطباع النفسي لهذا الصوت، قد جعل ذلك على أساس أوجه إدراكنا الحسي حاضراً؛ فهو حسي، وحين نطلق عليه أحياناً صفة «مادي» فإنه يقصد بذلك أيضاً ما هو حسي، وذلك على النقيض من العنصر الآخر لربط التداعي، أي التصور، الذي هو أكثر تجريداً (١٩٦٧، ٧٧).

٢ ــ تنتظم العلامة اللغوية داخل ***الأنظمة العلاماتية***، التي تترابط فيها العلامات المفردة ترابطاً منظماً، فقيمتها ("valeur" انظر ما يلي ٣ــ٤ــ٣) لا تتحصل إلا في ربطها بالعلامات الأخرى للنظام ذاته.

ويبرز من ثنائية اللغة المعينة في مقابل الكلام (انظر ما سبق ٣ــ٤ــ١) أن سوسير لا يرى نظام العلامات إلا في اللغة المعينة وحدها، إذ إنه ينكر على الكلام النظامية. وهكذا تعمل أنظمة علاماتية أخرى مثل النظام اللغوي. ولذلك يطالب بتطوير علم لأنظمة العلامات لا يكون فيه الكلام الإنساني إلا موضوعاً للبحث

(١١) وهكذا فإن سوسير لا يسوي بين الصورة الصوتية والعلامة، بل إن الصورة الصوتية ليست إلا جزءاً من العلامة

إلى جانب أنظمة علاماتية أخرى (انظر ما سبق)[١٢]. وقد اقترح اسماً لهذا العلم هو علم العلامات "Semeologie"[١٣]؛ هذا العلم قد أنشىء في قرننا، وأُعِدَّ لمجال تطبيق واسع، ولكن تحت اسم "Semiotik".

٣ ــ وصف سوسير العلامة اللغوية ***بالاعتباطية*** Arbitrarität ***والأفقية*** Linearität باعتبارهما خاصيتين أساسيتين. فقد كانت الأخيرة في بادئ الأمر غير إشكالية ــ فالعلامات تنطق أفقية، متجاورة[١٤]. أما الأولى فتتطلب بعض تروٍ وتدبر. ***فاعتباطي*** Arbiträr تعني في هذا السياق أن الربط بين التصور والصورة الصوتية ليس سببياً؛ مثال ذلك: لا يوجد أى تعليل لأن توصف الشجرة Baum بنبات ذى خواص نباتية محددة للغاية ــ أوضح إشارة إلى ذلك التعليل الخاطىء هو وجود لغات كثيرة بدلاً من واحدة، فهذا النبات يسمى في اللاتينية arbor وفي الانجليزية tree. ولذلك يتحدث بدلاً من الربط السببي عن ***علاقة إلحاق*** Zuordnungsrelation . ومن جهة أخرى: ينبغي أن تتجنب الترجمة المقترحة كذلك الوصفَ "beliebig" (أى اختيارية)، /٦٤ لأن العلاقة العلاماتية ليست ***على هوى*** كل فرد، إذ لا يجوز له أن يختار العلامات ***كيفما شاء***، بل يجب أن يستخدم ما هي موجودة من قبل إذا ما أراد أن يُفهم، قارن:

تتطلب كلمة «***كيفما اتفق***» معها ملاحظة، فلا ينبغي أن تثير التصور وكأن التسمية تتوقف على الاختيار الحر للشخص المتكلم (سوف نرى فيما يلي أنه ليس في مقدرة الفرد أن يغير أى شيء في العلامة المستعملة فيما مضى لدى جماعة لغوية)، ويعنى ذلك أنها ***لا تبعث على شيء***، أى أنها «***كيفما اتفق***» في علاقتها بالمدلول الذى ليست له بها في الواقع أية تبعية طبيعية (١٩٦٧، ٨٠).

---

(١٢) ربما كانت لها في الحقيقة خاصية أخرى في مقابل كل أنظمة العلامات الأخرى: وهى عالميتها، أى إمكانية استخدامها العالمي في مقابل إمكانية الاستخدام المحدودة لأنظمة العلامات الأخرى، لأغراض خاصة بها.

(١٣) مشتق من الكلمة اليونانية semeion، أى علامة.

(١٤) في المدارس اللاحقة فقط قسمت العلامات إلى عناصر أصغر، لم تعد تتابع تتابعاً أفقياً بل تتنج متزامنة.

وعلى الرغم من أن سوسير قد رأى ذلك التحديد من خلال الجماعة اللغوية وفيها بوجه عام فقد وضع الباعثية Motiviertheit قطباً مقابلاً للاعتباطية(*) ومع العلامات المحفزة توجد علاقة سببية بين الدال والمدلول، ويفكر المرء عند ذلك بادئ الأمر فى الأصوات المحاكية Onomatopoetika («كوكوك، وكواك»)، غير أنها لا تؤدى هنا إلا دور هامشياً فى النظام اللغوى. وفى الواقع الباعثية ظاهرة مختلفة: فالمركبات (Schreibtisch منضدة كتابة «مكتب») محفزة بالنسبة لمفردات مثل (Tisch)، وبوجه عام يُسهم بناء مطرد للمفردات والصيغ أيضاً فى التحفيز لعلامات لغوية. ولذلك ينبغى أن تعد محفزة أكثر من كونها معياراً، ثم قطباً آخراً. ولكن ذلك يجعل هذا المفهوم غير كفء أيضاً لكى يمكن استعماله قطباً مقابلاً لـ «اعتباطى».

٤ ـ يجب أخيراً لوصف العلامة اللغوية أن يضاف أن سوسير يعدها مفهومة وغير مفهومة، فى الوقت نفسه. وهى **غير مفهومة** unverstandlich بمعنى أن اللغة هى دائماً إرث مرحلة ماضية، واقعة يجب أ ن تخضع للفرد:

فى الحقيقة لا تعرف أية جماعة اللغة على نحو مغاير لأن تكون نتاجاً موروثاً من أجيال أسبق، وكان على المرء أن يتقبل ذلك كما كان [...] فالحال المعطاة للغة ما هى دائماً نتاج عوامل تاريخية، وتقدم هذه العوامل تفسير لماذا لا تعد العلامة مفهومة، أى تقاوم كل استبدال عشوائى (١٩٦٧، ٨٤).

وهى مفهومة verständlich من خلال ربطها بكم متكلم وزمن مستمر. فلو كان البشر أحياء إلى الأبد والزمن متوقفاً، لربما لم يوجد أى تغير. التغير، التحول اللغوى يمكن أن يقع على نحو مختلف للغاية، ولكن:

(*) تُرجم هذا المصطلح Arbitrarität إلى اعتباطية وجزافية وعشوائية... وقد اخترت الأول من بين هذه المترادفات، والصفة منه arbiträr اعتباطى وجزافى وعشوائى، وأوافق المؤلفة على استعمال الوصف اللاتينى دون المقابل الألمانى beliebig لعدم دقته، وإثارته معانى أخرى لا علاقة لها بالمصطلح الأصل. (المترجم)

ما يجعل عوامل التغير ممكنة دائماً أيضاً سواء أعملت مفردة أو مترابطة، أنها تؤدى دائماً إلى ***اختلاف في العلاقة بين المدلول والعلامة***. (١٨٦٧، ٨٨).

٣ـ٤ـ٣ «القيمة» اللغوية (valeur)

تؤدى قيمة العلامة اللغوية دوراً محورياً في نظرية سوسير اللغوية. فهو يؤكد فكره عن النظام، ويجعل عيوب/ المنهج الذرى للنحاة الجدد أكثر وضوحاً. ولا تستوى القيمة ودلالة العلامة اللغوية، إنهما مشروطة من الناحية اللغوية الداخلية وتشمل الحد بين كل العلامات اللغوية الأخرى في النظام ذاته[*]. وهكذا فإن قيمة الجمع مثلاً تتوقف على ما إذا كان يوجد في ذلك النظام اللغوى مفرد أيضاً أو مفرد ومثنى أو حتى أعداد أخرى. ولذا فإن الجمع له في أنظمة لغوية متباينة (في الألمانية لا يوجد مثنى وفي السنسكريتية يوجد مثنى في نظام العدد) قيمة متباينة لأن المرء لا يمكنه أن يستعمله باستمرار في الحال ذاتها. قارن أيضاً:

٦٥

فالكلمة الفرنسية mouton[١٥] (خروف، لحم ضأن) يمكن أن يكون لها المعنى ذاته لكلمة sheep الانجليزية، ولكن ليس لها القيمة ذاتها، وذلك لأسباب عدة، ولاسيما حين يكون الكلام عن قطعة من اللحم، تعد وتوضع على المنضدة، فإن ذلك يعني الكلمة الانجليزية mutton (لحم الضأن)، وليس sheep (خروف). ومن ثم فالفارق في القيمة بين sheep وmutton يرجع إلى أن للأولى عنصراً ثانياً إلى جواره، والحال ليست كذلك مع الكلمة الفرنسية. (١٩٦٧، ١٣٨) وبذلك تحد القيمة دائماً بشكل سلبي بأنها قيمة فارقة ـ فالعلامة إذن تحدد

---

(١٥) في الألمانية Hammel، المؤلفة.

(*) يشير موتان في معرض تناوله ثنائية تأثر بها هيلمسليف أيما تأثير إلى توفيق سوسير إذ يقول: ويؤكد سوسور في ثنائية أخرى، أجاد في عرضها واهتم بها هيلمسليف بشكل زائد عن الحد، أن اللغة شكل وليست جوهراً (Cours p. 157 -66)، وأن كل الوحدات التي تكون نظامها ذات قيمة تعارضية، أي أنها لا تعمل كرموز لغوية إلا من خلال ما يميزها عن بعضها. ص٥١. (المترجم)

بأنهـا تلك التى تكون مغـايرة عن العلامـات الأخرى ــ وعلى هذا النحـو تشكل القيمةُ الأساسَ لفرضية سوسير وهى أن المادة اللغوية المجرّدة تتقهقر خلف الشكل، وأن اللغة إذن شـكل وليسـت مادة، وأن مـوضوع علم اللغـة هو إذن الشكل، أى اللغة المعينة. ويتضح ذلـك على سبيل المثال بصفة خاصـة فى تعريفه للفونيم، إذ الفيصل معـه كذلك فصله أو إمكانية فصله عن كل الفونـيمات الأخرى فى النظام ذاته، وليس المادة الصوتية التى يتحقق من خلالها الفونيم.

٣ـ٥ تقويم نقدى: تأثير دى سوسير فى علم لغة القرن العشرين

سبق أن أشير إلى أن ناشرى «الدروس» لم يستطيعا أن يزيلا دائماً تناقضات نظرية بين الملحوظات على سلسلة المحاضرات المتوالية، مما أدى إلى عدم توازن فى العرض، أتاح مسـاحة واسعة لتفسـير علماء اللغـة المتباينين(*). ولذلك يجب أن يلاحظ دائمـاً عند التقويم النقدى المحدد فى هذا المبحث أن الأمر يتعلق بشكل صحيح بنظرية سجلت فى «الدروس». وهكذا لا يجب ــ والأمر كذلك أيضاً وفق وضع المخطوط ــ أن تكون فى الحقيـقة مقاصد سـوسيـر ذاتها أيضاً هى التى حكم عليها هنا.

/ ينبغى أن نلاحظ بشكل أدق وجهات النظر التالية:

٦٦

١ ــ أيا ما كـان الأمر أيضاً فقـد جاءت «الدروس» بعرض متـرابط لنظرية لغوية، على نحو ما لم يعرض أى كـتاب آخر فى ذلك الوقت، وبتلك المنطلقات النظرية والمنهـجيـة. ويجد المرء أيضـاً كثيـراً من الأفكار ذات الصلة فى مـقالات بودوان دى كورتينى خـاصـة (قارن الفصل الثـانى)، ولكن ليست فى تأليف لازم، ولا متاحـة من جهة المكان واللغـة بوجه عام. كمـا أن زمن نشر «الدروس» ليس

(*) ركز سيبى فى نقده لبـالى وسيشـهاى على المقاطع التى يحذر فيـها، تواضعـاً وأمانة، من الطابع «الناقص» للكتاب، ومن صعوبة الاختيـار بين الآراء المتضاربة أحياناً، والتـعاريف المتغايرة فى فكر إنسان « فى تجدد مستمر». (المترجم)

هامشياً أيضاً: فقد التقى مع تأخره ما يقرب من عشر سنوات حقيقة مع عصب العصر مباشرة، المناقشات البادئة حول تجديد علم اللغة.

٢ ــ كان من الأهمية بمكان بالنسبة لتحديد موضوع علم اللغة أن يكون له مجال بحث معرف بدقة ما أمكن ذلك ومحدد غاية التحديد. ولقد أوجده سوسير في الحد المجرى بالتفصيل بين اللغة الإنسانية ــ واللغة المعينة ــ والكلام. ولم ير إلا بحث ***اللغة المعينة*** Langue وحدها، (قارن ما ورد تحت ٣ــ٤ــ١) لأن ***اللغة المعينة*** فقط كانت بالنسبة له نظاماً، بُنِيَ لذاته، وتحده وحدات وقواعد. وينتج عن ذلك تحديد آخر: فالحكم بنظرة تزامنية ونظرة تعاقبية لا طائل وراءه إطلاقاً إلا بالنسبة للغة المعينة، أي اللسان، إذ لا يمكن أن تطرح هذه المسألة إلا لبحث النظام اللغوي. أما الكلام parole فيحد بأنه فردي وثانوي. ويمكن أن تختار من نص «الدروس» بوضوح المعادلة التالية:

اللغة المعينة = اللغة الإنسانية ــ الكلام

هذه الحدة في معالجة العلاقات الواقعية مفهومة من جهة تاريخ العلم كما أنها توقعت نقداً: فقد كان النحاة الجدد قد عدوا اللغة من جهة تعريفها نشاطاً نفسياً فيزيائياً، وهو لغة كل فرد فقط، إذ لا توجد بالنسبة لهم لغة للجماعات حتى «الألمانية»، وحتى «الانجليزية» إلخ. وخلافاً لذلك عرض سوسير اللغة المعينة (اللسان) بوصفها المعيار اللغوي المشترك لجماعة، الذي يُعزى إليه كل الخواص الإيجابية التي سبق ذكرها. غير أنه قد أغفل في ذلك:

(أ) ليست اللغة وحدها نظاماً، ففي حال المتكلم المفرد، والواقعة اللغوية المعينة أيضاً يجب أن يوجد التزام بنظام، وهذه الأنظمة يجب أن تكون متساوية تقريباً لدى المتكلمين أو المستمعين الفرادى حين تقوم اللغة بوظيفة وسيلة الإفهام. ويعني ذلك أن الموضوع الأساسي للدراسات علم اللغة هو اللغة بمعنى اللغة المعينة، وأنها لا يجوز أن تكون الموضوع

الوحيد للدراسة. فوقائع الكلام أيضاً يجب أن تبحث. وفضلاً عن ذلك لا توجد اللغة ***في ذاتها***، بل لا يوجد دائماً إلا الكلام المحدد، ويمكن بطريق دراسته فقط النفاذ إلى اللغة.

٦٧ /(ب) عرفت مقارنة سوسير ***اللغة المعينة*** بسيمفونية ***والكلام*** بالعزف المحدد فيما بعد بأنها لم تكن موفقة. فإذا ما أقيمت هذه المقارنة بالموسيقى فالأكثر توفيقاً أن تقارن اللغة المعينة بالمعرفة التأليفية، أى لقواعد التى تنشأ وفقاً لها من جانب آخر تجزئة لحن معين وعزفه المحدد أيضاً. وبسبب هذا التحفظ تجاه مفاهيم سوسير أُدخل فيما بعد، وبخاصة فى النحو التوليدى، بدلاً من اللغة المعينة ـ الكلام، مفهوما «الكفاءة اللغوية Sprachkompetenz» ـ والاستعمال (=الأداء) اللغوى Sprachperformanz.

(جـ) كانت ***اللغة المعينة*** بالنسبة لسوسير مخزناً للعلامات التى تترابط بعضها ببعض من خلال علاقات جدولية، ثم تُقَدم من خلال الجدول التصريفى، وتترابط فى ترتيب نحوى وأفقى. وكان ذلك الربط بالنسبة لسوسير إنجازاً حراً إلى أبعد حد للفرد، ولذلك فهو يتبع الكلام. ومن ثم فقد أُخْرِج النحو من اللغة المعينة، وكذلك من علم اللغة. استعمالات ثابتة فقط، كانت محددة فى مخزن العلامات ككل، تبعت النظام اللغوى. ويعنى هذا أن سوسير لم يقر بأن بناء الجملة، وبوجه عام الضم فى وحدات نحوية هو عملية مُوَجَّهة بالقواعد، وفى الحقيقة توجهها قواعد تكريرية، وأن النحو لذلك بداهةً هو جزء من المجال المعروف لديه «بالنطاق الداخلى» ،ومن ثم فهو يتبع علم اللغة. لا يصل مدى المختصر المقدم هنا لتاريخ علم اللغة إلى ٰيلهلم فون هومبولت، ولذلك تستحيل فى هذا الموضع المقارنات بين النظريات اللغوية لكل من هومبولت وسوسير، ولما كان القارىء لا يستطيع أن يتمثلها، فيلزم أن تذكر «القدرة على الإبداع» Kreativität بوصفها

كلمة أساسية فقط: فاللغة لدى هومبولت *طاقة* energeia أيضاً، خلق دائم، وليست *أداة* ergon فقط، المخلوق «فهي تنشيء من أدوات نهائية استعمالاً «لا نهائي»، ولا تتجلى هذه القدرة على الإبداع في القدرة الفردية لمبدعي اللغة العباقرة فقط، بل في الاستخدام اليومي للغة، وبخاصة هنا في النحو. باختصار: يشكل أساس كل تلك الاعتبارات نظاماً للغة مثلما في اللغة المعينة، بل يجب أن يكون كل ما هو قاعدي في الاستعمال اللغوي كذلك موضوع علم اللغة.

٣ ــ يجب كذلك أن ينظر إلى تفسير سوسير لثنائية التزامن في مقابل التعاقب في السياق التاريخي العلمي (قارن ٣ـ٤ـ١) وفي الواقع يجب أن يلاحظ أن سوسير لم يطالب مطلقاً بالاشتغال فقط بعلم اللغة التزامني، كما يزعم باستمرار، فالمرء لا يستطيع حقيقة أن يستخلص ذلك حتى من «الدروس»، فهو يضم فصولاً منفصلة عن أهم مجالات/ التطور اللغوي(*)، وسوسير نفسه يطلق على علم لغة التطور بأنه مهم.

٦٨

وقد قامت المدارس اللاحقة في القرن العشرين بردود فعل متباينة أيضاً على هذه الثنائية. فقد مارست مدرسة براغ(**) من البداية بشكل غاية في الوضوح

(*) أي كما في ثنائيه: علينا أن ندرس اللغة من خلال وجهتي نظر متعارضتين: فإما أن ندرس حالة اللغة في وضع الثبات، في فترة محددة من الزمن، وهذه وظيفة علم اللغة الوظيفي، إذ يعالج مثلاً النموذج الصرفي:

Je suis, tu es, il est, nous sommes, vous etes, ils sont etc.

وإما أن ندرس تتابع حالات تاريخية، مع تطوراتها أو تغييراتها عبر تطور الزمن، وهذا مجال علم اللغة التاريخي الذي يشرح الانتقال من est-sonti في اللغة الهندية الأوربية إلى ist - sind في الألمانية وإلى est - sunt في اللاتينية، وإلى est - sont في اللغة الفرنسية إلخ. مونان ص ٥٠. (المترجم)

(**) كان للبراغيين دور كبير في ذيوع كتاب سوسير. ينقل مونان عن دو مورو ذلك ص٥٢: لو لم يهاجم البراغيون كتاب Cours عام ١٩٢٨ ــ ١٩٢٩، الذين اقتنعوا بأنهم يهاجمون نصاً مقدساً، لجهلهم بأن أحداً لم يكن يقرأ هذا الكتاب المنسي ــ لما قرأناه نحن اليوم. كما أننا لا نقرأ نورين Noreen أو مارتي Narty أو كروسزويسكي الذين اتبعوا بشكل دقة طرائق سوسور نفسها»، ويضيف دو مورو بأن «البراغيين (جاكوبسون وتروبتزكوي) قد أعاد كتاب Cours إلى التداول، كنص نظري أساسي. (المترجم)

اللغة التزامني وعلم اللغة التاريخي بصورة متوازية (قارن الفصل الرابع) . وعلى العكس من ذلك كان ذلك التساؤل بالنسبة للدنماركيين، الجلوسيماتية منفك الصلة؛ فقد مُثّلت هنا نظرية لغوية يمكن للمرء بالأحرى أن يُسكنها مجال الزمن العام (قارن الفصل الخامس وفيما سبق أيضاً تحت ٣ـ٤ـ١).

٤ ـ لب نظرية سوسير اللغوية هو فهم اللغة على أنها نظام علامات، نظام «كل عناصره متماسكة»، أي فيه يقتضي كل شيء الآخر بشكل متبادل، فيه كل عنصر يتحدد من خلال موقعه في الشبكة الكلية للعلاقات. وأكثر من ذلك تحصل كل علامة مفردة على «قيمتها» من خلال هذه الشبكة، من خلال حقيقة اختلافها عن كل العلامات الأخرى للنظام ذاته. وحين لا يفترق مرشحان محتملان للعلامة بعضهما عن بعض، ولا يكون لهما بهذا النحو قيمة محددة تحديداً سلبياً، فإنه لا توجد علامتان، بل تحقيقات لعلامة واحدة فقط.

غير أن العلامة المفردة ذاتها لها خصائص ايجابية أيضاً، ولاسيما خصيصة وجود ربط غير منفصم من مكونين من الدال (signifiant) والمدلول (signifié).

وقد صُوِّرت في المبحث ٣ـ٤ـ٢ وثاقة الربط بين المكونين في كمل واحد عن طريق مقارنة سوسير بصفحتي ورقة.

فالعلامة لدى سوسير إما اعتباطية وإما محفزة. خاصيتها الأساسية هي اعتباطيتها، عرفيتها Konventionaltät ـ لا تنشأ إلا من الاتفاق، وليس على أساس ارتباط سببي بين المكونين. حقاً لم ير سوسير أو لم يوضح أن الحالات التي يوجد فيها في الواقع تحفيز (تحفيز أساسي في الكلمات المحاكية للطبيعة، وثانوي في بناء منظم للكلمة والصيغ) لا تنفي الاعتباطية، بحيث لا يمكن أن يُشكل التحفيز إذن القطب المضاد للاعتباطية. ودون تعميق هذه الأفكار ينبغي أن يشار هنا إلى أنه لا يكون حافز قوي كهذا الإمكان الوحيد[١٧]. ولذلك يصحح علم اللغة

---

(١٧) سُمّي الوَقْوَق تبعاً لصياحه المميز، أي أنها محفزة، ولكن توجد أيضاً حوافز أخرى ربما كانت ممكنة، مثل حجمه الضخم، طريقة حياته الغريزية، عدم بنائه اعشاشاً، بل وضعه لبيضه في اعشاش غريبة، وترك صغاره ليربيها والدان ضيفان غير اختياريين.

ثنائية سوسير «الاعتباطية ـ الحافزية» إلى ثنائية تقابل التحديد الاجتماعى بالاعتباطية: فالعلامات اللغوية فقط، التى تقرها الجماعة اللغوية يمكن ويجوز/ ٦٩ أن يستخدمها المتكلمون الفرادى حين يلزم أن تؤدى اللغة وظيفتها، وهى أن تكون وسيلة للإفهام. من خلال ذلك فقط تقيد الاعتباطية، ولذلك لا يجوز أن يفهم اعتباطى بأنه «كيفما اتفق (لكل فرد)».

وبالنظر إلى علم سوسير عن أنظمة العلامات فإن علم لغة القرن العشرين قد تابعه بلا حدود على العكس مما سبق، إذ يوجد اليوم على محدد هو **علم *العلامات*** Semiotik، يُعنى بأنواع شديدة التباين لأنظمة العلامات ويبحث أوجه الاتفاق والفروق بينها. وفى إطار الجانب السيموطيقى ليست اللغة، وبشكل أدق اللغة التى نمت نمواً طبيعياً وتستخدمها جماعة إنسانية، إلا موضوع بحث من موضوعات كثيرة، ومن ثم فعلم اللغة فى إطار نظرية العلامات يعد مجالاً فرعياً لعلم العلامات. ولا تعنى السيموطقين كثيراً خصوصيات نظام العلامات، اللغة، على سبيل المثال عالميته، بل الخواص المشتركة مع أنظمة سيميوطيقية أخرى بوجه خاص.

٥ ـ لم يحقق نظام سوسير من علاقات جدولية ونحوية هدفه؛ وهو فصل مجالات العلم المحددة علم الأصوات ـ علم الصرف ـ علم المعاجم ـ النحو، ولكنه أثر فى علم لغة هذا القرن تأثيراً قوياً فى صورة العمليتين الأساسيتين التجزئة Segmentieren والتصنيف Klassifizieren؛ فهو يُجزأ بمراعاة العلاقات النحوية، ويُصنف على أساس العلاقات الجدولية. وقد تميّزت كل المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوى(١٨) بهاتين العمليتين الأساسيتين، ولذلك وسمت أيضاً بعلم اللغة التصنيفى(١٩).

---

(١٨) أى حلقة لغويى براغ، والبنيوية الدنماركية (الجلوسماتية) وعلم اللغة الوصفى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد استبعدت هنا «مدرسة جنيف» التى تبدو قريبة فى الظاهر لأسباب خاصة بتأريخ المناهج، لأنها مرتبطة بتفسير أفكار سوسير (الأصلية) ارتباطاً قوياً، وأجرت تطويراً مستمراً خاصاً لنظرية بشكل أكثر ضآلة من المدارس الأخرى.

(١٩) يرجع هذا المصطلح إلى ن. تشومسكى، قارن الفصل الثامن.

٦ ـ عند تقويم النظرية اللغوية لدى سوسير يجب كذلك أن يشار إلى أوجه العجز التالية فى هذه النظرية: فقد نظرت أولاً فى بناء النظام اللغوى، ولكنها لم تجر أى تحليل لنظام لغوى محدد، ونظرت ثانياً فى النظام اللغوى منعزلاً، ليس فقط عن كل الصلات بحامل اللغة، صاحبها، بل أيضاً دون مقارنة بأنظمة لغوية أخرى، أى دون جعل المقارنة اللغوية موضوعاً. ومع ذلك فكلا الأمرين لم يكونا متعمدين أيضاً، فربما كان الأمر مختصاً بتطبيق النظرية، وليس بالنظرية ذاتها، ومن ثم بعدم التقليل من كفاءة نظرية سوسير اللغوية. ـ وقامت المدارس اللاحقة بردود فعل متباينة على هذه النقطة؛/ فقد درستها من الناحية النظرية فقط (مثل الجلوسماتية) أو عنيت كذلك بتطبيقات النظرية (مثل حلقة براغ) أو حتى وضعت التطبيقات فى الصدارة (مثل علم اللغة الوصفى). ٧٠

ويمكن أن يُقال باختصار إن نظرية سوسير اللغوية قدمت بواعث فكرية إيجابية كافية، مثل أسباب الاحتكاك حتى يستطيع أن يؤثرعلم لغة العقود التالية تأثيراً شديداً. وسوف نبين فى الفصول التالية ـ متجاوزين الملحوظات الموجزة القائمة ـ مع التمثيل للاتجاهات المفردة، كيف تبنت فرضيات سوسير الأساسية أو عدلتها غير أنه على كل حال كان لها علاقة بها، فقد اتحدت كل هذه المدارس فى النظر إلى اللغة على أنها ظاهرة، تتجاوز مجموع كل الجمل، التى نتجت عرضاً عن مجموعة معينة من البشر. اللغة على الأرجح نظام بنيوى، كلٌ، لا يتكون من تراكم الجزئيات بل يبنى من عناصر تقع فى علاقة تبادل بعضها مع بعض، نظام «كل عناصره متماسكة» "où tout se tient" كما نصَّ سوسير.

٦-٣ ـ بيانات عن المراجع

R. Bastide (Hrsg., [2]1972): Sens et usage du terme structure dans les sciences humaines et sociales (Bedeutung und Gebrauch des Terminus Struktur in den Geistes- und Sozialwissenschaften). Den Haag/Paris.

E. Benveniste (1963): Saussure après un demi-siècle (Saussure, ein halbes Jahrhundert später). Wiederabdruck in: E. Benveniste 1966: Problèmes de linguistique générale I (Probleme der allgemeinen Sprachwissenschaft I). Paris.

E. Buyssens (1961): Origine de la linguistique synchronique de Saussure (Ursprung der synchronen Linguistik de Saussures). In: Cahiers Ferdinand de Saussure XVIII. Genf.

H.-H. Christmann (1972): Saussure und die Tradition der Sprachwissenschaft. In: Archiv für neuere Sprachen 208.

R. Conrad (1985): Zu den Beziehungen zwischen Arbitrarität und Motiviertheit in der Zeichenkonzeption Ferdinand de Saussures. In: Zeitschrift für Phonetik, Sprachwissenschaft und Kommunikationsforschung 38/2. Berlin.

E. Coseriu ([2]1971): Sprache, Strukturen und Funktionen, XII Aufsätze. Tübingen.

W. Doroszewski (1933): Quelques remarques sur les rapports de la sociologie et de la linguistique: Durkheim et F. de Saussure (Einige Bemerkungen über die Beziehungen zwischen Soziologie und Linguistik: Durkheim und Saussure). In: Journal de Psychologie normale et pathologique 30.

E. Durkheim (dt. 1899/1961): Regeln der soziologischen Methode (Autorisierte Übersetzung der 4. Auflage). Leipzig.

R. Engler (1967/68): Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, édition critique par Rudolf Engler. Wiesbaden.

R. Engler (1987): Die Verfasser des CLG. In: Geschichte der Sprachtheorie 1. Zur Theorie und Methode der Geschichtsschreibung der Linguistik, hrsg. von P. Schmitter. Tübingen.

R. Godel (1957): Les Sources manuscrites du Cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure (Die handschriftlichen Quellen der „Grundfragen der allgemeinen Sprachwissenschaft" von F. de Saussure). Genève/Paris.

R. Godel (1961/63): L'école saussurienne de Genève (Die Genfer Schule). In: Trends in European and American Linguistics. Utrecht/Antwerpen.

H. Happ (1985): '*paradigmatisch*' – '*syntagmatisch*'. Zur Bestimmung und Klärung zweier Grundbegriffe der Sprachwissenschaft. Heidelberg.

L. Jäger (1984): Ferdinand de Saussure. Genese, Rezeption und Aktualität seiner Sprachtheorie. In: Sprache und Literatur in Wissenschaft und Unterricht 54, 15. Jg., 2. Halbjahr.

E. F. K. Koerner (1973): Ferdinand de Saussure. Origin and Development of his Linguistic Thought in Western Studies of Language: A Contribution to the History and Theory of Linguistics. Braunschweig.

T. de Mauro (1984): Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, édition critique préparée par Tullio de Mauro. Paris.

F. de Saussure (1879): Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indoeuropéennes. Leipsick. (Denkschrift über das ursprüngliche Vokalsystem der indoeuropäischen Sprachen. Leipzig) [reprograph. Nachdruck der Leipziger Ausgabe: Hildesheim 1968].

F. de Saussure (1916): Cours de linguistique générale (hrsg. von Ch. Bally und A. Sechehaye unter Mitwirkung von A.Riedlinger). Genf. Deutsche Übersetzung: „Grundfragen der allgemeinen Sprachwissenschaft" (Übers. H. Lommel) 1931; [2]1967 mit neuem Register und einem Nachwort von P. v. Polenz. Berlin.

Th. M. Scheerer (1980): Ferdinand de Saussure: Rezeption und Kritik . Darmstadt.

A. Sechehaye (1927): L'école genevoise de linguistique générale. In: Indogermanische Forschungen 44.

W.-D. Stempel (1978): Gestalt, Ganzheit, Struktur. Aus Vor- und Frühgeschichte des Strukturalismus in Deutschland. Göttingen.

W. Streitberg (1914): Ferdinand de Saussure. In: Indogermanisches Jahrbuch II.

R. Wells (1947): De Saussures System of Linguistics. In: Word 1947 [Wiederabdruck in: M. Joos: Readings in Linguistics [4]1966. Chicago].

P. Wunderli (1974): Saussure und die Kreativität. In: Vox Romanica 33, 1-31. Bern.

٤ ـ حلقة لغويي براغ

٤ ـ ١ تأسيس حلقة «علم اللغة الوظيفي»، ومؤسسوها

٧٢

/ تعد حلقة لغويي براغ واحدة من المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوي، التي قامت في القرن العشرين مستندة بقوة إلى النظرية اللغوية المطورة في كتاب فرديناى دي سوسير «دروس في الألسنية العامة»[١]. وقد أسست بوصفها مؤسسة منذ ١٩٢٦، وأثرت في العشرينيات والثلاثينيات بوجه خاص في تطور علم اللغة في الإطار العالمي أيضاً. ومن مؤسسي الحلقة خاصة يلم ماتسيوس Vilém Mathesius ويوسف زوباتي Josef Zubatý وتلاميذهما بدرش ترنكا Bedřich Trnka وبهوسلاف هافرنك Bohuslav Hávránek، وفلاديمير شكاليتشكا Vladimír Skalička، بل ونيكولاي سرجييفتش تروبتسكوي Nikolaj Sergeevič Trubetzkoy ورومان ياكوبسون Roman Jakobson وسرجاي كرسيفسكي Sergej (Serge) Karcevski، وكذلك عالم النفس والمنظر اللغوي كارل بولر Karl Bühler ومنظر الأدب جان موكاروفسكي Jan Mukarovsky، لم يذكر هنا إلا أهمهم.

وترتكز خصوصية هذا الاتجاه ونجاحه الكبير في جزء جوهري منه على الاهتمامات العلمية المشتركة، بل والتكاملية أيضاً للغويين الذين اشتركوا في إنشاء حلقة براغ. هنا يجب أن تذكر بادئ الأمر مجموعة العلماء التشيك العاملين في براغ، وعقلها المدبِّر كان عالم الدراسات الانجليزية يلم ماتسيوس. فقد طالب ذلك العالم سنة ١٩١١ في محاضرة (ومع ذلك لم تنشر آنذاك إلا بالتشيكية) بالوصف التزامني للغة؛ أي قبل كتاب سوسير. ويدلل ذلك على أن ماتسيوس قد عرف على الأقل أعمال بودوان دي كورتيني المتعلقة بذلك، بل وربما أعمال لغويين

(١) في الفرنسية "Circle Linguistique de Prague" ويُستخدم هذا الاسم أيضاً في سلسلة النشر Travaux du Circle linquistique de Prague التي سيشار إليها كثيراً في ثنايا هذا الفصل.

آخرين أيضاً، انتقدوا التناول التعاقبي للنحاة الجدد، مثل أعمال عالم الدراسات الصينية في ليبزج هـ. ج. ك. فون درجابلنتس H. G. C. von Gabelentz. ــ وقد دافع عن هذه الآراء مثل ماتسيوس زميله البراغي يوسف زوباتي، عالم الدراسات الهندوجرمانية والبوهيمية. وقبل أن يتعرفوا هم وتلاميذهم إلى كتاب ف. دي سوسير «دروس في الألسنية العامة» الذي وجدوا فيه تأكيداً جلياً لتصوراتهم الخاصة، بل نقاطاً للنقد أيضاً، / ٧٣ وقد انضم إليهم ما سمي «بالجناح الروسي» تروبتسكوي وياكوبسون وكرسيفسكي الذي كانوا قد غادروا الاتحاد السوفيتي في بدء تأسيسه لأسباب متباينة. وينبغي في هذا المواضع بالنسبة للمعلومات عن السير العلمية لتروبتسكوي وياكوبسون أن يحال إلى مباحث متأخرة في هذا الفصل. أما هنا فتكفي الإشارة إلى أن تروبتسكوي عمل في فيينا وياكوبسون في برنو وبراغ. وكان كرسيفسكي بوصفه ديمقراطياً اجتماعياً قد هرب بعد ثورة ١٩٠٥ من روسيا إلى سويسرا. وتعرف في جنيف إلى نظرية دي سوسير اللغوية، وجعلنا حين رجع بعد ثورة فبراير ١٩١٧ إلى روسيا «جميعاً سوسيريين متحمسين».[٢]. وغادر كرسيفسكي روسيا من جديد بعد ثورة أكتوبر، وعاش حتى وفاته في جنيف. وهكذا فقد كانت براغ ــ فيينا ــ جنيف محطات تأثيرات «حلقة براغ»، ولكن بلا شك كانت براغ مركز المجموعة، هناك تكونت خصائصهم البارزة.

وبرز البراغيون للمرة الأولى عالمياً في مؤتمر اللغويين الأول في لاهاي Haag سنة ١٩٢٨، حيث اشتركوا في النقاش حول مناهج الوصف اللغوي، ولكن بعد كأشخاص فرادى. وكانت النتائج الحاسمة للاعتراف العالمي بأولئك العلماء بوصفهم مجموعة ذات تصورات مشتركة موحدة نسبياً حول مهام البحث اللغوي ومناهجه إذن مؤتمر الدراسات السلافية الأول سنة ١٩٢٩ في براغ، والمؤتمر الفونولوجي سنة ١٩٣١ في براغ أيضاً.

وحول مؤتمر الدراسات السلافية الأول ظهر المجلد الأول لسلسلة «أعمال حلقة براغ اللغوية» "TCLP"، نشر فيه ضمن غيره برنامج عمل هذه المجموعة،

---

(٢) من مقابلة مع رومان ياكوبسون.

«الفرضيات» انظر ما يلي تحت ٤ــ٣). وظهر في هذه السلسلة على وجه الإجمال ثمانية مجلدات، وهي حول الموضوعات التالية:

TCLP1 (١٩٢٩) : كتابات لغوية مختلطة. مخصصة لمؤتمر الدراسات السلافية الأول.

TCLP2 (١٩٢٩) : ' ملاحظات حول التطور الفونولوجي للروسية مقارنة باللغات السلافية الأخرى.

TCLP3 (١٩٣٠) : ب. ترنكا، حول نحو النقل الانجليزي من كاسكتون حتى دريدن.

TCLP4 / (١٩٣١): مؤتمر الفونولوجيا العالمي في براغ من ١٨ إلى ٢١/ ١٢/ ١٩٣٠. ٧٤

$TCLP5_1$ (أعلن عنه في ١٩٣٤، ولم يظهر): الوصف الفونولوجي للروسية الحديثة، الجزء الأول، ر. ياكوبسون: الفونولوجيا العامة للكلمة.

$TCLP5_2$ (١٩٣٤): الوصف الفونولوجي للروسية الحديثة، الجزء الثاني، ن. تروبتسكوي: النظام المورفو فونولوجي للغة الروسية.

$TCLP5_3$ (خطط له سنة ١٩٣٤، ولم يظهر): الوصف الفونولوجي للروسية الحديثة، الجزء الثالث؛ (الفونولوجيا التركيبية، والفونولوجيا والكتابة، فونولوجيا الشعر).

TCLP6 (١٩٣٦): دراسات مخصصة لمؤتمر اللغويين الرابع.

TCLP7 (١٩٣٩): ن. س. تروبتسكوي : أسس الفونولوجيا.

TCLP8 (١٩٣٩): دراسات فونولوجية مهداة لذكرى الأمير ن. س. تروبتسكوي.

وفي سنة ١٩٣٩ أوقفت هذه السلسلة ــ بسبب الأحداث السياسية وهجرة قسم من الأعضاء المرتبط بتلك الأحداث. ولذلك بدأ اللغويون التشيك نشر المجلة

المشهورة عـالمياً إلى يومنا هذا "Slovo a slovesnost" (الكلمة والأدب). وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ لغويو براغ مرة أخرى تقليد حلقتهم اللغوية: فقد اضْطُلِعَ أيضـاً بمحاولة مـواصلة سلسلة TCLP(أعمـال لغويي براغ اللغـوية) تحت عنوان «أعـمال لغـوية من براغ Travaux Linguistiques de Prague TLP» (بدءاً من سنة ١٩٦٤).

وقد عرفت حلـقة براغ أيضاً باسم «علم اللغة الوظيـفي»؛ وهو اسم لقبت المجموعة نفسـها به للإشارة إلى موقفهم المميز من موضوع علم اللغة ومهامه. ولا يفهم أعضاء هذه المجموعة الوظيفة Funktion بالمعنى الرياضي للعلاقة بين الدوال «الكيانات» Funktiven ـ على نحو ما استعمل ل. هيلمسليف هذا المفهوم، قارن الفصل الخامس ـ بل بالمعنى اللغوي العادي «له وظيفة/ له مـهمة». فاللغة بالنسبة للبـراغيـين وسـيلة إفـهام Verständigungsmittel، ويضم ذلك وسيلة الإفـهام والهدف، ويتسـاءل دائماً أيضـاً عن حاملي الخـاصية الموضـوعة في الاعتـبار (أية وظيفـة؟). / ودرس كارل بولر أقسـام الوظائف «العرض ـ التعـبير ـ الاستـدعاء (انظر ما يلي ٤ـ١) ثم استنبط ياكوبسـون وموكاروفسكي من وظيفة التعـبير وظيفة رابعة هي «الوظيفة الشعرية (الجمالية).

٧٥

وقد أُكِّد مراراً في عروض لغويي براغ ذاتها أن ما تختص به الحلقة هو علم لغة وظيفـي بنيوي أوضحه تعاون أعـضائها التشـيك والروس. وقد أدخل «الجناح الروسي» بقـوة الجانب البنيوي، و«الجناح التشيكي» ــ بالتعاون مع علـماء نفس الجشتالت ـ الجـانب الوظيفي. وعند ذلك نشأ في الحقيـقة اتجاه لغوي، وضع في القلب عند فهم النظرية الممثلة تساؤلات لصيقة بالتطبيق دائماً أيضاً.

٤ـ٢ تأثيرات من علم اللغة ومن العلوم المجاورة:

ج. بودوان دي كورتيني وف. دي سوسير، وعلم نفس الجشتالت

يلفت النظر في المجالات البـحثية للغـويي براغ المعالجة في المباحث التالية القـربُ الموضـوعي من بحـوث بودوان. فـمن الجـدير بالملاحظة أن كـلا جناحي المجموعة أسهم في ذلك، ولو بشروط متباينة أيضاً. وكان من الأسهل في العادة

بالنسبة لأعضاء الحلقة التشيك عما هو بالنسبة للأوروبيين الغربيين أن يتابعوا مقالات بودوان وكروتسفسكي المكتوبة بالروسية والبولندية. وثانياً يضاف إلى ذلك أيضاً اهتمام خاص تقدم تحديده بمجالات الموضوعات السابقة الذكر. فقد استند ف. ماتيوس في مطالبته بالبحث اللغوي التزامني إلى بودوان، وتبنى ب. هافرانك B. Havránek تعريفه للفونيم، وذكره ب. ترنكا نموذجاً لبحوث في قضايا مميزة للطبقات[٣]. وقد قوّى تغلب بودوان على أخطاء النحاة الجدد، أعضاء الحلقة التشيك في شكوكهم الخاصة في النموذج التاريخي المقارن للنحاة الجدد الذي كان ما يزال سائداً في وسط أوربا في مطلع القرن العشرين.

وقد جلب أعضاء الحلقة الروس بالإضافة إلى ذلك إرث - لبودوان ثم يُمس مطلقاً كلية في روسيا، حتى إن لم يكونوا طلاباً مباشرين له.

ويمكن أن يرجع الاتساع الثرى لمجالات البحث لدى البراغيين بقدر مثير للدهشة إلى بودوان، كما تبين مقارنة الموضوعات المذكورة في ٤ - ٣/ بمباحث الفصل الخاص ببودوان. وبتعبير مؤكد إلى حد ما: يمكن أخيراً أن يعثر المرء بالنسبة لكل المجالات التي عمل فيها البراغيون خاصة داخل المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوي، على مصادرها لدى بودوان.

٧٦

أما المصدر الثاني الحاسم لمدرسة براغ فكان بلا شك كتاب فردينان دي سوسير «دروس في الألسنية العامة» (قارن الفصل الثالث). وقد جلب الجناح الروسي معه معرفة تلك المسارات الفكرية الخاصة بالنظرية اللغوية - من خلال كارسيفسكي من روسيا، وتبنى ممثلوها التشيك عن رضىً «الدروس» أيضاً، وإن لم تتابع كلتا المجموعتين سوسير في كل أفكاره، وهو ما ينبغي أن يوضح بالتفصيل في الفصول الملائمة لذلك. وفي نظرية سوسير اقتنعت بالمطالبة ببحث لغوي تزامني وفهم اللغة على أنها نظام بُني لذاته، تترابط فيه أجزاؤه المفردة ترابطاً غير مستقل؛ نظام من العلامات له علاقة بأنظمة علاماتية أخرى.

---

(٣) قارن حول ذلك المباحث المطابقة في الفصل الثاني حول بودوان دي كورتيني.

وبناءً على ذلك قـد شُكِّل علم لغـة حلقـة براغ من خلال احـتكاكـه بعلم إنساني مـجاور هو علم النفـس. وبينما استند الـنحاة الجدد إلى علم نـفس المفرد لهربرت تأثر البراغيون باتجاه لعلم النفس اكـتـسـب أهمية في مطلع القرن العشرين، وبعبـارة أفضل: قويت تـصوراتهم الخاصة من خلال «علم نفس البنيـة الكلية أو الجشتالت». كـان مؤسسه هو كريـسـتان فون ايرنفلس Ch. von Ehrenfels الذي عمل في براغ من ١٨٩٦ حـتى ١٩٣٢، وكان قد نشر سنة ١٨٩٠ العـمل المبرمج «حول خواص البنيـة الكلية Über Gestaltqualitäten وعدت الكليات النفـسية نظاماً بنائيـاً، أبنية كلية تقـابل بالمعالجة الذرية لمضـامين الوعي. ويجب أن يلاحظ بالنـسبة للصلات بعلم اللغة ما كـتبه اللغوي الدنماركي فيجو بروندال V. Brondal سنة ١٩٣٩[٤]:

يمكن أن يقـال إنه في علم النفس أيضاً يقع مـفهوم الـبنية Struktur (في الألمانية Gestalt، وفي الانجليزية pattern) في قلب الاهتمام (١٩٣٩، ٦ ترجمة عن الفرنسية).

وقد وضع لغويون آخرون أيضاً مصطلح Gestalt الألماني ترجمة للمـصطلح الفرنسي Strukture، وهكذا يوجد من الناحيتين المفـهومية والاصطلاحية توازيات واضـحة بين العلمـين. ويدل على ذلك بشـكل مُلح اقتـباسـان من علمـاء نفس الجشتالت في فترة ما بين الحربين:

٧٧ / الأبنية الكلية Gestalten هي كليات لا يتحدد مـسلكها بسلك عناصرها الفردية، بل بالطبـيعة الداخليـة للكلية. (يـرتهايمر، نقـلاً عن كاتس ١٩٦٩[٤]، ١٠٣/ ١٠٤) وكذلك:

في سياق تكوين بنية كلية يتحدد الكل وأجزاؤه بصورة متبادلة:

فالأجزاء مـترابطة في الكل ترابطاً غير مـستقل، ولكنها تشكـل له تفرعه. (متّاي، نقلاً عن كاتس ١٩٦٩، ١٠٤).

---

(٤) في مجلة: Acta Linguistics 1939, 1/1 كوبنهاجن.

لقد ألف أعـضـاء حلقة براغ علم نفـس الجشتالت، على نحو مـا ينبغى أن تدلل على ذلك حقـيقتـان فقط: الأولى أن كـريـستان فـون ايزنفلس قد درّس فى براغ، ويؤكد ياكوبسـون أنه قد تعرف إليه فى ذلك الوقت، والثـانية أن كارل بولر K. Bühler (١٨٧٩ ـ ١٩٧٣) عـالم نفس الجشـتالت والـلغوى فى فـيينا حـتى هجرته إلى الولايات المتحـدة الامريكية كانت له صلة وثيقـة بحلقة براغ، بل كان كذلك عـضواً فى تأسـيسـها[٥]. ففى سنـة ١٩١٣ نشر بولر «الإدراكات الـكلية Gestaltwahrnehmungen»، وفى سنة ١٩٣٤ ظهـر كـتـابه ذو التـأثيـر النافـذ «النظرية اللغـوية Die Sprachtheorie». نموذج الأورجـانون للغـة[٦]. وتوجد أطروحاته الخاصة بعلم نفس الجشتالت فى الأعمال اللغوية للبراغيـين إلى حد النقل الحرفى. وتجدرُ أن يذكر هـنا وظائف الصوت لدى ن. س. تروبتسكوى (انظر فى تناوله للفونولوجيا)، وإدخال تروبتسكوى مفهوم الفونيم الذى يُورد هنا على سبيل التمثيل، إذ إنه قد تقدم التناول الخاص:

لا يجوز للمـرء أن يتصور الفـونيمات على أنهـا أشبه بلبنات تتـركب منها الكلمـات المفـردة، بل إن كل كلمـة هى كل صـوتى eine Gestalt، ويدركـها الـسـامعون أيضاً بوصـفها كلاً، على نحو ما يتعرف المرء إنسـاناً معروفاً فى الطريق من شكله (هيئـته) الكلى تماماً. غير أن تعـرف الأشكال الكلية يشترط انفـصالها، ولا يكون ذلك ممكناً إلا حين تفـترق الأشكال الكلية المفردة بعـضها عن بعض من خلال سـمات مـحددة. وهكذا فـالفونيـمات ***سمات فارقة*** للأشكال الكلية للمفردات Unterscheidungsmerkmale [...]. فكل كلمة بوصفـها بنية كلية تتضمن باستمرار ما يزيد على مجموع عناصرها (= الفونيمات) وبخاصة مثل ذلك الأساس الـكلى الذى يحافظ على السلـسلة الفونيـميـة، ويمنح الكلمة تفـردها. (١٩٨٩، ٣٤/ ٣٥).

---

(٥) كما توضح صورة فى تلك المناسبة.

(٦) يعالج فيه أيضـاً وظائفه الثلاثة للغة «العرض ـ والتعبير ـ والمناشدة» وتتعلق وظيـفة العرض بحال الشىء ووظيفة التعبير بالمتكلم ووظيف المناشدة «الاستدعاء» بالسامع.

ويصعب هنا أن تُفَصَّل البحوث الخاصة بعلم نفس الجشتالت التي استؤنفت بعد الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة، غير أنه يبقى أن يؤكد أن هـذا الاتجاه لعلم النفس أدى ومـا يزال يؤدي دوراً جوهرياً للغـاية في العلوم الإنسانية في قرننا. وقد أثرت صلات لـغويي براغ/ بعلماء نفس الجشتالت ٧٨ في براغ وفيينا تأثيـراً مثمراً بشكل غير عادي في علم اللـغة، وبخاصة لأنه أمكن هنا التحقق من أطروحات ف. دي سوسير أيضاً.

وقد أبرزت بالإضافـة إلى ذلك أهمية علم نفس الجشـتالت بالنظر إلى علم آخـر: فـهـو يتجـلى في علم الأحـيـاء منذ هانز دريش H. Driesch (١٨٦٧ ــ ١٩٤١)[٧]، ويتأكد في المذهب الشمولي Holismus[٨] اللاحق لثلاثين عاماً فَهْمٌ واضح للكلية يُقَابل بفهم ــ جزئي سابق من جهة تاريخ العلم. قياساً إلى حد كبير على رد فعـل علم اللغة البنيـوى على الاتجاهات الذرية في مـدرسة النحـاة الجدد التاريخيـة ــ المقارنة المتقدمـة. ويحيي المذهب الشمولي الحـقيقة الشـاملة المؤسسة بشكل عضـوى في البنية الكلية، وقـد أدخل دريش بالإضافة ذلك بمذهبه الحـيوى Vitalismus[*] عامل النظام والطبيعة الفـاعل بشكل غائي الذي يقوم على مقولة أرسطو ***الكمال الأول***/Entelechie[**] ــ الذي يمثل طاقة في التطور مـوجهة إلى هدف. وأوجه التوازي مع علم لغة براغ واضحة في ذلك أيضاً. فلم يـستخدم اتجاه

---

(٧) قارن هـ. دريش (١٩٠٨ ترجمـة عن الانجليزية): Philosophie des Organischen. Gifford-Vorlesungen. 2 Bände فلـسفة ما هو عضوي.

(٨) قارن سموتس J. C. Smuts (١٩٣٨ ترجمة عن الانجليزيـة): العالم الشمولي Die holistische Welt.

ويعني المصطلح كـذلك التـمامية والكليـة (أي الرأي القائل بأن نظامـاً معـقداً بكامله، كـخلية أو عضوية، هو أعظم من مجموع أجزائه من الناحية الوظيفية). (المترجم).

(*) Vitalismus الحيوية أو المذهب الحيوي، وهو مذهب يقول بأن الحيـاة مستمدة من مبـدأ حيوي، وأنها لا تعتمد اعتماداً كلياً على العمليات الفيزيائية الكيميائية. (المترجم)

(**) وهو حال الموجود المتحـقق بالفعل، أو ما له هـدفه في ذاته، أو الشكل المتحـقق في المادة (عند أرسطو)، والطـاقـة الكامنـة في الكائن الحي الـتي تؤثر في تطوره وكـمـاله (في الفلسـفـة). (المترجم).

من الاتجاهات البنيوية الأخرى في علم اللغة في قرننا تفسيرات غائية للتطور اللغوي، أي محددة باتجاه إلى هدف، إلا حلقة براغ، على ما ينبغي أن يوضح فيما بعد أيضاً من خلال مثال رومان ياكوبسون[٩]. ففي نظرية سوسير اللغوية لا توجد أية نقطة ارتكاز لاستخدام فرضيات غائية، وكذلك في أعمال بودوان دي كورتيني، وهكذا فمن الواضح أن القرب المنهجي من علم نفس الكلية أو الجشتالت هو عنصر الربط الغائب فيما عدا ذلك في سلسلة التفسير. فقد استخدم كارل بولر مثلاً منذ أعماله المبكرة حججاً غائية وكذلك في عمله «أزمة علم النفس Krise der Psychologie» (فينا ١٩٢٧).

٤ـ٣ مجالات البحث الرئيسية في حلقة لغويي براغ

افتتحت حلقة براغ من خلال علاقة النظرة البنيوية بوظيفة اللغة على مجال واسع للمهام. فنجد في أعمال أولئك اللغويين تحليلات للبنية، تقتضي النظام اللغوي بمفهوم ف. دي سوسير، «النطاق الداخلي لعلم اللغة»، وكذلك تناول علاقات اللغة بالواقع غير اللغوي/ ، وبحوث في المقارنة اللغوية أيضاً، أي تناول العلاقات بين اللغات المفردة. وقد مدّ باحثو تلك الحلقة النظرة البنيوية إلى كل مستويات النظام اللغوي، إلى الفونولوجيا والصرف والنحو وعلم الدلالة، وعنوا بعلم اللهجات ومشكلة لغة الكتابة، وأنجزوا ما له أهمية بالنسبة لنظرية الأدب.

٧٩

ومع هذا المنظور الواسع للاهتمامات فيما يتعلق بالمادة المدروسة لا يمكن تجنب أوجه تناقض محددة وآراء مكملة حول مناهج البحث اللغوي. ومع ذلك يمكن أن يُحدد اتفاق في الفروض الأساسية التي تُثبتها موضوعات أطروحاتهم Thèses (سنة ١٩٢٩) التي تعرض برنامج عمل الحلقة، الذي ألف بشكل

(٩) لاحظ حول ذلك تعبئته القوالب الصغيرة الفارغة كهدف لتطور أنظمة جزئية فونولوجية.

جماعي، وطبع دون بيان عن المؤلفين (انظر ما ورد تحت ٤ـ١، وما يلي في المبحث الحالي). وتلك الفرضيات هي قبل أي شيء:

(أ) المنطلق هو فرضية سوسير وهي أن اللغة نظام من العلامات يجب أن تبحث بنيته، غير أن البراغيين قد أضافوا هنا إلى مفهوم النظام الصارم لدى سوسير بعض مكملات صيرت بحوثهم غاية في الإثمار داخل علم اللغة البنيوي. لقد وظّفوا بوجه الخاص النظام بشكل دينامي. ومن الأهمية بمكان ما كتبه اللغوي الدنماركي ف. بروندال أيضاً في ذلك الوقت(١٠):

[...] يتجلى الزمن [...] داخل التزامن، ويجب على المرء هنا أن يفرق بين جانب ثابت وجانب متحرك [...]. (١٩٣٩، ٨، ترجمة عن الفرنسية).

ويجب أن يقدم أن النقد المرتبط بقبول أفكار «الدروس» إلى النحاة الجدد لا يعني بالنسبة للبراغيين أية مقاطعة مفرطة لإرث علم اللغة التاريخي المقارن. بدهي أنهم بوصفهم اتجاهاً موجهاً بنيوياً قد رفضوا ذرية Atomismus(*) النحاة الجدد. ولذا كتب ياكوبسون سنة ١٩٣٦ في دراسته «إسهام في علم الحالات الإعرابية العام Beitrag zur allgemeinen Kasuslehre»:

وضع علم اللغة الموضوع آلياً المعاني الكلية على المؤشر (١٩٣٦، ٢٤٠)؛ فقد صارت المعاني الكلية للفصائل المورفولوجية مثلاً موضوعاً جوهرياً لبحوث براغ.

بيد أنه ينبغي هنا من جهة أخرى أن يشار بوجه خاص إلى أن البراغيين لم يشاركوا سوسير منذ البداية الفصلَ الصارم بين التزامن والتعاقب، والمبالغة في التركيز على بحث العلاقات التزامنية المرتبطة بذلك./ ولذا فقد بُحِثَت الفونولوجيا التاريخية أيضاً بشكل موازٍ للفونولوجيا. وظهر عمل ياكوبسون سنة ١٩٢٩ بوصفه

٨٠

---

(١٠) في مجلة: Acta Linguistica I/I كوبنهاجن.

(*) المذهب الذري مذهب يقول بأن الكون مؤلف من ذرات، أو رؤية ترجع العالم والأحداث فيه إلى حركة الذرات. (المترجم)

المجلد الثانى من مجلة "TCLP" «ملحوظات حول التطور الفونولوجى للروسية، مقارنة باللغات السلافية الأخرى»(*)، ثم ظهر سنة ١٩٣١ للمؤلف نفسه «أسس الفونولوجيا التاريخية Prinzipien der historischen Phonologie» (TCLP4).

(ب) نظر البراغيون فى البنية اللغوية فى ارتباطها الوثيق بالأبنية المحيطة بها. وبذلك فهو الاتجاه الوحيد داخل علم اللغة البنيوى الذى راعى الواقع غير اللغوى. فقد كتب ف. سكاليتشكا VI. Skalička فيما بعد:

وبما أننا نراعى تلك العلاقات فإننا لن نتحدث ــ مثل هيلمسليف عن «وصف واف» للنص. إن ذلك لا يصح مطلقاً بشكل منعزل(١١).

ويأتى المؤلف ذاته فى تلك المقالة بتعديل تال أيضاً لمفهوم البنية صار ضرورياً:

فليست الأجزاء أجزاءً من كلٍّ فحسب، بل إن لها حياتها وعلاقتها المستقلة بالعالم غير اللغوى.

وقد أدى ذلك بلغويى براغ إلى بحث الطبقات اللغوية الوظيفية الأسلوبية وعلاقات اللغة بالأدب والفن والثقافة. أما الأساس لذلك فقد أقامه مذهب كارل بولر الموضح فى ٤ــ٢ عن الوظائف الثلاثة للغة (التعبير ــ الاستدعاء ــ العرض) التى أكملها البراغيون بوظيفة رابعة أيضاً، وهى الوظيفة الشعرية (الجمالية). وبذلك أقر «الكلام» عند سوسير أيضاً (قارن ما ورد تحت ٣ــ٤ــ١) بقيمة موقعية داخل علم اللغة: فقد استند ماتيوس فى بحثه الموجه إلى الوظيفة إلى ثنائية فلهلم فون هومبولت المتضادة بين «الطاقة الإبداعية energeia (الخلاقة): والأداة ergon (المولِّدة)». بحث البراغيون تبعاً لهذا المفهوم النشاطَ الكلامى للإنسان أيضاً، أى وقائع الكلام. وقد أقروا بأن الكلام يجب أن يظهر أيضاً الالتزام بالنظام، وإلا فإن وظائف اللغة لا يمكن أن تُوفَّى فى النشاط الكلامى. وهكذا

(*) اسم البحث بالفرنسية "Remarques sur l'évolution phonologique du russe, comparée à celle des autres langues slaves". (المترجم)

(١١) من مقالة تشيكية فى مجلة: الكلمة والأدب ١٩٤٨، ١٠/٣.

فقد ارتكز على هذا الأساس النظرى تعميق باحثى هذه الحلقة للأسلوبية الوظيفية، وصار التفريق بين «الجملة: والمنطوق مع خاصية النظام لكلتا الوحدتين آخر الأمر المنطلق للبحث اللغوى للنصوص».

(جـ) تناول لغويو براغ أيضاً بحث العلاقات بين الأنظمة اللغوية، أى المقارنة اللغوية والتنميط اللغوى وإشكالية الرباط اللغوى.

/ وباختصار بحث البراغيون:

(أ) علاقات اللغة بأجزائها أو الأجزاء بعضها ببعض = تحليلات البنية؛ ٨١

(ب) علاقات اللغة بالمعطيات غير اللغوية = علم الدلالة، والأسلوبية والشعرية؛

(جـ) علاقات اللغة باللغات الأخرى = المقارنة اللغوية، والتصنيفات اللغوية (التنميطية والجغرافية فى الرباطات اللغوية).

وينبغى أن توضح بعض «فرضيات» هذا البرنامج فيما يلى.

حول الفرضية (أ):

صار تحليل البنية موضوعاً فى الفرضية أ : «مشكلات المنهج الناتجة عن فهم اللغة على أنها نظام، وأهمية ذلك الفهم بالنسبة للغات السلافية» (١٩٧٦، ٤٣). وتوجد هنا أيضاً الجملة النواة للبراغيين:

وفى إطار وجهة النظر هذه فاللغة نظام من وسائل تعبيرية موجهة إلى هدف معين. (١٩٧٦، ٤٣).

وخصّص القطاع الثانى من الفرضية الأولى للعلاقة بين التزامن والتعاقب. ويعنى ذلك هنا:

أن أفضل طريقة لمعرفة جوهر لغة ما وخصوصيتها هى التحليل التزامنى للغة المعاصرة التى تقدم وحدها مادة كاملة، وللمرء مدخل مباشر إليها. (١٩٧٦، ٤٤).

بيد أن البراغيين قد أكدوا أيضاً:

أن فهم اللغة على أنها نظام وظيفي يسرى على نحو مماثل على دراسة حالات لغوية ماضية، سواء أتعلق الأمر هنا بإعادة بنائها أو ببحث تطورها (١٩٧٦، ٤٤).

ويعنى ذلك من جهة أخرى بالنسبة للبحوث التعاقبية: أن البحث التعاقبي لا يستبعد إذن مفاهيم النظام والوظيفة، وليس هذا فقط، بل إنه على العكس من ذلك يكون غير مكتمل إذا لم يراع هذه المفاهيم. (١٩٧٦، ٤٥).

تلك هي الفرضية التي وجدت في دراسة ياكوبسون «الفونولوجيا التاريخية» بوجه خاص تعميقاً لها.

حول الفرضية (ب):

تعالج الفرضية المطروحة رقم ٣ علاقات اللغة بالمعطيات غير اللغوية: «مشكلات بحث اللغات ذات الوظائف المتعددة» (١٩٧٦، ٥١).

٨٢ / وُضع لمبحثها الأول عنوان: «حول وظائف اللغة» (١٩٧٦، ٥١). ولعل الاقتباسين التاليين يوضحان مفهوم الوظيفة لدى البراغيين: «تقتضى دراسة اللغة أن يُلاحظ تنوع الوظائف اللغوية وأشكال تحققها في حال محدد ملاحظة صارمة». (١٩٧٦، ٥١). ومن الأهمية بمكان تضمين حاملي اللغة (أصحابها):

ثمة عامل مهم لتفريع النشاط الكلامي هو ***العلاقة بين المتكلمين الذين يوجدون في احتكاك لغوى*** : [...] (١٩٧٦، ٥٣؛ الإبراز موجود في الأصل).

وفي موضع متقدم أُشير إلى أي دور أولاه البراغيون للغة الشعر، إذ يعبر عن ذلك في الفرضيات ـ تص مبحث خاص للفرضية ٣: «حول اللغة الشعرية»[١٢].

(١٢) في الترجمة الألمانية ١٩٧٦: «حول لغة الشاعر Über die Dichtersprache».

هنا يُقرأ:

كانت لغة الشاعر لمدة طويلة مجالاً أهمله علم اللغة. [...] وقد مس مؤرخو الأدب تلك المشكلات من وقت لآخر، غير أنه قد ندت عنهم أخطاء لا يمكن تجنبها، لأنه لم تكن لديهم معرفة كافية بالمنهجية اللغوية. (١٩٧٦، ٥٥).

حول الفرضية (جـ):

لم تُصب المقارنة اللغوية والتصنيف اللغوى مباشرة بضربة قاضية فى تلك الوثيقة الأولى للبراغيين، بل تورد الفرضية ٦ ـ «أسس الجغرافيا اللغوية، تطبيقها وعلاقتها بالجغرافيا الاثنوجرافية فى الأرض السلافية» (١٩٧٦، ٦١) ـ بعض أفكار مهمة حول ذلك، تحدها عن علم اللهجات التقليدى:

إن تحديد الحدود المكانية [...] للظواهر اللغوية المختلفة هو نهج بحثى ضرورى للجغرافيا اللغوية [...]، ولكن لا يجوز أن يصير ذلك النهج البحثى غاية لذاته، هدفَ النظرية. (١٩٧٦، ٦١).

وتصير الجهود حول بحوث البنية فى هذا المجال أيضاً واضحة، قارن:

لا يجوز أن يعد الانتشار الاقليمى للظواهر اللغوية توالياً فوضوياً لفواصل لغوية مستقلة مفردة، إذ تبين مقارنة الفواصل اللغوية Isoglossen فيما بينها أن المرء يستطيع أن يجمل عدداً منها فى حزم [...]. أما التفسير اللغوى لفواصل لغوية منعزلة فغير ممكن، لأن الظاهرة اللغوية فى ذاتها وكذلك نشأتها وانتشارها لا يمكن أن تفهم دون مراعاة النظام». (١٩٧٦، ٦٢).

٨٣ / يضم النص على وجه الإجمال عشر فرضيات لم يُتناول هنا ما هو خاص بالسلافية، والفرضية العاشرة حول الدرس اللغوى فى المدارس الثانوية.

وفيما يلى تناقش المجالات البحثية لحلقة براغ من خلال أعضائها الأوائل، حتى وإن ورد فى ذلك إسهامات لغويين آخرين بشكل جد موجز. (ينبغى على الأقل أن تذكر أعمال فلاديمير سكاليتشكا الخاصة بالتنميط وأعمال بوسلاف

هافرانيك حول البناء الموضوعي للغة الكتابة، وفيما بعد ألويس جدليتشكا Alois Jedlicka).

٤ـ٤ نيكولاي سرجيفتش تروبتسكوي

درس نيكولاي سرجيفيتش تروبتسكوي Nikolaj Sergeevič Trubetzkoy (١٨٩٠ ـ ١٩٣٨) في موسكو، وكان في ١٩١٣/ ١٩١٤ أيضاً لمدة فصل دراسي في ليبزج، واستمع هناك ضمن ما استمع إلى كارل بروجمان («نحو اللاتينية») وأوجوست لسكين («نحو اللغة الليتوانية»). وبعد رجوعه إلى روسيا اشتغل في القوقاز بالدراسات الفونولوجية ـ ربما ضمت بطاقات فهارسه التي أبيدت في الحرب العالمية الثانية شواهد لمتن نظام فونولوجي ـ وعقد صلة بحلقة لغويي موسكو. غادر روسيا بعد ثورة ١٩١٧، وعاش ودرس بدءاً من ذلك الوقت في فيينا. ومن هناك شارك في حلقة براغ. ومات في سن مبكرة، في الثامنة والأربعين من عمره. وبسبب انحدار تروبتسكوي عن ارستقراطية روسية وبسبب هجرته فيما بعد سكت عن بحوثه العلمية لأكثر من عقدين في الاتحاد السوفيتي ولم يظهر عمل تروبتسكوي الأول في ترجمة روسية سنة ١٩٥٨ إلا بعد بضع سنوات من مناقشة ـ البنيوية في المجلة اللغوية "Voprosy jazykoznanija" (قضايا علم اللغة)، وفي الصحيفة الحزبية "Pravda" (الحقيقة)، وهو المقالة غير المربكة منهجياً للوهلة الأولى «أفكار حول مشكلة الهندوجرمان»، ألفت ثم نشرت بالألمانية سنة ١٩٣٩. أما أهم مؤلف له وهو أسس الفونولوجيا "Grundzüge der Phonologie" (١٩٣٩) المجلد السابع من مجلة TCLP) فقد ظهر في ترجمة روسية بدءاً من ١٩٦٠.

وتناقش فيما يلي في المقام الأول بحوثه في الفونولوجيا، ويعقب ذلك بحوثه في المورفونولوجيا وفي النهاية تصور الرباط اللغوي.

٤ـ٤ـ١ الفونولوجيا

أشير في ٤ـ٢ إلى أنه لا يمكن تجاهل تأثيرات علم نفس الجشتالت عند توسيع الفونولوجيا بوصفها علماً لغوياً فرعياً. ومن المنطقي أن تنتج العلاقة ببنية

النظام اللغوى ووظيفته عن انخراط تروبتسكوى فى حلقة براغ. ومنطلق تروبتسكوى تعريف سوسير للفونيم بأنه **وحدة تقابلية ونسبية وسلبية**، أى وحدة تفترق عن كل/ الوحدات الأخرى فى النظام ذاته، وكذلك أيضاً مفهوم بودوان دى كورتينى للفونيم بوجه خاص. 84

وقد فتنه الأخير من جهة بموقفه الأساسى النفسى الذى امتدحه وانتقده فى الوقت ذاته، غير أنه من جهة أخرى أيضاً قد فتن بوجه خاص بالوظيفة التى عزاها بودوان للفونيم وهى التى تفرق بين الوحدات المورفولوجية، «النظرة المورفولوجية». ولذلك لا يكمن فضل تروبتسكوى فى أنه قد أدخل الفونيم، بل يكمن فى تنظيم الفونيمات فى مخططات متناسقة، فى أنظمة فونيمية Phonemsystemen، تمثل أنظمة جزئية من الأنظمة اللغوية، ومن ثم فهى أولاً مثل الأخيرة كل منها فى حد ذاته مميز للغة، وثانياً تعزو للفونيمات موقعها بوصفها أجزاء من كلٍّ. وهكذا صار ـ بتعاون وثيق مع ياكوبسون ـ مؤسساً للفونولوجيا بوصفها علماً فرعياً من علم اللغة.

توضيح تصور تروبتسكوى بالتفصيل:

«الفونولوجيا» هى علم الفونيمات، وهى تقابل علم الأصوات بوصفه علماً لدراسة الأصوات. ويمكن أن يبحث الصوت وفق وجهات نظر ثلاث: من وجهة نظر المتكلم (الجانب الفسيولوجى ـ النطقى)، من وجهة نظر السامع (الجانب السمعى)، ومن جهة وظيفته.

ويعد كلا الجانبين الأولين من مجال مهام علم الأصوات[١٣]. وفى إطار الجانب الثالث تعالج مسألة فيما يستخدم الصوت، أى السؤال عن وظيفته فى النظام اللغوى (انظر ما سبق). وتكمن الوظيفة أولاً فى بناء مركبات صوتية أكبر، وثانياً فى تفريق تلك المركبات الصوتية بعضها عن بعض، وذلك بالنظر إلى معناها.

(١٣) جعل تروبتسكوى علم الأصوات النطقى الأساس، وقد شهد علم الأصوات السمعى المرتبط بأدوات فيزيائية لرسم الأصوات وإنتاجها ازدهاراً بدءاً من الأربعينيات.

وهكذا فمنطلق الفونولوجيا هو الأصوات اللغوية المحددة التي يعالجها علم الأصوات، فهي تتبع إذا تحدثنا بمفاهيم سوسير، **الكلام** parole. وحتى يتوصل إلى النظام اللغوي، ***اللغة المعينة*** langue يجب أن يُجَرَّد من المعطيات المحددة، والفردية والعارضة للفعل الكلامي المفرد، البنية المجردة المتحصلة، قسمٌ من أصوات محددة، هو الفونيم Phonem. ويرى تروبتسكوي العلاقة بين الفونولوجيا وعلم الأصوات تبعاً لمقارنة ياكوبسون على النحو التالي:

إن شأن الفونولوجيا مع علم الأصوات شأن الاقتصاد الوطني مع علم السلع أو شأن الاقتصاد المالي مع علم النُّميات. (١٩٨٩، ١٤)

أو تُلاحظ، في موضع آخر، في علاقة لغوية:

٨٥ / أما عن الفونولوجيا فيجب أن يستخدم بداهةً مفاهيم صوتية محددة، وهكذا فإن القول مثلاً بأن التقابل بين الأصوات الانفجارية المجهورة والمهموسة في الروسية يستخدم للتفريق الدلالي، يتبع مجال الفونولوجيا، أما المفاهيم «مجهور»، و«مهموس» و«أصوات انفجارية» فهي أساساً صوتية. [...] إذ يجب أن يُتخذ التسجيل الصوتي في اللغة المعينة منطلقاً ومادةً. وهكذا يتبين أن عدداً من أصوات معينة مجتمعة تقتضي تفريقاً دلالياً، وأن الأصوات إذا ما نظر إلى وظيفتها تشكل إذن أقساماً ــ هي الفونيمات. ولكن حتى إن لم يُقدم الوصف الفيزيائي المحدد[١٤] فقد ظل لدى تروبتسكوي وعلم لغة البراغيين بوجه عام في مجال النظر دائماً أن الفونيم يجب أن يُربط بحامل صوتي، أي تُلْحق بالشكل اللغوي مادةٌ خارج النظام اللغوي.

وينبغي الآن أن تسرد أهم أفكار تروبتسكوي النظرية حول الفونيم والنظام الفونيمي في صورة فرضيات.

١ ــ تشترك الوقائع الصوتية في الوظائف الثلاثة الأساسية للغة: العرض ــ التعبير ــ الاستدعاء. يكتب تروبتسكوي:

(١٤) يمكن الا يُقَدَّم ذلك ــ بسبب بناء البدائل، انظر ما يلي ــ بوضوح في الغالب.

حين نسمع شخصاً ما يقرأ فإننا نسمع مَنْ يتكلم، وفي أي نغمة يتكلم وماذا يقول. إنه لا يوجد في الحقيقة إلا انطباع سمعي مفرد، إلا أننا نُجَزِّئه إلى مكوناته وذلك من جوانب وظائف بولر الثلاث للغة دائماً: خواص محددة للصوت المدرك نفهمها على أنها إخبار (= التعبير لدى بولر)، بوصفها ظاهرة للمتكلم (ارتفاع طبقة الصوت مثلاً)، وخواص محددة أخرى بوصفها وسائل لإثارة أحاسيس معينة لدى السامع، وأخيراً خواصُّ أخرى أيضاً بوصفها سمات تعرف بها المفردات بدلالة معينة والجمل التي تتكون منها. (١٩٨٩، ١٨).

وبالنسبة للفونولوجيا بوصفها جزءاً من النظام اللغوي تعد وظيفة العرض هي الوظيفة الحاسمة. ويجب أيضاً حسب تروبتسكوي أن ينص على الوظيفتين الأخريين في النظام اللغوي، إلا أنه ما يزال لا يعرف عنهما إلا القليل. ففي بادى الأمر عالج التعبير والإثارة ما يسمى «الأسلوبية الصوتية Lautstilistik»:

فوظيفة التعبير Ausdrucksfunktion تدل على خصائص صوتية، تشير مثلاً إلى فروق إقليمية وعُمْرية وجنسية، ***ووظيفة «الاستدعاء»*** الإثارة Appellfunktion تثير عواطف لدى السامع، مثل أشكال مطل الحركة كما في "schööön".

٢ ـ الوظائف المميزة للصوت التي تشكل أيضاً الأساس لأداء وظيفة العرض في اللغة هي:

/ فارقة (فارقة للمعنى)

٨٦

محددة (معينة للحد، واضعة إشارات الحدود)

مميزة للقمة (مشكلة للقمة، واضعة نغمات رئيسة).

وبالنسبة لوظيفة العرض تعد الوظيفة الصوتية الفارقة هي الحاسمة، وكلتا الوظيفتين الأخريين يمكن أن يطمسا عند الكلام المستمر، أما الوظيفة الفارقة فيجب أن تؤدى.

٣ ـ تتركب الأصوات من خواص سمعية ـ نطقية؛ بعضها «وثيق الصلة» يفي بالوظيفة الفارقة. وكما استشهد فيما سبق (تروبتسكوي ١٩٨٩، ١٧) مفهوم

«مجهور» ومفهوم «مهموس» ابتـداءً مفهومان صوتيان. ولكن إذا كان ذلك في لغة ما ذا صلة بالتفريق الدلالي، ســواء أنطق صوت ما مجهوراً أم مهـموساً فإن تلك الوظيفة الصوتية استخدمت فارقة، وصارت خاصية الإسهام الصوتي **سمة وثيقة الصلة فونولوجياً** في هذه اللغـة. ففي الصـوت تظهـر سـمـات وثيقـة الصلة فونولوجيـاً، وسمات منفكة الصلة فونولوجـياً في الوقت نفسه (فـفي مثال - ich ach - Akte (أنا ـ أخ ـ أفعال)): مـوضع بناء الضيق (Enge) منفك الصلة، إذ إن ich - ach = فونيـم واحد[*]، أما الضـيق في مقـابل الانفجار فـوثيق الصلة فونيمياً، إذ إن ch : k = فونيمان). الفونيم إذن:

هو مجموع خواص تكوين صوتي وثـيقة الصلة فونولوجياً. (١٩٨٩، ٣٥)

بهذه الفرضية تقدم تروبتسكوي خطوة مـتجاوزاً تكوين وحدة «الفونيم»، فقد جزأ الفونيم الذي كان قد حـدده ابتداء بأنه: وحدة فونولوجية لا تجزأ من ناحية اللغة المعينة إلى وحـدات فونولوجية مـتتابعة أقـصر. أو أنه ـ بعبارة أخـرى ـ أصغر وحدة أفـقية في النظام اللغـوي تـستخـدم للتفريق الدلالي. وإذا قُـسِّم الفونيم إلى وحدات أصـغر فـإن السمات الفـارقة، التي تُرتَّب مع ذلك ليس بشـكل أفقي في مقابل الوحدة الأفقية الممكن تجزئتها «الفونيـم»، تنتج تبعاً لذلك بشكل متزامن.

٤ ـ يشـير المثـال الذي أوردناه في ٣ ـ (ich - ach - akte) إلى مـفهـوم جديد، هو «البديل». ويفهم تحت **بدائل فونيمية** Phonemvarianten تغيرات منظمة داخل فونيـم ما. وتتبع البـدائل الفونيمية أيضاً النظام اللغوي الذي تـستقر فيه الفونيمات والبـدائل أيضاً. وفي المقابل تتحقق بشكل مادي الأصوات الملحقة دائماً. البدائل نتيجة لذلك أيضـاً أقسام، وهي في الواقع بوصفها قـسـماً أيضاً لا تستعمل

(*) يقصد أن التفريق بين *ich* (إش) و *ach* (اخ) [ch نطقت مرققة تارة مـثل الشين، وتارة أخرى مفخمة مثل الخاء] غـير مؤثر فونيمياً، إذ إن التفخيم والترقيق غيـر مؤثرين فونيمياً. أما ch فيفترق فونيمياً عن k.

استعمالاً فارقاً، فهى ليست فونيمات. ولعل المثال يوضح ذلك ففى كلمتى Dich - Dach (ك «ضمير الخطاب» ــ سقف): يجب أن يتحقق الصوت ــ ch فى الألمانية وفق قواعد ثابتة منطوقاً ــ ich (اشْ) فى مقابل ــ ach (آخْ)، وفى كل حالات استعماله لا يؤدى تبادل بين البديلين إلى تفريق دلالى، بل إلى شكل لغوى خاطىء/ يخرق قاعدة فونولوجية. كلاهما يعد بديلين لفونيم واحد. ويطلق تروبتسكوى على هذا النمط بدائل متوافقة kombinatorische Varianten، إذ يحدد المحيط ــ فى هذا المثال الحركة المتقدمة ــ الاختيار. غير أن الدرج لا يؤدى أي دور مع البدائل الحرة، إذ لا يتحقق كذلك تفريق دلالى، مثال ذلك فى الألمانية: - r اللسانية و - r اللهوية[١٥].

٥ ــ ذُكِر من قبل أن الفونيمات يمكن أن تُعْرَض فى مخططات متناسقة، والنظام الفونيمى للغة ما هو مجموعة تلك المخططات أى أنه نظام مرتب، وليس مجرد جمع لفونيمات مفردة. أما مبدأ النظام فهو ***التقابلات*** Oppositionen: تقابلات الفونيمات حسب عدد السمات الفونولوجية المشتركة وكيفها.

ويفرق تروبتسكوى فى الباب الثالث ــ «تقسيم منطقى للتقابلات الفارقة» ــ بين تقابلات أحادية البعد وتقابلات متعددة البعد، وكذلك بين تقابلات دالة على السلب وتدريجية وترادفية. ويعنى ***أحادى البعد*** أن السمة المقارنة خاصة بفونيمين فقط (مثال ذلك «أسنانى» فى الألمانية بالنسبة لـ **t** و **d**)، ولا توجد فى الألمانية أية أصوات أسنانية أخرى)؛ والمتعددة البعد هى التقابلات التى تعزى فيها السمة المقارنة إلى أكثر من فونيمين (مثال ذلك «انفجارى» فى الألمانية متوافقة مع «مجهور» أو مهموس بالنسبة لـ b - d - g و p - t - k: كل منها بالترتيب شفوى، وأسنانى، وطبقى). ولا يكون ***الدال على السلب*** Privativ تقابلاً إلا حين توجد

---

(١٥) للـ r المعنية بداهةً وظيفة خارج النظام اللغوى، وهى بالنسبة لوظيفة التعبير: تحدد فروقاً إقليمية.

السمة أو لا توجد (مثال ذلك: مجهور: مهموس)؛ واشتقت من هذا النمط الثنائية المفهومية ذو سمة (= مُعَلّم): بلا سمة(*). أما **التدريجية** Graduell فهى التقابلات التى تظهر فيها درجات مختلفة للخاصية ذاتها (مثال ذلك: طبقات ارتفاع النغمة، ودرجة انفتاح الحركات). وأما **الترادفية** Äquiollent(**) فهى عناصر متكافئة منطقياً لتقابل ما (مثال ذلك: p - t و f - k)؛ لا تصير العلاقة هنا واضحة إلا عبر عدة خطوات بينية ــ فالتقابلات الترادفية تربط الفونيمات متجاوزة الأنظمة الجزئية، وتحافظ على التماسك مع نظام فونولوجى على وجه الإجمال.

٦ ــ أهم نمط هو التقابلات الأحادية البعد الدالة على السلب: سمة واحدة تُثبت فى فونيمين فقط، وهى إما موجودة أو غائبة. وألحق بهذا النمط المصطلح الخاص **التلازم** Korrelation. وسمة التلازم مثل كل خاصية مستخدمة فى الفونولوجيا ذات أصل صوتى، غير أنها يجب أن تكون وثيقة الصلة فونولوجيا. والتلازمات النمطية هى تلازم الاشتراك فى الصوت (مع الصوامت) وتلازم الكيفية (مع الحركات).

٧ ــ يمكن أن تلغى تقابلات فارقة معينة وتُحيَّد، ولا يسرى ذلك على التقابلات الأحادية البعد، لأن إلغاء تناقض فى سمة ما/ لا يكون ممكناً إلا مع فونيمين مشتركين. ونتيجة **التحييد** (Neutralistion)(***) ليس فونيماً، بل عمل لم ينجز Torso، مجموع الخواص وثيقة الصلة التى ما تزال بعد تحييد سمة

٨٨

(*) يقصد بذلك المصطلحين merkmalhaft: merkmailos.

(**) يعنى ذلك المصطلح: مفاهيم أو أحكام أو مفردات لها معنى واحد، ولكنها تصاغ بشكل مختلف، أى مختلفة الصياغة متفقة المعنى وأقرب مصطلح لترجمتها هو مترادفة أو ترادفية، وكذلك يعنى مصطلح : Aquipollenz معنى منطقى مماثل لمفاهيم أو أحكام مختلفة الصياغة. (المترجم)

(***) يتحدث عن التحييد حين يُفقد الفرقُ بين فونيمين قيمته التمييزية. ولقد اكتشف بودوان ظاهرة التحييد الفونولوجى للأصوات الإغلاقية المصوتة فى آخر الكلمات الروسية، غير أنه لم يستطع عزل الشروط المورفولوجية البحتة. (المترجم)

ما تجمع بين فونيمين مشتركين وقد أطلق تروبتسكوى على هذه النتيجة الفونيم الأولى (الرئيس) Archiphonem(*). وعادة ما يتحقق الفونيم الأولى من خلال عنصر بلا سمة للتقابل (مثال ذلك: في الألمانية تحييد تلازم الاشتراك الصوتى فى نهاية الكلمة: فكل الصوامت المجهورة تصير مهموسة).

٨ ـ كان العمل بالتلازمات قد أرسى إلى حد أنه صار نقله إلى المورفولوجيا ممكناً. ولم يكن تحقيق ذلك فى إمكان تروبتسكوى، غير أنه فى تحليلات ياكوبسون المورفولوجية تقوم التلازمات بدور جوهرى.

خطط تروبتسكوى للمورفونولوجيا فى نقطة التقاطع بين الفونولوجيا والمورفولوجيا. سوف نتناول فى ٤ـ٤ـ٢. وفى المقدمة ـ غير الموقعة ـ لكتابه «أسس الفونولوجيا» أشير إلى الخواص التى تظهر فى نشرة بعد وفاته. وفى الواقع يتعلق الأمر ـ على نحو مغاير للحال مع «دروس فى الألسنية العامة» لفردينان دى سوسير ـ بنصوص أصيلة لتروبتسكوى، إلا أن كتابه بقى كما هو غير مكتمل بعد وفاته. ولذا تغيب أجزاء كان ينوى تناولها فى الكتاب، من بينها المورفونولوجيا، والفونولوجيا التاريخية والفونولوجيا الجغرافيا والعلاقات بين النظام الفونولوجى للغة ما وأدائه من خلال الكتابة. وتوجد له بحوث فى المورفونولوجيا كان يمكنه أن يبنى عليها المباحث التى كان ينويها فى «الأسس» (قارن ٤ـ٤ـ٢). ويوجد

(*) يعنى ذلك المصطلح مجموع السمات الفارقة التى يشترك فيها فونيمان أو عدة فونيمات. والفونيمات لا ينظر إليها على أنها كلها أعضاء فى طائفة واحدة غير مختلفة من الوحدات المتباينة فى لغة معينة، ولكنها تدخل فى أنظمة مختلفة من العلاقات فى المواقع المختلفة، فالفونيمات /p/ /t/ و/ d/ و/k/ و/g/ و تتباين بوصفها مهموسة ومجهورة فى مواقع البداية والوسط والنهاية فى الكلمات الانجليزية. ويحيد التقابل بين الجهر والهمس فى الألمانية فى الموقع الأخير من الكلمة حيث لا يوجد إلا الانفجاريات المهموسة فى طائفة الأصوات الانفجارية. وقد تم التعبير عن هذا التحليل الأكثر تطوراً فى التقابل الفونولوجى بوضع مصطلح الفونيم الرئيس Archiphoneme الذى يكوّن فقط الملامح التى تظل مميزة فى هذه المواقع من التحييد neutralization (أى الشفهية أو اللثوية أو الطبقية) والانفجار) الموجز ٣٢٦. (المترجم)

تعميق للفونولوجيا التاريخية، بقلم رومان ياكوبسون (مثل TCLP II، قارن ٤ــ٥ــ١) الذى كان قد تعاون مع تروبتسكوى تعاوناً وثيقاً للغاية فى التخطيط للفونولوجيا كعلم إلى حَد أن المرء يجد أحياناً وهو يناقش المسألة مشكلةً، وهى لأى من الاثنين يرجع «حق التأليف» الفعلى.

٤ــ٢ــ٢ المورفونولوجيا

نشر تروبتسكوى بين ١٩٢٩ و١٩٣٤ ثلاثة بحوث فى هذا الموضوع ــ وهى «حول المورفونولوجيا sur la morphonologie فى $TCLP_1$»(*)، وأفكار حول المورفونولوجيا Gedanken über Morphonologie فى $TCLP_4$ وتطبيق "Das morphonologische System der russischen Sprache" فى TCLP5. ولما كان هذا الوضع النظرى لهذا المستوى بالغ الأهمية للنظام اللغوى فقد لزم أن يخصص له مبحث خاص.

من المعروف منذ القدم ، وبخاصة للوصف الهندى بل والعربى للنحو أن الأصوات يمكن أن تعتورها عند ربطها فى مركبات صوتية تغيرات. وقد قبل الإرث النحوى الأوربى ذلك بالنسبة لإعادة اللغة الأصل الهندوأوربية، والمراحل المبكرة/ للتطور اللغوى الهندوأوربى (ولذا نشأ نظام تبديل الحركة ونظرية الجذر واللاحقة)، ولكنه بالنسبة للغات المستشهد بها وبخاصة اللغات الحالية فقد تجوهل الالتزام بنظام لتلك التغيرات الصوتية. وقد انطلق علم اللغة البنيوى الكلاسيكى من نموذج ذى مستويات مستقلة. وعلى العكس من ذلك عرف لغويو حلقة براغ الضرورة «الحتمية» ومراعاة الانتقالات أيضاً. ويكمن فضل تروبتسكوى فى أنه قد وُضع فى الاعتبار عند تخطيط الفونولوجيا عنصر ربط بين الفونولوجيا والمورفولوجيا، أطلق عليه «مورفو ــ فونولوجيا» أو «مورفونولوجيا». ٨٩

وكما ذكر من قبل تحت ٤ــ٤ــ١ كان ينبغى أن يصير هذا المستوى البينى جزءاً من «الأسس» أيضاً، وهو مع ذلك ما لم يحدث لوفاته المبكرة.

(*) أشرت من قبل أن الاختصار يعنى «مجلة أعمال حلقة براغ لعلم اللغة». (المترجم)

ويجب بادئ الأمر أن يفهم تحت **مورفولوجيا** Morphonologie(*) بوجه عام بحث الإفادة المورفولوجية من الوسائل الفونولوجية في لغة ما. ولذلك فهو قبل أي شيء جانب وظيفة الوسائل اللغوية الذي لفت انتباه تروبتسكوي إلى هذا المجال.

وتتكون المورفونولوجيا حسب تصوراته من ثلاثة أجزاء:

أ) علم البنية الفونولوجية للمورفيمات.

هذا الجزء إجباري لكل اللغات سواء ألديها مورفولوجيا أم لا. ففي كل اللغات توجد قواعد لإمكانات ضم الفونيمات إلى مركبات فونيمية. مثال ذلك: حزمة الصوامت الجائزة أو غير الجائزة في الصوت الأول Anlaut.

ب) علم التغيرات الصوتية التوافقية التي تصيب المورفيمات في الارتباطات المورفيمية.

هذا الجزء معروف من الوصف النحوي الهندي تحت مصطلح "Sandhi"(**). ويفرق بين «**ساندهي خارجي**» عند حد المورفيم وداخل كلمة ما، و «**ساندهي خارجي**» عند حد الكلمة. ولا يظهر الساندهي الداخلي إلا في لغات لها صرف، وهو مورفولوجيا التصريف و/ أو مورفولوجيا الاشتقاق. مثال الساندهي الخارجي Liaison (عشق) في اللغة الفرنسية، ومثال الساندهي

(*) يرجع الفضل في ذلك إلى بودوان دي كورتيني، إذ يقول موتان ص٣٤: وربما قادنا هذا السبب إلى أن يحمل بودون مسؤولية تعرض الفونولوجيا لصعوبات لا تقهر بسبب ابتداع تروبتسكوي للمورفونولوجيا، التي يعرفها بأنها «دراسة الوسائل الفونولوجية للغة ما في مورفولوجيا هذه اللغة. (المترجم)

(**) يعني بهذا المصطلح دراسة الفروق الفونولوجية والصوتية بين الكلمات والمورفيمات حين تنطق معزولة، وبينها حين تنطق في جمل منطوقة متصلة أي حين تضم في سياقات متتابعة. (المترجم)

الداخلي: تبادل الصوامت في الروسية كما في ruk - a : ruč - n - oj (كلب: كلبي) (اشتقاق صفة من الاسم «كلب»).

(جـ) علم سلاسل التبديل الصوتي التي تؤدي وظيفة مورفولوجية. ليست سلاسل التبديل الصوتي ذات الوظيفة المورفولوجية كذلك ممكنة إلا في لغات لها صرف. ويمكن أن تكون من جهة أخرى مورفولوجيا المجال الاسمي أو للمجال الفعلي. ويمكن أن تكون من جهة مورفولوجيا التصريف أو الاشتقاق. مثال ذلك: تغير الحركة وسيلة لبناء الجمع في الألمانية: Vogel - Vögel (طائر ــ طيور).

٩٠ / وقد عرف تروبتسكوي **المورفونيم** «الوحدة الصرفية الصوتية المجردة» Morphonem بأنه وحدة المستوى المورفونولوجي: المورفونيم هو مجموع الفونيمات المشتركة في التبديل المعنى، الذي يعد وحدة مورفونولوجية [مجردة «المؤلفة»]. (١٩٣٤، ٢٩).

وهو يظهر تارة في شكل وتارة في شكل آخر. ويجب حول الوضع النظري للمورفونيم والمورفونولوجيا أن يسجل بشكل مكمل مايلي:

١ ــ تجاوز تروبتسكوي إلى حد بعيد بهذا المفهوم زمنه ــ البنيوي الكلاسيكي الذي شكله ف. دي سوسير. فقد كانت الإجراءات للتحليلات اللغوية لدى خلف دي سوسير هي التجزئة والتصنيف.

ومع ذلك فالعلاقات، على نحو ما عولجت في الجزئين (ب) و(جـ) من المورفونولوجيا، لا تقرأ من النص المعين، بل لا تعرف إلا في علاقات بين النصوص.

٢ ــ ينتج عن (١) أنه لا يمكن حقيقة أن تكون مطلقاً وحدة «المورفيم» مع التجزئة التصنيفية، على الأقل ليس في لغات ذات وسائل مورفونولوجية، إذ لا توجد دائماً إلا بدائل مورفيمية (قارن Vogel - Vögel)، ويفتقر إلى الأساس النظري الذي يستنتج من البدائل المورفيمية الوحدة المجردة، المورفيم. كان ذلك قد

قدم مع مورفونولوجيا تروبتسكوى؛ فعلى سبيل المثال "RAD" هى الكتابة المورفوتولوجية للبديلين المورفيمين فى /rat/ فى "Rad" و /rad/ فى "Rades" ، بل ولـ /rät/ فى "Rädchen" و /räd/ فى "Räder" أيضاً(١٦)(*).

٣ ـ هذا ولأن المورفونولوجيا تطلبت حقيقة فهماً آخر للنظرية غير ما كان لدى علم اللغة البنيوى الكلاسيكى، فقد ظلت بادى الأمر دون صدى. وبدءاً من الخمسينيات أعيد تبنيها. وتتجلى فى ذلك خصوصية أخرى لتفكير تروبتسكوى: فعند القراءة المتأنية للنصوص ـ بل للتفسير المقدم هنا أيضاً ـ يتضح أن الفونيمات تتبادل بعضها مع بعض، وليست بدائل لفونيم واحد. مثال ذلك: /t/ و /d/ فى الأمثلة الواردة تحت ٢، كل منهما فونيم فى اللغة الألمانية. وكذلك: يمكن أن تتبادل أيضاً أصوات، لا يكون لأحدها، ومن المحتمل للاثنين أيضاً، وضعُ الفونيم فى هذه اللغة، وهكذا لا تكون أيضاً بدائل لفونيم، بل إنهما ليست فى الحقيقة إلا أصوات محددة. وهذه هى الحال فى الروسية، حين يتبادل مثلاً فى: teč' : teč ' by (يجرى: يجرى + صيغة احتمال) الفونيم / č / مع صوت دون وضع فونيمى فى الروسية، يُنطق تقريباً كما ينطق الصوت الأول فى الكلمة الإنجليزية "John" مع تحنيك إضافى. وإذا ما أريد الآن شرح الحالتين: الحالة مع/ وضع الفونيم والحالة دون وضع الفونيم بنهج نظرى واحد فإنه يجب أن يُتخلى عن وحدة «الفونيم»، ويعمل من البداية بوحدة «المورفونيم». وفى الحقيقة لم يُدرك تروبتسكوى هذه النتيجة، أو على الأقل لم يَصُغها، فهى لم تستخلص إلا فى الخمسينيات.

٤-٤-٣ مجالات بحثية أخرى

فى هذا المبحث يشار كذلك إلى مجال مهم من ناحية تاريخ النظرية على نحو خاص ـ أفكار تروبتسكوى حول تعميق مفهوم «الرباط اللغوى "Sprachbund"» الذى أدخله بودوان. فمقالة «أفكار حول مشكلة الهندوجرمان

(١٦) تستخدم هنا عمليات مورفونولوجية خاصة بالتصريف والاشتقاق مشتركة معاً دون نقد.

(*) تعنى Rad عجلة وRades فى حالة الإضافة وRäder جمعها وRädchen تصغير لها. وتنتقد المؤلفة الجمع بين حالة التصريف Rades وحالة الاشتقاق Rädchen. (المترجم)

"Gedanken über das Indogermanenproblem" (١٩٣٩)[١٧] تنضم إلى النقاش حول الهندوجرمان الذى كان خارج علم اللغوى البنيوى موضوعاً محورياً لعلماء اللغة فى الثلاثينيات. بدأ تروبتسكوى مقالته بإشارة؛ وهى أننا بوصفنا لغويين لا نستطيع دائماً إلا الحديث عن اللغة (اللغات) الهندوأوربية، ليس مثلاً أن نصنف الهندوجرمان على أنهم صانعو فخار وأطر فخارية للأبنية (على نحو ما حُوول آنذاك أيضاً). محورىٌ إذن مناقشة مفهوم «الأسرة اللغوية الهندوأوربية». وقد صيغت فرضية تروبتسكوى صياغة بنيوية: يمكن للغة ما أن تكتسب أو تفقد تبعية لهذه الأسرة، ثم يجب أن يلاحظ بالنسبة لهذه التبعية ما يلى:

* يجب أن توجد «تطابقات مادية».

* مع ذلك يظل مطروحاً، كم من تلك التطابقات يعد ضرورياً.

* لا تتبع المفردات الأكثر شيوعاً فى الاستعمال قواعد التطور اللغوى غالباً، وهى لذلك لا تستخدم وسائلَ إثبات.

وأما الأكثر أهمية فهو:

توجد ٦ سمات تركيبية تحدد معاً التبعية للأسرة اللغوية الهندوأوربية؛ الأولى والثانية وحتى الخامسة سمات مطابقة ما تزال لا تكفل للغة المعنية أى مكان فى هذه الأسرة، ومع ذلك يتيح اكتساب سمة أو سمات ما تزال غائبة أن تصير هندوأوربية[١٨]. إن الأمر يتعلق بالسمات التركيبية التالية:

١ ـ غياب الانسجام الحركى.

٢ ـ وجود تبادلات بين الصوامت ذات وظيفة مورفونولوجية.

٣ ـ بناء الكلمة من خلال اللواصق والتصريف الداخلى.

---

(١٧) فى الأصل محاضرة أمام حلقة لغويى براغ فى ديسمبر ١٩٣٦.

(١٨) يجب فى الحقيقة أن توجد أيضاً التطابقات المادية السالفة الذكر فى الثروة اللغوية والنحو. (المترجم)

/ ٤ ــ استعمال الصوامت في موضع الصوت الأول ليس أفقر من استعمالها في موضع الصوت الأوسط والأخير. ٩٢

٥ ــ لا يجب أن تبدأ الكلمة بالجذر، أي أنه توجد سوابق.

٦ ــ يعامل فاعل فعل متعد معاملة فعل لازم.

ينبغي هنا أن نتحاشى تفسير هذه السمات. المهم هو الفكرة ذاتها: إن تطور اللغات الهندوأوربية ليس فعلاً لا نظير له، بل هو حركة مستمرة. (١٩٣٩، ٨٧).

لا يتحقق اكتساب السمات أو فقدها بالوراثة، بل بتجاور إقليمي للمرحلة الوسطى «للرباط اللغوى». وهكذا فإنه حسب تروبتسكوى فقد أفضى الطريق عبر ***الرباط اللغوى*** ــ بشكل محتمل! ــ إلى الأسرة اللغوية، البقرة المقدسة لعلم اللغة التاريخي ــ المقارن. على هذا النحووضع التصنيف إلى أسر لغوية موضع ريبة.

تلك المقالة كانت عمل تروبتسكوى الأول الذى نُشر فى الاتحاد السوفيتى، كما ذُكر من قبل فى ٤ــ٤ . وتضاف إلى ذلك ملحوظة هامشية: ففى سنة ١٩٥٨ ذاتها شطبت إدارة تحرير مجلة «قضايا علم اللغة» هامش تروبتسكوى رقم ٢، مع ذكر ملحوظة أنه لا دخل له بالموضوع، ولكنه فى الحقيقة، ليس كذلك لأنه اتخذ فيه موقفاً ضد التصور شبه العلمى للماركسى الفج ن. ج. مار N. Ja. Marr(*)،

(*) طور من خلال بحث تاريخ اللغات القوقازية بالتدريج نظريته (أونظرياته) عن التاريخ اللغوى. وقد استمد أفكاره ــ معارضاً النظرة الهندوأوربية المقبولة ــ من معتقدات القرن الثامن عشر عن الأصل الإشارى للغة، ومن الرأى الخاص بمنتصف القرن التاسع عشر عن التنميط اللغوى بوصفه تعبيراً عن مراحل التطور اللغوى المتوالى، فاللغات اليافثية "Japhetic"، وهو مصطلح استعمله ليغطى به لغات القوقاز، تمثل مرحلة من تطور اللغة تجاوزتها بالفعل بعض اللغات. واللغات كانت مترابطة تاريخياً، ليس فى صورة أسر لغوية، ولكن عن طريق «طبقات» تطورية مختلفة للتركيب مترسبة من الامتزاج والتجميع. واللغات ليست ظواهر قومية، ولكنها ظواهر طبقية، وهى جزء من البنية الفوقية التى تتوافق تغيراتها مع التغيرات فى القاعدة الاقتصادية فى النظام الاجتماعى للمتكلمين، وهو هنا يدعى المصاهرة النظرية للمارية والماركسية. الموجز ص ٣٣١.

(المترجم)

الذى كان له من خلال المذهب الستالينى تأثير عظيم ومنكر داخل علم اللغة فى الاتحاد السوفيتى.

٤ـ٥ رومان أو. ياكوبسون

رومان أوسيبوفيتش ياكوبسون (١٨٩٦ ــ ١٩٨٢) من أهم لغويى هذا القرن وأكثرهم تعدداً فى المشارب. وفيما يلى تعرض بحوثه فى الفونولوجيا والمورفولوجيا وعلم الدلالة والشعرية وعلم العلامات، كما تذكر فى المبحث الأخير «مجالات بحثية أخرى» (٤ـ٥ـ٥) بوجه خاص أعماله المتداخلة الاختصاصات. ومع ذلك لا يستطيع المرء أن يقوم أعماله تقويماً تاماً إلا حين يرتبها فى إطار السياق الخاص بظروف حياته.

تربى رومان ياكوبسون فى أسرة من موسكو من الفنانين والعلماء، ودرس الدراسات السلافية، وأظهر عند ذلك منذ شبابه ميلاً شديداً إلى الفن وبخاصة إلى الأدب ونظرية الأدب. وقد ألف هو نفسه قصائد، وكان صديقاً لشعراء مثل ليمير خليبنيخوف Velimir Chlebnikov وفلاديمير ماياكوفسكى Vladimir Majakowski. وفى ١٩١٥/١٩١٦ شارك فى تأسيس حلقة لغويى موسكو، وكان رئيسها حتى ١٩٢٠(*)، ثم دعت الحرب والرقابة إلى أن تضم فى حلقة أكاديمية العلوم، غير أن اللغويين الشبان والشعراء قد دخلوا ــ بعبارة ياكوبسون ــ فى ذلك الزمن المضطرب للكورات وفى مواجهة/ مناقشات فنية مثمرة، ليس بهدف إضافة المزيد إلى مئات الأمثلة فى القوانين الصوتية، بل بهدف الاشتغال باللغة الحية. وتأسست سنة ١٩١٦ فى بطرسبورج اعتماداً على حلقة موسكو «جمعية بحث اللغة الشعرية Gesellschaft zur Erforschung der poetischen Sprache» (OPOJAZ) مع أوسيب بريك والاختين ليلى واليزا

٩٣

(*) يذكر أن الحلقة اللغوية لموسكو قد تأسست عام ١٩١٤، وكان له ١٨ عاماً آنذاك، وذلك نتيجة لجهوده. وقد أكد مراراً ميله الشديد إلى الشعر مؤلفاً له او محللاً، فقد انضم منذ فترة مبكرة من شبابه إلى حركة ثقافية واسعة، عرفت بالمدرسة الشكلية الروسية، مما ادى إلى توثيق صلاته مع عدد كبير من أشهر الشعراء الروس، مثل خليبنيخوف وماياكوفسكى. (المترجم)

تريولت في الصدارة. وقد شارك ياكوبسون هنا أيضاً مرشداً، وكانت كلتا الجماعتين مركزاً للشكلية الروسية.

بيد أن ياكوبسون كانت له آنذاك أيضاً اهتمامات لغوية أخرى، واشتغل ضمن ما اشتغل ببحوث بودوان وسوسير.

وفي سنة ١٩٢٠ حضر ياكوبسون إلى براغ، وبدءاً من سنة ١٩٣٣ دَرَّس في الجامعة في برنو Brno / Brünn. وفي نهاية العشرينيات انضم مع لغويين روس وتشيك آخرين (وشاركه أيضاً ألمان مثل ك. بولر وب. بيكر) في جماعة لغويي براغ (قارن ٤ ــ ١) وفي المباحث التالية تُتناول بحوثه اللغوية تناولاً أكثر دقة.

وفي البداية إليك محطات أخرى في حياته في إيجاز ضروري: في سنة ١٩٣٩ هرب من الاحتلال الألماني من تشيكولوفاكيا في البداية إلى الدول الاسكندنافية، وبعد محاضرات كأستاذ زائر في كوبنهاجن عمل في أوبسالا Uppsala حتى رحل سنة ١٩٤١ إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وفي سنة ١٩٤٥ كان من المشاركين في تأسيس حلقة لغويي نيويورك، وصارت مجلة نشرهم مجلة "Word" الكلمة ــ كانت تلك الحلقة بعد حلقة موسكو وحلقة بطرسبورج وحلقة براغ حلقة اللغويين الرابعة. التي شارك العمل فيها في موقع متصدر. دَرَّس في جامعة هارفارد ومعهد ماساشوتس للتكنولوجيا (MIT)، وألقى كأستاذ زائر محاضرات في جامعات أخرى كثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية. ويدين له علم اللغة الأمريكي إلى جانب كل الأشياء الأخرى بفضل نقل المعرفة اللغوية الأوربية أيضاً. وتضم كل «موضوعاته الأثيرة»[١٩]، كما أسماها هو، مرة أخرى كل بحوثه الخاصة في فترة الولايات المتحدة الأمريكية» ويضاف إلى ذلك اهتمامات قوية متداخلة الاختصاصات، وبدهي أنه قد تعاون مع علماء الأحياء والجينات والسبرانية وغير ذلك. وفي سنة ١٩٨٢ توفي رومان ياكوبسون[*].

---

(١٩) اتخذ عنواناً لمقالة وصف لنفسه «ذاتي» في المجلد الجامع "On Language".

(*) توفي ياكوبسون في أثناء دراستي للدكتوراه في ألمانيا، وقد كُلِّفتُ آنذاك بعمل بحث صغير عن جهوده في اللغة، وعرضه أمام طلاب الدراسات العليا في قسم الدراسات الجرمانية، وقمت بذلك في حدود معرفتي ببحوثه آنذاك. وآمل أن أجد الفرصة لتقديم ذلك البحث مطوراً وموسعاً إلى القارىء في وقت قريب إن شاء الله. (المترجم)

٤ ـ ٥ ـ ١ الفونولوجيا

عمل رومان ياكوبسون فى فترة براغ مع نيكولاى تروبتسكوى (قارن ٤ ـ ٤ وبخاصة ٤ ـ ٤ ـ أ) على خلق الفونولوجيا، غير أنه على النقيض من الأخير قد مال من البداية إلى التعريف الثانى للفونيم الذى نظر إلى الفونيم على أنه ***مجموع سمات فارقة موجودة بشكل متزامن.*** / ولذلك فإنه فى فترة الولايات المتحدة الأمريكية اتجه بقوة إلى تحليل السمات. ولم يضع مع عالم الدراسات السلافية موريس هَل Morris Halle والمهندس جونر فَنت Gunnar Fant أساس علم الأصوات النطقى فحسب، بل ـ مستفيداً من المعامل السمعية المُحَسَّنة ـ علم الأصوات السمعى أيضاً (قارن ياكوبسون/ هَل (١٩٥٦)). وطرح المشاركان مهمة الانتقال من الحقائق السمعية المباشرة إلى التسجيل الفونولوجى. وقد احتيج فى ذلك إلى السمات الفارقة التى كانت تحلل تارة من الناحية النطقية وتارة من الناحية السمعية، وبُنِيت حسب مبدأ الثنائية. وقدم ياكوبسون نتيجة لذلك النموذج المعروف المكون من اثنى عشر زوجاً من العلامات الثنائية[٢٠][*]؛ الذى يشكل نموذجاً لغوياً عالمياً Universal. فالنظام الفونولوجى المعين لكل لغة هو اختيار من الثنائيات المتقابلة الاثنتى عشرة للعلامات، ولا تحتاج أى لغة أو لا تستعمل كل الثنائيات الاثنتى عشرة. وتعنى «الثنائية Binarität» أن تقابلات العلامات بُنِيت بناءً دالاً على السلب (قارن ٤ ـ ٤ ـ ١).

94

بيد أن الثنائية كمبدأ والتقابل «ذو سمة: بلا سمة» كانا قد وضعا فى فترة البراغيين. وقد سريا عند نقل مناهج الوصف من مستوى إلى مستويات أخرى، بل وعند ايجاد مكافىء من جهة تاريخ اللغة للفونولوجيا أيضاً، إيجاد

---

(٢٠) مثل : ± حركة، ± مجهور، ± أنفى وغير ذلك.

(*) عنى منذ وقت مبكر بدراسة الملامح المميزة المكونة للفونيمات من وجهة النظر الاكوستيكية.. وحلل التمييزات الأصلية inherent لفونيمات اللغات كلها، إلى مجموعات مؤتلفة تصل إلى اثنى عشر تقابلاً ثنائياً من الملامح الاكوستيكية، عرفت على أساس توزيع الطاقة فى الترددات المختلفة (مكونات formants) فى موجاتها الصوتية، وليس فى علاقتها بنطقها بشكل مباشر، وفى هذا النمط من التحليل تعرض الأنظمة الفونولوجية فى مصفوفة من تقابلات الملامح، حيث تشترك الفونيمات فى أكثر من تقابل ثنائى واحد فى علاقاتها بفونيمات اللغة الأخرى. الموجز ٣٢٨، ٣٢٩. (المترجم)

الفونولوجيا التعاقبية diachrone Philologie. وخصص ياكوبسون لهذا الموضوع عملين كبيرين: "Remarques sur l'évolution phonologique du russe comparée à celle des autres langues slaves" (ملحوظات حول التطور الفونولوجي للروسية مقارناً بالتطور الفونولوجي للغات السلافية الأخرى ـ TCLP2 ،١٩٢٩)، وأسس (مبادىء) الفونولوجيا التاريخية (Prinzipien der historischen Phonologie (1931, TCLP4). وتتناقض الفونولوجية التعاقبية مع فرضية سوسير، وهي أنه لا توجد في التطور اللغوى ترابطات نظامية، ومن ثم فإنه لا يتبع اللغة (المعنية Langue). وبالنسبة لياكوبسون يسرى الأمر على نقيض ذلك:

[...] ينص الأساس الأول للفونولوجيا التاريخية على أن: كل تغير يعالج بالنظر إلى ذلك النظام الذى يجرى التغير داخله. (١٩٧٥/ ١٩٣١، ٧٩)(*).

بذل ياكوبسون جهداً لتفسير التغيرات الصوتية، إذ يمكن العثور عليها في رأيه في توجه هدف التطور[٢٦]. فكل تغير لغوى كان بالنسبة له ـ وبالنسبة لتروبتسكوى أيضاً ـ هو واقعة مقيدة بغرض. ويمكن للتغيرات أن تنشىء توازناً أو توطده أو تعيد بناءه(**).

ويفترض للتطور الصوتى ثلاثة عوامل معينة:

(*) ينتهى موتان من تحليل قائمة أعماله إلى أن «ثلاثة أرباع أعماله كانت تهتم بالأدب والشعر وحتى عام ١٩٣٥، بينما تبدو الأعمال الخاصة بعلم اللغة والمعروفة جيداً منعزلة، وتعدل هذه النسبة بشكل ملموس دون أن تنقلب منذ وصوله إلى أمريكا. وتظل كتبه، في مجال علم اللغة بالذات، قليلة وصغيرة الحجم، وربما كان كتابه «ملاحظات حول التطور الفونولوجي للغة الروسية مقارناً مع تطور اللغات السلافية الأخرى، أضخم كتاب لغوى بحث صدر عنه (انظر T.C. L.P., II, 1929, 118p). (المترجم)

(٢٦) قارن إيضاحات للغاية في ٤ ـ ٢.

(**) مما يستحق الذكر ما عرض له موتان حين قال: «ويسود الانطباع (نتيجة للفهم السطحى لسوسور، كما برهن دومورو على ذلك... بأن سوسور قد استبعد كل إمكانية لتطبيق مفهوم النظام في الدراسة التاريخية»: «بما أن التغيرات لا تمس أبداً النظام ككل، بل هذا العنصر منه أو ذاك، فلا يمكن أن ندرس هذه التغيرات إلا خارج هذا النظام...»، وكان رد ياكوبسون بأنه: «يجب أن يؤخذ مفهوم اللغة كنظام وظيفى بعين الاعتبار أيضاً في دراسة الحالات اللغوية الماضية إذا كانت غايتها إعادة بناء هذه الحالات أو ملاحظة تطورها. ولا يمكن أن نقيم حدوداً لا يمكن تجاوزها بين الطرائق الوصفية والطرائق التاريخية، كما فعلت ذلك مدرسة جنيف... موتان، الكتاب السابق ص١٤٨، ١٤٩. (المترجم)

/ ١ ــ إجبار النظام على سلاسل متنامقة من الفونيمات، وءملء الأماكن الخالية» المرتبط بذلك: فالنظام الذى كون فونولوجيا / k / و / g / و /ch/ يوجه فى تطوره إلى الإفادة من / ɣ / أيضاً، أى لا يقع بادئ الأمر فى مقابل كلا الصوتين الانفجاريين الطبقيين الموجودين (المجهور / g / والمهموس / k /) إلا صوت احتكاكي طبقي واحد (المهموس /ch /)، ويفتقر إلى صوت احتكاكي طبقي مجهور، يقدمه صوت / ɣ /، الذى يحقق النظام بناءً عليه استواء تطوره.

٢ ــ يُؤدى إثقال كاهل النظام الفونولوجى (أى فونيمات كثيرة جداً فى هذا النظام) إلى التبسيط، لأنه مع فونيمات كثيرة جداً لا تُكفل إمكانية تفريق سمعية كافية.

٣ ــ تعارض اتجاهين. أورد ياكوبسون اللغات السلافية مثالاً على ذلك: يوجد اتجاهان وثيقا الصلة ـــ المقابلة بين **شديد ـــ ولين**، أى مقابلة التحنيك Palatalitätsopposition ومقابلة درجات النغمة. فكلاهما لا يرد فى لغة واحدة، فى اللغة ذاتها. فعلى سبيل المثال لدى الروسية مقابلة التحنيك، ولكنه ليس فيها درجات النغمة. أما اللغة الصربوكرواتية ففيها درجات النغمة، ولكن ليس فيها صوامت حنكية.

وقد استمر الدرس بعد الحرب العالمية الثانية سواء فى الفونولوجيا التعاقبية أو فى الفونولوجيا التزامنية(*)، وصارت الأخيرة إلى فونولوجيا توليدية، وذلك إلى حد ما بتأثير ياكوبسون، غير أن ذلك يقع بشكل أقوى بعد فترة براغ، ولم يعد يخص حلقة براغ اللغوية (لغويي براغ)، غير أنه ربما يتعلق بالتأثير الذى مارسته هذه الحلقة على علم اللغة فى قرننا العشرين.

(*) أكد ياكوبسون بقوة على ضرورة عدم الفصل بينهما: «وإذا نحن نظرنا، فى مجال علم اللغة الوصفى، إلى عناصر نظام اللغة دون دراسة النظام الذى يتأثر بهذه التغييرات. وليس من المنطقى أن نعتبر التغييرات اللغوية كوراث مدمرة تحدث بمحض الصدفة بالنسبة للنظام. فالتغيرات اللغوية تستهدف غالباً النظام واستقراره وإعادة بنائه إلخ. وهكذا فإن الدراسة التاريخية لا تستبعد فقط مفاهيم النظام والوظيفة، بل هى ناقصة لكونها لا تأخذ بعين الاعتبار هذه المفاهيم .Change 3, p 34 23.   (المترجم)

٤ـ ٥ ـ٢ المورفولوجيا وعلم الدلالة

عولج كلا المستويين معاً عن قصد فى مبحث واحد لأنهما فى بحوث رومان ياكوبسون مترابطين ترابطاً وثيقاً: وتعد المورفولوجيا نموذجاً لانتقال مناهج من مستوى إلى مستوى آخر ــ فى هذه الحال من الفونولوجيا ــ ويُنظر إلى الفصائل المورفولوجية على أنها **تعبير عن معان نحوية**، أما الدلالات المعجمية فلم يبحثها ياكوبسون إلا قليلاً.

وثمة ثلاثة فروض أساسية تشكل الدعامة التركيبية لبحوث ياكوبسون فى هذا المجال:

١ ــ كان المنطلق فكرة التلازم «*التضام*» *"Korrelation"*.. فقد وضع ياكوبسون نظاماً لأوجه تلازم مورفولوجية ترتكز كما هى الحال فى الفونولوجيا على مبدأ تعين السمة. وأهم بحوثه فى المورفولوجيا هى «حول بنية الفعل الروسى» (١٩٣٢)، و«إسهام فى علم الحالة الإعرابية العامة» (١٩٣٦، استكمل فى «ملحوظات مورفولوجية حول التصريف السلافى» فى الروسية ١٩٥٨)، ويمكن أن يذكر فى هذا السياق أيضاً "Signe zéro" («العلامة ــ صفر»، ١٩٣٩).

٢ ــ الفكرة الرائدة فى هذه البحوث هى الثبات Invarianz، ولذلك توصف بحوث ياكوبسون فى المورفولوجيا أيضاً بأنها «نظرية اللامتغيرات». ٩٦

٣ ــ شُكّلت أوجه التلازم بمساعدة علامات ذات أصل دلالى. وينبغى الآن أن تلى إيضاحات أكثر دقة لهذه الفروض الأساسية الثلاثة مطابقة للتسلسل المقدم.

١ ــ يدخل ياكوبسون مفهوم التلازم الثنائى غير المتناسق binäre asymmetrische Korrelation. فالتلازم فى الفونولوجيا هو ***تقابل دال على السلب أحادى البعد***، أى أنه تقابل لا يوجد إلا بين عنصرين، ويبنى على ذلك أن السمة المحددة إما أن تكون موجودة أو غائبة (قارن ما ورد تحت ٤ــ٤ــ١، الفرضية ٦). ومن الجزء الأول لهذا الوصف تتقدم صفة «الثنائى»، وينشأ الجزء الثانى بتطويع ما هو فونولوجى لعمليات مورفولوجية. أما الموضع المستشهد به غالباً فى بداية مقالة «حول بنية الفعل الروسى» فهو:

تكمن إحدى الخصائص الجوهرية للتلازم الفونولوجي في أن عنصري زوجي التلازم ليسا متكافئين: إذ يمتلك عنصر السمة المعنية، ولا يمتلكها العنصر الآخر. ويوصف الأول بأنه ذو سمة merkmalhaltig والثاني بأنه بلا سمة merkmallos. ويمكن أن يستخدم التحديد ذاته أساساً لوصف ***أوجه التلازم المورفولوجية***(١٩٣٢، ٧٤).

بيد أن ياكوبسون يحذر من نقل غير نقدي، فربما لا تقسم كلتا الفصيلتين المشتركتين في التلازم تقسماً تاماً مثل أوجه التلازم الفونولوجية حسب نموذج «I تصف A وII تصف عدم وجود A»، بل:

في الحقيقة تتم ***المعاني العامة*** للفصائل المتلازمة على نحو آخر: إذا أعلنت الفصيلة I وجود A فإن الفصيلة II لا تعلن عن وجود A، أي أنها لا تفيد شيئاً سواء أكان A موجوداً أم غير موجود. فالمعنى العام للفصيلة II مقارنة بالفصيلة I تقتصر على نقص «التأشير بـ A». وإذا أعلنت الفصيلة I في سياق محدد عن عدم وجود A، فإن ذلك مجرد استعمال من استعمالات الفصيلة المعطاة (١٩٣٢، ٧٧).

وبعبارة أخرى: « عنصر التلازم مُعلَّم(*) لهذا السمة A (عنصر ذو سمة، موسوم = ع ذو س)، أما العنصر الآخر فيسلك مسلكاً محايداً بالنظر إليه؛ لا يقول شيئاً عن وجود A (عنصر بلا سمة = ع بلا س). فالعنصر ذو السمة مقيد

(*) تعرض مذهب ياكوبسون إلى إرجاع كل المشكلات إلى تقابل بين كلمتين (الثنائية) مهملاً بذلك تشابك الوقائع، لنقد عدد من اللغويين، ونُظِر إليه على أنه مبالغة في تقويم التعارض بين التراكيب المعلَّمة والتراكيب غير المعلمة في الفونولوجيا والمورفولوجيا والنحو والدلالة ـ إذ الأمور الأكثر تعقيداً في الفروع الأخرى مما هي عليه في الفونولوجيا. وعُدَّ تعصبه لهذا التعارض مظهراً من مظاهر الضعف في مذهبه أيضاً، بل ويظهر هذا الضعف أيضاً في تبسيطه لأنواع فقد النطق، وأخيراً في التبسيط المطلق التي يمارسه في الأدب وفي الفنون الأخرى أيضاً، حين يقسم الكلام إلى أسلوبين: الاستعارة (التشبيه) والكناية (التجاور)، وذلك برغم تراجعه واستخدامه لبعض الصيغ الأسلوبية... ويكفي أن نشير إلى هذا الجانب في المزاج الفلسفي الجاكوبسوني المرتبط بعمق ميله للشروح الغائية، إذ المناقشة هنا تتطلب تحليلاً يتجاوز إمكانات علم اللغة.

(المترجم)

في استعماله بالحالات التي يكون فيها A موجودة. أما العنصر بلا سمة فله مجال استخدام أوسع لأنه يقع تحت الوصف « نقص التأشير بـ A » سواء عدم وجود (A=)، أو أحيانا ـ وجود غير مخصوص بالذكر لـ A (A +). وتوصف العلاقة بين كلا عنصرى التلازم بأنها «غير متناسقة». / وقد اختار ياكوبسون الفصيلة المورفولوجية للجهة فى اللغة الروسية مثالاً: فالعنصران هما وجهة الفعل التام (pf) ووجهة الفعل غير التام. والسمة تبعاً لها «الحد المطلق للفعل» وما له سمة فهو وجهة الفعل التام. أما وجهة الفعل غير التام التى لا سمة لها فتسلك مسلكاً محايداً، ولذلك يمكن أن تستعمل ضمن ما تستعمل للحالات التالية: أ) غياب الحد المطلق للفعل، ب) تقرير فعل ، دون إمكانية تعليم حد (محتمل وجوده) أو دون ضرورة لذلك، جـ) فعل متكرر، من المحتمل مع حد موجود، لكنه لم يُعد ينظر إليه بسبب التكرار على أنه حد مطلق.

٩٧

٢ـ مفهوم الثبات Invarianz

افترض ياكوبسون للفصائل المورفولوجية وفصائلها الجزئية «دلالة كلية»، قيمة خاصة (قارن مفهوم القيمة Valeur لدى دى سوسير). أما الدلالات المفردة فهى بالنسبة له بدائل محددة سياقياً أو أسلوبياً. ذلك كان زعماً بعيد المدى على المرء منهجياً أن يدركه بدءاً من عصره. كانت فرضية الثبات رد فعل للمعالجة الذرية للفصائل المورفولوجية سواء من خلال رؤى تعاقبية أو تزامنية، إذ تُلْحَق بحالة إعرابية مفردة، الإضافة مثلاً، سلسلةً من «المعانى»، مجالات تطبيق، وليس رباطاً موحداً، كان من الممكن أن يبرر جعل الإضافة فصيلةً ما. وقياساً على ذلك حُشِدت لكل وجهة من الوجهتين فى الروسية سلسلة من المعانى، مجالات استخدام ولكن ليس دلالة وجهة الفعل التام (فى مقابل الفعل غير التام). لقد أدرك ياكوبسون التبعية القوية لتلك المعانى الجزئية للسياق، ومن ثم بحث عن المعنى الثابت الذى يحدد عنصر الفصيلة (أو الفصيلة الكلية) بوضوح ويحده عن الفصائل (الجزئية) الأخرى. وقد حُوِّلت طريقته المنهجية فيما بعد بمفهوم جدلى إلى تحليل السمات، أى من خلال الوصف بمجموعات مؤتلفة من السمات بدلاً من معنى كلى ليست له إلا خاصية العنوان فى الغالب.

٣ ـ سمات دلالية لفصائل مورفولوجية

في الفونولوجيا يجرى البحث بالسمات التى لها أصل صوتى، فعلم الأصوات مثل علم الأصوات الوظيفى «الفونولوجيا» يدرس الوحدات التى تعد لبنات أساس لوحدات أكبر، حاملة للمعنى، ولكنها ذاتها لا معنى لها، بل تُسَخر لتمييز المعنى فقط Bedeutungsdifferenzierung. وفى المورفولوجيا يتعلق الأمر كما سبق بوحدات حاملة للمعنى، وهى المورفيمات (المعجمية أو النحوية). وقد عُنِى ياكوبسون بالفصائل المورفولوجية ـ للفعل والاسم ـ ولذلك درس المورفيمات النحوية. والسمات التى بحث بها فى ذلك كانت ذات أصل دلالى، لأن الفصائل المورفولوجية كانت بالنسبة له تعبيراً عن معان نحوية.

98 / وفى مقالة «حول بنية الفعل الروسى» (١٩٣٢) ما يزال تحليل السمات ظاهراً، لأن أوجه التلازم قد عولجت، أى عنصران يستندان إلى سمة:

الجهة : حد مطلق للفعل،

جنس الفعل : إعلان عن لزوم الفعل.

إلخ.

أما الفصائل التى تتكون من أكثر من عنصرين، مثل فصيلة الشخص، فإنها تُرد فى خطوات إلى الثنائية:

خطوة ١ : الشخص الأول + الثانى (ذو سمة): الشخص الثالث (بلا سمة)، السمة هى «الاشتراك فى الفعل الكلامى».

خطوة ٢: الشخص الأول (ذو سمة) والشخص الثانى (بلا سمة)، السمة هى «متكلم».

وفى مقالة «إسهام فى علم الحالات الإعرابية العام» (١٩٣٦) وفيما بعد وسَّع ياكوبسون المعالجة عبر أوجه التلازم إلى الفصائل المورفولوجية على وجه الإجمال، وقد عَدَلَ فى ذلك عن الثنائية حتى يستطيع أن يضم أيضاً فصائل تتكون من أكثر من فصيلتين جزئيتين، وحتى لا ينساق إلى الثنائية. ولذا وصف نظام

الحالات الإعرابية الروسي ـ ٦ أو ٨ حالات(٢٢) ـ بمساعدة ٣ سمات على نحو عزا لكل حالة إعرابية تركيبية السمات الخاصة بها فقط. وكانت السمات هي السمات التالية: «جهة التوجه» (١٩٣٦: العلاقة)، و«الإطار» و«المحيط» وفي أعمال متأخرة رتبت الأبعاد الثلاثة في شكل مكعب. حالة الرفع بلا سمة مطلقاً، وتأخذ في المكعب الموضع الأمامي الأيسر العلوي، أما الحالات الأخرى فتوصف بسمة أو سمتين أو ثلاث سمات، وتتوزع تبعاً لذلك على المكعب. ومن الجدير بالذكر في هذا السياق محاولة ياكوبسون أن يوضح، توفيق الحالات ذاته[*]، أي تجانس صيغ الحالات بنموذجه، وهو تحييد Neutralisation السمة المميزة المعنية[**]. واستغنى بالإضافة إلى ذلك عن حالتي التبعيض والمكانية، ونَظَّم الحالات الست المتبقية بشكل ثنائي البعد:

ض	ن	ر
ج	ق	أ

(٢٣)

ويتبع التوفيق ثلاث قواعد:

٩٩

أ) تنقسم حالات غير المحيط دائماً إلى حالة إطار وحالة لا إطار، أي يبقى التفريق أ (أداتية): ر (رفع) وق (قابل): ن (نصب)،

---

(٢٢) ٦ حالات هي: الرفع ـ الإضافة ـ القابل ـ النصب ـ الأداتية ـ الجر بالحرف و٨ حالات: إضافة للحالات الست السابق ذكرها حالتا التبعيض والمكانية، اللتين لم تعودا تشكلان صرفياً في الروسية بشكل مطرد.

(*) استخدمت المؤلفة مصطلح هنا Kasussynkretismus، ويعني الجزء الثاني منه التلفيق أو التوفيق بين المعتقدات (الدينية) المتعارضة، والسياق يستبعد أن يكون قصدها التلفيق بدليل الجملة التفسيرية والمصطلح التالي المفسر. (المترجم)

(**) يعود اكتشاف ظاهرة التحييد ـ كما أشرت في هامش سابق ـ إلى بودوان دي كورتيني على المستوى الفونولوجي، إذ يعني أن يفقد الفرق بين فونيمين قيمته التمييزية. (المترجم)

(٢٣) ر = رفع، ن = نصب، ض = إضافة، أ = أداتية، ق = قابل، ج = جر.

ب) لا تبقى حالتا النصب (ن) والقابل (ق) الموجهتان على حالهما مطلقاً، إذ يمكن أيضاً أن يزولا.

جـ) ينتقل ن (النصب) إلى ر (الرفع) أو إلى ض (الإضافة)، وينتقل ق (القابل) إلى ج (الجر)(*).

وعلى هذا النحو يوضح الجدول ذو الحالات الخمس الذى يبدو على النحو التالى:

ض		ر
ج	ق	أ

ويوضح ذلك دلالياً: زالت حالة النصب بناء على القاعدة (ب). وتقتضى القاعدة (أ) أنه لا يجوز أن تتطابق صيغة حالة النصب مع صيغة حالة القابل. وتظهر القاعدة (جـ) أن النصب يمكن أن ينتقل إلى الرفع أو الإضافة. هذا الجدول بدقة يُوجد فى تصريف الروسى للأسماء المذكرة: فمع الكلمات المذكرة التى لا روح فيها (السمة غير حى)، النصب مساوٍ للرفع، ومع الكلمات المذكرة التى فيها روح (السمة حى) النصب مساوٍ للإضافة.

مثال ثان: يوجد فى الروسية أيضاً جدول ثنائى الحالة (على سبيل المثال العدد sto = مئة). هنا ما يزال لا يسرى إلا التفريق بين بلا سمة : ذى سمة، يقابل الرفع بوصفه حالة بلا سمة مطلقاً ـ حالة مباشرة casus rectus ـ كل الحالات الأخرى ـ الحالات غير المباشرة casus obliqui ـ باعتبار أن فيها سمة واحدة على الأقل.

(*) أضفت المصطلح بين قوسين بعد الرمز حتى لا يتوقف القارئ أمامه ليراجع تفسيره، وأقصد هنا بالقابل Dativ، ويترجم أيضاً إلى المفعول غير المباشر، وللأول خاصية المصطلح الشائع بين الباحثين وللثانى خاصية وضوح القصد، ولذا يمكن أن يتبادلا.

(المترجم)

باختصار: تعد بحوث ياكوبسون المورفولوجية في الوقت نفسه أيضاً بحوثاً في معاني النحو، وهي بذلك إسهام مبكر في علم الدلالة البنيوي.

٤ ـ ٥ ـ ٣ السيميوطيقا (علم العلامات)

١٠٠ / يعد رومان ياكوبسون الموضوعات السيميوطيقية من «الموضوعات الأثيرة Favorite Topics» لديه. فقد كان تهمه منذ وقت مبكر أوجه الاتفاق بين اللغات الطبيعية والأنظمة السيميوطيقية الأخرى، وكذلك خواصها في مقابل كل هذه الأنظمة الأخرى. وبإيعاز من درس ف. دي سوسير لأنظمة العلامات، وعلم ينبغي أن يعنى بها عناية خاصة، وهو علم العلامات Semeologie (قارن ٣ـ٤ـ٢)(*)، بدأ ياكوبسون في براغ في تحليل أنظمة سيميوطيقية. وقد نشر إ. هولنشتاين E. Holenstein سنة ١٩٨٨ المجلد الجامع المستحق للشكر Roman Jakobson, Semiotik نصوص مختارة من ١٩١٩ ـ ١٩٨٢، (انظر قائمة المراجع في آخر الفصل)، ويسَّر للقارىء الألماني نصوص ياكوبسون التي يصعب الوصول إليها. وقد أدرجت هنا من فترة براغ ابتداءً مقالات من مجال «اللغة نظام علامات»، بل ومقالات كذلك عن أنظمة علامات غير لغوية مثلما هي الحال عن الفيلم بوصفه نظاماً سيميوطيقاً ــ في بداية الثلاثينيات عند الانتقال من الفيلم

(*) لا أدري لماذا لم تشر المؤلفة إلى النموذج الشهير الذي وضعه ياكوبسون لتحديد الوظائف الستة للغة التي يوضحها المخطط التالي

	مرجعية	
انفعالية	شعرية	إفهامية
	انتباهية	
	ميتالسانية	

(انظر كتاب قضايا الشعرية) ص٢٣ومابعدها.

وثمة خلاف كبير حول ترجمة المصطلحات بين اللغويين: فالوظيفة الأولى المرجعية، يطلق عليها أيضاً (الموضوعية والإشارية)، والثانية تسمى أيضاً التعبيرية، والثالثة تسمى التأثيرية والنزوعية والمناشدة والاستدعاء والاستثارة...، والرابعة تسمى الاتصالية، والخامسة تسمى الاصطلاحية أو الواضعة، أو ما وراء اللغة...، والسادسة تفصل عن الوجدانية... راجع أيضاً نقد مونان لهذا النموذج واستكماله بوظائف أخرى (ص ١٥١ وما بعدها). (المترجم)

الصامت إلى الفيلم الناطق موضوع سباحق ـ، وعن (علم) الموسيقى فى علاقته باللغة وعلم اللغة، وعن الفلكلور وعن الفكاهة بوصفها أنظمة سيميوطيقية.

وبالنظر إلى السيميوطيقا أيضاً لا يمكن أن يستغنى عن عرض موجز لبحوث ياكوبسون بعد مغادرته تشيكوسلوفاكيا. ففى بداية فترته فى الولايات المتحدة الأمريكية صادفت اهتماماته السيميوطيقية تأكيداً علمياً إضافياً: فقد واجه عرضاً أعمال تشارلز ساندرس بيرس Ch. S. Peirce (١٨٣٩ ـ ١٩١٤)، الفيلسوف والمنطقى الأمريكى، الذى عده مؤسس السيميوطيقا الحديثة[٢٤]، وأدرجه ضمن وثاقة صلته بعلم اللغة الحديث. وكانت أعمال ياكوبسون الخاصة فى ذلك الوقت قد انطبعت بقوة بطابع بيرس، وحافظ على تنوع اهتماماته السيميوطيقية كما أنه كان يعيد باستمرار معالجة موضوعات خلال عقود فى كل المجالات بوجه عام.

وهكذا يرجع عمله «حديث حول الفيلم» إلى سنة ١٩٦٧، وكتب عن «علامات مرئية ومسموعة سنة (١٩٦٤)، وحول الفلكلور الروسى (١٩٦٦)، وحول أنظمة بيولوجية من وجهة نظر سيميوطيقية (انظر حول ذلك ما يرد تحت ٤ـ٥ـ٥)، وحول الشعر بوصفه نظاماً سيميوطيقياً. وينبغى أن يذكر ضمن هذه المجموعة من الموضوعات مقال حول «القطط» لشارل بودلير (١٩٦٢)، حيث شاركه فى تأليفه كلود ليفى شتراوس[*]. فقد كان الأنثروبولوجى الفرنسى ليفى شتراوس Lévi - Strauss متصلاً بفرضيات ياكوبسون اللغوية اتصالاً وثيقاً. وقد أبدع أنثروبولوجيته البنيوية باستناد واع/ إلى علم اللغة البنيوى لحلقة براغ، وبخاصة رومان ياكوبسون. وفى الأربعينيات درّس كلاهما فى جامعة المنفى فى نيويورك، وعقدا هناك أواصر صلات علمية متميزة. وقد عمل ليفى شتراوس مثل

١٠١

(٢٤) رأى ياكوبسون يمكن أن يُتبع علم أنظمة العلامات على وجه الإجمال حتى الرواقيين "Stoiker".

(*) لقد قدم ياكوبسون وليفى شتراوس أفضل تطبيق لنظريته فى الأسلوب من خلال مجموعة قصائد لبودلير Les chats de charles Baudelaire (l'homme II, 1962, 5 - 21).
(المترجم)

ياكوبسون بالسمات الدلالية. ولذا حدد بهذه الطريقة على سبيل المثال علاقات القرابة فى ثقافات أجنبية. وغالباً ما يستشهد على تحليله لسمات إعداد الطعام بمعاونة «ذواقة». وقد استخدم ثلاثة أزواج من السمات:

* من الداخل/ من الخارج (مواد خام محلية/ خارجية).
* مخصوص/ غير مخصوص (شهى/ لا طعم له).
* رئيسى / هامشى (جزء من الوجبة/ إضافة)(٢٥).

ويقابل بمساعدة مجموعة مؤتلفة من السمات على سبيل المثال بين المطبخ الانجليزى والمطبخ الفرنسى(٢٦).

ويطلق كذلك على الفيلسوف واللغوى الإيطالى، وربما أشهر عالم سيميوطيقا فى العصر الحاضر، أمبرتو إيكو Umberto Eco تلميذ ياكوبسون.

٤ـ٥ـ٤ علم الشعر(*)

كان لرومان ياكوبسون علاقة خاصة بلغة الشعر. ففى فترة وجوده فى موسكو ألف هو نفسه قصائد مستقبلية. وكان اليكسى كروتشونيخ Aleksej Kruconych قد صاغ لهذا النوع من الشعر «كلمة خاصة بكوكب زحل» zaum (~ za -um من وراء العقل) والصفة zaumnyi عادة ما تترجم إلى «متجاوز العقل». وصف ياكوبسون أيضاً قصائده بأنها أشعار متجاوزة العقل، ونشرها تحت اسم مستعار «الياجروف Aljagrov». وكان نشره الأول فى الخارج سنة ١٩٢١ «أحدث شعر روسى: موجز أول، تَقَرُّب إلى خليبنخوف (باللغة الروسية)، وأعقبه سنة ١٩٢٣ «حول الشعر التشيكى مقارنة بالشعر الروسى» (باللغة الروسية)، أهداه إلى صديقه الحميم فلاديمير ماياكوسفكى، الذى حزّ انتحاره سنة ١٩٣٠ فى نفسه

---

(٢٥) كلود ليفى شتراوس (١٩٩١) : Strukturale Anthropologie (الانثربولوجيا البنيوية) I, 100, Frankfurt/ M.

(٢٦) لا يحكم لصالح المطبخ الانجليزى، ولكنه ربما ليس موضوعياً تماماً.

(*) يترجم مصطلح Poetik إلى الشعرية وعلم الشعر والبوطيقا، وقد استخدمت مصطلحاً آخر غير المصطلح الذى استخدمه مترجما مقالات لياكوبسون فى الموضوع بعنوان «قضايا الشعرية» وهما محمد الولى ومبارك حنون. (المترجم)

بشدة[٢٧]. وفي براغ التقى ياكوبسون المنظر التشيكي للأدب جان موكاروفسكي Jan Makarovsky (١٨٩١ ـ ١٩٧٥)، وطور بالاشتراك معه علم الشعر Poetik باعتباره رابطاً بين علمي اللغة والأدب. ويعني علم الشعر باستخدام وسائل لغوية لأغراض أدبية، وتفي لغة الشعر بوظيفة خاصة[٢٨].

١٠٢ / وفي سنة ١٩٣٢ نشر موكاروفسكي مقالة «اللغة المعيار واللغة الشعرية» (باللغة التشيكية)، غير أنه ـ كما قد ذكر تحت ٤ـ٣ أشير في «الفروض» إلى التفريق بين لغة معيار ولغة شعرية. ووصفت اللغة الشعرية هناك بأنها إنجاز فردي خلاق يجب أن ينظر إليه بناءً على خلفية اللغة المعيار أولاً والمعيار الشعري الصالح له. وأكد موركاروفسكي في مقالته سنة ١٩٣٢ أن اللغة الشعرية لا تصير ممكنة إلا بخرق منظم لمعيار اللغة المعيار. وكلما كان معيار اللغة المعيار أكثر ثباتاً كانت إمكانات التنوع أكثر تشعباً مع أوجه خرق شعري، وأبرز أن اللغة الشعرية لها وظيفة متميزة.

وفي فترة مكوثه التشيكية اشتغل ياكوبسون ببناء بنية الأعمال الشعرية، مثل الغنائيات التشيكية في العصور الوسطى. ونشر بالاشتراك مع يوري تينيانوف Jurij Tynjanov في المنفى الداخلي في الاتحاد السوفيتي، سنة ١٩٢٨ في براغ «البيان البنيوي، مشكلات بحث الأدب واللغة»(**).

---

(٢٧) ألف آنذاك مقالة هي «من جيل، أضاع شعراءه».

(٢٨) لذلك أُخرجت في حلقة براغ من «وظيفة العرض» لدى بولر «الوظيفة الشعرية» واستُعملت بوصفها الوظيفة الرابعة.

(*) ينتهي ياكوبسون إلى القول بأن الوظيفة الشعرية تتميز «بغائية النص في ذاته»، فالاهتمام بنص على النص في ذاته، أو إلى القول المأثور «تنقل الوظيفة الشعرية مبدأ المساواة من محور الانتقاء إلى محور التركيب. (المترجم)

(**) يوضح مونان ص ١٥٣ تلك النزعة الشكلية البارزة في أعمال ياكوبسون بقوله: وأثناء بحث الشكليين وجاكوبسون بشكل خاص، عن الطرائق والبنى الشكلية التي كان يختبرونها بنى اللغة الشعرية، لم يكتشفوا على الأغلب إلا البنى التكرارية الجامدة ـ باستثناء تينيانوف العظيم ـ تلك البنى التي تشير في كل الحضارات إلى أصل «الشعر»، والتي تعتبر الوسيلة التي تسهل الحفظ من أجل الاحتفاظ بكل معرفة ونقلها الشفهي: الموسيقا والإيقاع والتوازيات بما فيها التوازيات بالمعنى، وكل الأمور التي لم تكن تعتبر شعرية في ذلك الحين، برغم أنها أصبحت كذلك من وجهة نظر تاريخية. (المترجم)

ويمكن أن نقول بشكل موسع: صار علم الشعر بعد الحرب العالمية الثانية أهم مجال بحثى لرومان ياكوبسون. وقد كانت تهمه بوجه خاص الوسائل النحوية التى تستخدم فى الشعر بوعى أو بغير وعى، ومن ذلك خاصية التوازى النحوى، أى التكرير المنظم لفصائل متطابقة (الشخص والزمن وغيرهما) فى أسطر أو مقاطع شعرية متوالية. هكذا تعامل مع الأدب الشعبى، بل مع قصائد لالكسندر بوشكين Aleksander Puschkin أيضاً (مثل قصيدته الرومانسية المشهورة « Ja vas ljubil = أحبيتها») وبرتولت برشت Bertolt Brecht ("Lob der Partei" إطراء الحزب) فسر ياكوبسون بناء التوازى وتأثيره.

وتفهم الدراسات فى علم الشعر من تاريخ الثقافة فى روسيا، فقد أضفت على الطبيعة الإنسانية فى وسط أوربا (وفيما بعد فى الولايات المتحدة الأمريكية) ألواناً جديدة للغاية.

٤-٥-٥ مجالات بحثية أخرى

لم نستطع فى هذا المبحث برغم تفصيلاته أن نقدم كل أعمال رومان ياكوبسون، اللغوى، الذى وصف ذات مرة ــ بتعبير إعجاب كبير ــ بأنه مرعب أو مهول، وذلك بسبب كثرة مواهبه(*)، وتأثيره الكبير فى علمى اللغة الأوربى والأمريكى.

بيد أنه ينبغى أن تذكر كذلك على الأقل بحوثه حول لغة الأطفال والحُبْسة Aphasie بوصفهما ظاهرتين متبادلتين، مثل بحوث أخرى كثيرة رأى فيها استمراراً لأعمال بودوان دى كورتينى. وقد نشر ياكوبسون سنة ١٩٤١ أهم أعماله حول ذلك. وبهذه النظرة من علم اللغة إلى الطب يتضح ما صار فى الولايات المتحدة الأمريكية واحداً من/ الموضوعات الأثيرة، التعاون المتداخل مع الفلاسفة ١٠٣

(*) لقد بحث فى الشعر والفونولوجيا والمورفولوجيا والدلالة والانثربولوجيا وباتولوجيا اللغة (لغة الأطفال والحُبْسَة) وعلم العلامات وعلم الأسلوب والفولكلور ونظرية الإعلام وغير ذلك. (المترجم)

وعلماء الرياضة وعلماء الطبيعة بصفة خاصة. وقد كتب ياكوبسون ذات مرة أنه عد عمله أستاذاً زائراً ومحاضراته فى كثير من الجامعات الأمريكية مكسباً له دائماً؛ لأنه قد استطاع بهذه الطريقة أن يقيم بسرعة صلة بممثلى تخصصات غاية فى التباين. وكان يهمه فى المقام الأول علماء الأحياء وعلماء الوراثة. وقد عنى عناية كبيرة بأوجه التوازى بين اللغة الطبيعية وأنظمة بيولوجية، ولاسيما أوجه التوازى بين الشفرة الوراثية التى شجعته غاية التشجيع، ودفعته إلى قول مأثور ذائع، هو:

أوحى فك شفرة الأحماض النووية للخلايا الحية (دى أوكسى ريبوزه DNS)(*) بأننا نمتلك لغة أقدم بكثير من اللغة الهيروغليفية، لغة تعد أكثر حيوية من كل اللغات. [...]، لغة من أربعة أحرف، تتمثل فى جزئيات الحمض النووى. (١٩٨٨، ٢٠٧).

وكان مما أدهشه أن الأمر يتعلق حقيقة بأربعة أحرف، وليس برموز كتابية أو

(*) هذا اختصار لمصطلح Desoxyribo (se) nukleinsäure وقد استعملت الطريقتين المتعلمتين فى ترجمة هذا المصطلح الذى يختصر إلى DNS كما ورد فى النص أو إلى DNA (الدنا).

تركيب د. ن. أ. D.N.A اكتشفه لأول مرة ١٩٥٣ الأمريكى والإنجليزى كريك، وكلمة «دنا» DNA اختصار للحامض النووى ريبونيوكليك، وهو حامض موجود أساساً فى نواة الخلية، وهو المكون الرئيسى لما فيها من جينات أو مورثات، تنقل المعلومات الوراثية من جيل إلى آخر. ودنا جزء عملاق يحوى ملايين الذرات التى تترابط معاً فى خيطين يلتفان معاً فى لولب مزدوج تتكرر فيه أربعة أنواع من القواعد العضوية. تعمل هذه القواعد بمثابة حروف الأبجدية فى لغة الوراثة، وترتبط كل واحدة منها على أحد الخيطين بأخرى على الخيط المقابل، بحيث يمكن تشبيه هذه الترابطات بالدرجات فى سلم حلزونى طويل، وسلم «دنا» يلتف لولبياً، ولفاته دائماً فى اتجاه واحد هو اتجاه حركة عقرب الساعة. أدى اكتشاف تركيب «دنا» إلى تطوير وتنوير دراسات ظاهرة التطور نفسها هى والنظرية التى تفسر ميكانزمات هذه الظاهرة، ويؤكد علماء البيولوجيا ضرورة تمييز فارق مهم، فالتطور لم يعد بعد نظرية، وإنما هو ظاهرة حقيقية.

(المترجم)

شيء آخر كلية(*). وتناقش مع عالم الوراثة فرانسوا ياكوب François Jacob حول إذا ما كان التماثل في الشكل يفهم على أنه مجرد تقارب نشأ عن حاجات متشابه (ياكوب)، أو إذا ما كانت الأبنية اللغوية محاكية للأسس الجينية للبنية (ياكوبسون). ولما كان التساؤل تأملياً للغاية فإنه لن يتبع هنا تتبعاً دقيقاً.

من البدهي أيضاً أن الصلات بعلمي الأدب والعلامات تتبع مجال التعاون المتداخل مع ممثلي تخصصات أخرى؛ فقد عولج كلاهما بسبب قربهما الواضح من علم اللغة على أنهما حلقة داخلية إلى حد ما لاهتماماته بمباحث خاصة.

٤ـ٦ فيلم ماتسيوس: النحو

أحد المشاركين في تأسيس حلقة براغ عالم الدراسات الأدبية واللغوية الانجليزية فيلم ماتسيوس Vilém Mathesius (قارن ٤ ـ١). ويحدو بنا أن نقدم هنا من مجالاته البحثية النحو. فقد أثرت أعماله في مجال معين تأثيراً كبيراً، دلّل عليه بمصطلحات غاية في التباين في أثناء تطور العلم، إذ تحدث ماتسيوس نفسه عن التقسيم الواقعي للجملة (aktuální členěni věty). ولا يوجد في هذه الدراسات أي مطابقة للمستويات بين الفونولوجيا ـ والمورفولوجيا ـ والدلالة. فلم تُحدد وحدات تركيبية وقواعد نحوية لتأليفها، بل يتعلق الأمر هنا بتأثير في الدلالة والبراجماتية.

إن الموضوع ليس بجديد، فقد استقاه من أعمال جيورج فون ديرجابلنتس وهرمان باول وأنطون مارتي، ولكنه خلصه من ثقل نفسي ووضعه في سياقات تركيبية ووظيفية. / وكان عالم الدراسات الصينية الألماني هانزجيورج كانون فون ديرجابلينتس قد أسس هذه البحوث. فقد لاحظ هذا العالم في دراساته الصينية

١٠٤

(*) أظن أن الأمر هنا يمكن فهمه في إطار محاولة ياكوبسون تقديم نظرية في النسبية اللغوية، وليس علم لغة عام، بل علم لغة شمولي، وحصره كل التعارضات الفونولوجية الممكنة في اثنى عشر تعارضاً منها: مجهور = مهموس (بين فونيمات مثل L.M.N.R وكل الفونيمات الصامتة الأخرى)،
وصامت ≠ غير صامت، ومتماسك ≠ منتشر، ومصوت ≠ غير مصوت، وأنفي ≠ فموي... (المترجم)

والمقارنة باللغة الألمانية أنه في لغات ذات ترتيب حر نسبياً للمفردات، أي لغات يمكن أن تعبر فيها المورفولوجيا عن علاقات نحوية، فإنه يمكن أن يقوم ترتيب المفردات بوظائف أخرى غير نحوية. ربما يُتحدث اليوم عن وثاقة الصلة الاتصالية والبنية المعلوماتية لأن جابلنتس راعى العلاقة بين المتكلم والسامع؛ وقد اختار مصطلحات: «الموضوع النفسي» و«المحمول النفسي». فعن أي شيء ينبغي أن يعرف السامع شيئاً هو الموضوع النفسي، وما ينبغي أن يُبلَّغ به هو المحمول النفسي. ويقع الأول في التتابع قبل الثاني. وفي كتاب «أسس تاريخ اللغة» أكد هـ. باول وثاقة صلة هذه الفرضيات بفون ديرجابلنتس. وعد آخرون ـ وبخاصة فيليب فاجنر Philipp Wegener الأمر الحاسم هو النبر الرئيس وليس ترتيب المفردات. وقد ربط بعد ذلك الفيلسوف اللغوي المؤثر في براغ أنطون مارتي كلا المفهومين.

عرف ماتسيوس أعمال جابلنتس ومارتي، وصبت أفكاره عن التقسيم الواقعي للجملة في «فرضيات» حلقة براغ. وحاول ماتسيوس انطلاقاً من وظيفة الإخبار للغة أن يحدد ما وسائل المتكلم التي يحقق من خلالها قصده الفعلي من الكلام، ويؤشر للسامع إليها وذلك من خلال مقارنات بين الانجليزية والتشيكية. وقد أطلق على كلا العنصرين «منطلق المنطوق» (východiště výpovědi ١٩٢٩ بالألمانية «الموضوع»)، و«نواة المنطوق » (jodro výpovědi ١٩٢٩، بالألمانية «خبر الجملة»). وبالنسبة للتقسيم الواقعي للجملة في الانجليزية ـ تحدث سنة ١٩٢٩ عن منظور الجملة ـ فقد عد التفريق بين التتابع الموضوعي للمفردات والتتابع الذاتي تفريقاً أساسياً؛ وتميل الانجليزية إلى التتابع الموضوعي للمفردات:

يمكن أن تشيد الجملة بوجه عام بأن يتقدم موضوع الجملة، ويعقبه حديث (خبر/ محمول) الجملة (التتابع الموضوعي للمفردات)، أو يمكن أن يبدأ المرء كذلك بحديث الجملة (المحمول)، ويجعل موضوع الجملة يعقبه (التتابع الذاتي للمفردات). (١٩٢٩، ٢٠٨).

ويصف ماتسيوس العلاقات بين الفاعل النحوي وموضوع الجملة على النحو التالي:

كما قيل، يمكن بوضـوح أن يُتلمس في الانجليزية الميل إلى جعل الموضوع خبر الجملة، حيث يكون ذلك ممكناً، الفاعل النحوىَ للجملة. وحين يُقدم تصوران بوصفهما معطىً للموقف فإنه يجعل الفاعل النحوى من يمتلك منهما فعلية أكثر، أو يظهر كأنه شيء محدد. (١٩٢٩، ٢٠٢).

صارت دراساته أساس كل البحوث التالية في هذا المجال، وصيغ مصطلحان جديدان، على سبيل المثال Thema - Rhema موضوع ــ حديث (أدخلهما عالم الدراسات الجرمانية الألماني هرمان أمّن Hermann Ammann)، ١٠٥ / المعروف ــ الجديد، المحور ــ البؤرة» ــ أغلبها ليست مترادفات لمصطلحي ماتسيوس، بل تزحزح جوانب أخرى إلى الصدارة. غير أن الأمر يتعلق دائماً بوظيفة الأبنية النحوية للتعبير عن معانٍ خاصة، لم يعد من الممكن أن توصف داخل النظام اللغوى وحده، بل في البراجماتية التى تتناول الاستعمال اللغوى.

٤ ـ ٧ الموضع الصحيح لحلقة براغ في علم لغة القرن العشرين

يستخلص من مجمل الفصل الرابع أن لغويى حلقة براغ، أى علم اللغة الوظيفى، يشغل موقعاً فريداً داخل علم اللغة البنيوى في القرن العشرين. ويبرز تنوع مجالات البحث (قارن ٤ ــ ٣). ومع ذلك فإن معالجة موضوعات مهمة تفضى ــ مع النظرة السطحية ــ إلى الرأى القائل إن حلقة براغ هى أشد هذه الاتجاهات تقليدية (وهو ما يقصد دائماً على وجه موضوعى). ومن البدهى أن ذلك ليس صحيحاً؛ فمن الممكن للمرء أن يقتنع المرء من خلال المؤلفات المنشورة بأن العنصر الابتكارى قد كمن في تناول موضوعات قديمة من خلال دعامة نظرية جديدة وبمناهج جديدة. وبالإضافة إلى ذلك طور البراغيون أيضاً دائرة الموضوعات التى أبرزوها أمام الاتجاهات الأخرى لعلم اللغة البنيوى. ومن ضمن ذلك بوجه خاص:

١ ــ معالجة مستويات النظام اللغوى وفق مبادىء مناسبة. وبعبارة أدق: صار المستوى الفونولوجى الموصوف وصفاً جيداً نسبياً منذ وقت مبكر جداً النموذج للمستويات الأخرى، وبخاصة للمورفولوجيا وعلم الدلالة. (قارن ٤ــ ٥ ــ ٢). وقد ثبت أن هذا المنهج في المعالجة مثمر للغاية، واستمر حتى فترة ما بعد الحرب.

٢ ـ لم يُغْفَل فصل دي سوسير بين التزامن والتعاقب، ومن ثم إبراز التزامن المرتبط بذلك (قارن بوجه خاص ٤ـ ٥ ـ ١)؛ ونُظر أيضاً إلى التطور اللغوى على أنه تطور **لنظام**، وقبل أى شيء: عُدّ النظام اللغوى تزامنياً أيضاً، وحدد بأنه **نظام دينامى** dynamisches System. ويعنى هذا أنه يمكن أن يتحدث عن **حال لغوية**، مثل «لغة الحاضر»، فى إطار جانب منهجى، بل يجب على المرء أن يكون واعياً بأن الكلام عن تركيب، عن خطوة فنية من خلال نظام لم يوجد فى الحقيقة مطلقاً فى حال سكون (قارن حول ذلك أيضاً ٤ ـ ٥ ـ ١).

٣- ينتج عن ٢ أن البراغيين لا ينظرون إلى اللغة على أنها نظام مغلق، بل هى نظام مفتوح. ولا يتوجه ذلك دائماً إلى توازن دون الوصول إليه، لأن التوازن الحاصل فى مجال يولد أوجه خلل فى مجال آخر. وبعد الحرب وسّع جيل الشباب من لغويى براغ هذه الفكرة حول المقابلة بين «مركزى (مغلق نسبياً وثابت): وهامشى» (مفتوح، أقل ثباتاً).

٤ ـ كان مجالاً ابتكارياً للبراغيين بحثُ الوظيفة الشعرية للغة، الصلة بنظرية الأدب، وقد صار هذا الموضوع بعد الحرب على يد ياكوبسون فى الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً قضية محورية مهمة فى البحث (قارن ٤ ـ ٥ ـ ٤). /١٠٦

٥ ـ ويفهم أيضاً بشكل مجمل هدف البراغيين القائم إلى حد كبير على التطبيق من التأكيد على وظيفية اللغة. فقد بذلوا جهداً فى تعليم اللغة، واضطلعوا مثلاً بتأثير فى تدريس اللغة الأم فى المرحلة الثانوية، واهتموا بإشكالية لغة الأدب، وتشفير لغة الكتابة، أى بالتخطيط اللغوى والنمذجة اللغوية (على سبيل المثال ب. هافرنك B. Havrának وفيما بعد أيضاً جدليتشكا A. Jedlička).

ذلك نوع آخر من العلاقة بالتطبيق (الاستعمال) غير التى عرفها علم اللغة الوصفى فى الولايات المتحدة (قارن الفصل السادس)، وأخيراً لم تطرح الجلوسماتية الدنماركية (قارن الفصل الخامس) السؤال عن مجالات تطبيق نظريتها عن الإطلاق.

باختصار: من المحتمل أن تكون مدرسة براغ بنظرة مجملة قد صادفت الصدى الأعظم فى علم لغة قرننا، وذلك بمعنى أنها أعطت حافزاً فى مجالات كثيرة للغاية، غير أن الحافز الأبعد مدى نظرياً فى مجال محدد، وهو نظرية النحو - كما سيُوضح فيما بعد (قارن الفصل السادس) - قد أنتج علم اللغة الوصفى، حيث نبت النحو التوليدى من جذورها.

٤ - ٨ بيانات المراجع:

K. Bühler (1913): Die Gestaltwahrnehmungen. Experimentelle Untersuchungen zur psychologischen und ästhetischen Analyse der Raum- und Zeitanschauung. Stuttgart.

K. Bühler (1934): Sprachtheorie. Die Darstellungsfunktion der Sprache. Jena [Ungekürzter Neudruck der Ausgabe Jena 1934: Stuttgart/New York 1982].

K. Chvatík (1981): Tschechoslovakischer Strukturalismus. Theorie und Geschichte. München.

E. Coseriu (1967): Zur Vorgeschichte der strukturellen Semantik. In: To Honor Roman Jakobson I. Den Haag.

F. Daneš/J. Vachek (1964): Prague Studies in Structural Grammar Today. In: Travaux linguistique de Prague (Prager linguistische Arbeiten). Prague.

U. Eco (1981): Der Einfluß Roman Jakobsons auf die Entwicklung der Semiotik. In: Die Welt als Zeichen. Klassiker der modernen Semiotik (Hrsg. M. Krampen et al.). Berlin.

Études phonologiques dédiées à la mémoire de M. le Prince N.S. Trubetzkoy (1939): (Phonologische Studien, gewidmet dem Andenken des Prinzen N.S. Trubetzkoy): Als: TCLP VIII.

P.L. Garvin (Hrsg., [3]1964): A Prague School Reader on Aesthetics, Literary Structure and Style. Washington.

R. Jakobson (1931a): Prinzipien der historischen Phonologie. In: TCLP IV [Wiederabdruck in: D. Cherubim (Hrsg., 1975): Sprachwandel. Reader zur diachronischen Sprachwissenschaft. Berlin/New York].

R. Jakobson (1931b): Über die phonologischen Sprachbünde. [Wiederabdruck in Selected Writings I.]

R. Jakobson (1932): Zur Struktur des russischen Verbums. In: Charisteria Guilelmo Mathesio Quinquagenario oblata. Prag.

R. Jakobson (1936): Beitrag zur allgemeinen Kasuslehre. In: TCLP VI.

R. Jakobson (1939): Signe zéro (Das Nullzeichen). In: Mélanges de linguistique offerts à Charles Bally (Vermischte linguistische Schriften zu Ehren von Ch. Bally). Genf.

R. Jakobson (1939): Nikolaj Sergeevič Trubetzkoy, 16.4.1890-25.6.1938. In: Acta Linguistica I (Kopenhagen).

R. Jakobson (1941/[4]1992): Kindersprache, Aphasie und Allgemeine Lautgesetze. Frankfurt/M.

R. Jakobson (1948): Russian Conjugation. In: Word 4.

R. Jakobson (1957): Shifters, verbal categories [and the Russian verb]. Harvard University Press. Wiederabdruck in: Selected Writings II und [gekürzt] in „On Language" 1990.

R. Jakobson (1961/1979): Poesie der Grammatik und Grammatik der Poesie. In: Poetik 1979/1989. Zuerst abgedruckt 1961 in russischer Sprache in dem Sammelband „Poetics, Poetyka, Poètika". Warschau.

R. Jakobson (1971-1979): Selected Writings I-V (eds. S. Rudy & M. Taylor). Den Haag

R. Jakobson (1979/[2]1989): Poetik. Ausgewählte Aufsätze 1921-1971 (Hrsg. E. Holenstein und T. Schelbert). Frankfurt/M.

R. Jakobson (1981): Poetry of Grammar and Grammar of Poetry (ed. St. Rudy). The Hague/New York.

R. Jakobson (1985): Verbal art, verbal sign, verbal time (eds. K. Pomorska and St. Rudy). Minneapolis.

R. Jakobson (1987): Language in Literature (eds. K. Pomorska and St. Rudy). Harvard University Press, London, England.

R. Jakobson (1988): Semiotik. Ausgewählte Texte 1919-1982 (Hrsg. E. Holenstein). Frankfurt/M.

R. Jakobson (1990): On Language (eds. L.R. Waugh and M. Monville-Burston). Harvard University Press, London, England.

R. Jakobson & M. Halle (1956): Fundamentals of Language (dt.: Grundlagen der Sprache. Berlin 1960).

R. Jakobson & L.R. Waugh (1979/[2]1987): The Sound Shape of Language. Berlin/New York (dt.: Die Lautgestalt der Sprache. Berlin/New York 1986).

D. Jones ([3]1967): The Phoneme. Its Nature and Use. With an Appendix on the History and Meaning of the Term „Phoneme". London.

S. Karcevski (1927): Système du verbe russe. Essai de linguistique synchronique (Das russische Verbalsystem. Versuch einer synchronen Sprachwissenschaft). Prague.

D. Katz (1944/[4]1969): Gestaltpsychologie. Basel.

O. Leška, J. Nekvapil, O. Šoltys (1987): Ferdinand de Saussure and the Prague Linguistic Circle. In: philologica pragensia 30/2.

C. Lévi-Strauss (1945): L'analyse structurale en linguistique et en anthropologie (Die Strukturanalyse in der Linguistik und in der Anthropologie). In: Word I/1. New York.

L. Matejka (Hrsg., 1976): Sound, Sign and Meaning. Quinquagenary of the Prague Linguistic Circle. Ann Arbor.

V. Mathesius (1929): Zur Satzperspektive im modernen Englisch. In: Archiv für das Studium der neueren Sprachen und Literaturen 84.

J. Mukařovský (1940/1976): Über die Dichtersprache. In: Grundlagen der Sprachkultur. Beiträge der Prager Linguistik zur Sprachtheorie und Sprachpflege I (Hrsg. J. Scharnhorst und E. Ising). Berlin 1976 (tschech. Original: O jazyce básnickém. In: Slovo a slovesnost 1940). Eine andere deutsche Übersetzung ist erschienen in: Studien zur strukturalistischen Ästhetik und Poetik. München 1974.

J. Mukařovský (1983): Standard Language and Poetic Language. In: Praguiana 1983 (tschech. Original: Jazyk spisovný a jazyk básnický. In: B. Havránek – M. Weingart (Eds.,1932): Spisovná čeština a jazyková kultura. Prague).

Praguiana. Some Basic and Less Known Aspects of the Prague Linguistic School. An Anthology of Prague School Papers. Selected by Josef Vachek. Praha 1983.

Réunion phonologique internationale tenue à Prague 1930 (1931): (Internationale Phonologische Tagung in Prag 1930). TCLP IV.

N. Savický (1987): The Place of the Prague Linguistic Circle in the History of Linguistics. In: philologica pragensia 30/2.

P. Sgall (1979): Die Sprachtypologie V. Skaličkas. In: V. Skalička (1979).

V. Skalička (1934): Zur Charakteristik des eurasischen Sprachbundes. In: Archiv orientální 6.

V. Skalička (1979): Typologische Studien (Hrsg. P. Hartmann). Schriften zur Linguistik 11. Braunschweig.

Thèses (1929): In: Mélanges linguistiques. Dédiés au Premier Congrès des Philologues Slaves. Travaux du Cercle Linguistique de Prague I. Prag (Thesen. In: Vermischte linguistische Schriften. Gewidmet dem 1. Slavistenkongreß. Arbeiten des Prager Linguistenkreises I. Prag.). Deutsch in: Grundlagen der Sprachkultur. Beiträge der Prager Linguistik zur Sprachtheorie und Sprachpflege 1 (Hrsg. J. Scharnhorst und E. Ising). Berlin 1976. Englisch in: Praguiana 1983.

Travaux du Cercle Linguistique de Prague (= TCLP) I-VIII (1929-1939) (Arbeiten des Prager Linguistenkreises): siehe unter den Verfassern bzw. Bänden.

B. Trnka (1983): Linguistics and the Ideological Structure of the Period. In: Praguiana 1983 (tschech. Original: Jazykozpyt a myšlenková struktura doby. In: Slovo a Slovesnost 10, 1948).

N.S. Trubetzkoy (1929): Sur la „morphonologie" (Über die Morphonologie). In: TCLP I.

N.S. Trubetzkoy (1931): Gedanken über Morphonologie. In: TCLP IV.

N.S. Trubetzkoy (1935): Anleitung zu phonologischen Beschreibungen. Prag/Leipzig. [2]1958 Göttingen.

N.S. Trubetzkoy (1939): Grundzüge der Phonologie. TCLP VII. Prag. [7]1989 Göttingen.

N.S. Trubetzkoy (1939a): Gedanken über das Indogermanenproblem. In: Acta Linguistica I,2. Kopenhagen.

J. Vachek (1964): A Prague School Reader in Linguistics. Bloomington/London.

J. Vachek (1966): The Linguistic School of Prague. An Introduction to Its Theory and Practice. Bloomington/London.

J. Vachek (1970): Dictionnaire de linguistique de l'École de Prague (Linguistisches [terminologisches] Wörterbuch der Prager Schule). Utrecht/Antwerpen.

J. Vachek (1983): The Heritage of the Prague School to Modern Linguistic Research. In: Praguiana 1983.

M. Wertheimer (1991): Zur Gestaltpsychologie menschlicher Werte: Aufsätze 1934-1940. Hrsg. und kommentiert von H.-J. Walter. Mit einem Vorwort von Albert Einstein und einer Kurzbiographie von Michael Wertheimer. Opladen.

D. Wunderlich (1969): Karl Bühlers Grundprinzipien der Sprachtheorie. In: Muttersprache 79/2. Mannheim/Zürich.

٥ـ الجلوسماتية

٥ ـ ١ تأسيس الجلوسماتية وبنيوية كوبنهاجن، ومؤسسوها ١١٠

وجدت نظرية دى سوسير اللغوية فى الاتجاه الدنماركى المتميز لعلم اللغة البنيوى امتداداً مستمراً ومتشدداً فى الوقت نفسه أيضاً، إذ إنه قد نشأ بعد حلقة لغويى براغ، وكان يعد بادئ الأمر اتجاهاً بديلاً داخل الفونولوجيا، وفى المؤتمر الدولى الثانى لعلماء الأصوات فى لندن سنة ١٩٣٥م طرح لغويان دنماركيان برنامج عمل تحت مصطلح علم الوحدات الصوتية (الفونيمية "Phonematik"، وهما لويس هيلمسليف L.Hjelmslev وهانز يورجن أولدال H.J. Uldall وبعد ذلك بوقت قصير أطلقا على اتجاههما (الجلوسماتية "Glossematik") فقد أراد هيلمسليف وأولدال باستعمال الجذر اليونانى «اللغة» (Glosse= γλωσσα) أن يؤكدا أصالة نظريتهما، وأن يرسما حدوداً بينها وبين كل الاتجاهات الأخرى فى علم اللغة(*). وبمرور الوقت صارت هذه النظرية أكثر بعداً عن أن تكون نظرية للفونولوجيا فقط. أما كيف تطورت وما هى مضامينها فسيعرض فى الفقرات الآتية لهذا الفصل، غير أنه ينبغى هنا أن نمهد ابتداءً فى صورة مقتضبة بالسيرة الذاتية العلمية لمؤسسى الجلوسماتية.

ولد **هيلمسليف** (١٨٩٩ـ ١٩٦٥) فى كوبنهاجن ابناً لأستاذ فى الرياضيات، ودرس فى كوبنهاجن علم اللغة المقارن لدى هولجر بدرسن(**)، وقضى جزءاً قصيراً من دراسته (١٩٢١) فى ليتوانيا. وبعد امتحانه رسالة الماجستير

(*) كان اقتراح هيلمسليف وأولدال لمصطلح «الجلوسماتية» تأكيداً لرغبتهما الجلية والمستمرة فى أن تتميز مدرسة كوبنهاجن تميزاً واضحاً عن مدرسة براغ، إذ شعرا فيما أظن أن اقتراحهما مصطلح «الفونماتية» السابق للدلالة على نظريتهما الوصفية الجديدة مقابلاً لفونولوجيا براغ لم يكن كافياً لتقديم حدود فاصلة بين اللغويين الدنماركيين والبراغيين. (المترجم)

(**) Holger Pedersen كان أحد علماء علم اللغة المقارن، بل من النحاة الجدد المتحمسين، ولكنه ألف كتاباً فى تاريخ علم اللغة طرح فيه آراء لغوية حديثة. (المترجم)

حصل سنة ١٩٢٣م على منحة للدراسة في براغ، غير أنه لم يجد هناك في ذلك الوقت إلا علم اللغة التقليدي. أما توقفه للدراسة في باريس لدى انطوان ميه A. Meillet وجوزيف فندريس J. Vendryes سنة ١٩٢٧/٢٦ فكان خلاف ذلك، إذ تعرف هناك كتاب ف. دى سوسير «دروس في الألسنية العامة» (الترجمة الألمانية عنوانها «القضايا الأساسية في علم اللغة العام»، قارن الفصل الثالث)، الذى حظى بأهمية كبيرة في تعميق نظريته. وفي سنة ١٩٢٨ اشترك في المؤتمر الدولي الأول للغويين في لاهاى de Haag الذى قدم فيه لغويو براغ نظرياتهم. وبدأت تتطور أفكاره حول مفهوم للبنية في اللغة. وفي سنة ١٩٢٨م نشر عمله الأول الكبير مبادىء علم النحو العام (principes de grammaire générale)، وكان بحثه التالي المهم المنشور سنة ١٩٣٥م هو «مقولة الحالة الإعرابية "La catégorie des cas"، الذى اندرج في النقاش الدولي حول لا متغيرات(*) الحركة الإعرابية (انظر ما يلي ٥ ـــ ٤).

111 / وقد أطلقت ايلى فيشر ـ يورجنسن على هذه الفترة الأولى من ١٩٢٨ ـــ ١٩٣٥م في نعيها هيلمسليف «فترة ما قبل الجلوسماتية». وفي تلك السنوات يتم أيضاً تأسيس حلقة لغويى كوبنهاجن سنة ١٩٣١م التي رأسها هيلمسليف حتى وفاته دون انقطاع إلا لزمن قصير. وكان لهذه الحلقة توجه بنيوى، وليس جلوسماتياً فحسب، وكانت «حلقة لغويى كوبنهاجن» اتحاداً إقليمياً، أنشىء حديثاً أيضاً. وقد صاغ هيلمسليف وأولدال مصطلح «الجلوسماتية» لنظريتهما اللغوية الشديدة الخصوصية حتى يحولا كذلك دون أى ترابط مماثل (أو تداع بينها وبين غيرها).

وكانت السنوات بين ١٩٣٥ و١٩٤٣م هي سنوات وضع نظرية الجلوسماتية هذه، وعمقتها إلى حد بعيد الصلة الوثيقة بين هيلمسليف وأولدال. وبدءاً من سنة

(*) تستخدم المؤلفة هنا مصطلح Invariante ويعنى في الأساس ثبات الحالة أو عدم تغيرها، وربما قصد به هيلمسليف به عدم التنوع أو التغير أو الاختلاف وربما عدم التصرف أو حالة الجمود. كل ذلك يتوقف على قراءة مضمونه في مجمله، إذ نشر هذا البحث فيها بالإضافة إلى البحث الأول. راجع فيما يلي هامش مفهوم المصطلح في التحليل الفونولوجي. (المترجم)

١٩٣٩ نشر فيجو بروندال Viggo Brøndal ــ وهو بنيوي، وليس جلوسماتيا(*) ــ ولويس هيلمسليف مجلة "Acta Linguistica. Revue internationale de linguistique stucturale" (المجلة الدولية لعلم اللغة البنيوي). وبدءاً من العدد التاسع باسم "Acta Hafniensia"، وهي التي ظلت مفتوحة أمام المؤلفين غير الدنماركيين أيضاً.

وفي سنة ١٩٤١م كتب هيلمسليف ملخصاً موجزاً مركزاً للغاية لكل تعريفات نظريته وقواعدها، غير أنه لم ينشر إلا سنة ١٩٧٥ (انظر ما يلي ٥ ــ ٣ ــ ٥).

وفي سنة ١٩٤٣ وضعت النظرية الجلوسماتية بشكل جذري. فحين كان أولدال في الخارج تطلع هيلمسليف إلى عودته لينشرها نشراً كاملاً، ولم ينشر أولاً سوى مدخل إلى النظرية، كتابه Omkring sprogteoriens grund laeggelse (مقدمات إلى نظرية للغة [لم يترجم إلى الانجليزية إلا سنة ١٩٥٣ بترجمة فرنسيس وايتفيلد])، بيد أن هذا ظل آخر الأمر العرض المترابط الوحيد للجلوسماتية(**). وسوف يوضح ذلك بشكل أكثر دقة في ٥ ــ ٣.

ومن سنة ١٩٤٣ حتى نهاية الخمسينيات كانت بالنسبة لهيلمسليف فترة بث نظرية في مقالات ومحاضرات كثيرة، بل كانت فترة اهتمامات أخرى أيضاً، فقد

(*) كانت إقامة بروندال وهيلمسليف في باريس فرصة لنشوء اهتمامات واتجاهات متقاربة بينهما، أثمرت في تأسيسهما معاً المجلة المشار إليها، وإن ظل الاختلاف بين الشخصيتين كبيراً لاختلاف تكوينهما الثقافي. وكان المقال الأول لبروندال في العدد الأول من تلك المجلة هو علم اللغة البنيوي. (المترجم)

(**) أظن أن هذه المسألة قد كشف عنها مونان في كتابه «علم اللغة في القرن العشرين» الذي سبق اقتباسنا منه، إذ ذكر ص ١٢٩: «ولم يكن عمله سهلاً مع أولدال على ما يبدو، إذ إن كتاب Outline of Glossematics الذي أعلن مؤلفاه أنه سيصدر عام ١٩٣٥، لم ير النور إلا عام ١٩٥٧، وبإشراف أولدال وحده» وذلك على الرغم من أن هيلمسليف كان قد أعلن في كتابه Omkring عام ١٩٤٣، من خلال أحد الهوامش، عن قرب صدور كتاب Outline في مجلة TCLC بمساهمة العالمين (انظر الترجمة الانكليزية ص٤). ويشير هيلمسليف في المكان نفسه إلى أنه قد تم التحضير للنظرية التي يعرضها بالتعاون مع هـ. و. أولدال بشكل خاص، في السنوات ١٩٣٤ ــ ١٩٣٩». (المترجم)

شغل أتذاك على سبيل المثال بعلم الدلالة البنيوى، إذ دعم بناء على ذلك التزامه المهنى بوصفه أستاذاً جامعياً ومحرراً، وازدادت صحته سوءاً تدريجياً أيضاً حسب قول ايلى فيشر ـ يورجنسن. وفى سنة ١٩٦٥م توفى لويس هيلمسليف.

درس ***هانز يورجن اولدال*** (١٩٠٧ ـ ١٩٥٧م) لدى أوتو يسبرسن فى كوبنهاجن اللغة الانجليزية وآدابها. وفى سنة ١٩٢٧م ذهب إلى دنيال جونز فى لندن ليستكمل دراساته الصوتية. ومن ثم بدأت حياة ذات تغيرات كاملة، إذ لم يتلق دائماً إلا مهاماً تعليمية لمدد قصيرة. ومن ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣م كانت لديه الفرصة لأن يمارس البحث الميدانى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى مركز دراسة اللغة الميدوية Maidu كاليفورنيا[*]. وقد رجا فرانز بواز «أوتو يسبرسن» أن يوصى له بعالم أصوات شاب اسكندنافى، فرشح له يسبرسن هـ. ى. أولدال. ومن سنة ١٩٣٣ حتى ١٩٣٩ عمل أولدال مرة أخرى فى الدنمارك، وبدأ تعاونه مع هيلمسليف الذى عرفه من خلال اللجنة الفونولوجية لحلقة لغويى كوبنهاجن. وطور كلاهما «علم الوحدات الصوتية» الذى غير اسمه بعد ذلك بناءً على اقتراح أولدال إلى «الجلوسماتية» حتى يكسب/ المصطلح من الناحية الاصطلاحية أيضاً مجالاً موسعاً للمهام. وخطط هيلمسليف وأولدال لتقديم عرض شامل لهذه النظرية اللغوية فى مؤتمر اللغويين سنة ١٩٣٦م، غير أنه برغم التعاون الفائق بينهما المؤكد مراراً فى المراجع تأجل الموقف النهائى. ١١٢

وفى سنة ١٩٣٩ أرسل المركز الثقافى البريطانى[1] أولدال إلى اليونان، وفيما بعد إلى مصر والمنطقة العربية. وبسبب الحرب انقطع الاتصال بينه وبين هيلمسليف، إلا أن كلاً منهما تابع الاشتغال بالمشروع، وخطط لكتابة عمل مشترك ضخم هو "Outline of Glossematics" (مختصر الجلوسماتية)، إذ كان على أولدال أن

(*) تتحدث اللغة الميدوية Maiduan language مجموعات معروفة بأسماء مختلفة مثل ميدو وكونكو ونيسنان Maidu, Konkow, Nisenan، تتحدث كل مجموعة صيغاً مختلفة من اللغة الميدوية، ولكن بينها صلة. (المترجم)

(١) يمكن أن يقارن بمعاهد جوته الألمانية.

يؤلف المقدمة، والبحث الجبرى للغة، وأن يعرض هيلمسليف الجوانب الأخرى للنظرية وطريقة التناول مع كل التعريفات والقواعد.

وكان أولدال بعد الحرب أيضاً فى الدنمارك لفترة وجيزة فقط، ثم عمل فى انجلترا وفى أمريكا الجنوبية. وبدءاً من سنة ١٩٥٤م فى جامعة Ibadan (إِبَدَن) فى نيجيريا(*). وبحث فى أثناء ذلك جبراً مختلفاً عن الخطة الأصلية، بدا لهيلمسليف معقداً للغاية لعرض لغة طبيعية، ويصعب أن يتوامم معه نظامه الخاص للتعريفات. ولذلك قرر كلاهما ألا ينشرا فى البداية إلا الجزء الأول الذى ألفه أولدال ــ واستكمل بمقدمة لهيلمسليف. فما زال فى الإمكان أن يتفقا على ذلك، حين وصل أولدال إلى أوربا للاشتراك فى مؤتمر اللغويين سنة ١٩٥٧م فى أوسلو. غير أنه بعد عودته إلى نيجيريا بوقت قصير توفى على نحو غير متوقع إثر نوبة قلبية.

٥ ــ ٢ تأثيرات من علم اللغة ومن العلوم المجاورة

ف. دى سوسير، و«حلقة فيينا»

لم تلتزم الجلوسماتية مثل أى طراز (اتجاه) آخر لعلم اللغة البنيوى بنظرية ف. دى سوسير اللغوية، فقد تعرف لويس هيلمسليف كتاب «دروس فى الألسنية العامة» بداية عند إقامته فى باريس للدراسة، وقرأه حسب قوله فى وقت لاحق مراراً. وثمة ملحوظتان مهمتان حول علاقة هيلمسليف بنظرية دى سوسير اللغوى: الأولى: أكد هيلمسليف أنه كان قد صاغ أفكاره الخاصة عن نظرية لغوية بنيوية قبل أن يتعرف كتاب «الدروس»، والثانية: ذكر أكثر من مرة خطاباً لشارل باللى Ch. Bally أقر فيه هذا الأخير له أنه الوحيد الذى فهم دى سوسير فهماً حقاً(**). ففى الواقع تعد

(*) جامعة معروفة ومشهورة، فيها قسم للدراسات العربية والإسلامية، يدرس فيه عدد لا بأس به من الطلاب النيجيريين وغيرهم. (المترجم)

(**) وتلخص مليكا افيتش ذلك المعنى فى مقدمة تناولها للسانيات هيلمسليف، إذ تقول: وتعتمد لسانيات هيلمسليف على دى سوسير فى أمرين لا غير: لقد أشار دى سوسير إلى دور الأصوات فى تمثيل الماهيات السيكولوجية خلال عملية التفاهم المتبادل، وكذلك فعل هيلمسليف، إذ دأب على فحص الأصوات دائماً على أنها هيئات مجردة، على حين أهمل إهمالاً تاماً مظهرها المادى المحسوس. وأشار دى سوسير أيضاً إلى أن أصوات اللغة علامات تواصلية. ومن ثم وجب أن تدرس فى ضوء هذه الحقيقة فجاء هيلمسليف ليخضع مذهبه اللسانى لنظرية العلامات التواصلية، (وليس من الضرورى أن تكون هذه العلامات ذات طبيعة لغوية. «اتجاهات البحث اللسانى» ص ٢٤ (المترجم)

العلاقات بين المفاهيم النظرية اللغوية لكلا اللغويين/ وثيقة للغاية، فعند شرح ١١٣ الصعوبات فى كتاب هيلمسليف مداخل "Prolegomena" (فى ٥ ــ ٣) أبرز بوجه خاص أن هذا الأخير قد تابع أفكار دى سوسير حتى النهاية بكل إصرار، وبخاصة فهم اللغة على أنها نظام من العلامات، وتأكيد أهمية نظام للعلاقات والأفكار حول الشكل والمادة.

إن المفتاح لفهم تلك الأطروحات التى اختلف فيها هيلمسليف عن دى سوسير يوجد فى الشروط الفلسفية التى جعلها أساس بحثه اللغوى، وأقر بها بوضوح مراراً. ومن المحتمل أنه قد عرف من خلال جماعة علماء الفيزياء (المتحلقة) حول نيلز بور Niels Bohr فى كوبنهاجن مذهب الوضعية الجديدة، وهو اتجاه فلسفى يمثله بوجه خاص علماء الطبيعة، وقد طالب بتغلغل الفلسفة فى العلم، ورفض أن ينظر إلى الفلسفة على أنها أساس نظرى معرفى ومنهجى للعلم. ومن خلال الاقتصار على الحقائق الممكن ملاحظتها ينبغى للفلسفة أن تتنازل للعلوم المفردة. وقد أحلت الوضعية الجديدة فى القرن العشرين التحليل اللغوى محل المذهب الفيزيائى (الطبيعى) الذى كانت تمثله وضعية القرن التاسع عشر الميلادى. وارتكز هيلمسليف بوجه خاص على الحلقة التى سميت «حلقة فيينا» ورائدها موريتس شليك Moritz Schlick (١٨٨٢ ــ ١٩٣٦)، الذى كان قد نشر سنة ١٩٢٩ مذهبه (اعتقاده) "Der Wiener Kreis _ wissenschaftliche Weltanschauung" (حلقة فيينا، رؤية علمية للعالم).

وفى العشرينيات والثلاثينيات اشتغلت هذه الجماعة ببحث لغة العلم ووضع لغات شكلية وأشكال للحساب المنطقى وقصر الفلسفة على مشكلات فلسفية للغة، بيد أن لها أيضاً الفضل بلا منازع فى تأسيس علم المنطق الرياضى وتعميق المعارف القيمة لنظرية العلم ومنهجيته. وقد شرحت حلقة فينا الخاصية العلاماتية للغة، ووضعت قواعد تشييد بناء التعبيرات من العلامات الأساسية، وعالجت العلاقات بين جمل اللغة وقواعد تغيير التشكيل لتعبيرات لغوية، وحددت العلاقة بين لغة الموضوع

(الموصوفة) واللغة الواصفة(*). وقد كانت هذه الموضوعات هي الأهم بالنسبة لهيلمسليف لبناء نظرية لغوية. وقد نقل هيلمسليف في موقفه الإجمالي عن حلقة فيينا، بالإضافة إلى ما سبق المطالبة بإمكانية الاشتقاق (الاستنباط) الرياضية، واللاتناقض الشكلي، واستقلال النظرية عن إمكانية تطبيقها، وكذلك وصف العلاقات بغض النظر عن الوحدات المادية التي تنشأ بينها.

وقد أشار هيلمسليف مراراً باحترام كبير إلى عالم من هذه الحلقة هو رودلف كارناب R. Carnap (١٨٩١ ــ ١٩٧٠):

للمعالجة البنيوية للغة [المقصود الجلوسماتية «بريجيته بارتشت»] باتجاه فلسفي علاقات داخلية معينة. هذا الاتجاه الفلسفي، النظرية اللغوية للمنطق تتطور باستقلال تام عن علم اللغة، ولم يأخذ به اللغويون بوصفه علماً حتى الآن أيضاً. / وهو ينطلق ابتداءً من أفكار رياضية، واستكمل بوجه خاص على يد الفرد ن. وايتهد، وبرتراند راسل ومناطقة مدرسة فيينا، وبخاصة رودلف كارناب. ولأعمال رودلف

١١٤

(*) من أهم المصطلحات في نظرية هيلمسليف مصطلحا Metasprache, Objektsprache ويبدو فيهما تأثره في ذلك بكارناب، وللأسف اختلف كما هي العادة حول ترجمة هذين المصطلحين؛ ففي الفلسفة مثلاً يقول د. زكريا إبراهيم في دراسات في الفلسفة المعاصرة: اللغة التي تدور حول اللغة لدى كارناب هي ما وراء اللغة meta -language في حين أن اللغة التي تدور حول موضوعات هي لغة الموضوع object - language. أما مترجما كتاب البحث اللساني مثلاً فإنهما يترجمان meta- language تارة بمصطلح لغة عليا، أو لغة مجردة ومنطقية إلى أقصى حد تستخدم لأغراض التعريف العلمي، وتارة أخرى بأنها لغة منطقية مثالية للعلم، وهذا صحيح إجمالاً ولكنه ترجمة حرفية تارة وعبارة مفسرة تارة أخرى. ولذا اخترت ترجمة أظنها توائم منهج هيلمسليف في نظريته وهما لغة الموضوع أو اللغة الموصوفة، وهي لغة النص المدروس وهي لغة طبيعية، واللغة الواصفة، وهي اللغة التي يختارها عالم اللغة لدراسة اللغة الطبيعية أو لغة الموضوع، فتكون منطقية أو رمزية أو غير ذلك. وقد استخدمت مدرسة كوبنهاجن وبخاصة لدى هيلمسليف وأولدال كما سيأتي لغة منطقية ــ رمزية ــ جبرية شديدة التعقيد.

(المترجم)

كارناب المبكرة حول النحو والدلالة علاقات معينة لا تنكر بالبحث اللغوى للغة (١٩٤٧م نقلاً عن ١٩٧٤ أ، ص ٦٦/٦٧)(*).

وهو يُعنى بشكل خاص بكتاب كارناب "Der logische Aufbau der Welt" (1928) (البناء المنطقى للعالم)، حيث كتب هذا الأخير فى الفقرة ١٦ «كل الأقوال العلمية هى أقوال بنيوية» ـ:

نحن نحصل على نتيجة أن كل قول علمى يمكن أساساً أن يحول بحيث لا يكون إلا قولاً بنيوياً. بيد أن هذا التحويل ليس ممكناً فحسب، بل مطلوباً. (١٩٢٨، ص ٢٠، ذكر لدى هيلمسليف فى : ١٩٧٤ أ ص ٦٧).

ويستند أولدال أيضاً على حلقة فيينا، وذلك واضح عند تعميقه كتابه: «جبر اللغة»، الذى يرتكز فيه بشكل صريح على كتاب راسل «مبادىء الرياضيات» Principia Mathematica (بالإنجليزية سنة ١٩٠٣م) والذى ينبغى أن يكون نظاماً للوظائف.

ويمكن أن يلاحظ بشكل هامشى أن هيلمسليف قد كان يذهب مذهب هذه النظرية العلمية لحلقة فيينا أيضاً حين نشأت فى الأربعينيات داخل الإطار المنهجى نفسه للوضعية اللغوية der linguitische Positivismus، فلسفة اللغة الطبيعية، التى ربما كانت أكثر مناسبة لموضوع اللغة الطبيعية natürliche Sprache، غير أنها

(*) يرى ر. كارناب ان البحث الدلالى يمكن أن يتخذ صورتين أساسيتين؛ حيث يعني علم الدلالة الوصفى D.S. بوصف الظواهر التى تكيف طبيعة علامات التواصل الموجودة والمستعملة بالفعل.. فهو يقدم للفلاسفة من المقترحات ما يتمكنون به من صياغة التراكيب المنطقية التجريدية للنظم التواصلية. أما علم الدلالة النظرى فيتضمن تدقيقاً وإحكاماً لمنهج العمليات المنطقية باستخدام رموز يجرى إدخالها فى بنية تراكيب النظم الدلالية المجردة... ومهمة علم التراكيب هى ـ بناءً على ما يراه كارناب ـ بناءً نظرية من العلامات الشكلية باستخدام التحليل المنطقى. وفى مثل هذا التحليل ينظر إلى اللغة على أنها نظام رمزى a calculus، أى نظام من الأعراف أو القواعد يعبر عنه بالرموز، فالبحث التركيبى إذن سيكون ذا علاقة بمثل هذا التعريف للنظام التواصلى، «اتجاهات البحث اللسانى ص ٣٥٣، ٣٥٤».

(المترجم)

لذلك لم تقدم له نقطة اتصال، لأن نظريته الجلوسماتية لم تكن نظرية لغوية بقدر ما كانت نظرية عامة للعلامات على الأرجح.

٥ ـ ٣ لويس هيلمسليف، مداخل إلى نظرية لغوية، ـ النقاط المهمة

ذكرت من قبل في ٥ ـ ١ قصة نشوء هذا الكتاب الذى ظهر سنة ١٩٤٣م باللغة الدنماركية بعنوان "Omkring sprogteoriens grundlaeggelse" (مقدمة إلى نظرية لغوية). وفى الحقيقة لم يتعرف علم اللغة غير القومى (أى خارج الدنمارك) الجلوسماتية إلا سنة ١٩٥٣م حين ظهرت الترجمة الانجليزية له، وأعقب ذلك فيما بعد ترجمات إلى لغات أخرى، ولم يترجم إلى الألمانية إلا سنة ١٩٧٤. وسوف نقتبس فيما يأتى من هذه الترجمة الألمانية.

ولما لم ينظر إلى كتاب «المداخل»(*) بادى الأمر إلا على أنه مقدمة إلى الجلوسماتية فقد عولجت الموضوعات المفردة معالجة شديدة الإيجاز فيما لا يزيد كثيراً عن مائة صفحة إجمالاً. وفى الواقع قد صيغ الكتاب بطريقة عسيرة على القارىء (غير رفيقة به)؛ وليس ذلك فقط لأن العرض صعب ومعقد للغاية من الناحية النظرية، ولأن النظرية لم توضح بأمثلة لغوية إلا نادراً، بل لأن «المداخل» دراسة صعبة، ولأن هيلمسليف (وكذلك أولدال فى عملهما المشترك) قد راق له أيضاً

(*) يرجع الخلاف في ترجمة عنوان الكتاب إلى اختلاف العنوان الاصلى وهو Omkring أى مقدمة، عن الترجمات فى اللغات كما فى الانجليزية Prolegomena والفرنسية Les prolégomènes كما يقول مونان فى كتابه علم اللغة فى القرن العشرين ص ١٣٠: بمعنى المدخل، فيما تعطى الترجمة الحرفية للغة الدنماركية... ويؤكد ماليبرغ فى كتابه اتجاهات جديدة ص ٢٢٥ ويترجم كما ورد لدى مارتينيه إلى (فى أسس نظرية اللغة)، والعنوان يستخدم اللفظ اللاتينى نفسه الذى استخدم فى الترجمتين الإنجليزية والفرنسية وهو Prolegomena وهى صيغة جمع بمعنى مقدمات أو مداخل، ولذلك استعملت العنوان الأخير. ويؤكد عبارة مونان فى الكتاب السابق ص ١٣٥: فهو يمثل أولى المحاولات لتأسيس نظرية علمية لوصف اللغات، نظرية قائمة على مقدمات منهجية (وتحتل هذه الكلمة مكاناً بارزاً فى الصفحات ١٢، ٢٢، ٢٥ إلخ).

(المترجم)

خلق مصطلحات جديدة ـــ كما أقر هو نفسه ذلك ـ ولا يرجع ذلك إلى وهم الأصالة فحسب، بل حتى يؤكد بوجه خاص خصوصية/ نظريته مقارنةً بالنظريات اللغوية الأخرى. **115**

فقد أحْصِى فى حوالى مائة صفحة ما يقرب من مائة مصطلح جديد، أحياناً أيضاً لمضامين كان لعلم اللغة من قبل مصطلحات متخصصة لها. ولذلك فقد أرفق ناشر الترجمة الروسية (سنة ١٩٦٠) النص بملحق يسرد المصطلحات ويفسرها(٢).

ويمكن أن تُقَسَّم المباحث الثلاثة والعشرون لكتاب «المداخل» على النحو الآتى: تمثل المباحث من ١ ـ ٧ هدف النظرية ومناهجها؛ وتعالج المباحث من ١٢ إلى ١٥ اللغة بوصفها نظاماً للعلامات. أما المبحث ٢١ فيمد الجانب العلاماتى ليجاوز اللغة الطبيعية إلى لغات أخرى، ويشرح المبحثان الأخيران المبادىء الرئيسية للتحليل، ويقدمان للتعريفات الضرورية للجلوسماتية(*).

وسوف نتناول فيما يأتى بشكل أكثر دقة: التعبير ـ المضمون والشكل ـ المادة (٥ ـ ٣ ـ ١)، وشبكة العلاقات (٥ ـ ٣ ـ ٢)، وتصورات هيلمسليف عن نظرية لغوية بنيوية وهى الناتجة عما سبق (٥ ـ ٣ ـ ٣)، وتقسيم العلامات إلى صور (٥ـ٣ـ٤). وفى الخاتمة سيعالج بإيجاز «المختصر» المعقد (٥ ـ ٣ ـ ٥). وحيثما يكون مفيداً، يستعان للإيضاح بمقالات متأخرة لهيلمسليف أيضاً.

ويمكن بلا شك ألا تؤخذ فى الاعتبار بعض عمليات مفيدة، استخدمتها الجلوسماتية، مثل التوفيق والحفز.

ويجب أن يؤكد فضلاً عن ذلك أننا تخلينا كلية تقريباً عن الاصطلاحات الجلوسماتية، واستخدمنا بدلاً منها أوصافاً أو مصطلحات مرادفة قريبة منها.

---

(٢) للأسف لم يحتذ ناشر الطبعة الألمانية هذا المثال.

(*) إن هذا الكتاب الصغير الذى بقى مجهولاً لفترة طويلة قد طغى تماماً ـ كما يقول مونان فى كتابه السابق ص ١٢٠ ـ على كتابيه: مبادىء وعلم النحو العام، ومقولات الحالات الإعرابية [سيشار إليهما بالتفصيل فيما يلى]؛ وذلك نتيجة التغيير الواضح والعميق فى أسلوب التفكير، إذ لم يعد الهدف بناء القواعد العامة، بل بناء «علم لغة» علمى؛ وعلى الرغم من أن الطموح قد بقى على ما هو عليه، فإن المبادىء قد تغيرت بشكل جذرى. (المترجم)

٥ ـ ٣ ـ ١ تعبير ـ مضمون، شكل ـ مادة

إن منطلق أفكار هيلمسليف حول هذا المركب هو معالجة ف. دي سوسير للعلامة اللغوية على أنها وحدة من المشير (الدال signifiant) والمشار إليه (المدلول signifié)، وعنده (أي هيلمسليف) التعبير "Ausdruck" والمضمون "Inhalt". وفرق هيلمسليف كذلك مثل دي سوسير بين الشكل "Form" والمادة "Substanz" في اللغة. وبينما استعمل في مؤلفه المبكر «مبادىء علم النحو العام» (١٩٢٨م) شكلاً لغوياً ومادتين (الأصوات والمضامين)، فقد تحول في «المداخل» بعد ذلك إلى نسق أكثر منطقية وتناغماً: إذ يوجد على كل مستوى من المستويين ـ التعبير والمضمون ـ في كل مرة شكل.

/ ويعتمد أيضاً على دي سوسير في فرضيته، وهي أنه لا يجوز أن يكون موضوع علم اللغة إلا الشكل، ويكون ذلك (الشكل) على مستوى التعبير الفونيمات[٣]، وعلى مستوى المضمون وحدات بنية المعنى. أما المادة فهي المتلازم (المتعالق) غير اللغوي للشكل: وبتعبير أدق المتلازم غير المختص بلغة بعينها للشكل، وتكون على مستوى التعبير كل الأصوات التي يمكن نطقها (أو وسائل ثانوية مثل تسجيل الأصوات)، وعلى مستوى المضمون كل التصورات الممكنة. فالمادة بلا قاعدة، وغير مورفية (بلا صورة amorph)، وتفتقر إلى التشكل. ويعني بمستوى المادة علماء آخرون أيضاً، أما الشكل فهو وحده موضوع علم اللغة، ويجب لذلك أن يبقى أيضاً موضوعه الوحيد(*).

١١٦

---

(٣) يُؤكَّد هنا مرة أخرى أنه في هذا العرض بقدر الممكن تستخدم المصطلحات المألوفة في علم اللغة البنيوي حتى لا يثقل القارىء ـ الذي لا يقدم له إلا نظرة عامة حول الجلوسماتية ـ بسيل مصطلحات هيلمسليف التي سبقت الإشارة إليه.

(*) كان من أهم منجزات هيلمسليف إدخال المفهومين المائزين الجديدين الآتين إلى البحث اللساني وهما التمييز بين التعبير expression والمحتوى content، والتمييز بين الشكل form والمادة substance. إن التعبير والمحتوى مقولتان أساسيتان بدونهما لا يكون تفاهم متبادل. والمحتوى هو الواقع الذي نفسه الذي هو موضوع التواصل. أما التعبير فيشمل كل الوسائل التي يتم بها نقل كل المعلومات عن المحتوى وتحويلها إلى مصطلحات لغوية ـ أي إلى لغة، «اتجاهات البحث اللساني ص ٣٢٦، ٣٢٧». (المترجم)

وهكذا يتضح أن هيلمسليف يكمل هنا فرضيات سوسير. ومن البدهي أنه قد استبعد من علم اللغة الذي يعده «باطنيا/ داخليا»(*)، تلك المجالات الفرعية التي تتماس مع المادة اللغوية، وهي بالنسبة للمادة الصوتية علم الأصوات Phonetik، وبالنسبة لمادة المضمون علم الدلالة Semantik. غير أنه لما رأى أنه على سبيل المثال ثمة حاجة أيضاً إلى الدراسة النطقية والسمعية للمادة اللغوية، فقد عد هيلمسليف علم الأصوات وعلم الدلالة علمين معاونين لعلم اللغة.

وبلغت نتائج هذه الفروض مدى بعيداً. ورأى هيلمسليف أيضاً أنه لا يجوز للمرء أن يساوى بين القولين الآتيين:

* الشكل مستقل عن مادة معينة.

* الشكل مستقل عن كل مادة.

ولذلك يجد المرء في الترجمة الانجليزية التي أذن بها – وإن لم يكن ذلك أيضاً بشكل مستمر – إلى جوار «المادة» كلمة purport (فحوى/ مفاد). فما هو واحد في كل اللغات، ثم صيغ بصورة متباينة هو (فحوى/ مفاد)، وما شكل من مادة في لغة بعينها هو مادة "substance". وهكذا فإن العلامة اللغوية بالنسبة

(*) استخدم هيلمسليف ثنائية نقلها عن الفلسفة أيضاً، ولكنها بمفهوم خاص لديه وهي الثنائية التي استخدمها للتمييز بين علم اللغة الذي أطلق عليه L'immanence، الذي اخترت له ترجمة للمبدأ الداخلي [حوله خلاف كبير إذ يترجم إلى الذاتية، والباطنية والكمون والمحايثة... إلخ]، وبين العلوم الأخرى التي تدرس اللغة التي أطلق عليها Transcendance، الذي اخترت له ترجمة للمبدأ الخارجي [ويترجم كذلك إلى ترانسندالية، وتعالٍ، وتجاوز، ومفارقة، وحقيقة عليا، ومتعالية، والمبدأ العلوي (راجع مثلاً فلسفة كانط ويبرز في كتاب د. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصر)]. وقد فسرهما د. نجيب غزاوي في ترجمته لكتاب مونان ص ١٣٢، يقول في الهامش: وتعني الكلمة الأولى أن تعرف البنية اللغوية من خلال علاقات عناصرها ببعضها البعض بعيداً عن كل اهتمام خارج هذا النطاق. وتعني الثانية أن نعتمد في تعريف البنية اللغوية علاقاتها مع قضايا خارجية عن نطاقها مثل علاقاتها مع علم النفس وعلم الاجتماع إلخ.

(المترجم)

لهيلمسليف تتكون من شكل التعبير، وشكل المضمون. وبفضل هذا الشكل فقط يوجد نوعان للمادة معزوان (للشكل، أى مادة التعبير، ومادة المضمون)، هذان الأخيران ينشأن عند إسقاط نوعى الشكل على الفحوى "purport".

وطور هيلمسليف علم لغة، يعد جبراً للغة، ويعمل بعناصر للشكل خالصة، أعطيت لها أسماء اعتباطية. ويدعى أنه قد أقر بعد ذلك أنه ليس من الضرورى حقيقة، وإنما من المفيد أن تسمى الوحدات فى أثناء التحليل الشكلى على نحو ما توصف (أو تحدد) فيما بعد، حين يسقط الشكل على المادة (أو على الفحوى)(*).

١١٧ / والفيصل هو حالة أن كل لغة تصب المادة لذاتها فى شكلٍ ما. ويضرب هيلمسليف المثال الآتى (١٩٧٤، ٥٧):

تقابل الكلمات الألمانية

Baum (شجرة) — Holz (خشب) — Wald (غابة)

الكلمات الآتية فى الدنماركية

–trae skov–

وهذا يعنى أن كلمة Holz تشرب أجزاء من مادة trae و Skov، بحيث يصير لكلمتى Baum و Holz معنى أشد تلاصقاً، أو بتعبير آخر: تتشكل المادة فى كلتا اللغتين فى هذا الموضع على نحو مختلف.

وانتهج هيلمسليف النهج ذاته مثلاً مع الفصائل النحوية والأنظمة الفونيمية. وها هو مثال على ذلك أيضاً:

(*) يطلق على وحدات ذلك النظام اللسانى المجرد مصطلح (الأشكال) "Forms". والشكل أيضاً هو كمية مجردة. إنه يعين جميع التواليف الممكنة لعلامة لغوية بعينها. ومن الممكن أن يفصل الشكل عن المادة ويدرس دراسة مستقلة. والحق أن مهمة عالم الجلوسيمية ـ كما تقول ميلكا إيفتش ـ هى أن يدرس شكل التعبير فى علاقته بشكل المحتوى «اتجاهات البحث اللسانى» ص ٣٢٧. (المترجم)

اللغة التى يتكون نظام العدد فيها من:

مفرد — مثنى[٤] — جمع

قد شكلت مادة «العدد» على نحو مختلف

عن اللغة التى تشكله مورفولوجيا من

مفرد — جمع (١٩٧٤، ٥٧)

وينطلق هيلمسليف بعد ذلك استكمالاً لهذه الأفكار فى بحث متأخر، وهو مقال بعنوان «البناء الطبقى للغة»[*] (١٩٥٤، ترجم إلى الألمانية فى كتاب هيلمسليف سنة ١٩٧٤ أ) على

شكل التعبير — مادة التعبير

شكل المحتوى — مادة المحتوى

الطبقات "strata"، المستويات الأربع للغة.

٥ ـ ٣ ـ ٢ شكلية العلاقات

انتهى هيلمسليف انطلاقاً من مفهوم دى سوسير للقيمة (قارن الباب الثالث ٣ ـ ٤ ـ ٣) والتحديد السلبي للعلامات اللغوية الناتج عنه[٥] إلى فرضية أنه ربما لم تكن وثاقة الصلة (الأهمية) اللغوية بوجه عام إلا للعلاقات، للصلات بين الوحدات اللغوية، وليس لهذه الوحدات ذاتها. وقد دُعِّمت هذه الفرضية بأوجه فهم قياسية لناطقة حلقة فيينا/ ؛ وفى ٥ ـ ٢ تنوولت أقوال رودلف كارناب المتماثلة معها، وفى هذا السياق تعد لمعالجة هيلمسليف مفهوم الوظيفة أهمية كبيرة: ١١٨

(٤) العدد الثانى مطبق نحوياً على سبيل المثال فى اليونانية القديمة والليتوانية والسلافية القديمة وبعض اللغات السلافية الحديثة.

(*) يقصد بذلك المقالة التى بعنوان: "La stratification du language" التى نشرت فى مجلة:
(Word vol. X No. 2 - 3, 1954 p. 163 - 188)

(٥) ما هو مُحَدِّد لعلامة لغوية ما مختلفٌ عما هو مُحَدِّد للعلامات الأخرى فى النظام ذاته.

فالوظيفة بالنسبة له مثلما هي في الرياضيات والمنطق علاقة بين الدالات "Funktiven"، وليس هناك حاجة لأن تصف النظرية الجلوسماتية هذه الأخيرة. ولا تتحدد بنية لغة ما إلا من خلال هذه العلاقات وحدها، والدالات ليست سوى نقاط تقاطع (تقاطعات) من حزم التبعية. ويمكن من الناحية المنطقية أن تصنف الوظائف إلى:

١ ــ أوجه تعليق داخلي **Interdependenzen**، أي أوجه تبعية متبادلة للدالات، بعضها لبعض، فكلتا الدالتين تشترط كل منهما الأخرى؛

٢ ــ تحديدات **Determinationen**، أي أوجه تبعية أحادية، إذ تشترط إحدى الدالتين الأخرى، وليس العكس؛

٣ ــ أوجه تآلف **Konstellationen**، أي ائتلافات حرة، إذ لا تشترط إحدى الدالتين الأخرى.

وقد وُضعت هذه العلاقات المنطقية «للتوالي/ للتتابع» (تركيبيًا/ من الناحية النحوية) و«للنظام» أيضاً (جدوليًا/ من الناحية الصرفية)(*). ومن ثم تنتج بالاشتراك

(*) هذا في رأيي أثر من آثار تأثير دي سوسير على نظرية هيلمسليف اللغوية، وإن كان هيلمسليف قد عمق هذه الفرضية في نظريته تعميقاً لا مجال للجدل فيه، ويتجلى ذلك في معالجة ملبكا اليتش لها حول تمييزه بين علاقات التتابع **syntagmatic relations** وعلاقات الاستبدال **paradigmatic relations** وتختص علاقات الاستبدال بفحص العلاقات التبادلية بين الوحدات اللغوية في نظام لغوي كامل، على حين تختص علاقات التتابع بالعلاقات المباشرة بين الوحدات اللغوية في سلسلة الكلام. وترتبط علاقات الاستبدال والتتابع بعضها ببعض على وجه التبادل على نحو ما جرى تأسيسه باستخدام اختبارات الإحلال. وينبغي أن يكون الهدف من التحليل اللساني أن يعنى في المقام الأول بالمظاهر اللسانية، ولا يعنى هذا أياً من المظهرين الصوتي والمعنوي في اللغة، بل يعنى العلاقة بين المظهرين. ولكل لغة مفردة علاقاتها الخاصة بها. وتأسيس علاقات التتابع والاستبدال باستخدام اختبار الإحلال يمكن أن يحدد طبيعة الظواهر اللغوية ذاتها، أي أنه يظهرنا في كل حالة من الحالات المعينة على ما هو خاصية أساسية عامة، وما هو سمة مفردة، «اتجاهات البحث اللساني» ص ٣٣٣، ٣٣٤. وانظر هامش اختبار الإحلال كذلك.

(المترجم)

مع الوظائف العامة المذكورة من ١ : ٣ التى تستخدم بلا اختلاف سواء للتوالى أم للنظام شبكة مكونة من ٩ علاقات(٦)، يدعى هيلمسليف بها أنه يمكن أن تشتمل على كل العلاقات الواردة فى اللغة.

ولا يتناول فى النص إلا أمثلة ضئيلة جداً، ونورد هنا للتمثيل: ***التحديد*** ـ أى التبعية الأحادية ـ فى النص (= التوالى) ينشأ بين الجمل الرئيسة والجمل الفرعية: فالجمل الرئيسية ممكنة بدون الجمل الفرعية، أما العكس فلا يصح. ومع ذلك فلا يعنى ذلك بداهةً أن كل جملة فرعية مفردة تشترط كل جملة رئيسية مفردة: فلا تشترط الجملة الفرعية المفردة وجود جملة رئيسية معينة، بل وجود أية جملة رئيسية فقط. (١٩٧٤، ٨٥).

التعليق الداخلى ـ أى التبعية المتبادلة ـ فى النظام ينشأ بين مقولة (فصيلة) العدد والحالة الإعرابية فى اللاتينية، فكلتاهما ترد معاً دائماً فى مورفيم واحد؛ ومع ذلك ينشأ بين الحالة الإعرابية المفردة والعدد المفرد ائتلاف حر (١٩٧٤، ٣٠).

١١٩ / ويدعى أن يعثر على شواهد لغوية لكل أنماط العلاقات دون صعوبات. ومع ذلك فمن الجلى أن شبكة مكونة من تسع علاقات فقط ليست كافية للاشتمال على الظواهر المعقدة فى لغة طبيعية وأبنيتها المركبة. وبرغم ذلك فإن فكرة العثور على **كم محدود endliche Menge** من خواص شديد التجريد، شبكة، تعكسها بنية اللغة، فكرة محمودة للغاية ويمكن أن تندرج فى الجهود الساعية إلى العثور على الكليات فى قرننا.

٥ ـ ٣ ـ ٣ تحديد ل. هيلمسليف للنظرية اللغوية

يحدد هيلمسليف الجلوسماتية باعتبارها نظرية لغوية تحديداً شكلياً صارماً. ويقع فى قلبها **مبدأ التجريب Empirieprinzip**. ويفهم التجريب لديه على

---

(٦) لذلك أدخل لهذه العلاقات أيضاً ٩ مصطلحات جلوسماتية، غير أنه لا ينبغى أن تسرد هنا.

نحو خاص للغاية؛ وينتج مبدأ التجريب تحديداً من المطالب الثلاثة التى سبق ذكرها فى سياق حلقة فيينا (قارن ما ورد تحت ٥ ـ ٢) **باللاتناقض** Widerspruchsfreiheit **والشمولية**(*) Vollständigkeit (أو : الوصف المستوفى) **والبساطة** Einfachheit :

ينبغى أن يكون الوصف خالياً من التناقض ومستوفياً وبسيطاً بقدر الإمكان. وتتقدم المطالبة باللاتناقض على المطالبة بالوصف المستوفى، وتتقدم المطالبة بالوصف المستوفى على المطالبة بالبساطة. (١٩٧٤، ١٥).

وبينما تعد هذه المطالب الثلاثة بلا شك مناسبة لوضع نظام (رمزى) منطقى تصطدم عند تطبيقها على لغات طبيعية بصعوبات جمة إلى حد معين. ولذا فإن الشمولية بالنسبة لنظرية لغوية إذن ليست بالأمر المرغوب فيه لأنه لا يمكن أن توسع نظرية تامة دون تناقض، بيد أن اللغة الطبيعية يجب أن تجيز توسعات فى أنظمتها الفرعية المنفتحة أساساً. وهكذا يجب أن يتخلى عن (مبدأى) اللاتناقض أو الشمولية. وفى الحقيقة يصعب اختبار البساطة، وهى على سبيل المثال ليست مناسبة حين تحجب علاقات لغوية لصالح عرض أكثر بساطة، أى ألطف من الناحية الرياضية.

وينبغى هنا أن تضاف ملحوظة: وهى أنه حتى فى التطور اللاحق لعلم اللغة، على سبيل المثال فى المراحل المبكرة للنحو التوليدى سعى المرء إلى تطبيق مفهوم البساطة الرياضى على وصف أحوال لغوية وتفسيرها. ولذا استخدم عدد من الوحدات الأساسية وعدد من القواعد معايير للبساطة. وقد أمكن أن يتوصل من الناحية الرياضية إلى أوصاف غاية فى اللطف وفق هذا المبدأ، غير أنه وجب أن يتخلى لذلك عن حقائق (وقائع) كثيرة وثيقة الصلة خاصة ببنية اللغة، إلى حد أنه لزم العدول عن هذا الفهم للبساطة.

(*) من المفيد أن نذكر هنا إيضاح سوزنان لهذا المبدأ أو المطالب الثلاثة، إذ يقول ص ١٣٥، ١٣٦: إن «مبدأ التجريبى» (وتلك كلمة جديدة تعنى لديه أمراً مختلفاً تماماً عن كل معانيها المعروفة) يشمل معايير عدم التناقض والشمولية والبساطة التى نجدها فى أساس كل الصياغات المنطقية منذ فريجه Frege. (المترجم)

إن نظرية، تفى بمبدأ التجريب، هى بالنسبة لهيلمسليف ***نظرية اعتباطية*** arbiträr بمعنى أنها مستقلة عن الخبرة(*)، وأنها لا تنبئ بشىء عن إمكانات/ تطبيقها وعلاقاتها بوقائع محسوسة. ومن البدهى أن هيلمسليف لم ينكر أيضاً أن أية نظرية يجب أن تكون قابلة للتطبيق بوجه عام ــ فى أى مجال للتطبيق دائماً أيضاً ــ وإلا كانت فى الحقيقة غاية فى ذاتها. ولكنه مع ذلك قد طالب بأن النظرية ينبغى أن تكون متكاملة، وألا يجوز أن يكون لإمكان تطبيقها ***فى مجال معين*** تأثير على النظرية ذاتها. وبذلك تتقابل الاعتباطية (بوصفها «تقديراً») والملاءمة (بوصفها «الخبرة») دون مقدمات. **١٢٠**

وفى الواقع يجب أن يخفف النقد بأن الجلوسماتية حسب ادعائها ليست نظرية لغوية عادية، بل هى بالأحرى نظرية للعلامات ذات إمكان تطبيق عالمى، ولذلك يجب أيضاً أن تقاس إمكانية اختبارها ومفهوم التطبيق فيها بمقاييس أخرى.

٥ ـ ٣ ـ ٤ العلامات ـ الصور اللامتغيرات ـ المتغيرات

يجب الرجوع فى هذا الفصل تارة أخرى إلى نظرية دى سوسير اللغوية (الباب الثالث) والملحوظات التمهيدية للمبحث ٥ ــ ٣ ــ ١. فاللغة وفقاً لها نظام من العلامات لا يختلف عن كل الأنظمة السيميوطيقية الأخرى إلا من خلال أن اللغة الطبيعية يمكن أن تطبق بشكل كلى (عالمى). ويسرى على النظام اللغوى أيضاً ما يسرى على كل الأنظمة السيميوطيقية الأخرى تماماً: فالعلامة تمثل وحدة

(*) يرادف مبدأ الاستقلالية لديه مبدأ الموضوعية (أى التعريف المعتمد على علاقات عناصر الموضوع ببعضها البعض). ويعبر مبدأ الاعتباطية (تعتبر النظرية مستقلة فى ذاتها عن كل تجربة)، ومبدأ الانسجام أو الملاءمة (يعرف للنظر من خلال كل تجربته السابقة فى مجال بحثه أن نظريته ممكنة التطبيق فى هذا المجال) بأصالة عن الحركة التوسيعية الضرورية بين لحظة الاستقراء ــ أى معرفة معطيات التجربة، ولحظة الاستنتاج ــ أى الصياغة «الاعتباطية» لمجموعة فرضيات. (يعلن هيلمسليف مع ذلك أنه لا يستعمل كلمتى الاستقراء والاستنتاج بمعناهما الدارجين). أما مبدأه فى الشمولية فهو المسلمة التى تقول بأن كل لغات العالم تتشابه بوجود القوانين العامة للبنية فيها (انظر مبحث الشموليات Universalien فيما بعد تشومسكى). مونان ص ١٣٦. (المترجم)

بين الدال signifiant والمدلول signifié، أى صورة صوتية وتصور(*)؛ وحدة ليست إلا *إلحاقاً*، فقط، ولا تتوسل بعلاقة سببية. فوظيفة العلامة ـ فى مصطلحات العلاقة لدى هيلمسليف ـ هى تعليق داخلى، لأن وجهى العلامة يشترط كل منهما الآخر بشكل متبادل.

ويوجد هنا بالنسبة لهيلمسليف بخلاف العالمية «الشمولية» Universalität فارق آخر بين اللغة الطبيعية والأنظمة السيميوطيقية الأخرى: يمكن أن تتفرع علامات اللغة الطبيعية إلى وحدات أصغر، لم تعد علامات. ففى اللغة فقط يوجد المستويان: التعبير والمضمون، وهو ما يمكن أن يتبين على النحو الآتى:

فى الأنظمة السيميوطيقية الأخرى تنشأ علاقة واحد إلى واحد (تساوٍ) بين التعبير والمضمون، وهو ما يجعل الفصل بينهما إلى مستويين أمراً زائداً، قارن:

* «يدل» هذا الزى على امرأة متزوجة، أى يشير هذا الزى بلا لبس eineindeutig إلى امرأة متزوجة، ولا يجوز لأحد آخر أن يلبسه، ولا يجوز لامرأة متزوجة أن ترتدى شيئاً آخر؛

* «يدل» هذا الزى على ملازم ثان (على نحو مماثل).

أما فى اللغة الطبيعية فإن تتابعاً صوتياً على العكس مما سبق «لا يدل» على مضمون من خلال علاقة واحد إلى واحد، قارن فى اللاتينية النهاية "u +s" لحالة الرفع + المفرد + المذكر». وهكذا فإن وحدتين تعبيريتين (u + s) تقابل/ ثلاث وحدات مضمونية، ولذا لا توجد أحادية المعنى ـ ليس فى هذا المثال فحسب، بل كقاعدة.

١٢١

(*) لا شك أن هذه الثنائيات تؤكد أن أفكار هيلمسليف امتداد لأفكار دى سوسير، ولكنها أكثر نضجاً ودقة (راجع ادعاء أو خطاب ميه إليه بأنه تلميذ دى سوسير الوحيد والحقيقى). فاللغة عنده شكل وليست مادة (جوهراً) كما هى الحال لدى سوسير (فليس للمادة ـ الصوت والمعنى ـ قيمة فى ذاتها). وتقابل ثنائية دى سوسير الدال والمدلول لديه مستوى التعبير ومستوى المحتوى (ولكل منهما مادة وشكل)، وثنائية اللغة والكلام تقابل لديه ثنائية النظام والنص (أو الاستعمال)، وثنائية التحليل الجدولى الصرفى والتحليل الأفقى النحوى تقابل لديه ثنائية النظام (أو علاقة أو ـ أو) والتتابع (أو علاقة و ـ و) .... إلخ (المترجم)

وقد قادت هذه الفكرة هيلمسليف إلى تجزئة العلامات اللغوية إلى أجزاء أصغر، أطلق عليها *صوراً* أو *أشكالاً* "Figuren"(*). والصور هي وحدات لم يعد لها خاصية العلامة، لأنها لم تعد قابلة لأن تتجزأ إلى تعبير ومضمون. فلا تمتلك صور مستوى التعبير مدلولاً، ولا تمتلك صور مستوى المضمون دالاً. غير أن الصور أجزاء من العلامات؛ ومن خلال ائتلافات معقدة تبنى منها علامات.

وللبحث بالصور ميزتان:

(أ) يمكن أن ينطلق من عدد ضئيل للغاية من الوحدات الأساسية، الصور، التي تبنى منها دائماً علامات جديدة.

(ب) يجب أن نبادر بأن الفكرة في ذاتها ليست جديدة؛ ففي فونولوجيا براغ في زمن أسبق قليلاً جزئت الوحدات الصوتية (الفونيمات) إلى وحدات أصغر، ***السمات الفارقة (=المميزة)***، قارن الباب الرابع ٤ ــ ٤ ــ ١، تروبتسكوي (١٩٣٩م). ومع ذلك فطريقة تناول هيلمسليف المحددة جديدة، وهي التي تصف مستويي التعبير والمضمون وصفاً متناسقاً، ومن ثم تفيد من مستوى التعبير الذي بحث بصورة أفضل في وصف مستوى المضمون. ونتيجة لذلك فقد قصد هنا أيضاً التصورات، أي مكونات المعنى التي تتركب منها بعد ذلك دلالات العلامات. وفي كتاب «المداخل» لا توجد حول ذلك إلا مباحث أولية، غير أن

(*) استخدم هيلمسليف هذه الكلمة بمعنى خاص، فالصور أجزاء من العلامات، لها جانبان: جانب التعبير وجانب المضمون، وينتج تركيب الصور بجانبيها العلامات. ومن المصطلحات الأساسية أيضاً التي ترد تحتها (لم يرد في تناول المؤلفة) مصطلحا cénèmes سينيم أوكينيم (من الجذر الاغريقي kénos بمعنى فارغ) مقابلاً للفونيم مستقلاً عن مادته الصوتية في عرف مدرسة براغ، [لاحظ التحول من استخدام phonématique (سنة ١٩٣٥م) إلى cénématique (سنة ١٩٣٦)، و plérèmes (من الجذر اليوناني pleros بمعنى ملئ) بمعنى الوحدة الحاملة للمعنى، مقابلاً للمورفيم في مدرسة براغ]، والمونيم في مدرسة جنيف. والجلوسيم glossemes (من الجذر اليوناني glosse بمعنى اللسان أو اللغة أو الكلام) لدى هيلمسليف هو أصغر الوحدات اللغوية ويجمع تحليله بين السينيم والبليريم. (المترجم)

مطلب هيلمسليف فى إسهامه فى مؤتمر اللغويين الثامن سنة ١٩٥٧م فى أوسلو: «إلى أى مدى يمكن أن يُنظَر إلى دلالات المفردات على أنها مشكلة للبنية؟» يصير أكثر وضوحاً (قارن هيلمسليف (١٩٥٨م)).

ويقدم هنا ما يأتى:

شابة : شاب تفرق بينهما علامة الجنس ــ أنثى : ذكر؛

شابة : امرأة تفرق بينهما علامة العمر ــ غير راشدة: راشدة؛

شابة : قطة صغيرة تفرق بينهما علامة النوع ــ إنسان : حيوان.

وينتج عن ذلك أن معنى «شابة» يتركب من المكونات «أنثى - غير راشدة - إنسان»[٧]. وبهذه الدراسات ومثيلاتها صار هيلمسليف مشاركاً علم الدلالة المعجمى البنيوى. وقد أشير فى الباب الرابع ٤ ــ ٥ ــ ٢ عند شرح أعمال ياكوبسون إلى أن هذا الأخير قد طور نقاطاً بحثية مشابهة، / ومع ذلك فإنه خلافاً ١٢٢ لهيلمسليف كانت تلك الدراسات البنيوية حول معان نحوية.

ويتجلى تواز آخر مع ياكوبسون فى سعى هيلمسليف إلى وحدات ثوابت للنظام تتناسب معها فى الواقع متغيرات (عدة عند الضرورة) بين ***اللامتغيرات*** Invarianten ينشأ «إحلال» يتم اختباره باختبار الإحلال Kommutationstest[*]: حين يجرى على مستوى من المستويين ــ التعبير أو المضمون تغيير ما، وبناءً عليه يتغير كذلك شىء ما على المستوى الآخر المماثل، فإنه يقع بين شكل البداية وشكل النهاية إحلال (تبديل). ويعد كلا العنصرين

---

(٧) وبعبارة أكثر دقة: هذه السمات الثلاث متضمنة فى معنى «شابة»، فضلاً عن سمات أخرى كثيرة أيضاً، تتعلق بمضامين أخرى للوحدة المعجمية.

(*) يقابل ذلك الاختبار كما سنرى فيما بعد اختبار الاستبدال، ويتم اكتشاف مدى الإمكانات الفعلية للتوليف باستخدام الإحلال commutation، وهو الاستبدال المنظم لكل علاقة لغوية فى سياق معين بهدف التحقق من العلامات التى يمكن لها أن تشغل هذا السياق والعلامات التى يمتنع عليها ذلك، وهذا العمل يزودنا بالمعلومات التى تحدد العلامات المرتبطة فيما بينها بعلاقات متبادلة والعلامات التى ليست كذلك. (المترجم)

المتمايزين غير متغيرين. أما مع نتيجة سلبية للاختبار فإن الأمر يدور حول متغيرات (بدائل) Varianten.

وقد تحدد ذلك أيضاً بالنسبة للفونولوجيا قبل هيلمسليف، ولكن الجديد هو المعالجة المتناسقة لكلا المستويين. ويعني ذلك أنه لا يقابل فقط بين

Garten (حديقة) : Karten (ورق اللعب)

(على مستوى المعنى يوجد إذن فارق، إذ إن g و k وحدتان صوتيان (فونيمان)، فهما إذن ليسا متغيرين (بديلين))، Karten : K^h arten (ورق اللعب)

(على مستوى المعنى لا يتغير شيء، إذ K و K^h متغيران [أي بديلان لوحدة صوتية (فونيم) واحدة][*]،

ولكن هيلمسليف يسلك أيضاً النهج من مستوى المضمون إلى مستوى التعبير. ويعني هذا بالنسبة لمثال السابق إيراده عن «الشابة» أنه عند تغيير علامة المضمون؛ عند استبدال «ذكر» بـ «أنثى» مثلاً، يجب أن يحدث أيضاً تغير على مستوى التعبير (إلى «شاب»)، ويعد المكونين غير متغيرين (أي ليسا بديلين).

٥ ـ ٣ ـ ٥ لويس هيلمسليف،، مختصر نظرية اللغة،،

كما ذكر في ٥ ـ ١ كتب لويس هيلمسليف سنة ١٩٤١م مختصراً Résumé؛ باعتباره عملاً موسعاً أو ممتداً (في الأصل ١٨٧ صفحة بطول صفحات الآلة الكاتبة)، بل إنه مختصر بالغ التكثيف للنظرية الجلوسماتية، في أثناء انتظار عودة أورالدال إلى كوبنهاجن. وبالنسبة للعمل الضخم المخطط له حول الجلوسماتية اضطلع هيلمسليف بعرض النظرية، وتولى أولدال عرض جبر اللغة. وهكذا فإن نص «المختصر» قد نشأ في الوقت نفسه الذي تكون فيه نص «المداخل»، غير أنه

(*) سبقت الإشارة إلى أن خاصية النَفَسَية Aspiration لا تؤدي إلى تغير في المعنى في اللغة الألمانية، إذ لا تعد فيها سمة فارقة، فلا فرق بين نطق K بطريقة غير نفسية، ونطقه K^h بطريقة نفسية وتجدر الإشارة هنا إلى الشبه الواضح بين:

Invariante و phoneme, Variante و allophoneme

لم يتداول إلا فى نسخ ضـئيلة. وبعد وفاة هيـلمسـليف فقط حصل فـرنـسيس ج. وايتفيلد F.J. Whitfield سنة ١٩٧٥م على إذن الأرملة فـيكه هيلمسلـيف بنشر كتاب «المختصر» "Résumé of a Theory of Language".

ولا يدور الأمر هنا حول نص مـترابط، بل سرد مركز للتعـريفات والقواعد والعمليـات والمبادىء، ولا يستـشهد بأمـثلة إلا بمقدار ضئـيل. ولا يمكن أن يقرأ «المختصر» دون معرفة «المداخل». وبـسبب درجة صعوبته فهو لا يتناسب مع مدخل مثل المدخل الذى نقدمه؛ ولكن يمكن بلا شك أن تكون قوائم التعريفات والقواعد إلخ مفيدة بوضعها إلى جانب نص «المداخل».

٥ ـ ٤ لويس هيلمسليف، مجالات بحثية أخرى

/ من بين ما كـتب هيلمـسليف فى «فترة ما قبل الجلوسماتية» بـحث «مقولة الحالة الإعرابية» (La catégorie des cas، ١٩٣٥م). وكان البحث، الذى ظهر فى الفـترة ذاتها تقريباً التى ظهـر فيها بحث رومـان ياكوبسون «إسهام فى علم الحالات الإعرابيـة العام» (Beitrag zur allgemeinen Kasuslehre، ١٩٣٦م)، كان مثل ذلك الأخير مـحاولة لتحديد جـدولى (صرفى) لعناصر مقولة نحـوية. وكانت نقطة الانطلاق فى هذه الحال أيضاً ف. دى سـوسير مفهوم ــ القـيمة valeur(*)؛ قيمة الوحـدة اللغوية التى تـنتج عن إدراج هذه الوحدة فى نـظام، والتى تتحـدد فى هذا النظام على نحو تقابلى konfrontativ دائماً. وينطلق هيلمسليف من ثلاثة «أبعاد»، تنتظم فـيها الحـالات الإعرابيـة المفردة لكل اللغـات المدروسة، وفى حالة مُـثْلَى كل اللغات الموجـودة بوجه عـام. وهذه الأبعاد هى «*الاتجـاه ـــ الربط ـــ الفاعليـة*/

١٢٣

(*) لا خلاف حول تأثر كل من مدرسـة براغ ومدرسة كوبنهاجن بفكرة القيمـة، إلا أن كل مدرسـة قد تجاوزت حـدود توظيف دى سوسـير لهـذه الفكرة، واختـصت مدرسة براغ بتـوظيفـها فى مـجال الفونولوجيا أسـاساً (راجع بوجه خاص فى الفصل السـابق مـفهوم المقابلات Oppositionen لدى ياكوبـسون، وانتقالها على يده إلى مجال النحو)؛ واختصـت مدرسة كوبنهاجن بنهج شكلى/ وظيفى يصل بين التحليل الجلوسيـمى والتحليل الجدولى الصرفى (العلاقات مع الغـائب) والتحليل الأفقى النحوى (العلاقات مع الحاضر). (المترجم)

المفعولية، ويمكن أن تتحقق أقسام فرعية للاتجاه "Richtung" مثل: **الاقتراب ـ السكون ـ الابتعاد**. ويمكن أن يكون لكل بعد من الأبعاد ما بين عنصرين وستة عناصر. وهكذا ينتج عن ذلك كحد أقصى ٦ ^٣^ = ٢١٦ حالة إعرابية ممكنة.

وقد عُرضت في الجزءين الأولين من البحث الأسس العامة، ووصفت ضمن ما وصفت الأنظمة الإعرابية لست لغات قوقازية ـ بحالاتها التي تصل إلى ٥٢ حالة إعرابية. ويشتمل الجزء الثالث على اللغات الهندوأوربية، وينتهي بملحوظات ختامية. ولم يظهر ذلك الجزء الأخير، إذ كانت اهتمامات هيلمسليف قد تبدلت في اتجاه الجلوسماتية.

وما أسهل أن يعرف أن المبدأ الذي طبق لوضع علم عام للحالات الإعرابية هو نفسه الذي طُبِّق لدى ياكوبسون: فقد بحث بالسمات الدلالية التي يُمكّن ائتلافها المعين من فصل الحالات الإعرابية المفردة بعضها عن بعض، غير أنها تُعالج في نظام كلي.

وثمة مجال بحثي آخر، وهو علم الدلالة المعجمي البنيوي، الذي سبق الكلام عنه في ٥ ـ ٣ ـ ٤، ولا ينبغي أن يتناول هنا مرة أخرى.

ومن الجدير بالذكر أن هيلمسليف قد شغل أيضاً بمشكلة علاقات التتابع في الجملة(*) (قارن هيلمسليف (١٩٥٠م)). وفرضيته المبدئية هي أن تتابع العلامات داخل الكلمة ثابت، تحدده قواعد إجبارية، بينما يخضع التتابع بين العلامات،

(*) مفهوم العلاقات ـ كما أشير من قبل ـ مفهوم جوهري لدى هيلمسليف، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الوظيفة. فالعلاقات الجدولية الصرفية (أي في النظام) هي ترابطات Korrelationen (تلازمات)، والعلاقات الأفقية النحوية (أي في النص أو الاستعمال) هي وظائف Funktionen. وهكذا يكشف تحليل البنية قواعد التنظيم نفسها بالنسبة لمستويي التعبير والمحتوى، وهو ما يعرف لديه بمبدأ «التطابق في النظام». ويقتصر كذلك معنى الوظيفة لديه على العلاقة (غير المادية، المجردة، الشكلية) والتتابع والاختيار الإحلالي.

(المترجم)

التى هى مفردات لقواعد متباينة، وهو «حر» فى بعض اللغات، ولذا يمكن أن يستخدم لأغراض غير نحوية (قارن حول ذلك أيضاً فى الباب الرابع ٤ ــ ٦ بحوث بلم ماتسيوس حول التقسيم الفعلى (أو الحقيقى) للجملة). ويكمن إسهام هيلمسليف الخاص فى هذا الموضوع فى محاولة تطبيق النظام المفهومى الجلوسماتى على هذا المجال، وبخاصة اختبار الإحلال. ويلحظ فى ذلك بلا شك التعقيدات التى تجلبها معطيات أسلوبية إلى ذلك المخطط المصوغ صياغة بنيوية.

١٢٤ / وينبغى كذلك أن تذكر فى الختام نشرية غريبة للغاية بالنسبة لهيلمسليف، وهى كتيب بعنوان اللغة (Sproget ١٩٦٣م). وهو باعتباره مدخلاً إلى علم اللغة للطلاب، مذكرة سهلة الفهم عرضت، فيها كل مجالات علم اللغة، ومن بينها القرابة اللغوية والبناء اللغوى والاستعمال اللغوى والفهم اللغوى، واستشهد فيها بأمثلة كثيرة. ومن الجدير بالملاحظة على سبيل المثال الجملة الآتية أيضاً:

ما أقدر المرء على الحديث فى العلم عن نتائج دائمة ــ غير أنه يصعب عليه الحديث عن وجهات نظر باقية (١٩٦٨، ١١).

وقد استشهد على هذه الفكرة بمقارنة بعلم الفلك: فقد كان تيشو براهه Tycho Brahe يظن أن الشمس تدور حول الأرض، ولذلك فإن ملحوظاته يجب ألا ترفض بل أن يعاد تأويلها uminterpretiert فقط. وهكذا يجب أيضاً ألا يتصرف فى بحوث علم اللغة الحالى.

٥ ــ ٥ هـ ـ ى. أولدال، «جبر اللغة»

فى سنة ١٩٥٧م ظهر الجزء الأول من العرض الضخم المشترك المخطط له للجلوسماتية تحت عنوان «مختصر الجلوسماتية Outline of Glossematics، دراسة فى منهجية الدراسات الإنسانية مع مرجعية خاصة إلى علم اللغة، الجزء الأول:

نظرية عامة». ويبدى العنوان زعماً كبيراً للجلوسماتية باشتمالها على كل العلوم الإنسانية (العقلية)، وينبغى أن يكون علم اللغة جزءاً من هذا المشروع فقط(*).

وفى هذا المبحث يناقش الجزء الرئيسى من هذا المجلد الأول؛ وهو الجزء الذى يُعْنَى بالجبر الجلوسماتى.

ويقبل جبر أولدال إلى جانب الوحدات السلبية، الوحدات الإيجابية أيضاً؛ وفى الواقع يتعلق الأمر لديه بأوجه ربط تركيبية (سيتجماتية)، فى حين لم يُجز مفهوم دى سوسير وهيلمسليف للقيمة إلا وحدات محددة تحديداً سلبياً، تُرتب إذن فى النظام ترتيباً جدولياً (صرفياً). ويحدد أولدال ذلك:

إذا قورن بين وحدتين أب وأ، فإن ب قيلت لتكون موجبة فى أب، وسلبية فى أ، الذى كتب الآن أ بَ. (١٩٥٧، ٤٧ نقلاً عن إ. فشر ـ يورجنسن ١٩٧٩، ٢٣٣).

وفى ذلك توضح علامة ناقص (ـــ) غياب وحدة خاصة فى موقع خاص، وبلفظ أولدال: موقع جلوسماتى لم يستشهد له (لا شاهد له).

وثمة أمثلة أخرى عن فيشر ـ يورجنسن ١٩٧٩، ٢٣٣

(*) لا يمكن تجاهل ذلك الطموح فى مشروع هيلمسليف وأولدال، فقد أراد أن يجعلا من الجلوسماتية نوعاً من الجبر القادر على تنظيم التحليل الوصفى الذى يصلح لكل العلوم، وليس علم اللغة فحسب، فهل استطاعا أن يجدا التراكيب الجبرية المناسبة للوصف، وهل نجحا على مستوى التطبيق فى تحقيق ذلك الطموح، وهل قدما وصفاً واضحاً وملائماً يحقق معايير عدم التناقض والشمولية والبساطة؟ وهل استطاعا أن يقدما فى محاولاتهما مبادىء تحليل، يمكن أن تفيد منها المدارس الأخرى بتوسيع تطبيقها أو تعديلها أو الإضافة إليها؟ إلى آخر التساؤلات التى يمكن العثور على إجابة لها من تفسير موقف علماء اللغة بوجه عام باستثناء اندريه مارتينيه الذى أثر هيلمسليف فى فكره خلال فترة من الزمن، وبعض علماء شبه الجزيرة الاسكندنافية وبخاصة ايلى فيشر ـ يورجنسن وهنّينج شْبَنج ـ هنسن، غير أنهم ابتعدوا ـ كما أشار مونان ص ١٣٥ ـ جميعاً بشكل واضح ومتفاوت عن مذهب الغلوسيماتيك فى حرفيته، لدرجة أنه لم يعد لهذا المذهب أى أثر فى أيامنا هذه، وخصوصاً فى فرنسا، إلا فى مجال المصطلحات.

(المترجم)

١ ــ تكتب play, pay lay, A جلوسماتياً كما يلى:

$\text{plei}, \text{p}\bar{\text{l}}\text{ei}, \bar{\text{p}}\text{lei}, \bar{\text{p}}\bar{\text{l}}\text{ei}$.(*)

٢ ــ فى الألمانية "auf" يمكن أن يقع مع القابل Dativ والمفعول Akk أيضاً، فى حين أن "um" لا يقع إلا مع المفعول(**). والكتابة الجبرية لدى أولدال هى:

/ "auf" (+ a + d) {+ تعنى تستخدم فى حالتى المفعول والقابل}

١٢٥

"um" (+ a - d) {+ تعنى تستخدم فى حالة المفعول و ــ تعنى لا تستخدم فى حالة القابل (المترجم)}

مع خاصية أن "d -" لا تكون ممكنة إلا حين ترد فى مكان آخر "d+" .

ووفقاً لذلك تكتب العلاقات الجلوسماتية الرئيسية الثلاثة كما يلى:

الائتلاف (= إمكانية ربط حرة) : $+ a\bar{b} + \bar{a}b +$

الاختيار (= تبعية أحادية) : $\bar{a}b - a\bar{b} +$ أو $\bar{a}b + a\bar{b} -$

التضافر (= تبعية متبادلة) : $\bar{a}b - a\bar{b} -$

ولما كان $\bar{a}\bar{b}+$ و$\bar{a}\bar{b}-$ ممكنين فإن للمقولة الثنائية أربع مجموعات: $\bar{a}\bar{b}$ و$a\bar{b}$ و$\bar{a}b$ و ab، ويمكن بدورها من حيث هى مجموعة أن تكون موجبة أو سالبة. ويحصل أولدال بهذه الطريقة على ١٦ مجموعة متباينة على أساس "a" و"b".

وفى الخاتمة ثمة تحليل آخر من الفونولوجيا، ليس من السهل التأكد من جدواه:

(*) علامة ناقص (ــــ)، أى الشرطة الموجودة فوق الصوت، تعنى أنه غير موجود، فصوت ($\bar{l}$) غير موجود فى pay، و(p) غير موجود فى lay، وهما غير موجودين (pl) فى المثال الأخير من جهة اليمين. (المترجم)

(**) إذ يقال فى الألمانية auf dem Tisch (على المنضدة)، وauf den Berg (فوق الجبل)، أى أن dem حالة القابل وden حالة المفعول. أما um فليس له إلا حالة المفعول، يقال فى الألمانية um den Tisch (حول المنضدة). (المترجم)

تُراعى كل أوجه الربط الممكنة والمتحققة فى لغة معينة للصوامت: s, p, t, k, r, l

ويُشترط أن يوجد في هذه اللغة أوجه الربط الآتية ـــ حقيقةً ـــ من تلك الصوامت (عشر مجموعات):

spr, skl, sp, st, sk, pr, tr, kr, pl, kl

وتسرى طريقة الكتابة المستخدمة آنفاً على الجدول الآتى، أى "+" قبل المجموعة تعنى أن هذه المجموعة موجودة (بالقياس إلى "ــ")، و "ـــ" فوق حرف ما تنفى هذ الحرف وحده:

1. + spr, + skl, - spl, - str, - skr

2. + spr̄ , + skl̄, + spl̄, + str̄, + skr̄

3. - sp̄r, - sk̄l, - sp̄l, - st̄r, - sk̄r

(*)4. + s̄pr, + s̄kl, + s̄pl, + s̄tr, + s̄kr

ويمكن للمرء عند تفسير هذه المجموعات أن يقتنع بسرعة بأن أولدال قد قام بوصف مستوفٍ للمجموعات العشرة السابق إيرادها من الصوامت، غير أنه لم يظفر بأية معارف جديدة عن مجموعات الصوامت فى تلك اللغة، أى يجب أن يتقدم على هذا التحليل الجلوسماتى تحليل يبحث بوسائل وصفية، ويقوم التحليل الجبرى بنوع من المراقبة النهائية. ويجب أن يكون ذلك مقصوداً بلا شك، إذ إنه بهذه الطريقة يمد جسر بين/ لغة طبيعية وأنظمة أخرى، حللت تحليلاً مماثلاً أو تلك التى يمكن أن تحلل بهذه الطريقة وحدها. ١٣٦

(*) تفسير هذا الجدول ـ كما أظن للتيسير على القارىء العربي ـ على النحو الآتى المجموعة الموجبة spr+ تعنى أنها موجودة فى اللغة المدروسة والمجموعة السالبة skr - تعنى أنها غير موجودة فى تلك اللغة. فإذا وضعت شرطة (ــ) فوق الصوت كما فى المجموعة الموجبة (2) مثل spr̄+ أنها موجودة دون الصوت الأخير الذى وضع عليه الشرطة، وفى المجموعة السالبة (3) مثل sp̄r- وضعت الشرطة فوق الصوت الثانى، وفى المجموعة الموجبة (4) مثل s̄pr+ وضعت الشرطة فوق الصوت الأول. (المترجم)

٥ ـ ٦ الموضع الصحيح للجلوسماتية فى علم لغة القرن العشرين

من الصعب وضع الجلوسماتية فى موضعها الصحيح (الدقيق)، باعتبار أن على المرء للحكم عليها حكماً صحيحاً أن يفرق تفريقاً واضحاً بين إسهامها فى وصف لغات مفردة وإسهامها فى تطوير النظرية اللغوية.

ولم تُوصف بالمناهج الجلوسماتية أية لغات مفردة، ولا يمكن أن تعد المحاولات الضئيلة موفقة. ويفتقر بالإضافة إلى ذلك إلى أية صلة باستعمالات لغوية اجتماعية وموقفية، إذ ظلت المادة مستبعدة.

بيد أن ذلك كان من الناحية السطحية ما يؤخذ على الجلوسماتية؛ وهو أنها لم تُحقق بمتابعة نظرية دى سوسير اللغوية فى إصرار، واستعمال منطق حلقة فينا درجةً عليا من التجريد إلى حد أنها لم تعد قابلة للتطبيق بالنسبة للبحث المباشر لظواهر لغوية. ولذلك لم يستطع اللغويون الدنماركيون الذين أراد أن يشتغلوا بحوث عملية أن يرجعوا فى بحوثهم الخاصة إلى الجلوسماتية. والمثال الواضح على ذلك هو ايلى فيشر ـ يورجنسن، التى عملت بكل مالها من سلطان أو نفوذ الكثير من أجل الترويج للجلوسماتية(*)، غير أن بحوثها الخاصة حول علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفى لم تستخدم النظرية الجلوسماتية.

بيد أنه يجب أن يؤكد أن هدف الجلوسماتية يكمن على الأرجح فى تطوير النظرية (اللغوية)، وفى هذا موضعها المستحق حتماً أكثر من احتفاء خاص بتاريخ العلم فقط. فليست الجلوسماتية فى الحقيقة نظرية، بل إن بعضها بالأحرى نظرية فى العلم وبعضها سيميوطيقا. وكذلك تقليصها موضوعها فى العلاقات هو بلا شك ـ ابتداءً ـ عمل مفيد، على نحو ما أثر هيلمسليف تأثيراً قوياً بوجه عام فى تحويل معرفتنا باللغة إلى علم رياضى (دقيق). ومن المحتم أن تُقَوَّم جهوده حول

(*) انظر خطابها التأبينى المنشور فى مجلة Acta Linguistica vol. g, 1955 p. III - XX II وتحليل بيرتا سيرتسيما Berta Siertsema الذى يحمل عنوان:
A study of Glossematics (La Haye, 1955, 2e édi, 1965)

الفصل بين اللغة الواصفة واللغة الموصوفة، تقويماً إيجابياً، وهو ماله أهمية بوجه خاص لعلم اللغة الذى يتحدث باللغة عن اللغة، وهكذا يستخدم (أو يجب أن يستخدم!) صيغاً لغوية، حين يتأمل فى لغة أو نظريات لغوية؛ قارن حول ذلك الاستشهادات الآتية من «المداخل»:

تلك هى ما تسمى ***اللغات الواصفة*** Metasprachen التى تُفْهَم بها لغات، والتى تعالج لغة، وهو ما يجب أن يعنى، إذا ما نقل إلى مصطلحاتنا، لغات مضمونها لغة. ومثل تلك اللغة الواصفة يجب أن تكون علم اللغة. [. . .] ومن المعتاد أن اللغة الواصفة تتطابق (أو يمكن أن تتطابق) مع اللغة الموصوفة تطابقاً تاماً أو جزئياً. (١٩٧٤، ١١٥/١١٦).

/ وباختصار: عرف هيلمسليف بوضوح تام أية أهمية عساها أن تكون **١٢٧** للمناهج الاستنباطية بالنسبة للتطور المستقبلى لعلم اللغة. فقد طالب بتحويل علم اللغة إلى علم رياضى Mathematisierung der Linguistik، ووضع هذا العلم فى موضعه الصحيح فى نظرية عامة للعلامات «السيميوطيقا»(*).

وبهذا الاعتبار تشغل الجلوسماتية موقعاً متميزاً داخل المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوى، لأنه لم تأبه (أو تُولِ) أية مدرسة من المدارس الأخرى لتعميق النظرية أهمية كبيرة كهذه.

(*) اخضع هيلمسليف مذهبه اللسانى لنظرية العلامات التواصلية، وليس من الضرورى أن تكون هذه العلامات ذات طبيعة لغوية ـ وكما تقول مليكا أفيتش: تُعْنَى الجلوسيمية بالمقاربة النظامية لبنى اللغات الحية بالبنى الأساسية لكل الأنظمة السيميوطيقية، أى جميع الوسائل التى يتحقق بها التواصل (بما فى ذلك الوسائل غيراللغوية). وقد قامت هذه البنى الأساسية على التحليل المنطقى الذى أجرى باستخدام الطرق الرياضية. وإذن فإن لسانيات هيلمسليف ذات طابع مقاماتى (براجماتى) ظاهر؛ إذ إن الهدف منها هو أن تُعِين على وضع نظرية عامة للعلامات التواصلية؛ أى نظرية عامة للسيميوطيقا. «اتجاهات البحث اللسانى ص ٣٢٦». (المترجم)

٥ ـ ٧ بيانات المراجع

J. Albrecht (1988): Europäischer Strukturalismus. Ein forschungsgeschichtlicher Überblick. (UTB 1487). Tübingen.

E. Barth (1974): Zur Sprachtheorie von L. Hjelmslev. In: L. Hjelmslev 1974a.

Th. Berchem (1974): Omkring sprogteoriens grundlaeggelse (Prolegomena zu einer Sprachtheorie). In: Kindlers Literaturlexikon. Ergänzungsband (Werke A-Z). München.

H. Brands (1974): Hjelmslevs Prolegomena. In: Linguistische Berichte 30. Wiesbaden.

R. Carnap (1928): Der logische Aufbau der Welt.

R. Carnap (1934, [2]1968): Logische Syntax der Sprache. Wien/New York.

R. Carnap (1993): Mein Weg in die Philosophie. Stuttgart: Reclam.

E. Fischer-Jørgensen (1943): Review of Louis Hjelmslev, Omkring sprogteoriens grundlaeggelse. In: Nordisk Tidsskrift for Tale og Stemme 7, 81-96 (Wiederabdruck in E. Fischer-Jørgensen 1979).

E. Fischer-Jørgensen (1957): Introduction to H. J. Uldall, Outline of Glossematics I. Kopenhagen (Wiederabdruck in E. Fischer-Jørgensen 1979).

E. Fischer-Jørgensen (1965): Louis Hjelmslev. In: Acta Linguistica Hafniensia IX/1 (Wiederabdruck in E. Fischer-Jørgensen 1979).

E. Fischer-Jørgensen (1966): Form and Substance in Glossematics. In: Acta Linguistica Hafniensia X/1, 1-33 (Wiederabdruck in E. Fischer-Jørgensen 1979).

E. Fischer-Jørgensen (1979): 25 Years' Phonological Comments. München.

G. Harras (1974): Zur Sprachtheorie L. Hjelmslevs und zum gegenwärtigen Stand der Linguistik. In: L. Hjelmslev 1974a.

L. Hjelmslev (1928): Principes de grammaire générale (Prinzipien der allgemeinen Grammatik). Kopenhagen.

L. Hjelmslev (1935+1937, [2]1972): La catégorie des cas. Étude de grammaire générale (Die Kategorie Kasus. Skizze einer allgemeinen Grammatik). Aarhus.

L. Hjelmslev (1936): Essai d'une théorie des morphèmes (Essay zu einer Morphemtheorie). Beitrag zum 4. Internationalen Linguistenkongreß (Wiederabdruck in L. Hjelmslev 1974a).

L. Hjelmslev (1949): Structural Analysis. In: Studia Linguistica ! (Wiederabdruck in L. Hjelmslev 1974a).

L. Hjelmslev (1950): Rôle structural de l'ordre des mots (Die strukturelle Rolle der Wortfolge). In: Grammaire et Psychologie. Numerö spécial du „Journal de Psychologie" (Grammatik und Psychologie. Sondernummer des „Journal de Psychologie"). Paris.

L. Hjelmslev (1954): La stratification du langage (Der stratische Aufbau der Sprache). In: Word X/2-3 (Wiederabdruck in L. Hjelmlev 1974a).

L. Hjelmslev (1958): Dans quelle mesure les significations des mots peuvent-elles être considérées comme formant une structure? (In welchem Maße können die Wortbedeutungen als strukturbildend angesehen werden?). In: Proceedings of the Eighth International Congress of Linguists. Oslo (Wiederabdruck in L. Hjelmslev 1959, nicht aber in Hjelmslev 1974).

L. Hjelmslev (1959): Essais linguistiques (dt.: Aufsätze zur Sprachwissenschaft. Stuttgart 1974, siehe L. Hjelmslev 1974a).

L. Hjelmslev (1968): Die Sprache. Eine Einführung. (Original dänisch 1963). Übersetzt und herausgegeben von O. Werner. Darmstadt.

L. Hjelmslev (1974): Prolegomena zu einer Sprachtheorie. Übersetzt von R. Keller, U. Scharf und G. Stötzel. München [Original dänisch 1943, [2]1976: Omkring sprogteoriens grundlaeggelse].

L. Hjelmslev (1974a): Aufsätze zur Sprachwissenschaft. Stuttgart.

L. Hjelmslev (1975): Résumé of a Theory of Language, edited and translated with an introduction by Francis J. Whitfield. The University of Wisconsin Press.

L. Hjelmslev/H. J. Uldall (1957, [2]1967): Outline of Glossematics. A Study in the Methodology of the Humanities with Special Reference to Linguistics, Part I: General Theory. In: Travaux du circle linguistique de Copenhague X/1. Kopenhagen.

B. Siertsema (1955, [2]1965): A Study of Glossematics. Critical Survey of the Fundamental Concepts. The Hague.

H. Spang-Hanssen (1963): Glossematics. In: Trends in European and American Linguistics 1930-1960. Utrecht/Antwerpen.

K. Togeby (Hrsg., 1967): La glossématique. L'héritage de Hjelmslev au Danemark (Die Glossematik. Hjelmslevs Erbe an Dänemark). Langages 6.

G. Ungeheuer (1959): Logischer Positivismus und moderne Linguistik. Glossematik. Uppsala.

٦ ـ علم اللغة الوصفي

٦ ـ ١ وضع علم اللغة في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن العشرين

١٢٩

بواز ـ سابير ـ بلومفيلد

تطور علم اللغة البنيوى الأمريكي في الولايات المتحدة تطوراً مستقلاً نسبياً عن المدارس الأوربية، وغير متصل بـ ف. دى سوسير أيضاً اتصالاً مباشراً. ولذلك يجب أن يتصدر هذا الفصل إيضاح موجز.

في بادىء الأمر كانت اللغات الهندية لشمال أمريكا(*) هي الموضوع الرئيسي لدراسة علماء اللغة الأمريكيين ــ بعد مرحلة تلقي موضوعات ومناهج هندوأوربية. وقد جعل هذا المطلب العملي علم اللغة يسلك نهجاً خاصاً: فاللغات الهندية الأمريكية لم يكن لها تراث، فلم يعرف المرء تاريخها السابق، ولذلك لا يستطيع أن يبحثها بالمناهج المألوفة في علم اللغة إلى الآن. ومن ثم طورت مناهج جديدة ذات عناية خاصة ببحث لغات لم تستثمر بعد.

وفضلاً عن ذلك أيضاً فقد حافظ علماء اللغة الأمريكيون على ذلك الموقف الأساسي العملي حين مدوا مجال بحثهم إلى عائلات لغوية ولغات معروفة. ويمكن أن يتذكر هنا تقليد «المؤلفات» التى أنجزت للدارسين. وفي الواقع أيضاً قاد التوجه التطبيقي القوى إلى حين إلى غياب الوعي بالنظرية (بالتنظير) لا يخطئه النظر، على نحو ما يلزم أن يسجل في هذا الموضع ابتداءً أيضاً.

(*) من أهم اللغات الهندية ــ الأمريكية التي درسها سابير مثلاً: لغة يانا (Yana)، ولغة بايوت (Paiute) ولغة نوتكا (Nootka) ولغة آتاباسكان (Athabaskan)، ولغة التلينجيت (Tlingit)، ولغة تاكيلما (Takelma)، ولغة ويشرام (Wishram). (انظر فيما يأتي اللغات الأخرى التي درسها بلومفيلد). وما من شك في أن اللغات الهندية ــ الأمريكية قد لعبت دوراً كبيراً في تكوين نظريته في علم اللغة العام، غير أنه احتل المكانة التي يحتلها بين علماء اللغة في القرن العشرين بفضل هذه النظرية. (المترجم)

ويعد **فرانز بواز** Franz Boas (١٨٥٨ ــ ١٩٤٢) مؤسس علم اللغة الأمريكي الحديث. وقد ظهر مرجعه في لغات الهنود الأمريكيين (بالانجليزية) من ١٩١١ ــ ١٩٢٢م(*). ويتخلل هذا المرجع فكرتان رئيستان: الإشارة إلى أن المناهج التقليدية التي طورت في أوربا للغات الهندوأوربية لا يجوز أن تنقل إلى اللغات الهندية، والفرضية الإنسانية وهي أنه لا توجد شعوب ولا لغات متخلفة.

وأبرز بواز ثلاث خواص للغات الهندية، وهي: أنها لا تراث لها، ونتيجة لذلك لا يمكن أن ينقل علم اللغة التاريخي ــ المقارن الأوربي إليها؛ وبذلك لا يمكن في هذا السياق أن تكتشف بينها صلات نَسَبية genealogische Zusammenhänge؛ وأخيراً تشير أيضاً إلى تشكيل آخر للبنية، فصائل نحوية أخرى بشكل جزئي. وقد انتهى فرانز بواز إلى ثلاث نتائج مهمة،/ لها صلاحية عامة، أي لا ينبغي قصرها على تميز اللغات الهندية: ١٣٠

١ ــ في كل لغة يوجد عدد محدد من الوحدات، تبنى منها اللغة.

٢ ــ في كل لغة يوجد عدد محدد من الفصائل النحوية، وليس ثمة حاجة لأن يتطابق ذلك المختار من رصيد الفصائل في لغات مختلفة، ويشكل المركب من فصائل لغة ما نحوها(١).

(*) يعد بواز عالماً لغوياً وصفياً وأنثروبولوجياً في الوقت نفسه؛ فقد درس لغات الهنود الأمريكيين التي لم تكن قد كتبت بعد، ومن ثم لم يكن من الممكن دراستها دراسة تاريخية. وقد انطلق من أنه يعالج مباني نحوية مخصوصة قد لا تتناسب مع طرز النحو التقليدي (اللاتيني). ومن ثم رأى أن اللغات لها منطقها الداخلي الذي يأبى الانقياد لتطبيق أي مبدأ منهجي عام، وأن المادة اللغوية نفسها هي التي تفرض طريقة ما من طرق التحليل تكون ملائمة لها. وقد ضم بحوثه في تلك اللغات كتابه: Handbook of the American Indian languages ويعد بواز بشكل أساسي أول من نقل وجهات نظر هومبولت وبخاصة الشكل الداخلي للغة ورؤية العالم وتفسيره لدى متكلم اللغة، وغيرَ ذلك إلى القارة الأمريكية، فقد ألح بقوة في مقدمة كتابه (Handbook) على ضرورة أن نحترم في الوصف «البنية الداخلية لكل لغة»، وعلى ضرورة أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات المتينة بين اللغة والثقافة... (المترجم)

(١) انظر أيضاً مبحث تحديد «الرباط اللغوي» الأوربي لبودوان دي كورتني (الفصل الثاني ٢ ــ ٢ ــ ٣) ون. س. تروبتسكوي (الفصل الرابع ٤ ــ ٤ ــ ٣).

٣ ــ يمكن أن يُعلَّل التشابه بين لغات بغير القرابة أيضاً، إذ يمكن بوجه خاص أن يكتسب من تجاور إقليمي يدوم مدة طويلة.

أما أهم تلميذين لفرانز بواز فهما ادوارد سابير E. Sapir وليونارد بلو مفيلد L. Bloomfield؛ وهما لغويان يختلفان في اهتماماتهما العلمية اختلافاً كبيراً.

كان ***ادوارد سابير*** (١٨٨٤ ــ ١٩٣٩) عالماً رائعاً ذا أفق علمي واسع. فقد بحث كل الأسر اللغوية الكبرى تقريباً، وكان فضلاً عن ذلك عالماً في الأدب، وبالغ التذوق للموسيقى. وقد عنى بالعلاقات بين اللغة والأدب، واللغة والثقافة عناية خاصة، وبوجه عام العلاقات بين اللغة وحامليها، وهو الاتجاه التي صار معروفاً بعلم اللغة العرقي "Etholinguitik". وأكد سابير أن البنية اللغوية تعكس نماذج نفسية، تتبع عند بناء المنطوقات وفهمها. ولم تكن هذه الفرضية الكاملة الصحة حسب فهمنا الحالي في الثلاثينيات متوافقة مع الاتجاه اللغوى السائد فى الولايات المتحدة الأمريكية، فقد كانت توصف بأنها اتجاه عقلى "Mentalismus"، ويُحط من شأنها، ويمكن بذلك أن تكون قد أدخلت (أقحمت) مضامين الوعي في علم اللغة(*). بيد أنه ينبغى هنا أن يؤكد أنه قد تعلقت بتصورات سابير مجموعة مؤثرة أيضاً من علماء مهمين، وإن لم يكونوا

(*) يقدم مونان عرضاً قيماً مفصلاً يتناول فيه جهود سابير وآراؤه وانجازاته في علم اللغة وبخاصة توصله إلى تصور حول الفونيم فى دراسة النماذج الصوتية Sound Patterns دراسة سيكلولوجية معارضاً فى ذلك توجه القواعديين الجدد، وإن كان الطابع الوظيفى لنظرية الفونيم لديه يتغلب على طابعها السيكلوجي (انظر كتابه علم اللغة ص ٨٤ : ٨٧)، وإسناد أهمية مركزية لمفهوم الشكل فى كتابه «اللغة (Language)» وتفاعله مع مفهوم الوظيفة تفاعلاً قويا [إما شك فيه أن تأثير هومبولت فى سابير وبواز من قبل لا يمكن تجاهله وبخاصة تأثرهما بفكرة innere Sprachform (بمفهوم النظام الداخلى المثالى)]. وكذلك دوره فى مجال الطوبولوجيا (Typologie) اى فى مجال تصنيف اللغات بغض النظر عن علاقاتها الجنينية، ويرى مونان أن تعريفه للغة هو اجتماعى محض. فاللغة بالنسبة إليه نتاج الثقافة وليست وظيفة حيوية، والكلام إرث تاريخى بحت للجماعة، وهو نتاج الاستعمال الاجتماعى طويل الأمد. وأخيراً تعريفه للغة فى آخر كتابه (اللغة) بقوله: اللغة وسيلة نقل إنسانى محض للأفكار والانفعالات والرغبات من خلال نظام الرموز ابتدعت بشكل واع، فهى ليست ذات طابع غريزى. (المترجم)

أيضاً في مسار التقليد، الذي يتخلل هذا الكتاب كخط أحمر. ولا يذكر هنا إلا كينيث ل. بايك K. L. Pike [٢] وهـ. هويجر H. Hoijer. وأخيراً ينبغي أن يذكر أيضاً بنيامين ل. وورف B. L. Whorf (١٨٩٧ـ ١٩٤١)، الذي تعرض نظريته النسبية اللغوية، وتذكر أيضاً فرضية سابير ـ وورف، شرحاً (تفسيراً) مميزاً لفرضيات سابير حول العلاقة بين/ الأبنية اللغوية وأبنية الفكر، ويعكس ذلك تلقى سابير (أفكار) هومبولت: إذ لما كان لكل لغة بنية محددة فإنها تقسم الواقع بطريقتها الخاصة، وتجبر أبناء اللغة (الناطقين بهذه اللغة) على قبول ذلك التقسيم للعالم[٣].

١٣١

يبد أن اللغوي الأكثر تأثيراً في تعميق أدوات الوصف النحوي من بين اللغويين اللذين خلفا بواز هو **ليونارد بلومفيلد** (١٨٨٧ ـ ١٩٤٩). فقد أسس مدرسة حقيقية، أطلق عليها مدرسة ييل Yale حسب مكان عمله[٤]، جامعة ييل في نيوهافن/ كون، ـ وأطلق على أتباعها أنفسهم اسم (علماء) «علم اللغة الوصفي»، إذ إنها جعلت وصف اللغة مركز بحثها.

لاحظ: بالنسبة لإيضاح هذه التسمية يُقَدِّم بحث ج. ل. تريجر G.L. Trager «حقل علم اللغة» (١٩٤٩)، إذ يتقسم علم اللغة وفقاً له إلى فرعين رئيسيين هما: علم اللغة الوصفي وعلم اللغة التقابلي. وعلم اللغة الوصفي، الذي يصف نحو لغة ما، تزامني، أما علم اللغة التقابلي الذي يدرس بأنحاء وصفية، لغتين أو أكثر يمكن أن يكون تاريخياً، ولاسيما حين يقارن حالتين لغويتين مختلفتين زمنياً، غير أنه يمكن أيضاً أن يمارس على سبيل المثال مثلما تمارس الجغرافيا اللهجية أيضاً، وفي ذلك لا يقارن بين حالتين لغويتين مختلفتين زمنياً، بل مكانياً.

---

(٢) كان بايك فضلاً عن ذلك مدة طويلة أيضاً رئيساً «للمعهد الصيفي لعلم اللغة»، وهو أحد مراكز التعليم التكميلي للمبشرين، الذين يحدد برنامجهم اللغوي.

(٣) يجد القارىء المهتم ما يطلق ذلك في بيانات المراجع تحت وورف وهويجر.

(٤) من سنة ١٩٤٠م حتى وفاته، وقد درس من سنة ١٩٢٦ ـ حتى ١٩٤٠م في جامعة شيكاغو، ومن قبل في جامعة ولاية أوهايو، حيث تُعرِّف السلوكية أيضاً على يد أ. ب. وايس A. P. Weiss (انظر ما يرد تحت ٦ ـ ٢).

وكان بلومفيلد قد عرف علم اللغة الأوربي خلال توقفه للدراسة ١٩١٣/١٩١٤م في ليبزج وجوتنجن(*). ففي ليبزج حضر محاضرات ك. بروجمان وأ. لسكين، بل ومحاضرات عالم النفس ف. فونت W. Wundt أيضاً. ثم بعد عودته إلى الولايات المتحدة كان لعالمين آخرين تأثير عميق فيه، وهما فرانز بواز لغوياً، وجون برودوس واطسون J. B. Watson عالماً للنفس(٥).

وفي سنة ١٩١٤ ظهر كتابه (مدخل إلى [مقدمة في] دراسة اللغة) "An Introduction to the Study of Language" وكان ما يزال التأثير الأوربي ظاهراً عليه كلية، وبخاصة نهج علم نفس الشعوب لفيلهلم فونت. وفي مطلع الثلاثينيات تطلع إلى طبعة جديدة، وكان قد انحاز إلى أفكار بواز وواطسن بقوة إلى حد أنه عد مجرد التغييرات في التفاصيل أمراً غير ممكن. وقرر أن يعدل الكتاب تعديلاً كلياً، فظهر سنة ١٩٣٣ بعنوان "اللغة Language" (انظر ما يرد تحت ٦ ـ ٢). ومع ذلك فلم يفقد ليونارد بلومفيلد الصلة/ بعلم اللغة الأوربي، على نحو ما يقدم المثالان الآتيان الدليل على ذلك: فقد قدم للغويين في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مراجعة لغوية سنة ١٩٢٣م كتاب ف. دي سوسير «دروس في الألسنية العامة». وكتب بلومفيلد للمجلد الثامن المهدى إلى ن. س. تروبتسكوي سنة ١٩٣٩م، من سلسلة مدرسة براغ «أعمال حلقة لغويي براغ» (انظر ما ورد

١٣٢

(*) كانت المرحلة الأولى من حياة بلومفيلد العلمية متأثرة إلى حد بعيد بالدراسات التاريخية ـ المقارنة التي تعلمها في أوربا، وبخاصة أن عمه موريس بلومفيلد كان أستاذ للسنسكريتية في جامعة جونس هوبكنز، وقد تعلمها على يده، وصار متقناً لها، ويلاحظ ذلك في الصلة العميقة بين دراسة السنسكريتية وعلم اللغة العام، بالإضافة إلى اتقانه للغة الألمانية التي كتب بها أغلب الدراسات الهندوأوربية، وقد عمل معيداً للغة الألمانية في جامعة ويسكونسون سنة ١٩٠٦ وأستاذاً لها في سينسياتي والينوي من ١٩٠٩ ـ ١٩١٣، ومن ١٩٢٧ ـ ١٩٤٠ في جامعة شيكاغو، وألف سنة ١٩٢٣ كتاباً في اللغة الألمانية للمبتدئين، وتجلى ذلك التأثر كما سيبين في الصورة الأولى التي نشر عليها كتابه الوحيد (اللغة). (المترجم)

(٥) حول واطسن انظر ما يرد تحت ٦ ـ ٢.

تحت ٤ ــ ١)، كتب مقالة "Menomini morphophonemics" قدر فيها مورفوفونولوجيا تروبتسكوى، ومثل لها بمادة حالات واقعة من لغة هندية أيضاً[٦](*).

٦ ـ ٢ تأثيرات من علم اللغة وعلوم مجاورة

فرديناند سوسير، و«السلوكية» فى علم النفس

إن معرفة تأثير دى سوسير فى علم اللغة الوصفى ليس بالأمر الواضح كما هى الحال فى علم اللغة الأوربى فى القرن العشرين. غير أنه تتلاقى آراؤه حول البنية اللغوية مع آراء فرانز بواز؛ وقد تضمنت مدرسة بلومفيلد فى علم اللغة الوصفى معرفة كليهما، وأسست هنا أيضاً تفكيراً عن النظام والبنية، وإن كان فى سياق آخر عما فى أوربا. فاللغة بالنسبة لبلومفيلد أيضاً نظام من أنظمة فرعية، ويتحدد كل عنصر مفرد بينه من خلال موقعه فى هذا النظام.

أما تأثير علم مجاور، وهو علم النفس، فى صياغة مميزة، وبالتحديد ***السلوكية*** Behaviorismus[٧]، فهو مستقل تماماً. فذلك الاتجاه النفسى المتصدر فى العشرينيات فى الولايات المتحدة الأمريكية بفضل أهم ممثليه وهما ج. ب. واطسون وأ. ب. وايس قد تطابق مع المسار الوصفى للبحث اللغوى لدى

---

(٦) تتبع اللغة الأمريكية الهندية منومينى Menomini اللغات الهندية التى يطلق عليها الالجونكين Al-gonkin. [كان بلومفيلد نفسه يتحدث هذه اللغة كما هى حال علماء اللغة الأمريكيين مع اللغات الأمريكية الهندية، ويبدو أن هذه المقالة «دراسة مورفوفونيمية للغة منومينى» جزء من عمل لغوى كبير خصص لهذه اللغة، نشر سنة ١٩٢٨ فى نيويورك (المترجم)].

(*) تشير مقالاته فى مجال اللغات الهندية بالأمريكية بوضوح إلى منافسته لكل من بواز وسابير فى دراسات عدد من هذه اللغات، مثل دراسته للغة منومينى المشار إليها، ومقالة طويلة عن الالجونكان المنشورة فى كتابه: Linguistic Structures of Native America Newyork, 1946، ونشر مقالات عن لغات الفوكس (Fox)، والايلوكانو (Ilocano) والكرى (Cree)، وغيرها من تلك اللغات. (المترجم)

(٧) مشتقة من behavior = السلوك.

بلومفيلد إلى حد بعيد على نحو أفضل مما حدث بالنسبة لعلم نفس الشعوب لفونت(*). فقد كتب واطسون:

علم النفس، كما يراه السلوكي، فرع موضوعي تماماً، تجريبي من علوم الطبيعة. هدفه النظري التنبوء بالسلوك وضبطه، ولا يؤدي الاستبطان (الملاحظة الذاتية Introspektion) أي دور جوهري في مناهجه، ولا تتوقف القيمة العلمية لبياناته على مدى صلاحيته لتفسير بمفاهيم الوعي. ولا يعرف السلوكي في جهده للحصول على مخطط موحد لرد فعل الكائن الحي، خطأ فاصلاً بين الإنسان والحيوان. (١٩٧٦، ١٣).

وفي موضع لاحق يقول واطسون، الذي كان في الحقيقة باحثاً في الحيوان، بشكل أكثر حدة:

١٣٣ / ينبغي إخضاع الإنسان والحيوان لشروط تجريبية مماثلة ما أمكن ذلك. (١٩٧٦، ٢٤). وقد ساق السلوكيون هذه الفروض لكي يفسروا سلوكاً إنسانياً ناتجاً عن أشكال الإثارة وردود الأفعال وتنوعاتهما فقط.

ويقدم جون ليونز J. Lyons رؤية عامة معقولة عن المبادىء الأساسية للسلوكية(٨)؛ يمكن أن توجز كما يأتي:

(*) يعد موقف بلومفيلد من علم النفس موقفاً غريباً، إذ يتبين في الصورة الأولى لمؤلفه (اللغة) سنة ١٩١٤ التي نشره بعنوان «المدخل إلى دراسة اللغة» عدم اعتماده اعتماداً قوياً على علم نفس الشعوب لدى فونت Wundt السائد في أوربا آنذاك، وإن كانت معرفته منسجمة معه دائماً على الأقل؛ خلافاً لما حاول فريز C. Fries أن يبنيه في مقالته «مدرسة بلومفيلد» المنشورة في كتاب «الاتجاهات» Trends pp. 196 - 224، وهو أن بلومفيلد كان ذا نزعة معادية لعلم النفس منذ عام ١٩١٤. فإن كان ذلك صحيحاً أول الأمر فإن نظريته السلوكية تؤكد تأثره البالغ بعلم النفس السلوكي لدى وايس (فايس) A. P. Weiss وواطسون J. B. Watson (راجع نموذجه المثير ـ والاستجابة لفهم عملية التواصل، وإن كان ذلك يتداخل مع النزعة الآلية (الميكانيكية) والفيزيائية. (المترجم)

(٨) J. Lyons (1980) : Semantik I. München 133 - 150 علم الدلالة، الجزء الأول.

١ ـ صورة العالم لدى السلوكيين آلية ـ حتمية، فكل شيء في الكون محدد بالقوانين الفيزيائية ذاتها. وهي تسري على أفعال إنسانية بدرجة لا تقل عن سريانها على حركات المادة غير الحية وتغيراتها، وهي نتيجة لذلك يمكن التنبوء بها أيضاً.

٢ ـ لا يمكن للمرء الحكم على النشاط الفيزيائي للإنسان إلا على أساس ردود أفعاله. ويعني ذلك أن يُرفَض الاستبطان وسيلةً للوصول إلى بيانات صحيحة في علم النفس. ويجب على البحث أن يرك على المنطوقات الممكن ملاحظتها وإعادة انتاجها، وعلى علاقتها بالموقف المباشر الذي أنتجت فيه. إذن: ما يمكن قياسه بمناهج علوم الطبيعة فقط، وما يمكن ملاحظته ملاحظة موضوعية فحسب، يمكن أن يكون موضوع بحوث علمية. وما يكون قابلاً للملاحظة هو سلوك البشر فقط، وليس قدراتهم العقلية. والأفكار والخبرات الشخصية لكل إنسان خاصة به وحده، ومن المعروف أن ما يشارك فيه الآخرين غير مأمون (لا يوثق به). ولا يمكن العثور على أقوال علمية عبر تلك «الظواهر الغامضة»(*).

٣ ـ لا يجوز وضع فارق جوهري بين سلوك إنساني وسلوك حيواني.

٤ ـ لم تُضَمَّن الغرائز، وبعبارة أعم كل الميول الغريزية والقدرات الفطرية، إلا بشكل هامشي؛ وأكد دور التعلم في اكتساب نماذج السلوك.

ولا تترابط هذه المبادىء الأربعة على نحو لا يمكن الفصل بينها، إذ لا يمكن للمرء أن يكون سلوكياً، وبرغم ذلك لا يقبل أحدها أو عدداً منها.

(*) استخدم ليونز هنا عبارة بلومفيلد الحرفية وهي: black - box - Phenomena، ومعناها الحرفي: ظواهر الصندوق الأسود، ولا تخفى الدلالة السلبية التهكمية لهذا الاستعمال، لاحظ فيما يأتي أنه استخدم التعبير ذاته حين وصف المعنى، وأنكر عليه استقلاله.

(المترجم)

وقد عُرِفَ واطسون ببحوثَ عالم وظائف الأعضاء (الفسيولوجى) الروسى ا. ب. بافلوف I. P. Pawlow حول النشاط العصبى الزائد لدى الحيوان والإنسان وعلم الانعكاسات المشروطة (= ردود الفعل المشروطة)، اللذين صارا أساس بحث السلوك فى قرننا. وبينما تحدث بافلوف بحرص شديد عن نتائج قياس السلوك الحيوانى على السلوك الإنسانى، وأكد الحتمية الاجتماعية للسلوك الإنسانى، ظلت/ السلوكية الأمريكية آلية (ميكانيكية). ويتجلى ذلك بخاصة فى مفهومها للمعنى الذى أخذ به (تبناه) بلومفيلد (بلومفيلد (١٩٢٦)، و(١٩٣٣) و(١٩٣٦)): فحسب واطسون تقوم الكلمات عند استثارة ردود أفعال بوظيفة الأشياء تماماً، ***فالكلمات بديل عن الأشياء***. ومن المنطقى أن بلومفيلد قد عرف ***معنى الشكل اللغوى بأنه الموقف الذى ينطق فيه المتكلم هذا الشكل ورد الفعل الذى يستثيره فى السامع***. وتتناول ذلك بشكل أكثر دقة فى معالجة كتاب «اللغة Language» (١٩٣٣م)(*). غير أنه ينبغى أن يؤكد فى هذا الموضع أنه لا تفهم فرضيات بلومفيلد حول الاستعمال اللغوى وتعلم اللغة دون قبوله قالب فكرى سلوكى.

١٣٤

(*) أشار بلومفيلد فى كتابه «اللغة» ص ١٣٩ إلى أن دراسة أصوات الكلام دون اعتبار لمعانيها هو عملية تجريد. ومن الناحية العملية تعد أصوات الكلام رموزاً لهذه المعانى. ويقوم تحديد المعنى لديه على أساس سلوكى (الفعل ورد الفعل أو المثير والاستجابة). وهكذا فإن معنى الشكل اللغوى هو الموقف (وليس السياق كما ورد لدى بعض الباحثين) الذى ينطق فيه هذا الشكل (أو الحدث اللغوى) والاستجابة التى يستدعيها هذا الشكل (أو الحدث) فى نفس السامع. ومن ثم فإنه يتضمن كل هذه الأحداث السابقة والتالية لعملية النطق، والمقصود بهذه الأحداث المثيرات التى دفعت المتكلم للنطق وردود الأفعال التى يقوم بها السامع. وذهب كلاوس هيشن فى كتابه «القضايا الأساسية فى علم اللغة» ص ٨٦ إلى أن تحديد المعنى بهذا الشكل عند بلومفيلد أكثر اتساقاً من تحديد المعنى على أنه تصور أو قيمة شكلية كما ورد لدى البنيوية الأوروبية أو «البنيويين الأوروبيين». (انظر ترجمتى لهذا الكتاب ص ١١٩).

(المترجم)

٦ ـ ٣ (كتاب) ليونارد بلومفيلد «اللغة»

سبق أن تحدثنا تحت ٦ ــ ١ عن قصة نشوء هذا الكتاب[(٩)][(*)]. وُضع كتاب «اللغة» مدخلاً إلى علم اللغة للقراء المهتمين وطلاب الفصول الدراسية العليا، وتتضمن فصوله الثمانية والعشرون تبعاً لذلك الفرضة الاجمالية لمدخل كهذا، أى إنه يضم إلى جانب وصف كل مستوى من مستويات النظام اللغوى، (موضوعات) القرابة اللغوية والأسر اللغوية أيضاً، والتغير اللغوى والاستعمال اللغوى وأنظمة الكتابة وموضوعات أخرى كثيرة. أغلب الموضوعات عولجت فى كل مدخل آخر معالجة مشابهة، فهى إذا ما نظر إليها من جهة تاريخ العلم ليست جديرة بالذكر. وتبقى مجموعتان مهمتان هما ــ وصف كل مستوى من المستويات، والاستعمال اللغوى. وتوضح معالجة ***الوصف اللغوى*** Sprachbeschreibung الذى صار منطلقاً لعلم اللغة الوصفى، فى المبحث ٦ ــ ٤ بمساعدة مقال بلومفيلد (مجموعة من المسلمات لعلم اللغة "A Set of Postulates for the Science of Language" (١٩٢٦)، إذ إنه فى ذلك المقال يظهر العرض المركز والشكلى بشكل أفضل. وقد اختير ***الاستعمال اللغوى*** Sprachgebrauch (اللغة، الفصل الثانى)، ومعالجة ***المعنى*** Bedeutung (اللغة، الفصل التاسع) محورين لهذا المبحث، أى الموضوعات التى يتضح فيها ميل بلومفيلد إلى السلوكية، وكذلك أيضاً مذهبه الآلى "Mechanismus"[(١٠)] المقابل لمذهب سابير العقلى "Mentalismus".

---

(٩) ظهر سنة ١٩٣٣م، ومنذ ذلك الوقت أعيد نشره فى سلسلة من طبعات غير معدلة. ولم يترجم إلى الألمانية. ويقتبس فى متن هذا الفصل من طبعة سنة ١٩٦٢، لندن، رَنِكن هاوس.

(*) أشرت فى هامش سابق إلى أن المؤلف نشره لأول مرة عام ١٩١٤ (حيث كان قد عاد من إقامته من ١٩١٣ إلى ١٩١٤) بعنوان: Introduction to the Study of Language، كانت الطبعة المنقحة له بعد عشرين عاماً هى كتاب «اللغة»، ويقول مونان فى كتابه «علم اللغة» من ١١٤ معبراً عن إعجابه الفائق بما فعله بلومفيلد فى الطبعة الجديدة: وكانت تلك الطبعة عبارة عن إعادة كتابة كاملة مرتبطة بتغيير فى المنظور ونقد للذات قل من العلماء من قدر عليه لهذه الدرجة وفى سنه النضج. (المترجم)

(١٠) يقوم أتباع هذا الاتجاه «الآلية/ الميكانيكية» تقويماً إيجابياً.

ويعرف بلومفيلد ***المعنى اللغوى*** متابعاً سلوكية واطسون بواسطة الموقف الذى ينطق فيه المتكلم شكلاً:

/ عرّفنا معنى شكل لغوى ما بأنه الموقف الذى ينطقه فيه المتكلم، ورد الفعل (الاستجابة) الذى يستدعى قوة فى السامع (١٩٦٢، ١٣٩). **١٣٥**

وكان هدف بلومفيلد استبعاد الحدس الذى رُبط بالمعنى وعمليات الوعى التى تشترك فى استيعابه، ووصف اللغة وصفاً شكلياً، وآلياً ما أمكن ذلك. ومن المنطقى ألا يكون المعنى موضوعاً مستقلاً لعلم فرعى، بل يُنكر عليه باعتبار، ***ظاهرة غامضة*** black - box - Phänomen هذا الاستقلال. فلا يوجد معنى للكلمات ***فى ذاته***، ومن ثم لا يستطيع المرء أن يصفه ***فى ذاته*** an sich؛ أى لا ينتج المعنى إلا من خلال ملاحظة الاستعمال اللغوى. وما يتجلى فى ذلك ليست المعانى ذاتها، بل هى فروق فى المعانى «المعنى الفارق أو اللغوى» (١٩٦٢، ١٤١).

ويرجع ارتيابه تجاه ظواهر المعنى أيضاً إلى أن المعنى للغوى فى رأيه لا يمكن فصله عن المعرفة غير اللغوية[*]. وتتطلب هذه المشكلة الأساسية اقتباساً أطول إلى حد ما:

لكى يُقدَّم تعريف دقيق من الناحية العلمية لمعنى كل شكل فى لغة ما يجب علينا أن نمتلك معرفة دقيقة من الناحية العلمية لكل شىء فى عالم المتكلم. فالمدى الحقيقى للمعرفة الإنسانية ضئيل جداً، مقارنةً بذلك. نحن نستطيع أن نحدد شكل الكلام بدقة حين يكون لهذا المعنى علاقة بشىء ما تمتلكه هو المعرفة العلمية. نحن

(*) علق بلومفيلد الخوض فى درس المعنى على تقدم المعرفة الإنسانية، وقد حور تلامذته هذا التعليق إلى الرفض، فقد ذكر أنه: لكى نقدم تعريفاً صحيحاً علمياً عن معنى (دلالة) كل شكل لغوى لابد لنا من أن نملك معرفة صحيحة علمياً عما يكون عالم المتكلم. إن التطور للمعرفة الإنسانية غير كافٍ لتحقيق هذه الغاية. (انظر كتابه «اللغة» ص ١٣٩، ١٤٠). وانتهى آخر الأمر إلى أن تحديد المعنى يشكل نقطة الضعف فى دراسة اللغة (وليس إخراجه من الدراسة اللغوية نهائياً كما يحلو لبعض الباحثين تأكيد ذلك)، وأن الأمر سيظل كذلك ما لم تتطور معارفنا (الإنسانية) عما هى عليه فى الوقت الراهن. (المترجم)

نستطيع أن نسمي المعادن، على سبيل المثال، في مصطلحات الكيمياء وعلم المعادن: وذلك حين نقول إن المعنى العادي للكلمة الانجليزية salt (ملح) هي كلوريد الصوديوم (NaCl) [. . .] ولكننا لا نمتلك طريقة محددة لتحديد كلمات مثل Love (الحب) أو hate (الكراهية)، تتعلق بمواقف لم تصنف تصنيفاً دقيقاً ـ وهذه الأخيرة هي الغالبية العظمى (١٩٦٢، ١٣٩). ولذلك فإن عرض المعنى النقطة الضعيفة في دراسة اللغة، وسوف تبقى كذلك حتى تتقدم المعرفة الإنسانية تقدماً بعيداً للغاية مجاوزاً مرحلتها الحالية (١٩٦٢، ١٤٠).

في الواقع حُدِّدت هنا مشكلة فاصلة عسيرة، ولذلك فقط بدت لبلومفيلد غير قابلة للحل كلية لأنه يرفض وصفاً لغوياً داخلياً للمعنى (وصفاً باطنياً للمعنى في علم اللغة) (*) معتلاً بأن ذلك عقلي. ويعد الاعتراف **بمعانٍ متباينة**، تجعل السامعين يقومون برد فعل مماثل في كل المواقف على شكلين لغويين، تنازلاً عن المجريات الواقعية للاستعمال اللغوي؛ تنازلاً عدل عنه فيما بعد أيضاً تلاميذ ـ بلومفيلد(**).

وقد حدد ***الاستعمال اللغوي*** من خلال الموقف، ـ فُسِّر تفسيراً سلوكياً محضاً، بأنه تتابع من المثير والاستجابة (stimulus - response).

وغالباً ما استشهد بالمثال الآتي الذي تُرجِم هنا إلى الألمانية: [ترجمته العربية] نفترض أن جاك وجيل يتنزهان. جيل جائعة. رأت تفاحة على الشجرة،

(*) تلخص تصور بلومفيلد النهائي عبارته الحاسمة، وهي أن البرهان على صحة نظرية ما لا يكمن في انسجامها الداخلي، بل في انسجامها مع الوقائع التي تدعي أنها تفسرها. وبذلك يؤكد بحسم توجهه العملي التجريبي ورفضه الكامل للمفاهيم الميتافيزيقية كالوعي والإرادة والقصد... إلخ (يدرس توجهه تحت Antimentalism الاتجاه المضاد للعقلانية). (المترجم)

(**) لا شك أن معالجة بلومفيلد للمعنى تأثرت بمنهجه العملي التجريبي حيث اقترح لدراسة المعنى سبلاً تقوم على طرائق لغوية بحتة، ولكنها تشي أيضاً بتأثره بمنهج البراغيين (وبخاصة تروبتسكوي) الفونولوجي، إذ رأى أن اللغوي يعمل مع المتشابهات والمخالفات، ويقترح تحليل المعنى المجرد إلى السمات المشتركة التي تنتج عن استخدام تركيب لغوي معين في جميع المواقف الممكنة له. (المترجم)

تصدر صوتاً من حنجرتها، وبلسانها، وشفتيها. يقفز جاك السور، ويتسلق الشجرة، ثم يأخذ التفاحة، ويحضرها لجيل، ويضعها في يدها. تأكل جيل التفاحة. (١٩٦٢، ٢٢).

/ هذا الموقف بوصفه تتابعاً من المثير والاستجابة يُوصَف على النحو الآتي: **١٣٦**

$$S \longrightarrow r \ldots . s \longrightarrow R,$$

حيث تشير الحروف الكبيرة إلى المثير العملي (الواقعي) (Stimulus =] [Reiz ورد الفعل العملي [Reaktion = response] وتشير الحروف الصغيرة إلى المثير اللغوي وكذلك رد الفعل اللغوي. ولا يمكن للحيوان «الأعجم» وجيل الوحيدة أن يتصرفا إلا على النحو الآتي(*):

$$S \longrightarrow R$$

ويكمن ما يميز الموقف الموصوف آنفاً بالتحديد في أن فرداً آخر يقوم برد فعل مثل ذلك الذي استشعر المثير (الجوع) وذلك عبر وساطة اللغة، ذبذبة قصيرة غير جوهرية في الحقيقة، تقع على طبلة أذن جاك، أي أن:

اللغة تمكن شخصاً ما من أن يقوم برد فعل (R) حين يكون المثير لدى شخص آخر (S). (١٩٦٢، ٢٤).

بدهي أن بلومفيلد يُقِر أيضاً بأن ذلك ليس الحل الوحيد للموقف، وأن ثمة عوامل كثيرة يمكن أن يتغلغل تأثيرها في تاريخ حياتهما كله حيث إنه من المحتمل ألا تحصل جيل على التفاحة. أما ليونز (١٩٨٠، ص ١٣٣ ومابعدها) فيواصل

(*) أي أن الوسيط اللغوي في هذا الحال يسقط، وتصير العملية المكونة من ثلاثة أجزاء: ١ ــ أحداث عملية سابقة على الكلام ٢ ــ الكلام (الوسيط اللغوي) ٣ ــ أحداث عملية تالية للكلام، مكونة من جزءين الأول والأخير. كما أنه أحياناً لا يكون رد الفعل عملياً، بل لغوياً (كما ستتبين في الإمكانات التي سنعرض فيما يأتي). وهكذا تكون الوظيفة الجوهرية للغة إقامة الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية، ومن ثم لا تكون وظيفتها فيزيائية حيوية فحسب، بل اجتماعية حيوية أيضاً (راجع تقريره عن الطبعة الثانية (١٩٢٢) لكتاب دي سوسير "...Cours".

(المترجم)

نسج القصة كما يأتي: ربما أحضر جاك التفاحة، ولكنه هو نفسه يستطيع أن يأكلها، وربما يكون رد فعله لغوياً أيضاً بدلاً من أن يحضر التفاحة لجيل. وذلك بطرائق مختلفة، على سبيل المثال بداية بتأكيد أنه يريد أن يحضر التفاحة، بل إبأن يقول لها[أيضاً «لا يمكن أن تكوني جائعة، فقد فرغنا للتو من طعام الغداء»، أو [بأن يقول لها[«هل تريدن التفاحة حقاً، أنت تصابين بعد ذلك دائماً بألم في المعدة!» أو ما يشبه ذلك.

هل ينبغي ألا يختلف في كل مرة سوى الموقف وحده، أو المعنى أيضاً، لأن ردود فعل جاك مختلفة فقط؟ المسألة على الأرجح أن السامع يفهم المنطوق، وذلك يسبق رد فعله. وكذلك مع منطوقات تحتاج إلى معلومات مكملة إضافية من الموقف.

ومن اللافت للنظر أنه بهذه الطريقة لا يمكن أن يحلل بوجه عام إلا عدد ضئيل للغاية من المواقف، ولا يستطيع السلوكي أن يدلي بقول حول كل أجزاء الثروة اللغوية التي تحيل إلى أشياء لا يمكن ملاحظتها، وخواص وما إلى ذلك.

وفضلاً عن ذلك فقد وُضّح تعلم اللغة أيضاً لدى بلومفيلد بالطريقة ذاتها التي وُضّح بها الاستعمال اللغوي. فتعلم اللغة أيضاً يحدث من خلال التدريب، من خلال وصل نماذج المثير ــ ورد الفعل، أي آلياً. ومما لا خفاء فيه أنه لا يمكن أن تُتعلم لغة ما بهذه الطريقة؛ أجزاء صغيرة فقط من الثروة اللغوية يمكن أن تُكتسب «بالتدريب»، ولا يُتعلَم نحو لغة ما هكذا على الإطلاق. وبدهي أنه قد وُجّه نقد لاحق إلى هذه الفرضية الآلية لبلومفيلد(*).

(*) على الرغم من إدخال بلومفيلد طريقة المقابلات الفونولوجية في تعليم اللغة فقد واجه معارضة شديدة، ويشير مونان إلى هذه الأزمة بقوله: وألف بلومفيلد في قمة حياته العملية سنة ١٩٤٠م كتاباً صغيراً في تعليم القراءة من أجل المدارس الابتدائية في شيكاغو. ويبدو أن هذا الكتاب قد جُرّب فيها. ولقد أثار عداءً عاماً لدى السلطات التربوية القائمة. فقد احتوى على طريقة تعتبر ثورية في وقتها. فقد كانت هذه الطريقة الثورية في زمانها تفصل زمانياً بشكل واضح بين التعرف على الأصوات والتعرف على الحروف، وكانت تقوم على إدراك التعارضات الفونولوجية. وتعتبر هذه الطريقة مبادرة أصيلة لتسريع تعلم الكتابة في اللغة الانكليزية وتثبيتها بشكل عقلاني، غير أن هذا الكتاب لم ير النور إلا عام (١٩٦١) (ج. مونان: علم اللغة... ص ١١٢، ١١٣).

(المترجم)

١٣٧ / ومع ذلك يجب أن يؤكد أن أوجه الوصف العملي لبلومفيلد لم تتأثر بتلك التصورات الخاصة بالاستعمال اللغوي وتعلم اللغة القائمة على أساس سيكولوجي (نفسي) غير مناسب، تأثراً سلبياً، بل على الأرجح أفضي التناول الآلي هنا بادي الأمر إلى مرحلة منهجية مهمة للوصف الشكلي اللغة. وكان هذا أيضاً سبب التأثير العميق لبلومفيلد ومدرسته في علم اللغة الأمريكي حتى منتصف القرن العشرين. ويقدم مقال بلومفيلد «مجموعة من المسلمات لعلم اللغة» المعالج في المبحث الآتي صورة جيدة لذلك.

٦ ـ ٤ مقال ليونارد بلومفيلد «مجموعة من المسلمات لعلم اللغة»

ظهر هذا المقال في السنة الثانية لمجلة اللغة "Language" التي ما تزال مهمة إلى يومنا هذا أيضاً. وهو يظهر مؤلفه عالماً لغوياً وصفياً، مشهوراً، يصف اللغة وصفاً شكلياً ما أمكن ذلك. ويتخذ (يتبنى) بلومفيلد لذلك النظام المفهومي للرياضيات، ويعمل بمسلمات (بدهيات وتعريفات)، وفروض قائمة عليها. ويقر أن علوماً ذات موضوع أكثر تعقيداً من الرياضيات يمكن أن تبحث بهذه الأدوات على نحو أصعب ـ وعلم اللغة ينتظم في تلك الدائرة من العلوم، وأن المحاولة ينبغي برغم ذلك أن تجرى لأنه يمكن أن يتوصل بذلك إلى شيئين على الأقل: يجب على المرء أن يرغم نفسه على معلومات واضحة واصطلاحات محددة، ويمكن للمرء أن يتخلى عن حجج نفسية(*).

(*) نشر هذا المقال في مجلة "اللغة Language" المجلد الثاني، سنة ١٩٢٦ من ص ١٥٣: ١٦٤، وفيه يحدد بلومفيلد موقفه المنهجي تجاه مادته بشكل دقيق، وعاد إلى هذه المسألة في مقالة أخرى نشرت بعد ذلك هي: secondary and tertiary Responses to Language (الاستجابات الثواني والثوالث للغة) المجلد العشرون، سنة ١٩٤٤، من ص ٤٥ ـ ٥٥، ويرى مونان أن المعاداة لعلم النفس ليست سوى تعبير يخفي موقفاً وضعياً positiviste متطرفاً؛ إنها حتمية العصر الصارمة التي يسميها أيضاً الآلية/ الميكانيكية Mechanism أو النزعة الفيزيائية (الفيزيقاوية) physi-calism... وتتمثل هذه النزعة في الجهد الذي يشكل استمراراً لجهد وايتني W. D. Whiteny (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) من أجل التحليل اللغوي علمياً قدر الإمكان؛ وذلك عن طريق حصره في موضوعه. (علم اللغة ... ص ١١٥) (المترجم)

وفى ٧٧ مبحثاً قصيراً مرقماً قدمت تعريفات وفروض حول المجالات الآتية:

١ ـ الشكل والمعنى.

٢ ـ الفونيم ـ المورفيم ـ الكلمة ـ الضميمة (المركب).

٣ ـ البنية ـ الفصيلة ـ نوع الكلمة.

٤ ـ تبادلات فى المحيط التزامنى.

٥ ـ علم اللغة التاريخى.

ونُتناول فيما يلى هذه المجالات الخمسة تناولاً متبايناً فى تفصيله، واستُقِيَت الاقتباسات من الترجمة الألمانية التى ظهرت بعنوان «وضع أساس لعلم اللغة فى تعريفات وفروض» فى كتاب بنزه E. Bense وآخرين (١٩٧٦).

١٣٨

/ حول المجال الأول:

نُظِر إلى العلاقة بين الشكل والمعنى فى هذا المقال أيضاً نظرة سلوكية. قارن التعريف السادس:

السمات الصوتية التى تجمع بين منطوقات متطابقة أو متطابقة جزئياً تسمى ***أشكالاً*** Formen، وسمات المثير ـ ورد الفعل المطابقة تسمى معانى Bedeutungen (١٩٧٦، ٣٨).

حول المجال الثانى:

تُقدم هنا تعريفات للفونيم (١٦ تعريفاً)، والمورفيم (٩ تعريفات)، والمكون (١٣ تعريفاً)، والكلمة (١١ تعريفاً)، والضميمة (المركب، ١٢ تعريفاً)، وكذلك التفريق إلى «حر»، و«مقيد». وجرى البحث فى ذلك بشكل وصفى: متضمن فى، قابل للتحليل أو غير قابل للتحليل، يرد مستقلاً أو لا يرد مستقلاً(*) ـ تلك هى المعايير التى بُنِىَ الوصف وفقاً لها.

(*) مما لا شك فيه أن بلومفيلد مدين فى هذا الدرس الفونولوجى لدى سوسير وتروبتسكوى، إذ إنه يحدد الفونيمات عن طريق عملية التبادل ـ كما فعل علماء مدرسة براغ ذلك ـ وهو يقارن بينها من خلال عناصرها المميزة، غير أنه يفضل أن يُعَرِّفها من خلال توزيعها فى سلسلة الكلام، ولا يبدل هذا الموقف سوى شكل التحليل... ولقد أدرك تروبتسكوى ذلك؛ وهو يشير بنفسه إلى تعريف الفونيم لدى بلومفيلد، قائلاً: «إن كل هذا يقود إلى النتيجة نفسها "Principes. P. 44" (مونان ص ١١٧) (المترجم)

ومن منطلق الوصف تعريفات «عـصر أصغر» minimal: "التعريف الثامن": العنصر الأصغر س (أو أقل عنصر) هو س الذى لا يتكون بشكل تام من سـنات أصغر (منه). ومن ثم فـإن س١ حين يتكون من س٢، وس٣، وس٤، لا يكون العنصر الأصغر س. ولكن حين يتكون من س٢، وس٣، وأ أو من س٢ أ أو أ١ أ٢ أو حين يكون غير قابل للتحليل فإن س١ هو العنصر الأصغر س. (١٩٧٦، و٣٨).

وكذلك «حر» و«مقيد»:

التعريف العاشر: الشكل الذى يمكن أن يكون منطوقاً هو «حر». أما الشكل الذى لا يكون حراً فهو «مقيد». (١٩٧٦، ٣٨).

وقامت تعريفات الوحدات اللغوية على ذلك، ونقدم فيما يأتى بعضاً منها ـ دون شروح بلومفيلد:

التعريف التاسع: أصغر شكل هو مورفيم؛ ومعناه سيميم. [...]

التعريف الحادى عشر: أصغر شكل حر هو كلمة [...]

التعريف الثانى عشر: الشكل الحر غير الأصغر هو مركب.

التعريف السادس والعشرون: العنصر الأكبر س (أو أكبر عنصر) هو س الذى لا يكون جزءاً من س أكبر (منه).

التعريف السابع والعشرون: أكبر شكل فى أى منطوق هو جملة (١٩٧٦، ٣٨ ـ ٤١٠).

لاحظ الفرض السادس:

يتكون كل شكل على نحو تام من فونيمات (١٩٧٦، ٤٠). لا تحمل الفونيمات أى معنى؛ ومعانى المورفيمات(*)، وهى السيميمات Sememe، لا

(*) يؤكد هذا الاستخدام أن بلومفيلد لم يستطع أن يتخلص نهائياً من المعنى فى التحليل المورفولوجى وأن يقوم ذلك التحليل على وحدات شكلية بحتة، وكما يقول مونان ص ١١٨: وفى مجال الوحدات اللغوية ذات المعنى، يطبق بلومفيلد أيضاً التبادل (أى العودة الحدسية إلى المعنى) ليكشف بشكل صحيح عن الوحدات الدنيا التى يسميها مورفيم morphéme، وربما أدى هذا التعبير إلى إخفاء حقيقة كون الوحدات تحدد على أساس معانيها، وإلى الاقتناع بأننا نتعامل هنا مع الأشكال فقط، فنحن نحدد (الأشكال) عن طريق معانيها. (المترجم)

يمكن أن يستمر فى تحليلها بمناهج لغوية، وهو ما ينتج عن المعالجة بمخطط المثير ــ ورد الفعل: فالمعنى هو كلٌّ غير مُمَيَّز، أى الموقف Situation.

/ حول المجال الثالث: **١٣٩**

بالنسبة للمورفولوجيا والنحو أدخل مفهوم ***المكون*** Konstituent بوصفه جزءاً من بينة ــ داخل كلمة ما أو ضميمة ــ، وفى الواقع كانت البداية بمصطلح «شكل مكون». وتلك الأشكال مرتبة (أفقيا) فى البنية، وتشغل المواقع Positionen فى هذه البنية. وهكذا تتضمن بنية «الاسم فى الجمع» موقعين: الجذر الاسمى + لاحقة الجمع، وبنية «فاعل يؤثر فى شيء» تتضمن ثلاثة مواقع: اسم + فعل + اسم.

ويتبين فى ذلك أن ثمة علاقة متينة توجد بين المواقع والأشكال ــ أشكال محددة يمكن أن توضع فى موقع معين أو شكل محدد يمكن فقط أن يرد فى مواقع معينة. والموقع Position الذى يمكن أن يرد فيه شكل محدد هو **وظيفته** Funktion. يساوى بلومفيلد إذن بين الموقع والوظيفة. فدلالة موقع ما هى معناه ***الوظيفى***(*).

وتشكل كل الأشكال التى لها وظيفة مماثلة فئة شكلية Formklasse، وأمثلة ذلك: الجذر الاسمى، وشكل (صيغة) الفعل المتصرف، ولاحقة الجمع (التعريف الثالث والثلاثون).

(*) لقد كان أتباع بلومفيلد أكثر صرامة فى تحليلهم التوزيعى على المستوى الجملة أيضاً، فقد حاولوا هنا أيضاً الاقتصار على مستوى الأشكال فقط، التى تصنف على أساس مواقعها الخاصة بها، مهملين معانيها، بمعنى استخدام توزيع الوحدات فى الوصف النحوى، أى الأسلوب النحوى القائم على تتابع الكلمات بغض النظر عن العودة إلى المعانى التى كانت تترافق دوماً مع الوصف التوزيعى لدى معلميهم... ويرى مونان أن ذلك الموقف قد زج بهم فى مأزق حين تعرضوا لتحليل جمل يكون فيها لأصناف الوحدات اللغوية نفسها التوزيعات نفسها، بالرغم من أن الوظيفة النحوية (بنية المعنى) لهذه الوحدات مختلفة بشكل واضح (راجع المثال الذى قدمه دليلاً على ذلك من اللغة الفرنسية ص ١١٨) (المترجم)

وأخيراً يُحَدَّد نوع الكلمة "Wortart" بأنه تلك الفئة الشكلية التي لا تتكون إلا من كلمات.

التعريف السابع والثلاثون: الفئة الشكلية من كلمات هي فئة الكلمة Wortklasse.

التعريف الثامن والثلاثون: الفئات الكبرى للكلمة في لغة ما هي أنواع الكلمة Wortarten لهذه اللغة (١٩٧٦، ٤٣). وإذا ما نظر إلى هذه التعريفات على أنها تحديد مفهومية وصفية فهي صحيحة تماماً. وتحديد الفصيلة وحده ليس دقيقاً، إذ عدت الفصائل المورفولوجية (العدد مثلاً) وكذلك الفصائل النحوية (الفاعل، والمفعول)[١١]، نتيجة لمراعاة معان وظيفية فقط.

حول المجال الرابع:

يفهم بلومفيلد تحت تبادل Alternation تبديلاً مشروطاً من الناحية الصوتية أو المورفولوجية في مجال تزامني. وقد وُضِعَت جنباً إلى جنب دون تمييز: ظواهر مورفولوجية ــ (لاستخدام مصطلح بتروبتسكوى انظر في الفصل الرابع ما ورد تحت ٤ ــ ٤ ــ ٢) ــ أي على سبيل المثال النحت[*] ولاحقة الجمع المتعلقة بالجذر في الانجليزية وغيرها، بل وظواهر مورفولوجية أيضاً مثل ظاهرة التعويض[**] والاشتقاق.

١٤٠ / حول المجال الخامس:

تفهم التعريفات والفروض حول التغير الصوتي، وتغير المعنى، وعمل القياس، والاقتراض وغير ذلك، هي ذاتها على أنها محاولة قياسية لوصف الوقائع من النقطة ١ إلى ٤. ويصفها بلومفيلد بأنها محاولة لوصف شكلي لهذا المجال.

---

(١١) قارن التعريف الخامس والعشرين (١٩٧٦، ٤٣).

(*) يستخدم هنا مصطلح sandhi، ويعني النحت أو الصهر، أو تغير صوتي أو مورفيمي يصيب الكلمة في موقع نحوي معين.

(**) يستخدم هنا مصطلح Suppletivismus وهو الكلمة اللاتينية suppletivus بمعنى مكمل/ معوض ومنه suppletiv - Form بمعنى شكل مكمل/ معوض وSuppletiv - Erscheinung بمعنى ظاهرة التعويض أو الإكمال. (المترجم)

مثل تلك المحاولة هي بلا شك مشروعة، وهي تقع في بداية سلسلة كاملة من البحوث التي تنقل المناهج والمعارف المتحصلة بوصف حال تزامنية إلى تاريخ اللغة.

٦ ـ ٥ محور النحو لدى من خَلَف بلومفيلد

يكمن وصف اللغة في فهم ليونارد بلومفيلد بوجه خاص في إدراك المواقع التي يمكن أن يرد فيها شكل ما، وفي فصل الأشكال أو المواقع بعضها عن بعض. وتبعاً لذلك فإن أهم منهج للعثور على وحدات لغوية[١٢] هو تحليل أوجه الاطراد لتوزيع الوحدات في المنطوق، ***التوزيعات*** Distributionen، أي تحليل التوزيع. وقد بُحِثت التوزيعات أولاً على المستوى الفونولوجي، ثم مُدَّت هذه البحوث إلى المستويات الأخرى ــ المستوى المورفولوجي، والنحوي، والمعجمي. وطَوَّر نماذجَ مهمة في إطار علم اللغة الوصفي كلٌّ من ــ على سبيل المثال ــ ب. بلوخ، وت. ف. هوكيت، ور. س. ولس (نحو المكونات المباشرة IC) وك. ل. بايك، ور. لونجاكر (التجميمية) وس. لامب (النحو الطبقي).

وتركز البحث في الخَلَف المباشر لبلومفيلد في التوزيعات على المستوى النحوي، فقد وضع النحو الذي أهمل من قبل إلى حد بعيد في قلب الدراسات. ولهذا السبب يذكر في هذا المبحث هذا المستوى مع التمثيل.

استخدم ل. بلومفيلد في كتابه «اللغة» في الفصل العاشر (أشكال نحوية) مفهوم ***المكون المباشرة*** immediate constituent (IC) في السياق الآتي[١٣](*):

---

(١٢) الأصوب: وحدات الكلام، لأنه قد بحثت في علم اللغة الوصفي وقائع ــ الكلام parole. انظر أيضاً ما ورد تحت ٦ ــ ٧.

(١٣) عن بلومفيلد ١٩٦٢، ١٦.

(*) يعد هذا المفهوم أساس وصف بنية الجملة ــ لدى بلومفيلد، وتتصل فيه المورفيمات بعضها ببعض في شكل أشجار تمثل الترتيب والتركيب الصاعد (مثل هذا التحليل كان متضمناً في «الإعراب والتحليل» للتعليم التقليدي)؛ وأقام بلومفيلد كذلك تمييزاً أساسياً بين التراكيب المركزية والتراكيب اللامركزية، وفقاً لما إذا كان التركيب فيه بشكل عام مشابهاً أو غير مشابه نحوياً لأي من مكوناته المباشرة. وكانت الوحدتان الأساسيتين للوصف هما: الفونيم الذي وُسِّع فيما بعد ليشمل كل الظواهر الصوتية المميزة، والمورفيم، وهو الوحدة الصغرى للتركيب القواعدي. وخالفت الأجيال التالية بلومفيلد بإعطاء أفضلية للتقسيمات الثنائية للمكونات Binarism. غير أنها استمرت في التركيز على التحليل الشكلي عن طريق عمليات ومفاهيم وصفية بشكل موضوعي، وهو ما كان قد ألح بلومفيلد على وجوبه، وإن كان النموذج التوزيعي قد طور على يد أتباعه تطويراً شديداً. (المترجم)

كل شكل مركب مبنى من مورفيمات/ «مكونات أساسية (نهائية)». فجملة: poor John ran away (جون المسكين يفر) مثلاً تتكون من خمسة مورفيمات، من poor, John, ran, a -, way غير أن تحديد هذه المكونات الأساسية يعنى تحمل فقد البنية. ويمكن أن يتجنب ذلك بعملية تدريجية بالمكونات المباشرة للشكل المركب:

poor John + ran away; poor + John; ran + away ; a+ way,

حيث يصل المرء كذلك إلى المكونات الأساسية (النهائية)، ولكن ليس إلا فى نهاية التحليل. وهكذا فإن التحليل وفق المكونات المباشرة يمكن أن يُستَكمل انطلاقاً من النحو حتى المورفولوجيا، فهو يشتمل إذن على كل الوحدات الحاملة للمعنى القابلة للتجزئة.

وقد وُسِّع ذلك النهج لدى من خَلَف بلومفيلد توسيعاً كبيراً، ودخل فيما بعد فى المكون الأساسى لنحو كل نماذج القواعد التوليدية. وصاغ رلون س. ولس فى مقاله: المكونات المباشرة "Immediate Constituents"(*) الرؤية الكلاسيكية نوعاً ما لتحليل المكونات المباشرة. وقد خُصِّص له المبحث التالى ٦ ـ ٥ ـ ١

٦ ـ ٥ ـ١ مقال ر. س. ولس «المكونات المباشرة»

نَشَرَ رلون س. ولس Rulon S. Wells هذا المقال سنة ١٩٤٧م فى مجلة: اللغة "Language" (الجزء ٢٣)، وظهرت ترجمة ألمانية له بعنوان «المكونات المباشرة» فى الكتاب الذى حرره ا. بنزه وآخرون E. Bense et al. (سنة ١٩٦٧م)، ويقتبس منها فيما يأتى. وقد تبنى ولس فى هذا المقال الإشارات المحفزة السابق ذكرها من كتاب بلومفيلد «اللغة»، بل ومقالة أيضاً لزليج س. هاريس

(*) ينبغى هنا أن يلاحظ الفرق بين المصطلحين المستعملين هنا وهما Konstitut (بمعنى بناء أو مبنى) من الجذر constitutus (مؤسس أو محدد) وKonstituent (بمعنى مكون أو مقوم) وهو المنقول عن المصطلح الانجليزى constituent، ويوسم أو يوصف بـ immediate (مباشر) وultimate (نهائى). واستخدمت المؤلفة المقابل الألمانى لهما وهما unmittelbar وهو فى رأيى وصف موفق دال للوصف الأول، وelementar مقابلاً للوصف الثانى، وهو غير موفق لأنه ملبس إذ يعطى دلالات أخرى. (المترجم)

Z. S. Harris نُشِرت سنة ١٩٤٦م في مجلة «اللغة» (الجزء ٢٢) بعنوان: من المورفيم إلى المنطوق "From Morpheme to Utterance"، وعرضت ترجمتها إلى الألمانية كذلك في كتاب بنزه سنة ١٩٧٦ المذكور آنفاً.

ويقوم تحليل — المكونات المباشرة — لرلون ولس على الإجراءين «التصنيفيين» التجزئ Segmentieren والتصنيف Klassifizieren، الإجراءين اللذين يمكن أن يرجعا إلى العلاقات الجدولية (الصرفية) والأفقية (النحوية) لدى ف. دي سوسير. وقد أُجْرِيَ التدرج بوصفه «إجراء تصنيفاً»[١٤] على يد ممثلي المدارس النحوية المتأخرين المشتغلين بالتحويلات؛ الذين سوف يتناولون مرة أخرى في الفصل الثامن.

ويعد تحليل — المكونات المباشرة تقويساً هرمياً غير موسوم "unlabelled bracketing"[*]، ويعني هذا أن المبنى المعنى الذي يتركب من المكونات المباشرة الملاحظة، لا يوسم بوسم للعُقَد؛ ببيان عن التبعية لفصائل نحوية، وهكذا فإن eats well وnice man مكونات غير مفرق بينها.

/ وينطلق ولس في نموذجه وما إليه من الفروض الآتية: ١٤٢

(١٤) اقترض المصطلح من علم الأحياء.

(*) يترجم مصطلح bracketing (في الألمانية Klammerung) إلى تقويس بمعنى وضع العناصر المحللة داخل أقواس، والصفة unlabelled (وفي الألمانية nichtetikettierte) ومعناها غير موسوم، وتقابل الصفة labelled (موسوم)، وتستخدم الأقواس لغرضين:

أ — عزل بعض العناصر اللغوية وتحديد صفتها، كاستعمال القوسين { } لعزل العناصر النحوية، والقوسين | | لعزل العناصر اللغوية.

ب — إظهار العلاقة القائمة بين العناصر المختلفة في السلسلة (كالكلمات المختلفة في الجملة)... مثل تقويس جملة ((قرأ) ((الرجل) (كتاباً)). انظر معجم المصطلحات اللغوية لرمزي البعلبكي ص ٧٦، ٧٧. (المترجم)

١ ــ يجيز في مبنى واحد في الحال العادية مكونين، وأحياناً أيضاً أكثر من مكونين، ولكنه لا يجيز مكوناً وحيداً فقط على الاطلاق[١٥]،

٢ ــ يجيز مكونات متقطعة (منفصلة) [مثل: put . . . off]؛

٣ ــ نموذج المكونات المباشرة مفتوح لكلا النهجين، بوصفه تحليلاً يبدأ من الجملة بأكملها إلى المورفيمات أو بوصفه تأليفاً يبدأ من المورفيمات إلى الجملة بأكملها؛

٤ ــ نموذج المكونات المباشرة يحتاج إلى وحدة «الكلمة»، وليس المورفيم والضميمة النحوية فقط، على نحو ما قد رجح علم اللغة الوصفي الحالي في جزء منه؛

٥ ــ أدخل في حالة الضرورة مصطلح «التركيب Konstruktion» تعويضاً عن نقائص التقويس غير الموسوم (أوجه القصور فيه)، ولكل مكون من المكونات المباشرة موقعه في هذا التركيب، ويحتاج التركيب في مجمله لإيضاحه إلى المعنى (كذا!).

وينبغي الآن أن توضح هذه الفروض الخمسة توضيحاً دقيقاً بمساعدة الاقتباسات أيضاً.

حول الفرض الأول:

في الجمل التي مثل بها ولس The king of England opened Parliament[*] (١٩٧٦ ص ٢١٤ وما بعدها)، أي ملك انجلترا افتتح البرلمان،

---

(١٥) في الألمانية يستعمل مصطلح der Konstituent (المكون) وجمعه die Konstituente (المكونات).

(*) لاحظ الفروق بين الجملتين الانجليزية والترجمة العربية، ففي الانجليزية تبدأ بأداة التعريف the التي تسقط في الترجمة، ويسقط كذلك الرابط of، إذ لا تصح الترجمة الحرفية الركيكة: الملك من انجلترا، ونقل المركب إلى تركيب إضافي في العربية: ملك انجلترا، كما أنه يجوز في العربية (وهو المستحسن فيها) البدء بالفعل: افتتح، وليس بالاسم فتكون الجملة: افتتح ملك انجلترا، وبذلك تبتعد الجملة العربية عن الجملة الانجليزية (بل وكل اللغات الأوربية وغيرها)، وتصعب المقابلة وأمور أخرى كثيرة، وأخيراً المفعول في الانجليزية نكرة، وترجمته إلى العربية بنكرة يثير دلالات غير مقصودة. (المترجم)

تعد the وParliament مكونين للجملة أيضاً باعتبار أنهما وردا في هذه الجملة، وذلك بوصفهما الكلمة الأولى والكلمة الأخيرة. غير أنهما ليسا مكونين مباشرين (ICS) في مبنى؛ وحتى يكونا كذلك يجب أن يتبع بعضهما بعضاً على نحو أشد التصاقاً من أن يتبع كل منهما أي جزء آخر في الجملة، والحال ليست كذلك. ويحدد ولس المكونات المباشرة من خلال **أوجه الاستبدال** Substitutionen والتوسيع Expansionen[١٦]، ولذا يحلل ابتداءً the / king of England,, لأن the king[*] استبدال من John، ولكن مع ذلك الاستبدال لا يمكن أن تضاف of England على الإطلاق[*]؛ بل لا يجوز من جهة أخرى أيضاً أن يستعمل John بدلاً من king of England لأنه قد ينشأ المبنى غير الجائز في اللغة "the John"[*]. وهكذا فإنه لا يمكن أن يستبدل John إلا بالمبنى الكلي the king of England ويلزم أن يبين هذا المثال أن المباني ذاتها هي إذن مكونات مباشرة لمبان أكبر أيضاً.

ويكون التحليل صحيحاً حين يُكْشَف عن المكونات المباشرة الواردة للمباني بوسائل شكلية، فهو لا يحتاج إلى معنى الأشكال. قارن الحِجَاج الآتي: في بعض التابعات يمكن أن يستبدل Tom and Dick ــ أو They ــ بالمبنى the stars[٣]. وهكذا: / فالجملتان The stars look small because they are far away ١٤٣

(النجوم تبدو صغيرة لأنها بعيد).

وThe stars look small because Tom und Dick are far away.

(النجوم تبدو صغيرة لأن توم وديك بعيدان)

كلاهما نحوي، وإن كانت الثانية فقط غير شائعة لأسباب دلالية (أو لم تستعمل على الإطلاق). (١٩٧٦، ٢١٤).

---

(١٦) لا يتخلى عن هذا التجزيء إلا مع إدخال مكونات متقطعة (١٩٧٦، ٢٤٥)، قارن ما ورد تحت النقطة ٢.

(*) أن تصير مضافة إلى الاسم لأن of أداة إضافة؛ فلا يصح أن يلحق الاسم أو يسبقه المكون of England، كما أنه لا يصح أن يُعَرَّف، ومن ثم يكون الاسم مقابلاً للمبنى كاملاً. (المترجم)

الحالة العادية بالنسبة لولس هي تقسيم ثنائي، أي أن المبنى يتكون من مكونين مباشرين، أما المبنى المشكل من مكون مباشر واحد فقط فلا يقبل. وعلى العكس من ذلك يمكن في حالات معينة أن يتكون المبنى من أكثر من مكونين مباشرين. ويستشهد ولس لذلك بالعطف ـ إذ إنه مع **ا** و **ب** و **جـ** لا يشير شيء إلى **ا/ب** و **جـ** أو **ا** و **ب/** و **جـ**، وهكذا يجب أن تستعمل هنا المكونات المباشرة الثلاثة **اوب وجـ**. قارن:

نقترح ألا نُسَلِّم بالمكونات المباشرة المتعددة (ثلاثة أو أكثر) إلا بشروط معينة، محددة. ***فأي مكون معطىً***، يتكون من ثلاثة تتابعات مترابطة، إن يكن من الممكن العثور على سبب لأن يُجَزَّأ إلى ثلاثة مكونات مباشرة متساوية في الترتيب **ا / ب / جـ**. فمن الأحرى أن يُجَزَّأ إلى **ا ب / جـ** أكثر من **ا / ب جـ** أو إلى **ا / ب جـ** أكثر من **ا ب / جـ** [الإبراز من ر. س. ولس].

وعلى نحو مشابه يمكن أن يُسَلم بالمكونات المباشر الأربعة، حين لا يُقَدِّم تجزيء إلى مكونين مباشرين وإلى ثلاثة مكونات مباشرة وهكذا دواليك. (١٩٧٦، ٢٤١).

حول الفرض الثاني:

يوصف ***بالمكون المنقطع***(*) التابع الذي لا يتجاور أفقياً، بل يقطعه تابع آخر، قارن:

أي تتابع منقطع هو مكون، حين يرد التتابع المترابط المطابق في محيط ما بوصفه مكوناً في تركيب يتوافق من الناحية الدلالية مع التراكيب التي يرد فيها التتابع المنقطع المعطى [الإبراز من ر. س. ولس]. ظل

(*) استُخْدِم هنا مصطلح diskontinuierlicher Konstituent ويترجم إلى مكون منقطع، ومُقَوِّم مشعث، ومكون منفصل، وقد اخترت الترجمة الأولى وهو يقابل مصطلح kontinuierlicher Konstituent (= مكون متصل أو متتابع). ويُعْنَىْ بالمكون المنقطع: ١) عنصر لغوي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعنصر آخر، ولكنه منفصل عنه في التركيب، مثل: put.. off في الانجليزية، و ne ... pas في الفرنسية وما . . ش في أسلوب النفي في العامية المصرية. ٢) كلمة يمكن إضافة الدواخل (in-fix) إليها، مثل نجا (←— انتجا). معجم البعلبكي ص ١٥٣ (المترجم)

المركب «يتوافق من الناحية الدلالية» غيرَ محـدد، ووُضِّح بأمثلة فقط. (١٩٧٦، ٢٤٢).

من المفيـد أن يعالج في : wake your friend up (أيقظ صديقك) [المكون المتقطع] wake ... up بأنه يوجـد أيضـاً wake up your friend ـ دون انقطاع ـ والتابعان مترادفان تقريباً.

ويحلل في المكونـات المباشـرة المتقطـعة الآن أيضـاً التـتـابع the king of England (ملك انجلترا) تحليلاً جـديداً مرة أخرى إلى: the king وof England، وذلك على أساس فرض تال: the English king مثل wake ... up يجزأ إلى the king وEnglish ، لأنه توجـد هذه المكـونات أيضـاً دون تـتـابع (wake up ; the king) ويوجد في الشكل المتقطع حـسب ولـس «علاقة متناسقة دلاليا»[17] ـ يفهم تحتها، أن الأمر/ في الواقع عند إهمال المعنى يظل مفـتوحاً. ونتيجة لذلك ـ كما يقول ولسن بعد ذلك ـــ ينبغي أيضاً في: the king of England ومع ذلك فهذه النتيـجة ليست قـاطعة لأنه في إطار نموذجـه يمكن ألا يُضَاف إلى of England، على نحو ما عرض تماماً تحت الفرض الأول عند الاستبدال من the king.

144

حول الفرض الثالث:

أكـد ولس أنه يمكن بهـذا الإجراء أن تضم المكونات المـباشـرة في مكونات، وتفهم تلك المكونات مرة أخرى على أنها مكونات مباشرة لمبان أكبر إلخ إلى أن تدرك الجملة بأكملها أو على العكس من ذلك يمكن أن تحلل الجـملة بصورة متدرجة حتى أصغر المكونات المباشرة. وهكذا لا يحدد نموذجه من البداية اتجاه الوصف:

ليس من الضـروري أن تربط نظرية ـ للمكونات المباشـرة بالتـتـابع (البحث إلى أدنى)، ودون النظر إلى ما إن كان عرض النـحو الوصفي يجرى إلى أعلى أو إلى أدنى فإن مكونات كل المنطوقات هي ذاتها(*). (١٩٧٦، ٢٣٨).

---

(١٧) يُتَحدث في الترجمة الألمانية عن «توافق من الناحية الدلالية».

(*) تلك خاصية جوهرية أن يبدأ التحليل في علم اللغة الوصفي من القاع إلى القـمة أو من القمة إلى القاع؛ وذلك لأن المكونات المباشرة في كلتا الحالتين واحدة. ومعنى ذلك أنه يمكن أن يبدأ اللغوي تحليله من المورفيمات حتى يصل إلى الجملة أو من الجملة إلى المورفيمات، ولكن غلب على التوزيعيين البدء من أصغر المكونات المباشرة إلى الجملة خلافاً للتوليديين الذين حسموا المسألة ببدء التحليل من الجملة فقط. (المترجم)

أُجري تحليل المكونات المباشرة في علم اللغة الوصفي، كما ذُكر أعلاه ـ حتى الوحدات الصغرى الحاملة للمعنى ـ المورفيمات. غير أن ولس يثبت الآن أن وحدة «الكلمة» تستخدم أيضاً، وأن الكلمات هي مكونات مباشرة لمبانٍ. وبعبارة أدق تعد كل كلمة مكوناً إلا استثناءات معينة (يضرب أمثلة يابانية). ولهذا الغاية حدد ولس وحدة «الكلمة» تحديداً فونولوجياً ومورفولوجيا. وعبر ذلك من خلال حدود الكلمة والنهايات، وتتابع ثابت للمورفيمات في تلك الوحدة (على النقيض من التتابع الأكثر حرية في النحو). وبالإضافة إلى ذلك لا يمكن أن يدل تتابع المورفيمات داخل كلمة ما، لأنه محدد آلياً، على أي معنى، وعلى العكس من ذلك فإنه مع تتابع الكلمات داخل النحو يكون ذلك ممكناً

ويجب أن يُشار كذلك إلى أن تلك المعايير كانت معروفة من قبل في علم اللغة الأوربي، ولكنها لم تستخدم هنا في بادىء الأمر بسبب طريقة البحث في علم اللغة الوصفي الموجهة إلى المورفيمات(*)، والآن أُعيد اكتشافها إلى حد ما ويعزو ولس إلى ى. أ. نايده E. A. Nida إبداعها.

حول الفرض الخامس:

بيّن تحت الفرض الأول أن ولسن يطمح إلى تحليل شكلي ولم يسأل عن *أي* منطوقات ترد، بل عن : إلى أي مكونات تقبل المنطوقات ـ المقدمة ـ التجزيء شكلياً؛ وفي ذلك لم يُلتفت إلى معنى المنطوقات في بادىء الأمر. ومع هذا يجب على ولس أن يقبل أنه توجد تتابعات، تجيز أكثر من تحليل للمكونات

(*) سبق أن أشرنا إلى أن بلومفيلد لم يرفض استعمال الكلمة، وإن راعى المورفيم أساساً في تحليله، وذلك من خلال جانبيه الصوتي والدلالي، إذ يمكن وصفه صوتياً بأنه مركب من فونيم أو أكثر، ودلالياً بأنه مجموع الخصائص الدلالية sememes. وإذا لم ترتبط التشابهات بمثيلاتها في المعنى فلا يمكننا أن ننسب أي معنى للمورفيمات. وكما أشرت تكون مجموع هذه الخواص وحدة المعنى الثابتة المحددة. ويتأكد ذلك من مسلمته القائلة بأنه من أجل القيام بالوصف العملي لابد من قبول «وجود بعض التعابير المتشابهة من حيث التركيب، ومن حيث المعنى في كل جماعة لغوية. (المترجم)

المباشرة، وتظهر بالإضافة إلى ذلك أيضاً بشكل موازٍ فروقاً فى المعنى. قارن old men and women ـ (أ) old (عجائز) لا تتعلق إلا بـ men (رجال)، ـ (ب) old تتعلق بـ men and women/ (= رجال ونسوة عجائز)، ولذلك يقر ولس كذلك بترتيب المكونات بوصفه وحدةً إلى جانب المورفيم والكلمة والتتابع، قارن: 145

هذا النوع من تعدد المعنى، وإن لم يكن موجوداً فى كل لغات العالم، منشر على كل حال انتشاراً كبيراً للغاية، وله بالنسبة للنحو أهمية كبيرة، ويعنى وجوده تحديداً أنه يجب على النحوى أن يدرج فى مادته اللغوية للبحث Datenkorpus أكثر من المورفيمات وتتابعاتها. «فالنظام» النحوى أكثر من التتابع المحض. ونقترح أن نطلق على «الأكثر» مصطلح *(تركيب)* Konstruktion (١٩٧٦، ٢٢٨).

وتشتمل التراكيب ما عُرض فى نماذج متأخرة للنحو برسوم موسومة، أى البنية النحوية. وبالنسبة لـ: old men and women يقدم ولس على سبيل المثال تراكيب متبادلة كما يأتى:

(a) NP + and + and + NP; 1. NP: Modifizier + NP;

{أى : م س + و + م س؛ ١. م س: واصف + م س}

(b) Modifizier + NP ; NP : NP + and + NP

{أى: واصف + م س ، م س: م س + و + م س}(*)

تلك التراكيب وفقاً له تراكيب مشتركات لفظية، وفى هذه الحالات فقط، أى حين توجد فروق فى البنية، يستعان بالمعنى، ولا يكون ذلك إلا فى صورة

(*) يقابل مصطلح Modifizier فى الانجليزى modifier وهو فى النحو بمعنى واصف أو مُعدِّل أو مُغَيِّر (أى كلمة ـ أو أكثر ـ تصف كلمة أخرى ـ هى الموصوف Modificand ـ أى تضيف قيداً أو إيضاحاً إلى معناها. والاسم Modification أى وصف فى النحو، ويعنى تحوير أو تعديل أو تغيير فى غيره. و NP = م س = مركب اسمى، وتعنى البنية الأولى أن الواصف يقع على المركب الاسمى الأول فقط، أى: رجال عجائز ونسوة، والثانية أن الوصف يقع على المركبين الاسميين الأول والثانى: أى: رجال عجائز ونسوة عجائز أو رجال ونسوة عجائز.

(المترجم)

المعنى المميز (الفارق) أيضاً: حالتان واردتان (مصوغتان) في تتابع واحد (هو نفسه) لهما معان متعارضة.

٦ ـ ٦ زليج س. هاريس

تبرز المكانة غير العادية لـ ز. س. هاريس في التأريخ العلمي لعلم اللغة في الولايات المتحدة الأمريكية أن يُخصَّص له جزءٌ من فصل خاص به.

ويعد زليج سبتاي هاريس (Zellig Sabbettai Harris)(١٩٠٩ ـ ١٩٩٢م)(*) بوجه عام المؤسس الأورثوذكسي (التقليدي) لعلم اللغة الوصفي، ويعد كتابه الكبير (مناهج في) «علم اللغة البنيوي» (١٩٥١/ ١٩٦٠) الكتاب المقدس لهذه المدرسة. وترتبط حياته وعمله ارتباطاً وثيقاً بجامعة بنسلفانيا في فيلاديفيا التي عمل فيها منذ بداية مساره العلمي حتى تقاعده سنة ١٩٧٩. وتمتد بيانات ظهور مؤلفاته من سنة ١٩٣٢م (بحث الماجستير حول نشأة الأبجدية) وسنة ١٩٣٦م (شهادة الدكتوراه في نحو اللغة الفنيقية حتى سن ١٩٩١م؛ أما كتابه العلمي الأخير فقد ظهر بعنوان «نظرية اللغة والمعلومات: منهج رياضي» (A Theory of Language and Information : Amathematical approach) وقد أبدى بعض العارفين ببحوثه اللغوية معرفة جيدة، وبعض النقلة العلميين أنفسهم في بعض الأحيان، دهشتهم من أن هاريس ظل ينقح تصوره للنحو حتى وفاته تقريباً. وتصير هذه الدهشة مفهومة حين يُقرأ نص هذا المبحث ٦ ـ ٦ والفصل الثامن عن أنحاء تشومسكي التوليدية، وتُلاحظ التغيرات الكبيرة التي وقعت في علم اللغة في الولايات المتحدة الأمريكية منذ نهاية الخمسينيات. ولذلك يرمي العرض ضمن ما يرمي إلى هدف، وهو أن

(*) وُلِد زليج سبتاي هاريس عام ١٩٠٩م في مدينة «بالتا» في روسيا. ورحل إلى الولايات المتحدة عام ١٩١٣، وحصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٢١م. وكانت حياته الجامعية مستقيمة، إذ حصل من جامعة بنسلفانيا على شهادة الليسانس عام ١٩٣٠، وعلى شهادة الماجستير في الآداب عام ١٩٣٢م، وعلى شهادة الدكتوراه عام ١٩٣٤م. وعين معيداً في الجامعة نفسها عام ١٩٣١م، وأصبح استاذاً مساعداً منذ عام ١٩٣٨، ثم استاذاً عام ١٩٤٢م، وأستاذ علم اللغة التحليلي عام ١٩٤٧.   (المترجم)

يرسم (ينقل) الوصف اللغوى لدى هاريس بتحديد محوره المتغير، ويوضح أن هاريس/ بوصفه الممثل الرئيسى لعلم اللغة الوصفى قد وجد فى الوقت نفسه بناء على بحوثه الخاصة المخرج للتغلب على عيوب هذا الاتجاه.

١٤٦

ويمكن بالنظر إلى المبحث السابق حول ز. س. ولس أن يتخلى عن مناقشته المقالات المفردة حول نموذج ـ المكونات المباشرة. ولذلك يتعلق النص التالى الآن من جهة بكتاب هاريس المختصر «علم اللغة البنيوى Structural Linguistics»، ومن جهة أخرى بتحليل الخطاب والتحويل بوصفها المجالات التى حاول هاريس بها أن يتخطى الإطار الذى صار ضيقاً لعلم اللغة الوصفى.

٦ ـ ٦ ـ ١ «علم اللغة البنيوى»

ظهر هذا الكتاب فى البداية سنة ١٩٥١م بعنوان: مناهج فى علم اللغة البنيوى»، ثم طبعة (صيغة) غير متغيرة فى مضمون الفصول سنة ١٩٦٠م بعنوان «علم اللغة البنيوى». ولعل المحاور الآتية تعين على معرفة مسار أفكار الكتاب.

١ ـ بنى الكتاب بشكل استشكافى، أى أنه هو نفسه يعرض وصفاً للكيفية التى يجب أن يجرى عليها الأمر عند وصف نحو ما. ولذلك يتحدث هاريس عن «إجراءات الاكتشاف (Entdeckungsprozeduren(*)). وتشتمل الفصول التسعة عشرة الرئيسة على برامج التحليل فيما يتعلق بالفونولوجيا والمورفولوجيا (متضمنة تتابعات المورفيم والتراكيب، أى النحو). وقد بنيت كل الفصول وفق النموذج ذاته: فى البداية تقدم المواد اللغوية، تلك التى تبحث من خلال التجزىء والتصنيف، وفى

(*) يترجم مصطلح procedure إلى إجراء، ونهج، وتوسل، وطريقة البحث، ومسلك. وقد اخترت الترجمة الأكثر شيوعاً فى كتب علم اللغة، ويقصد به فى الاصطلاح الطريقة التى يتبعها اللغوى فى تحليل اللغة وفى وضع النظرية اللغوية. وأهم مكونات هذه الطريقة ثلاثة: نهج الاكتشاف discovery procedure، ونهج القرار decision procedure، ونهج التقويم evaluation procedure. انظر معجم البعلبكى اللغوى صـ ٤٠٠. (المترجم)

النهاية يحصل المرء على البنية النحوية. وفى الفصل ذاته لا تُحَدَّد فى كل مرة إلا طرائق الإجراء، وتُضرب أمثلة بالمواد اللغوية، وتجيء مناقشة مشكلات خاصة فى ملاحق ـ ثرية جديرة بالملاحظة بشكل جزئى ـ للفصول المفردة.

ويُذكَر ذلك بإيضاحات حول بلومفيلد وولس. فقد أوضح هاريس بمفهوم كلاسيكى أن علم اللغة الوصفى ارتأى مهمته ليس فى إبداع (إيجاد) نظرية لغوية، بل على الأرجح فى تطوير مناهج لوصف اللغات، وذلك برغم توفر إجراءات تحليل، يجب أن تكون قابلة للتطبيق على كل اللغات، وأن تُكَيَّف مع لغات مفردة فى حالات خاصة فقط. وتُجْرى هذه الإجراءات على مادة نصية عشوائية، وتقدم بشكل آلى النحو المتعلق بها. وتبعاً للمطالب الخاصة يجب أن يقع العمل الجارى بالإجراءات فى خطوات مفردة محددة بدقة بوصفه اتجاهاً خوارزمياً(*)، ومع ذلك يسعى كل باحث فى التطبيق إلى طرق مختصرة، لأن إنجازاً كاملاً للإجراءات يكلف وقتاً كثيراً، بل ربما كان غير ممكن كلية.

ولم يُعْتَمد فى ذلك على المعنى المعجمى لأجزاء المنطوق؛ ويرى هاريس أنه يمكن التخلى عنها حين يمكن أن يُعْثَر على عناصر فارقة من الناحية الشكلية، وأن يُدْرَك توزيعها.

١٤٧ / ٢ ـ يصير بهذه الطريقة ***التوزيع*** Distrbution العامل الفيصل، وهو علاقة بين عناصر أى منطوق، ويجوز أن يُحَدَّد فى قوله:

وهكذا فالعرض الحالى محدد بوضوح بمسائل التوزيع، أى حرية وقوع أجزاء منطوق ما بالنسبة إلى بعضها بعضاً. كل التعبيرات والجمل ستكون متصلة بهذا المعيار(**). (١٩٥١، ٥).

(*) الخوارزمية أو الخارزمية، هى حساب، أسلوب يستخدم فى علم اللغة وعلم الأصوات يسعى إلى تبسيط مسألة لغوية ما بإظهارها فى سلسلة متالية من النقاط البسيطة كالتى فى الجداول المستعملة فى مناهج الحاسبات الإلكترونية، وأكثر ما يستعمل هذا الأسلوب فى النحو التوليدى. (انظر معجم البعلبكى ص ٣٧، ٣٨). (المترجم).

(**) أراد هاريس بهذا المعيار (معيار التوزيع) تحييد المعنى، وتوزيع الوحدات أو الفونيمات أو الكلمات على أساس شكلى بحت، وكان يعنى بتوزيع وحدة ما: «مجموع الكلمات التى يمكن أن توجد فى محيطها اللغوى». ولكن يبدو كما سيوضح فيما يأتى أنه لم يستطع تحييده تحييداً تاماً، بل كان اللجوء إليه حاسماً فى بعض المواضع لحل مشكلات وتعقيدات شديدة، عجز معيار التوزيع وحده عن أن يتوصل إلى طرائق للتغلب عليها. (المترجم)

ومن الضروري لذلك أن تُكتَشف لموقع معين في المنطق كلُّ الوحدات التي يمكن أن تشغله، أو التي يمكن أن يستبدل بعضها ببعض، أو يعثر لوحدة ما على كل المواقع التي يمكن أن تشغلها.

مثال ذلك: he __ ed : ففي الموقع "______" يمكن أن توضع وحدات، هي أصول الأفعال، أي work -, spell-, learn إلخ. ولكن ليس جذوراً اسمية مثلاً (وفي الواقع ليست كل أصول الأفعال)؛ ويلاحظ ذلك على نحو آخر: الوحدة -learn يمكن أن توضع في الموقع he ___ ed غير أنها فضلاً عن ذلك يمكن أن توضع أيضاً في سلسلة من مواقع أخرى، مثل: she __ ed, he ___ s وغيرها، ولكنها لا يمكن أن توضع مثلاً في الموقع ___ the.

وحسب هاريس «المعنى» معلومة عن أوجه اشتراك كل الوحدات الممكنة في الموقع ذاته، ويرفض أن تكون المعلومة الدلالة الناتجة عقلية وذاتية(*). وهكذا فهو ينادي بوصف لغوي تصنيفي صارم، يقتصر على التجزيء والتصنيف: يُجَزَّأ تدفق الكلام (flow of speech) إلى عناصر، يمكن أن ترد غير تابعة، مستقلة، ثم يُحَدَّد توزيع هذه العناصر بمساعدة المادة اللغوية المتوفرة للبحث، وأخيراً تُجمَل العناصر بناءً على ذلك في فئات (أقسام) ذات توزيع واحد.

أما أهم منهجين لهذا الوصف اللغوي فهما ***الاستبدال وتحليل المكونات***. فبمساعدة الاستبدال(١٨) تُكتَشف فئات التوزيع، وبمساعدة تحليل المكونات (= تحليل المكونات المباشرة، انظر ما ورد تحت ٦ ــ ٥ ــ ١) يحدد أي القواعد التي يمكن وفقاً لها أن تربط عناصر فئات مختلفة بعضها ببعض.

(*) لا شك أن الطريقة الاعتيادية في التحليل القائمة على الحدس (أي على معيار المعنى في الغالب) أيسر من ذلك التحليل القائم على أساس التوزيع، ولكنه برغم تعقده فهو حاسم علمياً من وجهة نظر هاريس؛ فالتحليلات التوزيعية لا تقدم حلاً دقيقاً بديلاً عن الاعتبارات القائمة على المعنى، بل إنها تسمح بتجنب <u>الاستعمال العرفي للمصطلحات القلقية</u>، مثل تلك التي يلجأ إليها تروبتسكوي مثل: الوظيفة، النظام، الكيان... (Language, vol. 17, p. 345). (المترجم)

(١٨) المصطلح الذي يمكن أن يقارن به في الدراسات الجرمانية الألمانية هو Ersatzprobe «اختبار الإحلال».

ويطلق هاريس على تلك العناصر الواردة معاً ***العناصر المتواردة*** (المشتركة) co - occurents، والعلاقة بينها هي علاقة ***الوقوع المشترك*** (التوارد) co - occurence . وتعدُّ مثل تلك البنية لأوجه الوقوع المشترك بالنسبة له موجودة في اللغة موضوعياً ولا تُعْزَى إلى الباحث اللغوى.

٣ ـ التحليل التوزيعى هو بلا شك منهج قيم في البحث اللغوى. وتكمن مزاياه في استبعاد العوامل الذاتية إلى أقصى حد ممكن (الحدس، ومطالبة الوصفيين بالمعنى أيضاً)، في صلاحيته العامة (فهو أساساً قابل لأن يطبق على كل اللغات) وفي واحديته عند إجرائه في مستويات أيضاً (فهو قابل لأن يُطَبَّق على كل مستويات النظام اللغوى). ومع ذلك فليس التحليل التوزيعى/ هو المنهج الوحيد **١٤٨** الصالح للوصف اللغوى، إذ إن له بعض حدود تجعل إكماله بمناهج أخرى أمراً ضرورياً.

(أ) فهو (أى التحليل التوزيعى) صعب، إذ يجب ـ في الحقيقة ـ أن يُخْتَبر كل أوجه الورود وكل المواقع ـ ولذلك أُجْبِر ممثلو ذلك التحليل المتحازون له أيضاً مثل ز. هاريس على إجراء تقريبى. ويبدون تبريراً لذلك إلى حد ما:

إن حجة استعمال أوجه تقريب في تصنيف المورفيمات تدعمها حقيقة أن النفع التنبؤى لتصنيف دقيق للمورفيمات ليس في حاجة إلى أن يكون أكبر من ذلك (النفع التنبؤى) لتصنيف تقريبى.

(ب) وهو يحاول أن يستغنى عن معنى الوحدات اللغوية. ومع ذلك فقد أجبر التحليل التوزيعى هاريس على اختبار آرائه، لأنه قد عرف أن احتمال الوقوع المشترك لوحدتين لغويتين تحدده ضمن ما تحدد درجة تشابه معناهما. وبعبارة أخرى من المحتمل مثلاً ألا يتم العثور على الوحدتين Sprachetruktur (بنية لغوية) وSchwimmen (يسبح) على أنهما عنصران متواردان (متلازمان).

(جـ) يريد علم اللغة الوصفى أن يوضح التوزيع عبر استشارات مساعدى البحث بدلاً من أن يتم عبر المعانى. ولكن ذلك يمكن أن ينقل الذاتية غير

المرغوب فيها من اللغوي إلى مساعدي البحث، دون استبعادها(*)، وفضلاً عن ذلك من المحتمل أن يعرف اللغوي من خلال ذلك شيئاً عن علاقة عنصر ما بالعناصر المجاورة له في التركيب، غير أنه يعرف القليل أو لا يعرف شيئاً عن العنصر ذاته. ولذلك حاول هاريس أن يُخَلِّص استشارة مساعدي البحث من ذاتية محتملة. وتتضح أفكاره حول ذلك في هامش بوجه خاص (١٩٥١، ١٢) (يقتبس عن كتاب بتزه وآخرين بالألمانية):

حين يجد اللغوي في مادته اللغوية أ س وب س، ولكن لا يجد جـ س (حيث أ وب وجـ عناصر يتشابه توزيعها تشابهاً تاماً)، فإنه ربما يرغب أن يستوثق من مساعد البحث: هل يقع جـ س بوجه عام. [...] وبدلاً من أن يُبْنَى شكل جـ س، ويُسْأَل مساعدو البحث: «أيقول المرء جـ س؟ أو هكذا»، فإن عالم اللغة يمكنه أن يطرح في أغلب الحالات أسئلة، ينبغي أن تحمل مساعدي البحث على استخدام جـ س ـ حين يرد الشكل في كلام (Speech) مساعد البحث(**).

(*) يرى مونان أنه على الرغم من إصراره على تأكيداته القطعية فهو لا يتجاهل الاعتراضات. إن مجموع ما يقول عن المعنى.. نموذجي وعميق بالنسبة لكل باحث. فهو يعرف، برغم ورعه النظري، أنه يستخدم معارف معنوية خلال تحليلاته، ويدعي أن لجوءه إلى المعنى هوعرضي محض، وإن بالإمكان تجاوز ذلك «ولكن بأي ثمن؟»، وهو يرى أحياناً «أن ليس من حاجة، من حيث المبدأ، لأن نأخذ المعنى بعين الاعتبار إلا بالمقدار الذي نسعى فيه لتحديد التكرار. ويضيف: وأحياناً تشير إلى أنه حتى عندما يؤخذ المعنى بعين الاعتبار، فإننا لا نكون مطلقاً بحاجة إلى تحليل مفصل وكامل عن معنى عنصر ما، ومن باب أولى إلى ما يقصد المتكلم حين تكلم. إن كل ما هو ضروري هو أن نجد فرقاً منتظماً بين مجموعتي مواقف (مثل تلك المواقف التي تظهر فيها /S/ (الجمع) وتلك التي لا تظهر فيها). (علم اللغة ص ١٨٢).

(المترجم)

(**) يرى هاريس نفسه في المناهج ص٢٠ في استشارة المتكلم أو صاحب اللغة أو الخبر أو مساعد البحث... إلخ عودة إلى أخذ المعنى بعين الاعتبار، بل إننا سنرى في تحليله التحويلي للجملة أن إدخال المعنى في التحليل ضرورة لا يحيد عنها، يقول: وبقبول معيار إجابة المستمع هنا، نجد أنفسنا منساقين ثانية إلى الاعتماد على «المعنى» الذي أصر اللغويون على ضرورته. ويبدو أنه من غير الممكن تجنب طريق من هذا النوع بالنسبة للمرحلة التي يمر فيها علم اللغة في الوقت الحاضر على الأقل. (المترجم)

٤ ـ يشتغل علم اللغة الوصفي بانتقال صارم للمستويات: فوحدات مستوى أعلى تُبْنَى كاملة من وحدات المستوى الأدنى. ولذلك يجب بمعنى صارم أن يوصف كل مستوى وصفاً مستوفياً، قبل أن يُشْرَع في وصف المستوى التالي في العلو؛ لأنه لا يجوز بناء أي إجراء على نتائج لا يحثها إجراء آخر إلا في استعمال لاحق.

ومع ذلك يجب على المرء هنا بداهة أن يُجْرِي في الواقع أوجه إنقاص على الوصف اللغوي. ويؤكد هاريس فضلاً عن ذلك من جهة أخرى أيضاً أن كل/ 149 مستوى يعطي تماماً تدفق الكلام، أي يمكن أن يُجَزَّأ منطوق ما بشكل تام إلى فونيمات، بل وبشكل كامل إلى مورفيمات، وبشكل كلي إلى مكونات مباشرة، ويكون كل من ذلك وفق برنامج التحليل ووضع الهدف.

وفي مقدمة طبعة ١٩٦٠ يشير هاريس ضمن ما يشير إلى مجالين، حُرِّكا منذ نشر كتابه «علم اللغة البنيوي» إلى قلب البحث اللغوي من جديد، وصارا مهمين له هو نفسه أيضاً، وهما العمل بالتحويلات، وتحليل النص (تحليل الخطاب)(*). وفي الكتاب نفسه يبرهن على أن المنطوق الذي يعد مادة لغوية للبحث ليس في حاجة إلى أن يتجاوز إطار جملة(١٩).

سوف ترد المنطوقات التي يشتغل بها اللغوي في أشكال خطاب أطول [...]، ومع ذلك، فعادة ما يعتد اللغوي بالعلاقات الداخلية للعناصر فقط داخل منطوق واحد في كل مرة. ذلك يتيح وصفاً ممكناً للمادة، ما دامت العلاقات الداخلية للعناصر داخل كل منطوق (أساس نمط المنطوق) متحققة، وأي خطاب أطول يمكن أن يوصف بأنه توالٍ لعناصر لها العلاقة الداخلية المبينة. (١٩٥١، ١١/١٢).

(*) يشير هذا التحليل المسمى discourse analysis ـ الذي اختلف في ترجمته فقيل تحليل الكلام، وتحليل الخطاب، وتحليل النص، وهو يمثل في الحقيقة تحولاً في مستوى التحليل من الجملة إلى الأبنية الأكثر امتداداً من الجملة ـ أمرين: الأول صعوبات كبيرة لظهوره في وقت لم تكن المشكلات على مستوى الجملة لم تحسم أصلاً، والثاني عدم توفر إمكانات ووسائل مناسبة لدى اللغوي آنذاك لمعالجة ذلك المستوى معالجة دقيقة. (المترجم)

(١٩) لا يستخدم هاريس في الغالب «جملة» بل «منطوقاً» وبذلك تؤكد الصلة كلام/ ـ كتابة معينة، بدلاً من النظام اللغوي المجرد.

بيد أنه سنة ١٩٦٠ يرى ضرورة الاستعانة بخصائص النصوص فى مقابل الجمل المفردة. وفى الكتاب نفسه يقتصر على اكتشاف المكونات المباشرة وصور التوارد (الوقوع المشترك)؛ وفى سنة ١٩٦٠ بحث مفهومه للتحليل التحويلى، الذى ينبغى أن يتغلب على عيوب تحليل المكونات المباشرة. ولذلك سيعالج المبحث الآتى مجالى البحث هذين لدى زليج هاريس.

٦ ـ ٦ ـ ٢ بحوث حول تحليل النص والنظرية التحويلية

فى المقال الشرى «تحليل الخطاب» (١٩٥٣، فى الترجمة الألمانية «تحليل النص» (١٩٧٦)، ويُقْتَبس عن هذه الترجمة) اتخذ هاريس الخطوة من الجملة إلى النص. وقُدِّم لذلك سببان:

١ ـ أدرك هاريس أن وحدة الكلام لا يمكن أن تكون الجملة المفردة، قارن: لا يقع الكلام فى صورة كلمات غير محدودة أو جمل، بل بوصفه نصاً متتابعاً بدءاً من الجملة المكونة من كلمة واحدة حتى العمل المؤلف من عشرة مجلدات، من الحوار الذاتى حتى النقاش فى الساحة النقابية (الاتحادية). وقد أخِذت تراكمات عشوائية من الجمل، فى الواقع دون اكتراث، لاختيار أوجه وصف نحوية [...]. وعلى العكس من ذلك فإن الجمل المتابعة فى نص متوال أرضية خصبة لمناهج علم اللغة الوصفى لأن هذه المناهج تدرس التوزيع النسبى للعناصر داخل امتداد كلامى متوال. (١٩٧٦، ٢٦٣/ ٢٦٤)(*).

(*) نبه مونان إلى أن المعنى عاد هنا ليشغل مكاناً جوهرياً فى تحليل الكلام، يقول: ويتمثل أول مصدر للصعوبات فى كون هاريس لم يحدد أبداً، وبشكل واضح، الفرق بين هذا التحليل للكلام وبين بحوثه التحويلية. ولقد اكتشف، ككل الباحثين أن هناك بنية لغوية واحدة على الأقل تتجاوز حدود الجملة: إنها الضمائر والبدائل بشكل عام... التى ترتبط بفحوى ـ الجمل المحيطة»، ويضيف قائلاً: ويؤدى هذا الأمر إلى جعل «تتابع جمل (الكلام) اصطلاحياً فى جزء منه (من وجهة نظر البناء اللغوى)» (word, vol. 10, p. 157) وفيما تبقى «ليس للجمل بنية توزيعية مستقلة عن المعنى (...)، إذ ليس هناك خارج نطاق الجملة تحديد (لغوى) شكلى لما ننطق به، وتتشابك الجمل بشكل طبيعى على أساس المعنى. إن المعنى هو إذن أحد العناصر التى تحدد الاختيارات التى تقوم بها عندما نتكلم...، ويقول أيضاً: إن الارتباط بين اللغة والمعنى يصبح أكثر اتساعاً عندما ننظر إلى ترابط الكلام «كلام مترابط» (connected discouse). وطالما أنه بالإمكان كشف هذه البنية الشكلية (التوزيعية) فى الكلام، فهى بطريقة أو بأخرى مرتبطة بمعنى ما يقال (علم اللغة... ص١٩١، ١٩٢). (المترجم)

١٥٠ / ٢ ـ أراد هاريس أن يُبقى على مناهج علم اللغة الوصفى إلى أبعد حد مع التوسع إلى النص، إذ يمكنها ضمن ما يمكن أن تستعمل قيود التوزيع لعنصر ما متجاوزةً حد الجملة أيضاً، مثل توزيع مورفيمات الزمن على أفعال جمل متجاورة.

ويوضح الفروضَ الأساسية لنظرة لغوية تصنيفية الاقتباسُ الآتى أيضاً:

لا تعتمد العمليات على معرفة بمعنى المورفيمات أو مقاصد المؤلف. فهى لا تتطلب إلا معرفة حدود المورفيم، متضمنةً حدود الجملة وتنغيم مورفيمى آخر (أو وضع علامات الوقف). (١٩٧٦، ٢٩٧).

وينطلق هاريس كذلك من أنه يمكن بهذه الطريقة أن تجنى معلومة عن نص ما ــ والواقع أنها عن بنيته ــ وأن المرء لا يعرف شيئاً «*عما* يقول نص ما، بل [...] **كيف** يقول شيئاً، أى كيف يكون مخطط تكرار وقوع مورفيماته الأساسية» (١٩٧٦، ٢٦١) ــ وبذلك تتوفر معلومة أيضاً حول الكيفية التى ينبغى بها أن يبنى نص ما.

إن أهم إجراء لتحليل النص هو العثور على ***أوجه التكافؤ*** Äquivalenzen. يكتب هاريس (عن ذلك):

حين نجد فى نص ما التتابع أ م وأ ن فإننا نقول إن م ون متكافئتان أو إن م و ن يردان فى المحيط أ نفسه أو إن م و ن كليهما يظهر محيطاً للعنصر أ ذاته (أو لتتابع من العناصر)، ونكتب م = ن، ثم حين نقابل فى النص التتابعين ب وجـ ن (أو م ب ون جـ)، فإننا نقول إن ب متكافئ (بشكل ثانوى) مع جـ، لأنهما يردان فى كلا المحيطين م ون المتكافئين، ونكتب ب = جـ. (١٩٧٦، ٢٦٨)(*).

(*) لا يخفى على القارئ ثقافة هاريس المنطقية والرياضية، ففى تحليله التوزيعى استخدم رموزاً جبرية شكلية كما وضح فى مواضع كثيرة من عرض أفكاره وطرائقه فى التحليل، بل إن المرحلة اللاحقة تكشف بصورة أكثر جلاء عن تلك الثقافة، التى لا تقل بأية حال عن مستوى ثقافة تشومسكى الرياضية، وقد انتقد هاريس تروبتسكوى، برغم امتداحه فى تقرير شامل كتابه (أسس الفونولوجيا) بسبب استخدامه لتحليلاته الثقافةَ المنطقية القديمة إلى حد ما، وذلك باسم منطق حديث يشير هاريس إلى أن مشكلة الأساسية تكمن فى معرفة مدى فائدته فى علم اللغة، وكيفية تحقيق هذه الفائدة. (المترجم)

وبذلك لا يقول هاريس إن التابعين المعنيين ***لهما المعنى*** ذاته (أو ***يعنيان*** الشيء نفسه)، بل إنهما بالنظر إلى توزيعهما متكافئتان فقط.

وتُجمل العناصر التى لها تكافؤ واحد فى ***فئة تكافؤ*** Äquivalenzklasse. وفى المثال السابق تتبع أ وب وجـ فئة تكافؤ واحدة هي ذاتها.

أما خطوة الإجراء التالية فهى: يُجَزَّأ نص بشكل تام إلى «فواصل Intervalle»، حيث تكون الفاصلة تتابعاً من فئات متكافئة. ويحصل هاريس على ما يأتى:

بالنسبة للنص بأكمله على مجال ذى بعد ثنائى، يمثل المحور الأفقى فيه فئة التكافؤ فى الجمل المفردة، والمحور الرأسى الجمل المتتابعة. ولا يتعلق الأمر فى ذلك بترتيب مجدول لأبنية الجملة (الأسماء والأفعال... إلخ)، بل للورود المخطط لفئات متكافئة عبر النص (١٩٧٦، ٢٧٢).

١٥١ / وفى الواقع يجب على اللغوى أن يتنازل عن أن نصاً ما فى الغالب قابل للتحليل إلى فواصل بشكل غير تام، إذ يمكن أن تقع جمل تحديداً، لا تتضمن الفئات المتكافئة الموصوفة بالنسبة لأجزاء كبيرة من النص؛ تلك (الجمل) تكون على سبيل المثال جملاً ممهدة، إضافة من كم آخر من فئات متكافئة أو ما شابه ذلك. وبغض النظر عن ذلك فإنه يصح بوجه عام أن يكون إجراء تعيين الفئات المتكافئة مهماً لتحليل النص. ويصح فضلاً عن ذلك أن يُسَجَّل: أنه للمرة الأولى ألا يصير ***التوزيع*** فقط، بل ***تتابع*** العناصر، أى ترتيبها فى النص أيضاً مهمين للوصف.

وفى هذا البحث حول تحليل النص أدخل هاريس أيضاً للمرة الأولى بشكل منظم مفهو ***التحويل النحوى***(*)، وذلك إحدى التقنيات الإضافية، التى تستخدم

(*) تمثل هذه المرحلة تحولاً عن كفاءة التحليل التوزيعى إلى وجهة نظر تحويلية، سواء أكان ذلك من خلال تطور فكره الخاص أو من خلال علاقته بشومسكي الذي تتلمذ عليه في الأعوام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤م. ففي مقالة نشرت عام ١٩٥٤ بعنوان (Transformer Grammar) حدد ـ وذلك من خلال الأبحاث المتعلقة بالترجمة الآلية «لتحديد الفروق البنيوية بين اللغة المترجمة واللغة التي يترجم إليها» ـ مفهوم القواعد، بأنها مجموعة التعليمات التي تسمح بتوليد جمل لغة ما ص ٢٠، كما حدد الفكرة المركزية لتحويل الجمل إلى رموز على شكل فئات كلمات، أي تحويل الأبنية اللغوية إلى رموز، أى تمثيل الفئات التوزيعية من خلال رموز جبرية شكلية يمكن معالجتها في الآلة من أجل بناء «قواعد التحويل». (المترجم)

في تهذيب تحليل النص دون أن يحل محله: إذ تحول جمل معينة في النص إلى جمل متكافئة نحوياً. بحيث إنه يصير تطبيق مناهج النص أكثر راحة أو أن يصير قابلاً للتطبيق في أجزاء معينة من النص أو أنه لم يكن قابلاً للتطبيق من قبل. (١٩٧٦، ٢٦٥).

مثال: يحول $N_1 \, V \, N_2$ إلى $N_2 {}^{*}V_1 N$ [٢٠]

بالنسبة لـ : (المدير فَصَلَ جون). - The boss fired John

(جون فُصِلَ من قِبَل المدير)(**) _ John was fired by the boss

وينطلق هاريس من قائمة محددة (نهائية) من تلك المتكافئات الممكنة، فيتبع ذلك على سبيل المثال أيضاً:

N_1و A هي هي $- N \, V \, A \, N_1 = N \, V \, N_1$;

بالنسبة لـ : They read the interdicked books =

(هم يقرأون الكتب الممنوعة)

They read the books ; The books were interdicted.

(هم يقرأون الكتب، الكتب ممنوعة)

$- N_1 \; VN_2 \; PN_3 = N_1 \; VN_2 = N_1 \; VPN$

بالنسبة لـ : I bought it for you = I bought it.

I bought for you.

(اشتريته لك = اشتريته : اشتريت لك).

---

(٢٠) N_1 - فاعل، N_2 = مفعول، V = فعل، V^{*} = صيغة فعل متغيرة إلى صيغة فعل مُنْطَلق، وفضلاً من ذلك في الصياغات الآتية: A = صفة، P - حرف، N_3 - مفعول ثان.

(*) هذه الجملة ــ في الحقيقة ــ ترجمة حرفية وركيكة في العربية، إذ إن البناء للمجهول في العربية يلزم حذف الفاعل (المدير)، ومن ثم لا قيمة للأداة «من قِبل»، وتكون الجملة العربية الصحيحة: فُصِلَ جون. (المترجم)

ـ يمكن أن يحل محل مفعول مزدوج مفعولان منفصلان في فاصلتين، تكرارن الفاعل والفعل.

هنا أيضاً عُيِّنت فئات متكافئة، ولكن لم يعد الآن من خلال مقارنة جملتين في النص نفسه، بل من خلال مقارنة جملة من نص بجمل من خارج هذا النص، أى من نصوص أخرى. ونتيجة لذلك لم تعد المتكافئة هى عناصر جملة ما، بل جمل لغة ما. وبذلك تخلى هاريس عن الفرضية الأساسية المنهجية لعلم اللغة التصنيفي وهى ،، يشير النص إلى بنيته،، ويمكن وفقاً لها أن يجنى كل معلومة ضرورية من النص ذاته.

١٥٢ / وثمة عملان آخران فيما يأتى لهاريس صارا مهمين لتعميق التحليل التحويلى هما: "Co - Occurence and Transformation in Linguistic Structure"(*) (1957) (التوارد «الوقوع المشترك» والتحويل فى البنية اللغوية)، و(1965) " Transformational Theory (النظرية التحويلية). فقد تكونا فى إطار مشروع بحثى في جامعة بنسيلفانيا، اهتم بإمكانات التحويلات فى التحليل اللغوى، وبخاصة في استيعاب المعلومة، وفى الترجمة اللغوية الآلية. وفى سنة ١٩٥٧ بدأ فى هذا الإطار مشروع «التحويلات وتحليل الخطاب» بإشراف هاريس، وشاركه فيه أيضاً لغويون من جامعات أخرى.

(*) ثمة فارق جوهرى بين مفهوم التحويل لدى هاريس ومفهومه لدى تشومسكى، إذ إنه برغم أصالة الاتجاه التحويلى لدى هاريس، وإشارته الواضحة فى عمله الأول Co - occurrence إلى ان طريقته استقرائية، وليست استنتاجية، فإن نزعة هاريس التحويلية لم تكن تتجه نحو تكوين نموذج فرضى استنتاجى عملاق يغطى كل الإنتاج اللغوى، وربما استطعنا القول بأن هاريس قد ظل متمسكاً بحرفية النص، قريباً قدر الإمكان من حقيقة الجمل، فى حين تمثل طريقة تشومسكى الرياضية، فى محاولة إنشاء نظام ثابت يتحقق لاحقاً من صلاحيته فى شرح أبنية لغة ما، أو اللغة بشكل عام.

(المترجم)

وفى المثالين المذكورين آنفاً (١٩٥٧، ١٩٦٥) علل هاريس تضمين تحويلات نحوية من وجهة نظر أخرى أكثر أهمية من الناحية الموضوعية. فبحسب عدتها يمكن التغلب على أوجه قصور تحليل المكونات المباشرة. وقد عد هاريس من ذلك (أى القصور):

ــ مشتركات نحوية لا يستطاع حلها إلى الآن: فتحليل المكونات المباشرة مثلاً غير قادر على إيضاح الاشتراك هنا فى جملة:

Flying planes can be dangerous.

وتعنى: (السفر بالطائرات يمكن أن يكون خطيراً

أو قيادة الطائرات (الطيران) يمكن أن يكون خطيراً)

ذلك هو(الاشتراك) الذى ينشأ عن إمكان أن تكون كلمة flying تابعاً (صفة) أو أن تكون صيغة استمرار ing + form للفعل؛

ــ الجمل المركبة تركيباً معقداً جمل مُطْنِبَة وغير قابلة مطلقاً لأن تحلل إلى مكونات مباشرة؛

ــ توجد علاقات جلية بين جمل مزدوجة تخضع لقيود ثابتة. تلك العلاقات لا يمكن كذلك أن توصف بتحليل وفق المكونات المباشرة.

والفيصل ــ نتيجة لذلك ــ هو السؤال عن طبيعة هذه القيود. إذن ما هى تلك الشروط لأن تكون جملتان تحويلين بعضهما عن بعض؟

١ ــ يجب أن ترد فى كلتا الجملتين ***الحزم*** ذاتها من العناصر. ويصدق ذلك مثلاً على: (يقابلنا) He meets us = N V N

(مقابلته لنا) his meeting us = N's Ving N;

لأنه فى كلتا الجملتين العناصر he - meet - we متضمنة. وهكذا يُسْمَح بتغير شكل الجملة، ولكن ليس المورفيمات؛ وأكثر من ذلك: يجب أن يحافظ على العلاقات النحوية فى جملة ما فى صورتها المحولة.

٢ ــ غير أنه لا يقع تحويل ما مع القيد الأول المُوَفَّى به إلا حين تفي حزم أخرى بهذا التركيب، وتظل علاقات التوارد داخل الحزم دون تغير، ويصدق ذلك على سبيل المثال على:

(i) $N_1 V N_2$; (ii) $N_2 V^* N_1$.

١٥٣ /لدى هاريس هي صيغ تحويل ــ المبني للمعلوم ــ إلى المبني للمجهول: كل حزمة تفي بـ(i)، تفي بـ(ii) أيضاً؛ غير أنه لا يصح في هذه الحال الخاصة العكس، وذلك بأن تفي كل (التراكيب) بـ(ii)[٢١]، وهو ما يعد أمراً عارضاً. إن التحويل في ذاته ولذاته لدى هاريس هو **علاقة متناسقة** symmetrische Relation، وبذلك يمكن عكسها. وقد طالب بقواعد إضافية لأوجه خرق التناسق. ويصدق ذلك أيضاً على تحويلات الاستفهام والنفي التي ضُرِبَت مثالاً على ذلك غالباً، التي تضاف معها عناصر (ضمائر الاستفهام، وأدوات النفي)(*). هنا يجب على هاريس أن يقبل تغييرات المعنى؛ ولذلك يصف الإمكانات على النحو الآتي: توجد

(i) تحويلات يكون فارق المعنى معها صفراً؛ وهي الجمل التي تكون صيغها المحولة من ذاتها، وهكذا لا يُغيِّر منها شيء(**).

---

(٢١) أي ليست كل التراكيب التي فيها by مبنية للمجهول، وأنه توجد أيضاً في الاتجاه العكسي استثناءات ــ فليست كل الجمل المبنية للمعلوم يمكن أن تبنى للمجهول ــ وليس ثمة حاجة لأن يشملها هاريس، إذ توجد في ذلك قيود دلالية.

(*) لقد توصل هاريس بهذه الطريقة إلى نتائج شبيهة جداً بنتائج تشومسكي، فقد أدرك منذ عام ١٩٥١ الترابط البنيوي بين السؤال والجواب وبين المبني للمعلوم والمبني للمجهول... وللأسف الشديد لم تعرض أفكار هاريس بعد ذلك حتى آخر مؤلفاته عرضاً منظماً حتى نتمكن من تحديد مدى تطوير هاريس لأفكاره، ومدى تأثيرها في نظريات تشومسكي التوليدية. (المترجم)

(**) وهكذا نستطيع على نحو آخر أن نبرهن على المبدأين الأساسيين لقواعد هاريس التوليدية:

أ ــ لكي نستطيع إثبات وجود علاقة تحويل بين جملتين، لابد من أن تكون كامل وحدات الموقع A في التركيب 1 «متشابهة تقريباً» مع (أو تقبل التجاور مع) كامل وحدات الموقع B في التركيب 2.

ب ــ إن التحويلة هي الفرق القائم بين تركيبين جبريين يحتويان على العدد نفسه من الوحدات اللغوية: إن جملتين تحتويان على فرق في المعنى من درجة الصفر، تشكل إحداهما تكراراً للأخرى (i)، بينما نجد فرقاً ثابتاً في المعنى بين بنيتين جملتين تكون إحداهما تحويلاً للأخرى (ii)، و(iii). (المترجم)

(ii) تحويلات يكون فارق المعنى معها ضئيلاً، مثل المبنى للمعلوم ـ إلى المبنى للمجهول، وقد عُدّ هذه التحويلات أسلوبية.

(iii) تحويلات يكون فارق المعنى معها كبيراً جداً، وبخاصة تحويل الاستفهام وتحويل النفي.

٣ ـ لدى هاريس لا يمكن أن يُستحدث نتيجة لذلك عن أشكال البداية والأشكال المحولة، أى نتائج تحويل ما[٢٢]. فالأمر يدور حول علاقات بين جمل جاهزة، حول علاقات توزيع مهذبة، على نحو ما وُضّح أعلاه. ونتيجة لذلك يؤلف التحليل التحويلى جملاً لها مسلك تحويلى واحد فى فئات.

٤ ـ التحويلات لدى هاريس ليست عملاً منظماً للقواعد، لأنه ليس من المجدى أن تعين بين علاقات من هذا النوع علاقات تتابع.

باختصار: التحويل النحوى هو علاقة متناسقة، تنشأ بين تركيبين، حين يمكن أن تُملأ مواقع متناظرة فى التركيبين بـ *الحزمة* ـ ن ذاتها من التعبيرات.

إذا وقع تركيبان أو أكثر (أو تتابعات من التراكيب/ تحتوى على الفئات ن ذاتها (مهما يكن من احتمال احتوائها على غير ذلك) مع *الحزمة* ـن ذاتها من عدد من هذه الفئات فى محيط الجملة ذاته [...]، فإننا نقول إن التراكيب هى أشكال محولة (تحويلات) بعضها عن بعض، وإن ذلك البعض ربما اشتق من أى بعض آخر منها عن طريق تحويل خاص. (١٩٧٠، ٣٨٤).

/ ويذكر هاريس المقارنة اللغوية والترجمة اللغوية [الآلية] مجالى تطبيق ممكنين للوسيلة النحوية «التحويل»[*]. ١٥٤

---

(٢٢) حين تُناقش فى الفصل الثامن الفروق فى استعمالات تحويلات نحوية لدى هاريس وتشومسكى يُبيّن أن مفهوماً عملياً للتحويل يظهر بلا شك فى أعمال ز. هاريس المتأخرة أيضاً.

(*) مما تجدر ملاحظته أن القضايا التى طرحتها الترجمة الآلية أدت دوراً محورياً فى تطوير أفكار هاريس ومحاولة معالجة اللغة معالجة رياضية منطقية شكلية، يمكن تعامل الآلة معها. غير أن الغموض الذى سببته تراكيب معينة أجبر على اللجوء إلى المعنى والفحوى والموقف لإزالة عوائق أمام التحليل التوزيعى والترجمة الآلية، ولكن ظلت الاستعانة به فى قدر محدود للغاية. ويمكن فى رأيى أن يستخلص من عبارة هاريس: إن اللغات تبدو أكثر تشابهاً فى الجملة النواة أكثر منها فى الجملة المحققة بعد التحويل، توجه واضح نحو السعى إلى الكشف عما أطلق عليه تشومسكى فيما بعد «الكليات». (المترجم)

وقد مهد هاريس من خلال توسيعه للوصف إلى النصوص من جهة، واستكماله المناهج بمجموعة وسائل التحويلات النحوية الطريقَ لفهم جديد للنحو، وجد دعائمه المهمة نظرياً في النحو التوليدى، في نماذج ناعوم تشومسكى؛ وفي الفصل الثامن تُقَدَّم نظرة عامة حول تطور هذه النماذج.

٦ـ٧ الموضع الصحيح لعلم اللغة الوصفي في علم لغة القرن العشرين

يمكن أن يميز علم اللغة الوصفي أيضاً، أي علم اللغة البنيوى في الولايات المتحدة الأمريكية، بعلاقته باتجاهات أخرى في علم لغة القرن العشرين من جهة وبخواص بارزة. وسوف يُتابع الفصل السابع وجهة النظر الأولى. أما الثانية فتُلَخَّص في هذا الموضع.

يؤدى علم اللغة الوصفي في تاريخ نظريات علم اللغة في هذا القرن دوراً مهماً على الرغم من أنه هو نفسه لم يزعم أنه يطور نظريات، فقد قام النحو التوليدى على أساسه، وطور ناعوم تشومسكى نماذجه الأولى بعلاقة مباشرة ببحوث الوصفيين. ومن ثم ما الخصائص البارزة لعلم اللغة الوصفي في الولايات المتحدة الأمريكية؟

١ ــ مع أنه يعد كذلك مدرسة من المدارس الكلاسيكية في علم اللغة البنيوى، إذ عالج اللغة في إطار فهم دى سوسير لها على أنها نظام بنائى، وأقر للوصفية (التزامنية) عند الوصف بالأولية، فإنه يطور خصوصيات مميزة ــ ليس لبعده الجغرافى عن أوربا فحسب. وقد وُجِدَت دوافع لذلك، وبخاصة بحث اللغات غير المكتوبة وغير المدروسة، وهى لغات هنود أمريكا الشمالية. وظل ذلك القرب المكتسب من الواقع العملي محافظاً عليه أيضاً، حين أدخلت الانجليزية

ولغات هندوأوربية أخرى في البحث. ويتجلى ذلك على سبيل المثال في جهود واضحة حول فعالية درس اللغات الأجنبية(٢٣).

/ ٢ ــ درس الوصفيون (المادة اللغوية) درساً استكشافياً، أي أنهم صمموا برنامجاً للتحليل، مخططاً من عمليات، طُبِّق على المواد اللغوية، ويفضي إلى الكشف عن نحو أية لغة. فعلى البحث اللغوي وفقاً لذلك أن يُجْرَى بوصفه اتباعاً لإجراءات معينة، تعد مستقلة عن أية لغة محددة، ويُميِّزا وصفها للبنية آلياً إلى كل لغة معطاة. إن الحقيقة الوحيدة هي النص(٢٤)(*). وتُجْنَى كل معلومة منه وحده. ومع ذلك فإنه لا يعرف المرء من النص شيئاً عن معاني المفردات، وتاريخ اللغة، والعلاقة الجينية بلغات أخرى والمقارنة اللغوية، وأشياء أخرى أكثر من ذلك، . . . ولذلك أيضاً لم تكن تلك الموضوعات من برنامج بحث الوصفيين. ففي النص لا توجد إلا عناصره التي يمكن بحث توزيعها. انظر حول ذلك ما يرد تحت ٤ فيما يأتي. ١٥٥

٣ ــ افْتُرِضَ بناءٌ صارم للمستويات، من أدنى إلى أعلى: الفونولوجيا ــ المورفولوجيا ــ النحو. وتُبْنَى وحدات كل مستوى أعلى كاملةً من وحدات المستوى الأدنى لها مباشرةً: فالمورفيمات تتابعات من الفونيمات (٢٥)، والتراكيب تتابعات

---

(٢٣) توجد في مؤلفات كثيرة إشارة إلى أن متطلبات الاتصال التي حتمتها الحرب كانت لها صلة (وثيقة) بذلك وأنه بسببها تدفقت أموال أيضاً في البحث اللغوي، وفي الواقع اشتغل لغويو الولايات المتحدة الأوائل بذلك.

(٢٤) قارن شعارها «. النص يشير إلى بنيته» . .

(*) لم يختلف موقف هاريس عن موقف أستاذه بلومفيلد قدر أنملة، انظر مثلاً تصوره لحقيقة «البنية اللغوية»، فقد رأى، كما رأى أستاذه من قبل أن حقيقة «البنية اللغوية» للنظام «تتمثل فقط في التنظيم العلمي» أي في العرض المناسب لما يعرفه اللغوي أو لما يعتقد أنه يعرفه عن الكلام. وفي مرحلة لاحقة يجيب عن تساؤل عن حقيقة تلك البنية أهي من إبداع رياضي؟ يجيب بنعم طالما أنها (أي حقيقة البنية) تعبر عن الكثير من الوقائع اللغوية من خلال عدد قليل من القضايا الثابتة، وليس من خلال بنى توزيعية، يحتمل وجودها في ذهن المتكلم. غير أنه يقبل «بوجود بنى»، يكتشفها الملاحظ لدى المتكلم على أساس أنها نظام مواز من العادات والإيقاع اللغوي. (المترجم)

(٢٥) الوحدات إذا نظر إليها نظرة دقيقة، حيث يُنْطَلَق من النص المحدد هي البدائل الصرفية (= متغيرات مورفيمية)، والبدائل الصوتية (= متغيرات فونيمية).

من المورفيمات. ويجب على اللغـوى أن يبدأ على المستوى الأدنى، وأن يحلل كل مستـوى مفرد تحليلاً وافيـاً. وبذلك لا يُنْتَهى إلى تفسيراتٍ خـاطئة، وكان المطلب الرئيسى للوصفـيين هو المطلب المؤدى إلى موضوعية الوصف اللغـوى. ــ غير أنه فى الحقيقة قد أُجْرِىَ البحث بشكل تقريبى.

٤ ــ الوحدات اللغوية بالنسبة لعلم اللغة الـوصفى فئات من وحدات نصية متكافئة توزيعيـاً. ولذلك وقع التوزيع فى قلب الوصف. وتوزيع عنصر ما هو كم (مقدار) كل المحيطات (السياقية) الممكنة، التى يمكن أن يظهر فيها هذا العنصر.

وقد فُرِّقَ بين ثلاثة أنواعه من التوزيع:

ــ توزيع تكاملى؛ ويفضى إلـى الكشف عن البدائل [الوحدة صوتيـة واحدة أو فونيـم واحد]، وفى الاصطلاح الوصـفى هى الوحدات البـادئة بالمقطع بـAllo «بديل» (بديل صوتى «ألوفون» ، وبديل صرفى «ألوموف»).

ــ توزيع تقـابلى؛ ويفضـى إلى الكشف عن الوحدات ذاتهـا(*). [أى بين وحدتين صوتيتين مستقلتين].

ــ ائتلاف حر؛ ويفضى إلى الكشف عن البدائل الحرة.

تلك هى الفروق المعـروفة عن علم اللغة الأوربى أيضاً وبخـاصة عن حلقة براغ.

/الآن يتطلب وصف وافٍ من وجهة نظر وصفية إجراءً تدريجياً بحيث: ١٥٦

(أ) تُحَدَّد الوحدات الأساسية (النهائية) على كل المستويات و(= التجزئ)، و

(ب) تُخْتَصر الوحدات التى حددت فى فئات (= التصنيف)،

(*) يُسَمَّى التوزيع تقابليـاً إذا وقعت وحدة صوتية ما فى المحيط ذاته الذى تقع فيـه وحدة صوتية أخرى بشكل كلى أو جزئى، ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من التوزيع التقابلى:

١ ــ التوزيع المطابق "identical distribution"

٢ ــ التوزيع المعادل "equipollent distribution"

٣ ــ التوزيع الناقص "defective distirbution" (المترجم)

(جـ) تُصَاغ قواعد ائتلاف الفئات (= علاقات سيتجماتية)،

أي قواعد مورفولوجية ونحوية ـ ويطلق في الاصطلاح الوصفي على المستويات المُنْجَزة: دراسة تتابع الوحدات الصوتية "Phonotaktik" ودراسة تتابع الوحدات الصرفية "Morphotaktik" أيضاً[٢٦](*).

في هذا الوصف لم يكن المعنى المحدد ـ على النقيض من المعنى التوزيعي ـ والشكل الصوتي المعين من البنية اللغوية، ولذلك لم يُعَد علم اللغة الوصفي علمَ الأصوات وعلم الدلالة من علم اللغة أيضاً بمفهوم أضيق له.

وقد استخدمت بالنسبة للخطوات من (أ) إلى (جـ) التقنيات الآتية:

بالنسبة لـ (أ) : التجزيء، ومن بين ذلك عن طريق أوجه الاستفهام من مساعدي البحث والتحليل التوزيعي.

وبالنسبة لـ (ب): الاستبدال، أي تبادل بين وحدات ذات توزيع مماثل؛ هذا محل ذاك، واختبار النتائج على أساس مشروعية لغوية (شكلية).

وبالنسبة لـ (جـ): التحليل وفق المكونات المباشرة، أي ICs.

ومن هذه الوسائل أدرج كل شيء تقريباً في علم لغة القرن العشرين: ***فالاستبدال والتحليل التوزيعي*** من أدوات كل لغوي يبحث بشكل عملي، ولا محيد عنهما في الدرس الميداني اللغوي. فقد اندمج ***تحليل المكونات المباشرة***

---

(٢٦) قدمت المصطلحات التي تشير إلى النظام المفهومي المتوافق مع نظام دي سوسير، بين أقواس.

(*) يطبق التوزيعيون المنهج الذي اتبع في مستوى الفونولوجيا، على المستوى الأعلى (مستوى المورفولوجيا، وأخيراً مستوى النحو)، وكما رأينا حدد هاريس الوحدة الصرفية تحديداً توزيعياً، فهي تتابع من الفونيمات التي تظهر توزيعاً مميزاً محدداً، مخالفاً بلومفيلد الذي حددها بأنها مجموع من السمات الدلالية (السيميمات)، والمدارس اللغوية الأوربية وبخاصة مدرسة براغ التي أفسحت للمعنى في التعريف مكاناً، فغلب تحديد الوحدة الصرفية بأنها أصغر الوحدات الورفية الحاملة للمعنى. (المترجم)

أمر الأمر في النحو التوليدي، واعتني به فيه بمفهوم جدلي[٢٧]، باعتباره يشكل أساس بنية المركبات في النحو التوليدي(*). والحقّ أنه قد جاء من طرف التوليديين نقد شديد إلى عيوب علم اللغة الوصفي الموجودة به بكثرة ولكن (قارن الفصل الثامن)، بل ربما كان تطور النحو التوليدي بدون البحث الممهد للوصفيين غير ممكن أو ربما سار في مسارات أخرى كلية.

٦ ـ ٨ بيانات المراجع:

E. Bense, P. Eisenberg, H. Haberland (Hrsg., 1976): Beschreibungsmethoden des amerikanischen Strukturalismus. München.

L. Bloomfield (1914): An Introduction to the Study of Language.

L. Bloomfield (1923/24): Rezension zu: F. de Saussure, Cours de linguistique générale, Paris ²1922. In: Modern Language Journal 8 (Wiederabdruck in Hockett 1970).

L. Bloomfield (1926): A Set of Postulates for the Science of Language. In: Language II (deutsch: Eine Grundlegung der Sprachwissenschaft in Definitionen und Annahmen. In: E. Bense et al. 1976).

L. Bloomfield (1933): Language. New York/London.

L. Bloomfield (1936): Languages or Ideas? In: Language XI/2.

L. Bloomfield (1939): Menomini morphophonemics. In: Travaux du Circle Linguistique de Prague 8.

F. Boas (1911/22): Handbook of American Indian Languages, v. I 1911, vol. II 1922. Washington.

---

(٢٧) أي أبقى عليه، وأنكر، وارتقى به إلى درجة أعلى.

(*) لا أوافق المؤلفة كلية على هذا الكلام لأن تشومسكي قد عدّل مقولة المكونات المباشرة كما سترى بعد قليل تعديلاً جوهرياً متجاوزاً تعديل هاريس نفسه، كما أنه تجاوز مفهوم التوزيع لدى هاريس وإن تأثر به بغير شك. أما مقولة الاستبدال فمقولة كانت موجودة في النحو التقليدي أصلاً سواء أقر بذلك التوزيعيون أم لم يقروا، ولكنهم أضافوا إليها تحديداً واضحاً، وأدرجت في منظومة تضم عدداً من العمليات إلى جانب الاستبدال. ولكن ما صبت مباشرة في المراحل الأولى من نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية، فهي مفاهيم هاريس المتطورة وبخاصة التحويل والتوليد. ومن حقنا أن نتوقف عند عبارات لهاريس مثل: إن بنية لغة ما تتمثل في مجموعة جملها النواة، إضافة إلى مجموعة التحويلات، ومثل: إن اللغات تبدو أكثر تشابهاً في الجملة النواة أكثر منها في الجملة المحققة بعد التحويل، وقوله: إن التمييز بين الصحيح والخطأ في توليد الجمل انطلاقاً من الجمل ـ النواة ـ يتمثل في اللجوء إلى المخبر صاحب اللغة... إلى آخره، ونتساءل ماذا فعل تشومسكي بهذه المفاهيم والتصورات؟! (المترجم)

H. A. Gleason (1955, [2]1961): An Introduction to Descriptive Linguistics. New York.

Z. S. Harris (1945): Discontinuous Morphemes. In: Language XXI/2 (Wiederabdruck in Harris 1970).

Z. S. Harris (1946): From Morpheme to Utterance. In: Language XXII/3 (deutsch: Vom Morphem zur Äußerung. In: E. Bense et al. 1976).

Z. S. Harris (1951): Methods in Structural Linguistics. (Neuauflage 1960 unter dem Titel „Structural Linguistics").Chicago.

Z. S. Harris (1952): Discourse Analysis. In: Language XXVIII/1 (deutsch: Textanalyse. In: E. Bense et al. 1976).

Z. S. Harris (1954): Distributional Structure. In: Word 10/2-3 (Wiederabdruck in Harris 1970).

Z. S. Harris (1957): Co-Occurence and Transformation in Linguistic Structure. In: Language XXXIII/3 (Wiederabdruck in Harris 1970 und Plötz 1972).

Z. S. Harris (1965): Transformational Theory. In: Language XLI/3 (Wiederabdruck in Harris 1970 und Plötz 1972).

Z. S. Harris (1970): Papers in Structural and Transformational Linguistics. Dordrecht.

Z. S. Harris (1972): s. u. S. Plötz 1972.

Z. S. Harris (1991): A Theory of Language and Information: A mathematical approach. Oxford & New York.

Ch. Hockett (1958): A Course on Modern Linguistics. New York.

Ch. Hockett (1967): Language, Mathematics and Linguistics. Mouton.

Ch. Hockett (1968): The State of the Art. Mouton.

Ch. Hockett (Hrsg., 1970): A L. Bloomfield Anthology. Bloomington/London.

H. Hoijer (1954): The Sapir-Whorf-Hypothesis. In: Language in Culture. Chicago.

M. Joos (Hrsg., 1957, [4]1966): Readings in Linguistics I. The Development of Descriptive Linguistics in America since 1925. Chicago/London.

E. F. Koerner (1993): Zellig Sabbettai Harris: A comprehensive bibliography of his writings, 1932-1991. In: Historiographia Linguistica XX/2-3.

E. F. K. Koerner (Hrsg., 1984): Edward Sapir, appraisals of his life and work, edited with an introduction by Konrad Koerner. Amsterdam.

R. Longacre (1960): String Constituent Analysis. In: Language XXXVI/1.

B. E. Nevin (1993): A Minimalist Program for Linguistics: The work of Zellig Harris on meaning and information. In: Historiographia Linguistica XX/2-3.

S. Plötz (Hrsg., 1972): Transformationelle Analyse: Die Transformationstheorie von Zellig Harris und ihre Entwicklung. Frankfurt/M.

E. Sapir (1921): Language. New York (deutsch 1961: Die Sprache. Eine Einführung in das Wesen der Sprache. Hrsg. und Übers. von P. Hamburger. München).

E. Sapir (1990 ff.): The collected works (ed. board; editor-in-chief Philip Sapir). Berlin/New York.

O. Szemerényi (1971): Richtungen der modernen Sprachwissenschaft, Teil I: Von Saussure bis Bloomfield 1916-1950. Heidelberg.

J. B. Watson (1913): Psychology as the Behaviorist Views it. In: Psychological Review 20.

J. B. Watson (1968, [2]1976): Der Behaviorismus. Ergänzt durch den Aufsatz „Psychologie, wie sie der Behaviorist sieht". Mit Verzeichnis der Schriften Watsons zum Behaviorismus. Hrsg. und Vorwort von C. F. Grammann. Frankfurt/M.

A. P. Weiss (1924, [2]1929): A Theoretical Basis of Human Behavior. Columbus/Ohio.

A. P. Weiss (1925): Linguistics and Psychology. In: Language I/1.

R. S. Wells (1947): Immediate Constituents. In: Language XXIII (deutsch: Unmittelbare Konstituenten. In: E. Bense et al. 1976).

B. L. Whorf (1956): Language, Thought and Reality. Cambridge/Mass. (deutsch 1965: Sprache, Denken, Wirklichkeit. Beiträge zur Metalinguistik und Sprachphilosophie. Hrsg. und Übers. von P. Krausser. Hamburg).

الفصل السابع

المدارس الكلاسيكية في علم اللغة البنيوي

أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف

موجــز

/ من المفيد بعد العروض المفردة في الفصول: الرابع والخامس والسادس، وقبل الخطوة المهمة من ناحية تاريخ العلم إلى النحو التوليدي أن يُضاف موجز، نُطْرَح فيه من خلال رؤية جامعة مقتضبة أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين اتجاهات علم اللغة البنيوي. وينبغي أن يقع هذا في صورة فرضيات من خلال مباحث مسلسلة حول المواقع النظرية والمنهجية للمدارس المعالجة إلى الآن. 159

١ ـ الخلفية العلمية النظرية

اللغة بالنسبة لجميع الاتجاهات الثلاث ـ حلقة لغويي براغ، والجلوسماتية وعلم اللغة الوصفي ـ نظام بنيوي(*)، أي كل تترابط فيه الأجزاء بشكل غير مستقل. والأجزاء هي الوحدات اللغوية، ويعني الربط غير المستقل أنها قد وضعت في سياق بنيوي، وتشغل موقعاً ثابتاً في النظام. ويضاف إلى ذلك التركيز الجلي على علاقات تزامنية. تلك هي التصورات التي تُرْبَط بوجه عام بنظرية فرديناند دي سوسير اللغوية، وعلى الرغم من أنه ربما كانت معالجة أكثر تنوعاً بمعنى صارم أمراً ضرورياً فإنه ينبغي لذلك أن ينطلق في هذه النظرة العامة من أن الاتجاهات الثلاث المذكورة آنفاً، التي

(*) ذهب بعض الباحثين إلى أن نظرية دي سوسير البنيوية لم تكن جديدة كل الجدة، ومن ثم يلتمسون لإثبات ذلك تأثير الدراسات اللغوية القديمة، وكذلك بعض أفكار هيجل وجابلنتس وهومبولت، وبخاصة الكل الذي تترابط فيه الأجزاء، والشكل الداخلي للغة، والطبيعة الذاتية لها تمييزاً لها عن الكلام أو النشاط الفردي. غير أن فضل دي سوسير يتمثل دون شك في صياغة تلك النظرية في بناء منظم متماسك، إذ إنه نظر إلى جوهر اللغة على أنه الصلات المتبادلة بين العناصر المكونة لها الفونيمية والمورفيمية والنحوية والمعجمية، وأن كل لغة تشكل نظاماً، وأنه مجموعة دقيقة الترتيب كل شيء متماسك داخلها . . . إلى آخر هذه الأفكار الرائدة التي لا يتسع المقام لتفصيلها. (المترجم)

توصف أيضاً «المدارس الكلاسيكية في علم اللغة البنيوي» عدت نظرية دي سوسير اللغوية أساساً لغوياً لها. حدث ذلك بوضوح بدرجة أكثر أو أقل:

فقد التزم لويس هيلمسليف بها التزاماً مباشراً للغاية، وهو الذي أشار في بحوثه مراراً إلى قربه النظري من ف. دي سوسير.

وارتبط لغويو حلقة براغ بدي سوسير بطرق عدة؛ فقد طور مؤسس الحلقة ڤيلم ماتسيوس آراءه، وبخاصة حول المعالجة التزامنية للوقائع اللغوية قبل نشر «دروس في الألسنية العامة» لدى سوسير، ومع ذلك فسرعان ما أيد ذلك الأخير بعد ذلك بوقت قصير. ويضاف إلى ذلك أن سيرجي كرسيفسكي قد عرف أفكار دي سوسير وقت إقامته في جنيف، واستطاع أن يثير اهتماماً بها لدى نيكولاي س. تروبتسكوي ورومان ياكوبسون اللذين قد شكلت دروس بودوين (دي كورتيني) لديهما حساً مرهفاً.

١٦٠ / ونادراً ما يستشعر التأثير المباشر لدى سوسير في علم اللغة الوصفي في الولايات المتحدة الأمريكية.. ومع ذلك فقد أقام ليونارد بلومفيلد من خلال مراجعته لكتاب «الدروس» وصلاته بعلم اللغة الأوربي جسراً(*)، وإن لم يكن من المستطاع تجاهل التطور المتميز في علم لغة الولايات المتحدة الأمريكية. إجمالاً يسري على هذه مثلما يسري على كلتا المدرستين الأخريين الفرض الأساسي بأن اللغة نظام بنيوي.

(*) كان اهتمام بلومفيلد بتعميق الفروق بين نظريته والنظريات الأخرى وراء موقفه من علم اللغة الأوربي، ولم يحل ذلك دون إبداء إعجابه ببعض أفكار دي سوسير، بل إنه يدين له ببعض أفكاره. ففي تقرير له عن الطبعة الثانية لكتاب دي سوسير "Cours..." سنة ١٩٢٢ أشاد فيه بالتمييز الدقيق للغاية الذي أقامه دي سوسير بين الدراسة الوصفية (التزامنية) والدراسة التاريخية (التعاقبية)، وأكد كذلك أن قيمة كتاب دي سوسير تكمن في الوصف الواضح والدقيق للمبادئ الأساسية في علم اللغة العام، وأن القضية الجوهرية تتمثل في أنه كان أول من رسم هنا خارطة عالم لا تحتل فيه القواعد التاريخية للغة الهندوأوربية سوى مقاطعة بسيطة. (مونان، علم اللغة ص ١٢٤). (المترجم)

وتتبين الفروق الواضحة في النقاط المناقشة فيما يأتي من اثنين إلى عشرة، مُعلَّلة ضمن ما تحلل من خلال صلات متباينة بنظريات علمية غير لغوية:

فقد أحس هيلمسليف إحساساً قوياً للغاية بالوضعية المنطقية في شكل حلقة فينا (قارن حول ذلك الفصل الخامس ٥ ــ ٢). واعتمدت حلقة لغويي براغ وعلم اللغة الوصفي على علم النفس، بل وعلى اتجاهات متباينة. فقد وجد البراغيون في علم نفس الجشتالت علماً يوجه كذلك فكر نظامي Systemdenken، استطاعوا أن يستخلصوا منه تدليلاً على آرائهم (قارن حول ذلك ما سبق ٤ ــ ٢). وبالنسبة لبلومفيلد فقد صورت معرفته بعلم النفس السلوكي جزءاً من سيرته العلمية وقطيعة مؤقتة مع التراث الأوربي (قارن حول ذلك ما سبق ٦ ــ ٢).

٢ ـ موضوع علم اللغة

كان هدف دي سوسير الموضح أن يُعِد علم اللغة بوصفه علماً، وأن يَحُدَّه عن علوم أخرى بتحديد موضوعه ومناهجه الخاصة. وكانت تلك وقتَ إنشاء «الدروس» مهمة مشروعة لأن الفلسفة أو علم النفس كان يدعى كلاهما باستمرار حقوقاً في علم اللغة، ويمكن أيضاً أن يُذْكَر بوصفه حالة خاصة جهدُ أَوْجُسْت شلايشر لتقريب علم اللغة من علوم الطبيعة (قارن ما سبق ١ ــ ٢). وحدد دي سوسير موضوع علم اللغة الذي لا يصلح إلا له بداهةً، بأنه ***اللغة*** La langue، أي النظام اللغوي. أما ***الكلام*** La parole، الكلام المحدد فقد استبعده موضوعاً له، لأنه حسب رأيه فردي، وعارض، ودون نظام دخلي(*).

وقد نوقشت إشكالية إبعاد ***الكلام*** في ٣ ــ ٤ ــ ١

(*) فرق دي سوسير كما أشير في مواضع مختلفة من معالجته بين اللغة والكلام تفريقاً واضحاً، فاللغة المعينة بمعنى اللسان ليست سوى نظام مختزن في ذهن كل فرد من أفراد الجماعة اللغوية بخلاف الكلام الذي هو نشاط فعلي الفرد المحدد، ومن ثم يتجلى الفصل بين موضوعية الظاهرة الاجتماعية (اللغة)، وبين ذاتية النشاط الفردي (الكلام). اللغة إذن اجتماعية، حتمية، والكلام فردي، عارض أو اختيار. وينتهي من ذلك إلى أن اللغة تصير بذلك موضوعاً للدراسة العلمية، أما الكلام الخاص أو الفردي والعارض أو الاختيار فيصعب أن يدرس دراسة علمية. (المترجم)

الآن ما القرار الذي اتخذته المدارس البنيوية الثلاث فيما يتعلق بموضوع علم اللغة؟

لم تتبع حلقة براغ ذلك الفرضَ لدى سوسير. فقد احتيج وأجيز أن تكون وقائع ـ **الكلام** موضوعاً للبحث سواء في بحوثهما حول اللغة الشعرية والبحث اللهجي ومعيارية لغة الكتابة أو على سبيل المثال أيضاً حول صلات الفونولوجيا بعلم الأصوات(*).

١٦١ /أما بالنسبة للجلوسماتية فلم يكن موضوع علم اللغة على العكس مما سبق صراحة إلا النظام اللغوي، ***اللغة***، ولا يجيز علو التجريد في هذا الاتجاه مراعاة وقائع كلامية معينة.

أما علم اللغة الوصفي فيعرف فصلاً بين مطلب نظري وإجراء تجريبي. ويزعم الشعار «النص يشير إلى بنيته» أنه لا يجوز أن تدرس سوى وقائع كلامية معينة، بل لا تُصنف في البحث اللغوي العملي إلا الوحدات الموجودة في النص، وفي ذلك تنجز وحدات مجردة، هي وحدات النظام اللغوي.

٣ ـ الهدف: نظرية أم منهج؟

تتجلى فروق واضحة بين المدارس الثلاث بالنظر إلى هذا التساؤل وكذلك الرأي الفصل المرتبط بذلك حول نظرية البحث اللغوية وتطبيقه.

(*) طبق تروبتسكوي وفونولوجيو مدرسة براغ نظرية دي سوسير في تطوير مفهوم الفونيم، فأصوات الكلام تنتمي إلى الكلام parole، أما الفونيم فينتمي إلى اللغة Langue، وفي دراسة اللغات بوصفها أنظمة من العناصر المترابطة داخلياً، فإن علماء براغ لم يعاملوا الفونيم بوصفه مجرد طائفة من الأصوات أو بوصفه أداة للوصف، ولكن بوصفه وحدة فونولوجية مركبة تتحقق عن طريق أصوات الكلام. وعلاقة التحقق (التمثيل أو الإنجاز) بين الوحدات على مستوى معين، وبين الوحدات على مستوى آخر علاقة جوهرية في نظرية براغ، وكل فونيم يتكون من عدد من الملامح المميزة أو «وثيقة الصلة» المستقلة التي تميزه وحدها بوصفه كياناً لغوياً، وكل ملمح مميز يقف في تقابل محدد مع غيابه أو مع ملمح آخر في فونيم واحد آخر على الأقل في اللغة. (روبنز، تاريخ علم اللغة ص ٣٢٥). (المترجم)

لم تستبعد حلقة لغويي براغ أي هدف من هذه الأهداف. فقد أنجزت إسهاماً ملحوظاً في تطوير النظرية في كل مجالات علم اللغة، وأنعم المرء التفكير في الفونولوجيا بوجه خاص بوصفها علماً لأنظمة الفونيمات، بل على وجه الخصوص أيضاً في المدخل النظري وهو إمكان الإفادة من نتائج على مستوى من مستويات النظام بشكل منهجي في مستويات أخرى. وتبعاً لذلك أيضاً فقد طُوِّرت في حلقة براغ مناهج مميزة في الوصف اللغوي، وأمثلة ذلك اكتشاف الفونيمات وتوزيعها من خلال السمات الفارقة/ المميزة. ولم يكن البحث اللغوي بالنسبة للبراغيين هدفاً لذاته، بل وجَّهته حاجات عملية سواء لعلم اللغة نفسه: في صورة أوجه وصف لنحو لغات مفردة (قارن الأنظمة الفونيمية اليابانية [موضحة من خلال رسوم أو أشكال بيانية] لتروبتسكوي، ووصف ياكوبسون للفصائل النحوية وبخاصة للغة الروسية)، أو للجماعة اللغوية ـــ ومن المعروف الدور الرائد للغويي براغ في معيارية (وضع معايير) لغة الكتابة، وفي تحسين تدريس اللغة في المدارس الثانوية.

أما الجلوسماتية فقد اتخذت مهمة نظرية محض، فكان هدفها تطوير نظرية لغوية(*)، بل في حقيقة الأمر نظرية في العلم، ولم تشتمل أفكارها على حاجات عملية، وأشد من ذلك: كانت النظرية بالتحديد مستقلة عن إمكان تطبيقها العملي، وكان عليها أن تكون متماسكة في ذاتها فحسب. وكانت مناهج البحث اللغوي أيضاً على سبيل المثال المعالجة التناظرية (القياسية) لمستوى التعبير ومستوى المحتوى خاضعة لتطوير النظرية. وهكذا تكونت نظرية بالغة التجريد، نادراً ما مثلت بمواد لغوية حقيقية.

(*) إن أهم ما تتميز به النظرية الجلوسماتية هو تأكيدها القاطع استقلال التحليل اللغوي عن المجالات الأخرى غير اللغوية؛ ومن ثم فإن تركيب اللغة لا يتحدد من معطيات خارج مجال اللغة أو يقوم على أسس بعيدة عن الظواهر اللغوية. وكذلك تأكيدها المميز أن اللغة مرتبطة دائماً باستعمالها، حيث تعد هذه النظرية الإنسان المتكلم منتج النص اللغوي في كل حال، فهو ليس إذن مرتبطاً باللغة مرة واحدة في أثناء النطق كما تذهب مدرسة براغ إلى ذلك.

(المترجم)

وعلى العكس من ذلك وجه علم اللغة الوصفي عنايته الأساسية شطر تعميق مناهج في البحث اللغوي، فقد بحث بنهج استكشافي، **وصَف** اللغة أو ــ بمعنى أدق ــ قدم إرشادات لوصف اللغة.

١٦٢ / ولم يزعم أنه يسهم في تطوير نظرية في علم اللغة (قارن ضمن ما تقارن ما ورد تحت ٦ ــ ٦ ــ ١). وقد حددت الحاجات العملية نشأة علم اللغة الوصفي ووضعه لهدفه بقدر حاسم، وذُكِر في الفصل السادس ٦ ــ ١ قبل كل شيء بحث اللغات الهندية في شمال أمريكا، وفيما بعد تدريس اللغات (ــ الأجنبية).

٤ ـ المطالب الرئيسية من البحث اللغوي

يمكن هنا أيضاً أن نُتَعرف بعض فروق:

لم يَصُغ لغويو براغ أية مطالب صريحة من البحث اللغوي، فقد كان المهم إجمالاً بالنسبة لهم أن علم اللغة يجب أن يكون قادراً على وصف ***اللغة وصفاً مناسباً*** angemessen.

أما الجلوسماتية فقد حدت ***الوضوح الشكلي*** مطلباً أساسياً لها. وكان المسار الموجه لذلك «مبدأ التجريب» ومطالبه بعدم التناقض والوصف المستوفى والبساطة التي صاغها هيلمسليف استناداً إلى الوضعيين الجدد في حلقة فيينا (قارن حول ذلك ٥ ــ ٣ ــ ٣)(*).

وكان المطلب الرئيسي من البحث اللغوي بالنسبة لعلم اللغة الوصفي هو المطالبة ***بموضوعية*** Objektivität الوصف اللغوي(**) وينبغي أن يُتَوصل إلى

(*) أراد هيلمسليف من نظريته تأسيس نظرية علمية لوصف اللغات؛ نظرية قائمة على مقدمات منهجية، ولا يمكنه تحقيق ذلك من وجهة نظره إلا من خلال إقامة نظريته اللغوية على طريقة علماء المنطق وبخاصة كارناب وفريجه، الذين أعجب بآرائهم أيما إعجاب. ولذا اعتمد المبدأ التجريبي الذي اختصه بتعريف خاص، كما هي العادة مع المبادىء والتعريفات الأساسية التي استعملها، على معايير عدم التناقض والشمولية والبساطة التي نجدها في أساس كل الصياغات المنطقية الرياضية منذ فريجه. (المترجم)

(**) كثيراً ما يرادف مبدأ الموضوعية مبدأ الاستقلالية. (المترجم)

الموضوعية بالتخلى عن علاقات إدراكية عند الوصف، أى من خلال «الآنية» التى تدرك على أنها اتجاه وضعى. ومن ذلك أيضاً إزاحة الحدس والملاحظة التى ألحقت بسؤال مساعدى البحث، كما وُضّح فى ٦ ــ ٣ و٦ ــ ٦ ــ ١.

٥ ـ التزامنية: التعاقبية

طالب ف. دى سوسير كرد فعل لعلم اللغة التاريخى ــ المقارن الموجه توجيهاً تعاقبياً صارماً فى القرن التاسع عشر، بمراعاة التزامنية، وبخاصة ببحث الوضع اللغوى الحالى. وهو نفسه لم يستبعد صراحة دراسات تعاقبية. وإن كان ناشرا كتاب «الدروس...» قد يسرا تولد مثل ذلك، ويوضح ذلك تباين مسلك اتجاهات علم اللغة البنيوى من تلك الثنائية(*).

وطرحت حلقة براغ طريقتين للتناول متجاورتين متساويتين من البداية، كما وُضّح فى ٤ ــ ٤ــ ١ و٤ــ٥ ــ ١ بمثال نشوء الفونولوجيا والفونولوجيا التعاقبية.

وبالنسبة للجلوسماتية لا توجد بوجه عام مشكلة التناول المتعلق بزمن البحوث اللغوية، وقد تحدث المرء فى سياقها كذلك عن «زمن عام Panchronie».

أما علم اللغة الوصفى فقد بحث فى زمنه الكلاسيكى بحثاً تزامنياً صراحة؛ وتصور الفقرات الختامية فى مقال ليونارد بلومفيلد: «قائمة من المسلمات...» مدخلاً من المداخل القلائل للدراسات التعاقبية،/ حاول فى تلك الفقرات أن ينقل نتائج أوجه الوصف التزامنية لديه فى صورة استنتاجات قياسية إلى وقائع تعاقبية[1].

١٦٣

(*) يوضح دى سوسير فى كتابه (الترجمة الألمانية ص ١١٩، ١٢٠) تلك الثنائية من خلال تمييز مهمة كل منهما، يقول: إن مهمة علم اللغة التزامنى (أو الوصفى أو السنكرونى) إنشاء الأركان الأساسية للنظام اللغوى الذى يمثل حال اللغة تماماً. إنه يتعرض للصلات المنطقية والنفسية بين الأجزاء المتزامنة (أى المحددة زمنياً) التى تكون نظاماً ما ويلاحظها العقل الجمعى. أما علم اللغة التعاقبى (أو التاريخى أو الدياكرونى) فهو على العكس من ذلك يدرس الصلات الموجودة بين الأجزاء أو الأعضاء المتتالية عبر الزمن، ولا يدركها العقل الجمعى فى وقت واحد، حيث يتعاقب بعضها مكان بعضها الآخر دون أن تشكل نظاماً متسقاً. (المترجم)

(١) ثمة نهج مشابه يمكن أن يلاحظ فيما بعد أيضاً داخل النحو التوليدى.

٦ ـ مستويات النظام اللغوى

إن منطلق كل المدارس الكلاسيكية الثلاث فى علم اللغة البنيوى فى تناول هذا الموضوع:

* معرفة المستويات اللغوية التقليدية. علم الأصوات ـ المورفولوجيا ـ النحو ـ علم المعاجم ـ علم دلالة المفردات/ علم الدلالة.

* معرفة نظام العلاقات لدى دى سوسير المكون من علاقات جدولية (صرفية)، وعلاقات أفقية (نحوية) (انظر ما سبق ٣ ـ ٤ ـ ١).

ولا تكمن الفروق بين المدارس إلى حد بعيد فى الإقرار بهذه المستويات والعلاقات، بل على الأرجح فى التحديد المتباين للمحاور:

عالجت حلقة لغويى براغ كل المستويات، وقد أُنْجِز كذلك بـ «مورفونولوجيا» تروبتسكوى (٤ ـ ٤ ـ ٢) مستوى بينى إضافى، ونشأت الفونولوجيا بوصفها نظاماً داخلياً إلى جانب علم الأصوات(*) (٤ ـ ٤ ـ ١ و ٤ ـ ٥ ـ ١)، وأُجْرِىَ بحث «المورفولوجيا» باعتبارها وصفاً لفصائل نحوية، بمساعدة أوجه تلازم غير متناسقة ومبدأ عدم التغيير (الثبات) (٤ ـ ٥ ـ ٢). وعُدَّ علم الدلالة بوجه خاص بحثاً لمعنى فصائل نحوية (٤ ـ ٥ ـ ٢ أيضا). وفى معالجة النحو بخاصة يبدو إبعاد النحو عن النظام اللغوى لدى ف. دى سوسير: وفى الحقيقة لم يمارس البراغيون البحث النحوى، بل صارت بحوثهم فى المجال

(*) سبق أن أشرت إلى أن تروبتسكوى قد خَلَّص مفهوم الفونيم فى كل تأثير، فهو لديه وظيفى قبل كل شىء، أى يدخل فى تعارض فونولوجى واحد على الأقل، كما أن الوحدة الفونولوجية هى التى لا تقبل، فى لغة ما، التحليل إلى وحدات فونولوجية أصغر ومتتابعة. ويعرف تروبتسكوى بالدقة نفسها طرائق تحديد الفونيمات وتمييز متغيراتها. فقد قام، من أجل تحديد كل مفهوم، بإعداد طرائق لتصنيف التعارضات التى تقوم بينها: الثنائية أو المتعددة أو المنعزلة، السالبة، التدريجية، المتكافئة. وهكذا أصبح من الممكن التعريف الدقيق لكل فونيم على أنه مجموعة من الخصائص الفونولوجية المميزة التى تجعله يتعارض مع كل الفونيمات الأخرى. ويمثل هذا الأمر ـ كما يقول مونان ـ البرهان العلمى على الحدس السوسيرى الذى يرى بأنه «لا توجد فى اللغة سوى الفروق». (مونان: علم اللغة ص ١٠٤، ١٠٥) (المترجم)

الفاصل بين النظام اللغوى والعوامل غير اللغوية، ذات تأثير بالغ، وبخاصة بحث ﻫ. ماتيوس «تقسيم واقعى للجملة» كما وُضِّح فى ٤ ــ ٦.

وفى الجلوسماتية أُحلت شبكة من العلاقات محل المستويات التقليدية. وقد وُضِّحت فى ٥ ــ ٣ ــ ٢. ومع ذلك فقد حوفظ على التقسيم الرئيسى إلى الشكل الصوتى والمعنى، إذ افْتُرِض التقسيم إلى «مستوى التعبير» و«مستوى المحتوى» منطلقاً (انظر ما سبق ٥ ــ ٣ ــ ١).

وعُنِى الوصفيون الأمريكيون عناية خاصة بتقسيم النظام اللغوى إلى مستويات. فقد افترضوا بناءً متدرجاً للنظام، وطمحوا إلى سريانه من خلال المستويات من الأدنى إلى الأعلى، وطالبوا كذلك بأنه ينبغى أن يوصف كل مستوى وصفاً مستفيضاً، قبل جواز الشروع فى وصف المستويات الأعلى التالية (قارن ما سبق تحت ٦ ــ ٧). ومع ذلك تتجلى فى الدرس العلمى/ غلبة واضحة لبحوث نحوية. وكان ذلك من جهة مشروطاً بالتحليل الآلى وفق المكونات المباشرة، التى يمكن أن تجرى حسب الحاجة حتى المفردات، والمورفيمات أو الفونيمات بحيث صار الحد بين النحو والمورفولوجيا غير واضح (انظر ما سبق تحت ٦ ــ ٥)(٢)؛ ومن جهة أخرى شغل النحو لذلك مركز القلب، لأنه لم يُنَص على مستوى خاص لوصف المعنى. وهكذا فمعنى الأشكال الصوتية بالنسبة لعلم اللغة الوصفى وسيلة منهجية فقط(*)، ولم يكن موضوعاً خاصاً للبحث.

١٦٤

---

(٢) على كل حال لم تكن المورفولوجيا فى البحوث حول الانجليزية مهمة إلى هذا الحد، ولذلك لم يستعمل فيما بعد أيضاً لمدة طويلة على أنها مستوى خاص.

(*) سبق أن ينت موقف بلومفيلد وهاريس من المعنى حين أرادوا من نظرياتهم فى التحليل اللغوى تجنب العودة إلى المعنى (لاستحالة تقديم وصفى علمى له آنئذ). وإذا كان بلومفيلد قد غلب ذلك التوجه فى تحليل فإن هاريس لم يستطع أن يفعل ذلك باستمرار، والجأته بعض مشكلات فى التحليل التوزيعى إلى اعتبارات تتعلق بالمعنى، وبشكل عفوى ومنتظم، وبدل أن تكون الطريقة التوزيعية وسيلة تحليل فريدة وشمولية، وبدل اعتبار المعنى آلية منهجية مساعدةوسيطة واختيارية، فإن كل شيء يجرى وكأن اللجوء إلى المعنى وسيلة لا مناص منها، وعلى ارتباط وثيق بطبيعة القضايا اللغوية نفسها، فيما تعتبر الآليات التوزيعية إحدى «الإمكانيات المتاحة للغوى» من بين إمكانيات أخرى، لحل بعض المشكلات وليس كلها. (السابق ص ١٨٥ خصوصاً). (المترجم)

٧ ـ الشكل : المادة

مع ***اللغة***، أى النظام اللغوى، أدخل ف. دى سوسير أيضاً السؤال عن العلاقة بين الوحدات المجردة للنظام اللغوى والوحدات المعينة للكلام ومشروعيتها (قارن فى هذا الفصل ما ورد تحت ٢، «موضوع علم اللغة»). وقد عالجت هذا السؤال كل المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوى، ونوقش تحت عنوان: «هل اللغة شكل أم مادة أم كلاهما؟»، وحُسِم بشكل خلافى:

فقد عَرَّفت حلقة براغ «اللغة بأنها شكل فى مادة، مادة مشكلة»، وبذلك عُدَّ علم اللغة منفتحاً أيضاً على بحث وحدات معينة، وليست البنية فقط، واعتنى البراغيون بالمادة الصوتية ومادة المعنى أيضاً (قارن أساسهم الصوتى لدراساتهم الفونولوجية وبحوثهم الدلالية)(*).

وعَرَّفت الجلوسماتية «اللغة بأنها شكل، وليست مادة». وكما وُضِّح فى ٥ـ٣ـ١ كانت المادة بالنسبة لهيلمسليف متجاوزة للغة المفردة، ومن ثم فهى ليست صالحة لبحث النظام اللغوى الخاص بكل لغة مفردة، وبذلك جُرِّد علم الأصوات وعلم الدلالة من رتبتهما فى علم اللغة ليصيرا مجرد عِلْمَين مساعدين.

أما علم اللغة الوصفى فقد سلك مسلكاً مبايناً، إذ قَبِل الوصفيون المادة الصوتية التى وجدوها فعلاً فى النصوص المعينة، ولكنهم رفضوا مراعاة مادة المعنى.

(*) يذهب هيلمسليف إلى أن لغويى براغ بحثوا الشكل من خلال المادة أو ما يمكن أن يقال بأنهم بحثوا المادة المتشكلة أو المادة داخل الشكل، أى انهم لم يفصلوا الشكل عن المادة. ومن ثم فإنه يختلف عنهم، إذ إنه فصل المادة عن الشكل، ولم يُعْنَ إلا شكل المحتوى وشكل التعبير، إذ ينبغى على علم اللغة من وجهة نظره أن يبحث الشكل متعزلاً عن المادة، ولذا فإنه لا يعنى بالمادة التى تتحقق فيها اللغة قدر عنايته بالشكل الذى وردت فيه هذه المادة، فقد تتحقق اللغة فى مادة منطوقة أو مكتوبة. وانتهى إلى أن تناول مادة المحتوى ومادة التعبير يؤدى حتماً إلى تداخل علوم أخرى مع علم اللغة كالفلسفة وعلم النفس والطبيعة؟!

(المترجم)

٨ ـ «الوظيفة»

ربما لم ينفرج مفهوم المحتوى مع أى مصطلح من المصطلحات البنيوية انفراجاً واسعاً بقدر ما هى الحال مع مصطلح «الوظيفة»:

ينبغى فى هذا المجال ـ انحرافاً عن التتابع الحالى للعرض ـ أن تُقَدَّم وجهات نظر لغوى براغ حول الوظيفة فى خاتمة هذه/ النقطة الفرعية، لأنه يمكن من خلال ذلك إتمام همزة الوصل بالنقطة التالية بصورة جد طبيعية.

١٦٥

عُدَّت الجلوسماتية «الوظيفة» من خلال فهم رياضى صارم علاقةَ تبعيةٍ بين قطبين؛ علاقة تنشأ بين نقطتين ثابتتين فى هذه العلاقة؛ الدالتين (انظر حول ذلك أيضاً ٥ ـ ٣ ـ ٢)(*). ولا يجوز وفق هيلمسليف أن تُصَنف وحدات لغوية ما إلا حسب وظيفتها وليس حسب معناها.

أما الوصفيون فقد ساوَوْا «الوظيفة» «بالموقع»؛ فوظيفة عنصر ما هى مجموعة المواقع التى يمكن أن يشغلها، وتحددها اختيارات حول التوزيعات الممكنة، انظر حول ذلك بوجه خاص ما ورد تحت «التحليل التوزيعى»(**) فى ٦ ـ ٧.

(*) إن هدف التحليل اللغوى فى النظرية الجلوسماتية إنما هو عرض أو تمثيل التقدير الجبرى على أساس من كل إمكانات الارتباط التى يمكن أن نتوقعها فى النصوص التى لم تُحَلل بعد. وهذا هو القصد من قول هيلمسليف «إن اللغة توجد قبل أن تتحقق فى النص»، ويرتبط بهذا قوله «إن وجود أى نص يفترض بالضرورة وجود نظام لغوى». (المترجم)

(**) تذهب ميلكا افيتش فى اتجاهات البحث اللسانى ص ١٩٧ فى بيان هذه المسألة إلى أن التوزيعيين وكذلك أصحاب الجلوسيمية لم يشاطروا مدرسة براغ اهتمامها الجوهرى بالسمات المائزة للوحدات اللغوية، ولكنهم ركزوا اهتمامهم على توزيع هذه الوحدات، أى على القواعد الحاكمة، على إمكان توارد هذه الوحدات فى سلسلة الكلام. وهكذا فإن صياغة قواعد توزيع الوحدات اللغوية فى سلسلة الكلام لدى التوزيعيين هى المقدمة الوحيدة التى يمكن بعدها تجميع أوفر المعلومات حظاً من الموضوعية والدقة عن وظيفتها داخل النظام. أما من جهة أصحاب الجلوسماتية فهم لا يبدون اهتماماً بالمظهر المادى للغة، بل ينحصر همهم فى تحديد جميع أنماط العلاقات القائمة بين العناصر التى يجرى تنظيمها فى نظام للتواصل. (المترجم)

وأما حلقة لغويى براغ التى عرفت أيضاً باسم «علم اللغة الوظيفى»، فقد فهمت «الوظيفة بمفهوم لغوى عام بأنها ما تستخدم له وحدة ما. فاللغة تستخدم وسيلةً للتفاهم بين البشر. ولذلك أيضاً ينتج عن هذه الوظيفة فى التواصل مهام تتجاوز بحث النظام اللغوى.

٩ ـ اللغة والمجتمع

حين عُدَّت اللغة كما هى الحال فى حلقة لغويى براغ وسيلةً للتفاهم، تحركت بداهة العلاقة بين اللغة وحامليها (أصحابها)، وهى التى تمكن من التفاهم بينهم، معاً إلى مجال نظر اللغوى. فاللغة تتحقق متعلقة بارتباطها الاجتماعى. وتبعاً لذلك انتظمت لدى البراغيين اللهجات والأساليب الوظيفية ولغة الأدب ومجالات أخرى يوجهها هدف عملى معاً أيضاً فى علم اللغة، وبُحِثَت كذلك فى إطار هذه المدرسة (قارن ما ورد تحت ٤ ــ ٣). وبذلك تكون حلقة براغ هى الاتجاه الوحيد من الاتجاهات الداخلة فى الاعتبار، الذى احتوى تلك الجوانب معاً.

أما الجلوسماتية فقد فهمت اللغة على أنها نظام داخلى، مستقل عن تحققه؛ ولذلك لم تَظهر علاقاتُ اللغة بحاملها، موضوعُ «اللغة والمجتمع» فى النظرية الجلوسماتية (انظر ما ورد تحت ٥ ــ ٣).

وأما علم اللغة الوصفى فقد نشأ حقيقةً لحاجات عملية ضمن غيرها، ولكنه شمل تحققه فى المحيط الاجتماعى فى حد ذاته وليس فى البحث اللغوى. ويشير (شعار) «النص يشير إلى بيته» آخر الأمر إلى وصف داخلى للغة أيضاً، مثلما طالبت الجلوسماتية بذلك. وصارت علاقات اللغة بحامليها فى علم اللغة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى هذا القرن على الأرجح خارج علم اللغة الوصفى، وإن أُخِذَت فى الاعتبار فى «الاتجاه العقلى» لدى أ. سابير وتلاميذه. (قارن ٦ ــ ١).

١٠ ـ مثال: مفهوم الفونيم

/ ينبغى فى ختام هذه الرؤية الجامعة أن يوضح مرة أخرى النهج المتباين للمدارس الكلاسيكية الثلاث فى علم اللغة البنيوى بمثال تعريفات الفونيم. ١٦٦

والمنطلق في ذلك مفهوم ف. دي سوسير ***للقيمة*** اللغوية (valeur)(*)، الذي عرفت به وحدات النظام اللغوية تعريفاً سلبياً، فهي موسومة بدقة من خلال ما يفرقها عن وحدات أخرى. وهكذا فالفونيم لديه أيضاً هو فئة صوتية تفترق عن كل الفئات الصوتية الأخرى.

وأيدت المدارس الثلاث هذا التعريف بصورة متباينة، كلٌّ منها حسب دعامتها النظرية والمنهجية الكلية:

فقد عرف لغويو براغ، وبخاصة ن. س. تروبتسكوي الفونيم بأنه أصغر وحدة أفقية فارقة للمعنى في النظام اللغوي (انظر ما سبق تحت ٤ ــ ٤ ــ ١)، ثم أخذوا بعد ذلك تعريف دي سوسير السلبي، ولكن بتعليق التفريق على ***التفريق في المعنى*** "Bedeutungsunterscheidung"(٣)(**). ويمكن على سبيل المثال أيضاً أن يُعْرَف الموقف المتباين من المعنى بوصفه معياراً لغوياً، مما أخذته المدارس الأخرى على البراغيين بناءً على أنهم وضعوا أو جعلوا عنصراً لم يحدد بعد تحديداً كافياً، وهو المعنى، مُحَدِّداً للفونيم. ومع ذلك فقد صار تعريف البراغيين للفونيم مَشاعاً في علم اللغة على الأقل حتى منتصف القرن العشرين.

(*) يرتبط مفهوم «القيمة» لدى سوسير بمفهوم النظام الداخلي للغة، فقيمة أي عنصر لغوي (فونيم أو مورفيم أو كلمة مثلاً) لا تقوم أساساً على المادة التي يتكون منها العنصر (أي نوعية الأصوات) أو تشكيل هذه المادة (راجع تمثيله الأثير بلعبة الشطرنج)، وإنما تكمن القيمة في علاقة هذه العنصر بغيره من العناصر الأخرى، والوظيفة التي يؤديها في إطار النظام العام لهذه اللغة. (المترجم)

(٣) ينبغي أن يُتَناول في هذا الموضع التعريف الآخر للفونيم لدى تروبتسكوي، الذي عد الفونيم مجموعة من الخواص وثيقة الصلة فونولوجيا، ومن ثم حلل الفونيمات إلى أجزاء أصغر ــ سمات.

(**) سبق أن أشير إلى إطلاق تروبتسكوي مصطلح التقابلات الفونولوجية الفارقة (المائزة) على تلك التقابلات الصوتية التي تميز المعنى في لغة ما؛ لأن التمييز في المعنى أهم وظيفة يمكن أن يؤديها الصوت في اللغة، فالكلمات إنما يتميز بعضها عن بعض دلالياً في لغة ما من خلال مقابلة الأصوات التي تتضمن صفات صوتية، ولها وظيفة فونولوجية؛ وهكذا فالتقابلات تكون فونولوجية فارقة، أي لها وظيفة فونولوجية، أو مجرد مقابلات صوتية لا أهمية لها فونولوجياً. (المترجم).

أما الجلوسماتية فلم تبحث إلا الشكل، وليس مادة اللغة. ونتيجة لذلك لا يُعْرَف في مفهوم الفونيم أيضاً أي انحراف عن تعريف فرديناند دي سوسير.

وكان المنهج الأساسي لعلم اللغة الوصفي التحليل التوزيعي. وحُدِّد الفونيم بوصفه وحدة لغوية تحديداً توزيعياً، وبوصفه فئة من الأصوات التي تسلك بالنظر إلى توزيعها مسلكاً واحداً، وظل معنى هذه الفئات الصوتية في ذلك مستبعداً.

بهذه الرؤية الجامعة خُتِم عرض تاريخ علم اللغة حتى سنة ١٩٥٠م تقريباً في مسار تطوره المحدد بأنه تيار رئيسي **mainstream**.

وسوف يقدم الفصل النهائي الثامن نظرة عامة حول نشأة النحو التوليدي ونماذجه الأولى.

الفصل الثامن

ناعوم تشومسكى

/ كما أُعلِن فى الفصل السادس، ينبغى فى خاتمة هذا الكتاب أن تقدم نظرة عامة حول النماذج التوليدية لناعوم تشومسكى. وحين يُسَلَّم للواحد من أهم اللغويين الأحياء بفصل نَحيل فقط فإن ذلك يفتقر بداهة إلى تسويغ، ولاسيما فى حالة تشومسكى، ففى سياق أعماله تُحدِث كذلك أحيانًا عن «تحول كوبرنيكى» فى علم اللغة، وأجبر نحوه التوليدى فى العصر الحاضر كل لغوى ــ تابع ومعارض ــ على تأسيس الموقف الخاص به. غير أن قصد هذا الكتاب قصد آخر: فمن وجهة نظر مؤرخ العلم يقع تضافر استمرار تطور العلم وعدم استمراره فى الصدارة؛ ويعنى ذلك فى هذه الحال أن يُوَضَّح نشوء النحو التوليدى من البنيوية الأمريكية، التى لا يمكن أن تفهم نظرية تشومسكى النحوية بدونها، ومنها استمرت فى التطور فى الوقت نفسه على هذا النحو من التميز(*). 167

ويجب كذلك فى غير النظرة الكمية أن يشار إلى عدة قيود أخرى. فى البداية ــ فى هذا الكتاب تحديد مفهوم منه ــ لن يناقش ناعوم تشومسكى إلا

(*) ولد نوام تشومسكى عام ١٩٢٨م، ودرس فى جامعة بنسيلفنيا حيث حصل على الماجستير بأطروحة "Morphophonemics of Modern Hebrew" "دراسة مورفوفونيمية «صرفية صوتية» للعبرية الحديثة عام ١٩٥١ على الآلة الناسخة، وعلى دكتوراه الفلسفة عام ١٩٥٥ بأطروحة "Transformational Analysis" التحليل التحويلى، على يد أستاذه زليج هاريس، وبذلك يكون قد تخرج فى مدرسة بلومفيلد وبخاصة فى صورتها المتطورة إذ كان هاريس قد بدأ عام ١٩٥١، أى العام الذى أصدر فيه كتابه Methods، بتأسيس مذهب وصفى يقوم على الطرائق التوزيعية بشكل كامل، وتبلورت لديه كما أشرنا فيما سبق أفكار حول القواعد التحويلية التى تأثر بها تشومسكى تأثراً كبيراً. ثم إن تشومسكى كان قد قدم إلى هارفارد عام ١٩٥١ حيث كان يدرس فيها ياكوبسون فونولوجيا مناقضة للنزعة التوزيعية، فتأثر به أيضاً، كما أثر فيه أيضاً معهد ماسشوتس للتكنولوجيا (M.I.T) الذى كان قد انتقل إليه عام ١٩٥٤، وأسهم التنوع الفكرى فيه حيث تجاورت أعلام فى الرياضيات والمنطق وعلم النفس والسبرانية والترجمة الآلية فى نضجه النهائى.
(المترجم)

بوصفه لغوياً. غير أن العدد الأكبر من قراء هذا الكتاب أيضاً ربما سمعوا عن الانحياز السياسي لهذا الرجل. ولذلك تسجل عند عرض سيرته العلمية تحت ٨ ـ ١ بعض الملحوظات من هذا المجال أيضاً. وفي خاتمة ٨ ـ ١ أعدت للقراء المهتمين بذلك سلسلة من البيانات الببليوجرافية حول مجال تأثير تشومسكي هذا؛ وأمكن بذلك الإبقاء على قائمة المراجع في نهاية الفصل الثامن أكثر إحاطة وأكثر تخصيصاً في اللغة.

بيد أن كل أعماله اللغوية ذاتها لا يمكن أن تؤخذ في الاعتبار. ولا تعالج الموضوعات اللغوية الفلسفية إلا بصورة سريعة متلاحقة. وتبعاً لذلك فإن أعمال تشومسكي حول نماذج تصورية، وجهوده لتأسيس علم اللغة بوصفه جزءاً من علم النفس الإدراكي، وحتى إذا كان هذا الجانب بالنسبة لنظريته اللغوية قد زحزح بصورة أقوى دائماً إلى مركز اهتمامه، كل هذا لن يذكر هنا إلا بصورة هامشية، وذلك من ناحية أخرى لأنه لا يحتل الصدارة بادئ الأمر في النماذج المبكرة التي بُحِثَت هنا وعند رد الفعل على علم اللغة الوصفي. وأخيراً لن يُستمر في متابعة نهج تشومسكي في نظرية النحو أيضاً حتى العصر الحاضر. ووفقاً لمطلب هذا الكتاب لن تعالج إلا/ النماذج الأولى للنحو التوليدي، التي يتحقق فيها الاستمرار وعدم الاستمرار المذكورين أعلاه في تطور الفكر النحوي(*). وتتطلب المتابعة حتى النقاش الحالي لتصوره حول «نحو العناصر الصغرى minimalistische Syntax» فهماً للنظرية أكثر مما يجوز أن يحدد للوسط المتلمس من القراء. ومع ذلك يمكن للقارىء المهتم (والمطلع) بمساعدة مؤلفات تشومسكي المدونة في قائمة المراجع من زمن مبكر حتى آخر ١٩٩٤م أن يواصل البحث في هذا الاتجاه.

١٦٨

وهكذا يقع الجانب المتعلق بتاريخ النظريات والمناهج في قلب هذا الفصل.

(*) يعبر مونان في كتابه السابق ص ٢٢٦، ٢٢٧ عن هذا النهج في مقارنة تشومسكي وبلومفيلد وهيلمسليف، إذ يذهب إلى أنه بالمقارنة مع هذين السلفين ومع تناسق مبادئهما وانسجامهما التي تقدم أساساً لكل مناقشة، لا يعتني تشومسكي بكتابته بل إنه يخطىء في التعبير، فهو غامض، يقدم القليل من التعاريف، كما أنه متقلب يبدل رأيه من مكان إلى آخر، وتصعب مناقشته لهذا السبب، ونجد لديه دوماً، كما في التوراة (!)، جملة مستترة، تقول عكس ما استنبط من مذهبه بشكل عام. وهو يتطلب عبقرية حقيقية من أجل فهمه. (المترجم)

٨ ـ ١ سيرة تشومسكي العلمية

وُلِد افرام ناعوم تشومسكي في ١٩٢٨/١٢/٧م في فيلادلفيا. والده، عالم الدراسات العبرية في كلية جراتس هناك أشركه منذ وقت مبكر جداً في تصحيح تجارب طبع أعماله النحوية، ودرس ناعوم تشومسكي في جامعة بنسيلفانيا في فيلادلفيا لدى زلـيج س. هاريس، واهتم إلى جانب ذلك بأسس الرياضيات والمنطق. ويذكر هاريس في مقدمة كتابه "Methods in Structural Linguistics" (مناهج في علم اللغة البنيوي) تعاون تلميذه ن. تشومسكي في إنجاز أصوله (ظهر سنة ١٩٥١). وفي سنة ١٩٥١ حصل تشومسكي على درجة الماجستير (M.A.) برسالة "Morphophonemics of Modern Hebrew" (دراسة مورفوفونيمية للعبرية الحديثة)، وهو عمل ظل غير منشور في البداية، ولكنه نشر بعد ذلك سنة ١٩٧٩ في سلسلة "Outstanding Dissertations in Linguistics" (رسائل بارزة للدكتوراه في علم اللغة) في هولندا. وقال تشومسكي في تَذَكُّرٍ له عن هذا العمل، إنه يتضمن بذور نحوه التحويلي.

وكان تشومسكي من ١٩٥١ ـ ١٩٥٥م زميلا شاباً في جامعة هارفارد، هناك بدأت على سبيل المثال أيضاً صلاته برومان ياكوبسون وموريس هال، وكتب مع الأخير فيما بعد كتاب "The Sound Pattern of English" (النموذج الصوتي للغة الانجليزية (١٩٦٨))[1](*).

---

(١) قارن أيضاً م. هال/ و ر. ياكوبسون (١٩٥٩) في كتابهما: (النموذج الصوتي للغة الروسية) The Sound Pattern of Russian.

(*) يمكن أن يضاف إلى الهامش السابق ذكره صعوبة تناول أعمال تشومسكي بتقويم علمي موضوعي دقيق، لأنه ما يزال يصدر أعمالا جديدة تشتمل على تغييرات جذرية في نظريته التحويلية التوليدية، وتعديلات جوهرية في المفاهيم والتصورات، وإضافات غير مسبوقة حتمتها أوجه النقد من تيارات أخرى، وعدول عن كثير من الاصطلاحات المتحارة الغامضة. وقد سبق أن وصف مونان هذه الصعوبة حين قال: وتزداد الصعوبة حين نحاول تحديد مكانة الفكر التشومسكي، لأن أبعاد طموحه وتجديده النظري [المستمر] والصدمة التي أراد أن يحدثها، وأحدثها، كل هذا يضع الباحث، قليل المعرفة بتاريخ علم اللغة، أمام مشكلة لا تجوز محاولة تجنبها، فهي تمثل في أيامنا هذه المشكلة الأساسية لدارسيه. فإما أن نعتبر شومسكي التاج الصرف لسلسلة الخصومات هذه أو تلك الموجهة، وإما أن نعتبره سوسور ـ وربما كان في الوقت نفسه أرسطو وديكارت وهومبولد وسابير وتروبتزكوي وبانيني Panini النصف الثاني من القرن العشرين. وربما لم يكن هذا ولا ذاك؛ إنه فقط فصل معقد من تاريخ علم اللغة في القرن العشرين. (علم اللغة في القرن العشرين ص ١٩٣ ـ ١٩٤) (المترجم)

ومنذ سنة ١٩٥٥ يدرس تشومسكى فى معهد ماسشوتس للتكنولوجيا (MIT) فى كيمبردج/ ماسشوتس. وكان فى البداية معلماً للغة الألمانية واللغة الفرنسية، ومن سنة ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ «أستاذاً مساعداً»، ومنذ ١٩٦١ «أستاذا». وقد حصلنا على أعماله المبكرة التى صارت مشهورة فى صورة ميكروفيلم أو نسخ، وهى:

(البنية المنطقية للنظرية لغوية) "The Logical Structure of Linguistic Theory"

و(تحليل تحويلى) "Transformational Analysis"

(وبالاشتراك مع ف. لكوف F. Lukoff)

(تركيب المركب الفعلى الألمانى) "Construction of the German Verb Phrase"

وكل ما يرجع إلى سنة ١٩٥٥، وكذلك "Logical Syntax and Semantics. Their Linguistic Relevance"(النحو المنطقى وعلم الدلالة. وثاقة صلتهما اللغوية) نشر فى مجلة: Language اللغة، المجلد ٣١، فى سنة ١٩٥٥ أيضاً. قارن حول الأعمال اللغوية الأخرى المبحث الآتى(*).

/ ومنذ النصف الثانى من الستينيات انحاز ناعوم تشومسكى سياسياً بقوة، **١٦٩** فى البداية فى الحركة المناهضة للحرب فى فيتنام، وفيما بعد أيضاً ضد سياسة ـ الولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة جنوب شرق آسيا بأكملها، وفى وسط أمريكا

(*)جُمِعَت بعضُ أعمال تشومسكى الأولى فى ٦ مجلدات مختصرة لايكاد يتجاوز الواحد منها مئة صفحة وأهمها: الأبنية النحوية ١٩٥٧، وإصدارات معاصرة فى النظرية اللغوية ١٩٦٤، وجوانب النظرية النحوية ١٩٦٥، وموضوعات فى نظرية النحو التوليدى ١٩٦٦، أما فى كتابه الذى نشر بعد ذلك، وهو علم اللغة الديكارتى سنة ١٩٦٦، فقد حاول أن يرسم الأصول الفلسفية المثالية التى التزم بها فى درسه اللغوى فى تلك الفترة وأعقبه كتاب: اللغة والعقل (الفكر) سنة ١٩٦٨، وفيه تفصيلات مهمة حول عمل العقل والقدرة الفطرية وفكرة الكليات اللغوية. (المترجم)

وجنوبها، وسند وقت قريب في حرب الخليج. وفي سنة ١٩٧٠ قام على سبيل المثال برحلة إلى هانوي، بوصفه عضواً في لجنة دولية للمراقبة، مدعواً من «لجنة جمهورية فيتنام الديمقراطية للتضامن مع الشعب الأمريكي».

ومن هذا الانحياز أيضاً حملة تشومسكي على علماء ومثقفين آخرين ساندوا السياسة العدائية للولايات المتحدة الأمريكية وما زالوا يدعمونها، وهي التي أطلق عليها "die neuen Mandarine des Imperium Americanum" (الأوصياء الجدد للامبراطورية الأمريكية)(*). ففي مجلد "American Power and the New Mandarins" «القوة الأمريكية والأوصياء الجدد» (١٩٦٧، وبالألمانية ١٩٦٩م)، أهداه «إلى الرجل الشجاع الذي رفض أن يخدم في حرب إجرامية»، ضمَّت المقالات الآتية ضمن غيرها:

* «الموضوعية والتعليم الحر».

* «مسؤولية المثقفين»

* «حول المقاومة».

وفي مجلد جامع آخر: "For Reasons of State" (١٩٧٣، وبالألمانية ١٩٧٤"Aus Staatsraison" (حول مبررات الدولة) طبعت الدراسات الآتية المميزة لموقفه ونقده الاجتماعي إلى جانب غيرها:

* «على حدود العصيان المدني»

* «وظيفة الجامعة في زمن الأزمة»

(*) لا يقل الدور السياسي والاجتماعي الذي مثله تشومسكي وما يزال يمثله أهمية وتأثيراً عن دور نظريته اللغوية، فقد واكب نضاله المدني النشط المناهض لسياسة بلاده الداخلية والخارجية، وبخاصة في حروب أمريكا في فيتنام ولاوس والفلبين وغيرها من بلدان الهند الصينية وحرب الخليج وغير ذلك، نشاطه اللغوي الحماسي وتطوره السريع المتلاحق. وقد رفض الاشتراك في تلك الحروب رفضاً صارماً وهاجم مبرراتها وقوضها، بل إنه هاجم الأفكار الصهيونية هجوماً صريحاً في أكثر من موضع ولا يتسع المقام لتفصيل ذلك. (المترجم)

* «علم النفس والايديولوجيا»

(حول عمل ب. ف. سكينر «على الجانب الآخر من الحرية والكرمة»)

* «ملاحظات حول الفوضوية»

* «اللغة والحرية».

وفى مقدمة على لسان غلاف الطبعة الألمانية لهذا المجلد الجامع يُنَص على أن: «ناعوم تشومسكى يعد من العلماء القلائل فى عصرنا، وهو لا يتمتع فى حقله، بوصفه متخصصاً، بل فى المجال العام أيضاً بشهرة كبيرة، فلم يتحرج تشومسكى مطلقاً من أن يشترك فى الصراع السياسى اليومى. ويعد نقده الذى ينم عن دراية واسعة وذكاء حاد لقيادة الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فى فيتنام مثالاً على ذلك». وفى الحقيقة صار تشومسكى من خلال كتبه ومؤلفاته ومناقشاته ومظاهراته معروفاً لجمهور أمريكى واسع. وقد أجاب أيضاً عن أسئلة الصحفيين التى أقيم فيها علاقة بين ذلك الانحياز وعمله بوصفه لغوياً، قارن:

من المؤكد أنه لا يمكن أن تستنبط استدلالات اجتماعية وسياسية ببساطة من معارف حول اللغة. ولكن ربما يكون ذلك ممكناً، حين يتبدأ فى فهم، بشكل غامض للغاية فقط إلى حين [كذا! بربجيته بارتشت]، إلى أى مدى تقضى أبنية فطرية/ للعقل إلى سعة غير عادية فى الفهم وتؤثر فى الفكر والعمل الإنسانيين (١٩٨٥، بالألمانية ١٩٨٨، ٣٣١/٢).

١٧٠

ويمكن للقارىء المهتم أن يطلع على انحياز تشومسكى السياسى بمعاونة المؤلفات الآتية مثلاً:

N. Chomsky (1967) : American Power and the New Mandarins

(القوة الأمريكية والأوصياء الجدد)

وبالألمانية: Amerika und die neuen Mandarine.

Politische und zeitgeschichtliche Essays.

(أمريكا والأوصياء الجدد. مقالات سياسية وفى التاريخ المعاصر)

ترجمة: A. Kamp. Frankfurt/ M.1969

N. Chomsky (1969): Cambodia; Laos; North Vietnam;

كمبوديا، لاوس، شمال فيتنام، حول جرائم الحرب On War Crimes

وبالألمانية: Kambodscha, Laos, Nordvietnam. Im

... في الحرب مع آسيا، م٢ Krieg mit Asien BII

ترجمة: J. Behrens، والمجلد الأول بعنوان:

[Indochina and die amerikanische Krise. Frankfurt /M. 1972]

(الهند الصينية والأزمة الأمريكية)

N. Chomsky (1973) : For Reasons of State.

(حول مبررات الدولة)، وبالألمانية: Aus Staatsraison

ترجمة: B. Kroeber. Frankfurt /M.1974

N. Chomsky (1978) : , Human Rights' and American foreign policy Nottingham. (حقوق الإنسان والسياسة الخارجية الأمريكية)

N. Chomsky (1985) : Turning the Tide (تحويل التيار (المد والجزر))

بالألمانية:

[Vom politischen Gebrauch der Waffen zur politischen Kultur der USA und Perspektiven des Friedens.] من الاستخدام السياسي للأسلحة إلى الثقافة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية ومنظورات السلام.

ترجمه S. Harringer وآخرون، برلين ١٩٨٨.

N. Chomsky (1992): Die neue Weltordnung und der Golfkrieg. Grafenau.

(النظام العالمى الجديد وحرب الخليج)

N. Chomsky (1993) : Year 501. The Conquest continues.

عام ٥٠١ الغزو يستمر ، بالألمانية:

[Wirtschaft und Gewalt : Vom Kolonialismus zur Neuen Weltordnung.(الاقتصاد والقوة: من الاستعمار حتى النظام العالمى الجديد)

ترجمة: M. Haupt. Lüneburg 1993

٨ ـ ٢ النماذج التوليدية: المرحلة الأولى

فى بداية عمل تشومسكي العلمى طور تصوراته حول مهام علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، وكانت التساؤلات الثلاثة التى طرحها هى:

* ما الذى يدخل فى علم اللغة: وبتعبير أدق ما المجالات التى ينبغى أن يحددها بأنها صالحة له؟

* هل يمكن عند البحث أن يفصل الشكل عن المادة، أى هل يمكن أن تدرس البنية الشكلية للغة لذاتها:

* بهذا فى هذا السياق: هل يمكن أت توصف البنية الشكلية فى النظرية دون تمسك بالمعنى مؤقتاً على الأقل؟

لقد وجد تشومسكي فى علم اللغة الوصفى مناهج متطورة، يمكن أن يفيد منها على أنها نقطة انطلاق لبحثه الخاص. ومن ذلك بوجه خاص مفهوم بنية المكونات والتوزيع(*).

(*) لقد تمسك تشومسكي كذلك بفكرة هاريس الأساسية و(بلومفيلد من قبل ايضاً، وهى أنه من الممكن وصف النحو دون اللجوء إلى المعنى، وهكذا نجد تشومسكي فى المرحلة الأولى أقرب النزعة الشكلية التوزيعية التى انفرد بها علم اللغة الوصفى الأمريكى. (المترجم)

/ وفى عمله: «دراسة مورفوفونيمية للعبرية الحديثة» (١٩٥١) رسم هدفه ١٧١
إجمالاً وهو توليد كم نهائى من الجمل[*]، وذلك من الجمل التى قدمت. وينبغى على النحو المصوغ لذلك أن يكون أداة بالغة الفاعلية، وشديدة الاقتصاد، وغاية فى اللطف من الناحية الرياضية. ويتكون مثل ذلك النحو حسب تشومسكى من أقوال نحوية عن الترتيب المُجَاز للوحدات فى الجمل ــ من قواعد حول الترتيب المورفيمى ــ القسم الرئيسى من ذلك المؤلف ــ من سلسلة من أقوال مورفوفونولوجية، تُحوِّل كل تابع مورفيمى فى متوالية من الفونيمات. واستخدم للتطبيق التقنى أوصاف العقد، مثل: NP, VP, PP (للمركب الاسمى، والمركب الفعلى، والمركب الحرفى على التوالى)، وغيرها. وقدم تبعية المكونات من خلال أقواس متباينة الأشكال ــ ()، و{ }، و < > ــ أى ليس بعد من خلال رسوم شجرية.

وفى ستى ١٩٥٦ و١٩٥٧م ظهرت تلك المؤلفات التى أثارت انتباه عالم التخصص[٢]، وبخاصة الصياغة التى أُعِدت للغويين، وتوفرت لهم أيضاً بشكل أفضل من «الأبنية النحوية Syntactic Structures» (١٩٥٧)[٣]. وهدف الكتاب بناء نحو لتوليد الجمل، ووصف خواص الأنحاء، وأخيراً تأسيس نظرية للبنية اللغوية دون صلة بلغات مفردة. وقد عالج فيه جمل اللغة الانجليزية. وينبغى على النحو G الذى يطمح إليه أن يكون آلياً، يولد كل الأشكال النحوية، هى وحدها، أى كل الجمل فى L (= لغة ما)، ولا يولد أية جملة لا ترد فى تلك اللغة L. وبالنسبة للجمل فى L (= تلك اللغة) يجب أن يوفر G (= النحو) وصفاً للبنية،

(*) أظن أن هدف تشومسكى قد صار بعد ذلك توليد كم غير محدود أو غير نهائى من الجمل من جمل مقدمة، وليس توليد كم محدد أو نهائى، كما ورد لدى المؤلفة حول تلك المرحلة المبكرة من فكره. (المترجم).

(٢) يلاحظ ان الدراسة «المورفوفونيمية» لم توجد إلا فى صورة مخطوط، وعند نشرها سنة ١٩٧٩ كانت ما تزال تستحق انتباهاً تاريخياً فقط.

(٣) ظهرت الترجمة الألمانية ١٩٧٣م ــ وهى من الناحية اللغوية فى بعض المواضع أشد عجزاً عن العون، أى بعد ترجمة المؤلف المحورى فى المرحلة الثانية «جوانب نظرية النحو» (بالألمانية سنة ١٩٧٠م).

ولا يجوز فى ذلك أن يؤتى بالوصف «نحوية» فى علاقة مع «حامل للمعنى» أو «مفيد». وقد صار مشهوراً للغاية مثال تشومسكى المكون من جملتين، كلاهما بلا معنى على نحو مماثل ـ فلا يوجد: "wild schlafende farblose grüne Ideen" (أفكار خضراء عديمة اللون نائمة بغضب) ـ غير أن الجملة الأولى منهما فى هذه المرحلة الأولى من بناء نظرية تشومسكى قد وصفت بأنها نحوية grammatisch:

(1) Colorless green ideas sleep furiously.

(الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة).

(2) Furiously sleep ideas green colorless.

(غاضبة تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون)(*).

ولا يجوز أن يساوى تماماً بين «النحوية» و«ممكنة» أو «واردة ذات معنى إحصائياً»، لأنه من المحتمل ألا تكون قد استعملت أية جملة من الجملتين فى أى وقت من قبل فى كلام انجليزى.

172 / اختير تشومسكى فى كتابه «الأبنية النحوية» إذن ثلاثة نماذج لوصف البنية النحوية؛ ووضحت فى كل نموذج فى الخاتمة جوانب الضعف التى حملته على الانتقال إلى النموذج التالى.

أما النموذج الأول فهو نموذج بسيط خاص بنظرية التواصل، يبحث بعمليات ماركوف A. A. Markov[4]، أى أنه ***آلة ذاتية الحركة ذات أحوال***

(*) يلاحظ هنا أن الترجمة العربية للجملة الثانية تكاد تكون مثل الجملة الأولى، ومن ثم يمكن أن توصف بأنها نحوية، غير أن تشومسكى يرى فى كتابه «الأبنية النحوية» ص ١٥، أنها مجرد مجموعة من الكلمات المختلطة بغير نظام، ومن ثم فهى غير نحوية فى اللغة الانجليزية. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه مما يدعو للأسف أن ذلك الكتاب قد ترجمه إلى العربية د. يوسف يوئيل عزيز الطبعة الأولى بغداد، سنة ١٩٨٧. ومع ذلك لم تجد هذه الترجمة أى صدى، سلباً كان أو إيجاباً، لدى اللغويين العرب. ولا أدرى لماذا؟!

(المترجم)

(٤) سمى باسم عالم الرياضيات الروسى P.P. ماركوف (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢)

كثيرة نهائية (محدودة)، تبدأ من حالة البداية، وتتقدم حتى حالة النهاية، وعند كل تغير للحالة تتولد وحدة لغوية. والآلة الذاتية الحركة ليست لها «ذاكرة»، اللغة تتولد منها، ثم إن لغة ذات حالات محدودة (finite state language) لا تتولد إلا على مستوى واحد من خلال توليد يبدأ من اليسار إلى اليمين، هو أمر غير مناسب للغات طبيعية. وينبغي هنا أن يكتفى بتعليل ذلك بأن تلك الآليات الذاتية الحركة معقدة للغاية، وتولد أيضاً ما هو أكثر من الجمل النحوية فقط. وكما أبرز فيت Weydt (١٩٧٦)، توجه جدل تشومسكي بخاصة ضد الصحوة السائدة آنذاك في معهد ماسشوتس فيما يتعلق بالسبرانية (Kybernetik)(*) التي توسم فيها إلى حين رؤى عميقة فاصلة في بنية الفكر.

ولما كانت عيوب هذا النموذج الأول لها وزنها انتقل تشومسكي إلى نموذج ثان، وهو ***نموذج بنية المركبات*** Phrasenstrukturmodell(**) واستفيد في ذلك من معلومات نحو المكونات المباشرة IC - G، أي استغلت بنية المكونات في التوليد. والاستنباط في هذا النموذج هو تتابع محدود من السلاسل التي تبدأ بسلسلة S (=جملة)، ويجرى في المضي في ذلك بتطبيق قاعدة الاحلال ***(قاعدة إعادة الكتابة*** "rewrite rule") في خطوات على السلسلة الفعلية المعنية. وتنتج اشتقاقات نهائية جملاً نحوية، وتسم الاشتقاقات غير النهائية/غير القابلة للانتهاء متواليات ليست جملاً نحوية في اللغة. ولقواعد الإحلال (إعادة الكتابة) الشكل الآتي:

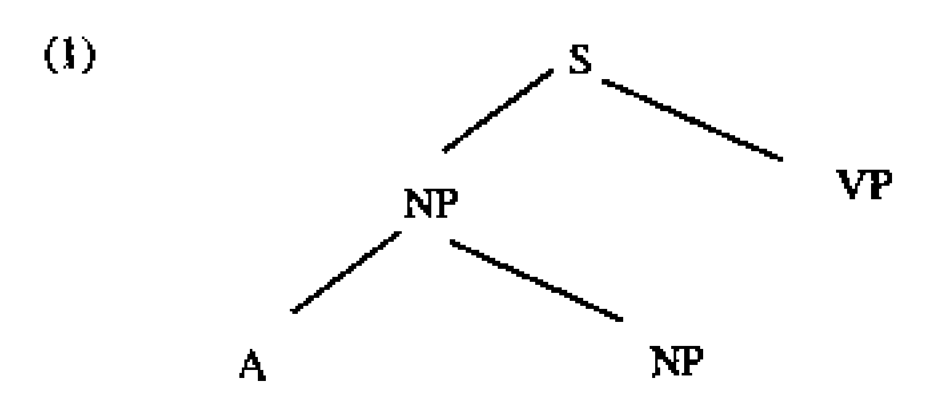
S ⟶ NP + VP   ج ⟵ م س + م ف

(*) ويترجم هذا المصطلح كذلك إلى السيبرناتية والكوبرنيكية وعلم الضبط والتكم والقبطانية، ويعنى الدراسة المقارنة لنظم السيطرة الآلية والاتصال في الجهاز العصبي والدماغ، وفي الآلات الميكانيكية والكهربائية (كالآلات الحاسبة وآلات الترموستات)، وبين ذلك الجهاز وتلك الآلات. (معجم بعلبكي اللغوي ص ١٣٢). ويترجم كذلك إلى علم التحكم، وهو علم توظيف الآلات ذاتية الحركة ورد فعلها المنضبط نتيجة لمثير محدد. (المترجم)

(**) استخدم تشومسكي هنا أيضاً اصطلاحات ذات أصل تصنيفي أيضاً، مثل: (P, SN, SV, N, V, DET., etc.)، واللغة نظام شكلي، ومجموع «الجمل» في نظام قائم في الرياضيات لغة... إلخ مما يمثل حقيقة كونه امتداداً للوصفية الأمريكية. (المترجم)

م س ←── ص + م س . . . . إلخ [٥] NP ──► A + NP usw.

والوسم الشجرى:



١٧٣ / ويقول تشومسكى حول ذلك: للعرض من خلال رسم شجرى فى مقابل الاشتقاق المكتوب بقواعد الإحلال عيبٌ، وهو أنه فى الرسم الشجرى لا يمكن أن يُعْرَض تتابع تطبيقات القاعدة مناسباً للعقد بعضها إلى بعض. ويعد هذا النموذج الثانى أكثر مناسبة لوصف لغات طبيعية من ذلك الذى عُرِض أولاً، غير أن به مع ذلك بعض العيوب. ويناقش تشومسكى إلى جانب بعض النقاط المعروفة مثل استخدام أشكال الاشتراك اللفظى Homonymien(*) بوجه خاص عيوبً ذات طبيعة تقنية، تنتج عن متطلبات بناء القواعد. ولما كانت تلك قد زالت فى النماذج المتأخرة فإنها لن تسرد هنا.

فقد أمكن التغلب على كل تلك العيوب من خلال النموذج الثالث، ***نموذج التحويل*** Transformationsmodell ذى النظام القاعدى المدمج.

---

(٥) تُقْرأ الرموز كما يأتى: NP = مركب اسمى (م س)، وVP = مركب فعلى (م ف)، وA = صفة (ص).

(*) يترجم هذا المصطلح أيضاً إلى مجانسة لفظية، وتجانس، وتجانس لفظى، مجانسة ويمثل الاشتراك أو المجانسة اللفظية مشكلة معقدة فى تحليل الجمل التى تحوى مشترك أو مجانس لفظى، بمعنى أن تكون إحدى كلمتين أو أكثر متماثلتين فى الصيغة، ولكنهما مختلفتان فى المعنى، سواء أكانتا متماثلتين فى الكتابة (نحو bark للنباح، وbark للحاء البحر)، أم مختلفتين فى الكتابة (نحو check وcheque) (انظر معجم البعلبكى اللغوى ص ٢٢٩) (المترجم)

والتحويلات في هذا النموذج ليست علاقات متناسقة بين جمل جاهزة، بل هي قواعد تحول سلاسل إلى سلاسل أخرى. وإذا طبقت «تحويلات إجبارية» فقط، فإنه تنشأ جمل بسيطة جاهزة، تسمى «الجمل النواة» "Kernsätze"(*)؛ هذه جمل نحوية في اللغة L. وإذا أجريت كذلك «تحويلات اختيارية»، فإنه تنشأ جمل ــ نحوية أيضاً ــ ذات فروق في البنية محددة بدقة مع الجمل النواة، مثل البناء للمجهول والاستفهام، والنفي. وحتى يمكن أن توصف تلك الجمل وصفاً صحيحاً، يُحتاج إلى معلومات حول مجرى الاشتقاق أى حول «تسلسل التحويل». فالتحويلات في هذا النموذج إذن غير متناسقة، غير معكوسة.

ويتكون وصف نحو G لغة ما L من المكونات الثلاثة الآتية: بنية المركبات ــ بنية التحويل ــ بنية مورفونيمية (صرفية صوتية). وتنقل (تحول) قواعد البنية المورفونيمية سلاسل من مفردات إلى سلاسل من فونيمات، مثل: + take" Präteritum ⟵ /tuk/" (يأخذ + ماضى ⟵ / أَخَذَ/). وبينما يجب أن يعرف تسلسل الاشتقاق (الاستنباط) بالنسبة لاستعمال قواعد التحويل، فإنه يكفى لكلا المكونين الآخرين أن تُعْرَف السلسلة المدروسة في الوقت الحاضر.

وهكذا فإن الأنحاء المفهومة هي

* طبيعية بالنسبة للمتكلم والسامع، وهي وحدها وصف للمنطوقات، دون علاقة بمستخدم اللغة،

* مبنية دون علاقة بمعنى المنطوق.

(*) الفكرة المركزية هنا أن العدد غير المتناهي من الجمل الصحيحة الممكنة في لغة ما يولد انطلاقاً من عدد محدود من الجمل الأساسية أو الجمل النواة kernel sentences ــ راجع مفهومي الجملة النواة والتحويل لدى هاريس؛ وهو باختصار إن بنية لغة ما تتمثل في مجموعة جملها النواة إضافة إلى مجموعة من التحويلات ــ وذلك من خلال تطبيق القواعد المحددة (الحذف والإضافة وإعادة الترتيب والاستبدال) عبر تسلسل دقيق. إن تشومسكي في محاولات حثيثة يسعى إلى أن يقدم للمرة الأولى نظرية لغوية دقيقة البناء على شكل نموذج فرضي استنتاجي بالمعنى المنطقي الرياضي. (المترجم)

وأكثر من ذلك: يرفض تشومسكي بوجه عام التساؤل: كيف يمكن أن يبنى نحو **دون رجوع** إلى المعنى؟ باعتباره غير مناسب، لأنه يتبع: يمكن أن يبنى نحو **برجوع** إلى المعنى؛ وهو لا معنى له كذلك. ويأتي تشومسكي بتساؤل مخالف للمنطق ad absurdum في مجمله، حيث يصوغه في تساؤل تال، وهو: «كيف يمكن/ أن يبنى نحو دون معرفة لون شعر المتكلم؟» ولم تصر العلاقات المتبادلة بين البنية اللغوية والبنية الدلالية وثيقة الصلة إلا باعتبارها موضوع **نظرية لغوية** Sprachtheorie عامة، تعنى بالنحو والدلالة والروابط بينهما ـ وفيها ينبغي أن يراعى أيضاً مستخدم اللغة، أي أن ذلك ليس في نظرية النحو ذاتها.

١٧٤

باختصار يمكن أن يقدم الموضع الصحيح لكتاب «الأبنية النحوية» داخل التصور النحوي لعلم اللغة في الولايات المتحدة الأمريكية:

قال تشومسكي في وقت لاحق عن هذه المرحلة من بحثه: إنه بصياغة قواعد بنية المركبات لم يفعل شيئاً أكثر من تعديل إجراءات هاريس المأخوذة من "From Morpheme to Utterance" (من المورفيمات إلى المنطوق)، وبيان «كيف يمكن أن تنتج هذه الأفكار **نحواً توليدياً**. وفي الواقع أفاد تشومسكي أيضاً من الاستراتيجية العامة، وهي معالجة العلاقات بين المكونات بوصفها عنصراً أساسياً وحيداً، واستنباط كل العلاقات الأخرى منها.

بيد أن الجديد هو أنه لم يعد ***الورود الممكن*** لمنطوق ما هو الفيصل، بل **نحويته** Grammatikalität(*). والجديد أيضاً الاستنباط المُقَعَّد للمنطوقات

(*) لقد أثار مفهوم النحوية أو القواعدية جدلاً كبيراً، إذ أسند الحكم حول الصحة النحوية أو عدم الصحة إلى عنصر غير لغوي، وهو حدس الناطق باللغة native speaker وهو ما قاله هاريس تماماً، غير أنه رأى أنه لا يمكن لهذا المخبر صاحب اللغة أن «يدخل» كعنصر في نموذج توليدي أو في آلة حاسبة. على أية حال لقد قادت الفكرة إلى أخرى في نسق منطقي. لقد انطلق تشومسكي من مفهوم التحويل الذي قاده إلى مفهوم القواعدية، الذي جعل اللجوء إلى حدس المتكلم ضرورياً مما قاد إلى مفهوم الكفاءة. ومن جهة أخرى لقد قاد مفهوم التحويل إلى التمييز بين بنى السطح والبنى العميقة، ولقد قاد وجود البنى العميقة إلى الشموليات الجوهرية والشموليات الشكلية التي اعترف تشومسكي نفسه بعدم قدرته على تفسيرها إلا من خلال فرضية الفطرية. (المترجم)

بمساعدة تحويلات إجبارية واختيارية. غير أن الجديد بصفة خاصة هو الادعاء (المطالبة) بنظرية نحوى: فبينما أراد هاريس أن يدرس «إجراءات الكشف discovery procedures» التي بمساعدتها يُستنبط النحو من المادة اللغوية للنص المقدمة، عَدّ تشومسكي ذلك غير ممكن، ووضع المطلب الأصعب «بإجراءات تقويم evaluation procedures» تُصيب، بالنسبة لمادة لغوية مقدمة ونحويّن متعلقَيْن بها، الاختيار بين هذين النحوين(*).

وهكذا ينظر إلى «الأبنية النحوية» إجمالاً على أنه مثال للاستمرار والانقطاع في تطوير التفكير اللغوى.

٨ ـ ٣ النماذج التوليدية: المرحلة الثانية

في مطلع الستينيات طور تشومسكي من النموذج الثالث في «الأبنية النحوية» نظرية نحوية أكثر شمولاً، قدمها متصلة في كتابه "Aspects of the Theory of Syntax" (جوانب النظرية النحوية) (١٩٦٥، وترجمه إلى الألمانية ١٩٧٠م)(**). وعرف «نموذج ـ الجوانب» تحت مصطلح «نظرية المعيار Standardtheorie». وسنوضح أهم خصائصها فيما يأتي في صورة مباحث مرقمة. ويصح في ذلك أن الأمر في هذا الفصل لا يدور حول مدخل إلى النحو

(*) وفي مقام المقابلة بين الوصف اللغوى، والوصف البنيوى التصنيفي يرى تشومسكي أن الوصف الذي يستخدمه يتجاوز ذلك للوصف الذي يستخدم «طرائق الاكتشاف» فقط، بل يعارض وصف التحويلات ذلك المفهوم لوصف ويتجاوزه «إن نظام الكفاءة اللغوية مختلف نوعياً عن كل ما يمكن أن يوصف بالطريقة التصنيفية»، وبعبارة أخرى إنه لا يتعامل مع بنى سطحية يُجزّئ وحداتها ويعددها ويصنفها، بل يقوم بوصف التحويلات التي توصل إلى البنى السطحية: وتمثل القواعد التحويلية بهذا المعنى وصفاً للكفاءة، وتختلف نوعياً عن الوصف التصنيفي لكونها تفسر من خلال الوصف. (المترجم)

(**) وترجمه إلى العربية مرتضى جواد باقر البصرة سنة ١٩٨٣. وتكرر التجاهل ذاته، فقد لقيت هذه الترجمة أيضاً اهتماماً محدوداً للغاية، برغم جودة ترجمته وسلامة أكثر مصطلحاته وصحة عبارته، فلماذا التجاهل؟ هل لأن بين الأصل والترجمة مدة ما يقرب من عشرين عاماً؟ وما هذا؟! إن كتاب دى سوسير لم يترجم إلى اللغات الأوربية إلا بعد مدة أطول من هذه، وفي بعض اللغات بعد أكثر من خمسين سنة، ولكن لننظر ماذا كانت ردود أفعالهم وردود أفعالنا تجاه الترجمة!!! هذا هو شأن العلم، أما ما نفعل نحن فأمر آخر، لنسمه أى اسم آخر إلا العلم. (المترجم)

التوليدي ــ ولذلك لا يُتطلع أيضاً إلى عرض كامل ــ، بل حول نظرة عامة خاصة بتاريخ العلم، تنشيء علاقة بين مراحل مبكرة ومراحل متأخرة من مراحل تطور النظرية، ويلزم أن تيسر التوجه.

١٧٥

١ ــ مكونات النحو وبناء القواعد

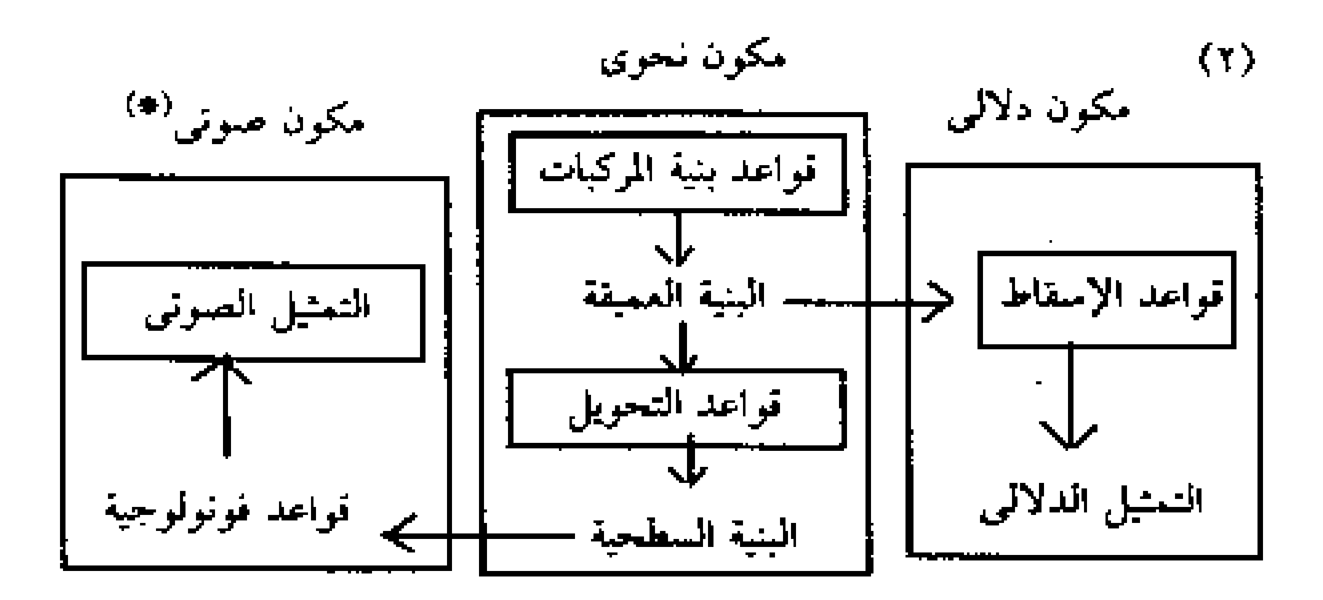
يقع في قلب نظرية المعيار حتى الآن بناء النحو وعمله، أي المكونات التوليدية. والجديد هو بناؤها الداخلي. وقد وُضعت بنيتان نحويتان: مكونات الأساس مع قواعد بنية المركبات (PS - Regeln) تولدها «البنية العميقة» (deep structure). تلك الأخيرة تحول بواسطة قواعد التحويل (T - Regeln) إلى «البنية السطحية» (surface structure). وهكذا تولد مكونات الأساس أبنية مجردة، أما البنية السطحية فقط فتطابق الجمل ــ الصحيحة ــ المعينة في اللغة.

ويُربَط المكون النحوي الآن في النموذج الكلي للنظرية النحوية، الذي يراد منه أن يكون نظرية المعيار بمكونات أخرى للنحو. ويحدث ذلك في هذه المرحلة من تطور النظرية أيضاً من خلال إلحاق أفقي (خطي) لكل مكون جزئي نحوي بكل مكون آخر. ولم يبرز تشومسكي أن الأمر يتعلق حقيقة بشبكة من العلاقات إلا في نماذج متأخرة. وتحدد البنية العميقة التفسير الدلالي للجملة، وتحدد البنية السطحية التفسير الصوتي. وبذلك يكون للبنية العميقة ربط مزدوج: فهي مُدْخَل لقواعد التحويل التي تنشيء البنية السطحية، ومُدْخَل لقواعد الإسقاط (Projektionsregeln) التي يحصل المرء عند تطبيقها على التمثيل الدلالي(*).

(*) يطرح تشومسكي هنا مفهوماً مرتبطاً بالقواعد التحويلية ألا وهو التمثيل، وهو لديه لا ينفصل عن الوصف والشرح، إذ إن كل وصف هو تمثيل للموضوع المدروس، وينطبق ذلك على الوصف التصنيفي نفسه. ومهما بلغت درجة التجريد في الوصف التحويلي التوليدي لجملة ما فهو تمثيل لهذه الجملة من وجهة نظر تشومسكي. وهكذا فإن مفهوم التمثيل يدل كما يقول مونان على مفهوم الوصف ومفهوم الشرح، أي مفهوم التنظيم والتفسير. وهو يبتعد بذلك كثيراً عن الاستعمال الرياضي الحديث لكلمة نظرية بالمعنى الدقيق للكلمة، وهو أنها تكوين فرضي استنتاجي، وتتمثل عناصر هذا التكوين في «عدد قليل من الكلمات التي لا تتبدل»، وفي كون هذه الكلمات «تجتمع حسب نظام يتألف من عدد قليل من القواعد التي لا يمكن خرقها» (علم اللغة... ص ٢١٢، ٢١٦). (المترجم)

فلا تطبق إذن على البنية السطحية إلا قواعد فونولوجية لإنشاء التمثيل الصوتي. وبتعبير آخر: **يتوسط المكون النحوي في إلحاق الصوت - بالمعنى**. وتبعاً لذلك فإن للنموذج التوليدي الثاني، نظرية المعيار البناء التخطيطي[٦] الآتي:

(٢)



/ لم يُعيَّن **مكون مورفولوجي**. ومن المعتاد أن يلاحظ ممثلو هذه النظرية **١٧٦** أنه بالنسبة للغة الانجليزية الواقعة آنذاك في قلب أوجه الوصف التوليدية أمكن إشراك المعلومات المورفولوجية القليلة في المعالجة من خلال المكون الفونولوجي. ولعل إدخال لغات أكثر ثراء في المورفولوجيا فقط قد جعل التصويبات أمراً

(٦) أُخِذَ الرسم التخطيطي من كتاب: ج. فانسيلو G. Fanselow / وس. فيلكس S. Felix ١٩٨٤، ٤٤.

(*) سواء أُعِدَّ هذا الشكل الذي قدمه تشومسكي للنحو التوليدي تعديلاً له أو تفسيراً فإنه يتسم بمكوناته الرئيسة الثلاثة التي يمثل فيها المكون النحوي وسيطاً بين المكون الصوتي والمكون الدلالي، ويعد الأخيران عناصر تفسيرية (راجع فيما سبق مفهوم التمثيل وصلته بالشرح والتفسير)، ويتكون المكون النحوي من أساس وعنصر تحويلي، ويُنتِج هذا الأساس البنية العميقة التي تقدم التفسير الدلالي، وتتشكل البنية السطحية بناءً على قواعد التحويل، ثم تُسهِم القواعد الفونولوجية في تقديم التفسير الصوتي للبنية السطحية الخارجية. وقد أُدخِل العنصر المورفولوجي ضمن العنصر الفونولوجي كما هي عادة تشومسكي منذ المرحلة الأولى. (المترجم)

ضرورياً. ويبين عمل تشومسكي المبكر «دراسة مورفوفونيمية للعبرية الحديثة (١٩٥١/ ١٩٧٩) أن الأمر هنا لا يدور حول اللغات المولدة فحسب، بل حول فهم النظرية والإجراء المنهجي بوجه عام أيضاً. وفي ذلك العمل وصفت العبرية الحديثة (= Iwrith «عبريت») الثرية في المورفولوجيا أيضاً دون مستوى مورفولوجي؛ بقواعد ليس منها القواعد المورفولوجية.

ولم يُعيَّن كذلك **مكون معجمي** مستقل. وقد أدخلت معلومات معجمية في البنية العميقة في صورة قائمة غير مرتبة بكل الوحدات المعجمية التي ترتب إلى جوار المكون الأساس. وفي ذلك تعرض وحدات معجمية من خلال سمات نحوية وسمات فونولوجية أيضاً، يجب أن تراعي عند وضع عناصر لغوية معينة في العقد النهائية للرسوم الشجرية، وبذلك يمكن أن تنشأ جمل صحيحة في اللغة.

لم نتناول هنا الأنماط الفرعية المميزة لقواعد مكون الأساس (***قواعد التقسيم إلى فصائل فرعية*** Subkategorisierungsregeln)(*)، ***وقواعد الاختيار*** Selektionsregeln). ويمكن للقارىء المهتم بذلك أن يقرأ حول ذلك في كتاب «جوانب النظرية النحوية» نفسه. ومع ذلك يلاحظ إجمالاً أن القواعد يجب أن تستعمل في تتابع منظم، وأن وضع مادة معجمية أجرى تابعاً للسياق.

ويلى الآن لتصوير ذلك موجز من توليد البنية العميقة لجملة:

Sincerity may frighten the boy,

([الـ] إخلاص ربما يرعب الطفل) قارن تشومسكي:

(*) يذهب ايمون باك في معرض تناوله لشروط النظرية بالمعنى الرياضي الدقيق والمفاهيم التي استخدمها تشومسكي في نظريته من وصف وتفسير وتمثيل ونموذج ومعايير وقواعد... إلى أنه تشبه القواعد، بالمعنى الذي يفهمه تشومسكي إلى حد كبير، نظرية رياضية شكلية (...) وتظهر هذه النظرية الرياضية على شكل مجموعة مبادىء منسجمة، ومسلمات ومبادىء أولية مجهزة بقواعد واضحة التكوين لكي تسمح باستنتاج فرضيات جديدة وبتعريف تعابير جديدة انطلاقاً من المجموعة الأولى. (المترجم)

«جوانب النظرية النحوية، بالألمانية سنة ١٩٧٠، ص ٨٨، ٨٩[٧]:

قواعد إعادة الترتيب:

S → NP AuxVP

VP → V NP

NP → Det N

NP → N

Det → the

Aux → M

/ قواعد التقسيم إلى فصائل فرعية:

١٧٧

N → [+ N, ± App]

[+ App] → [± Ind]

[+ Ind] → [± Belebt]

[- App] → [± Belebt]

[+ Bel] → [± Mensch]

[- Ind] → [± Abstr]

المعجم:

(Sincerity , [+ N, _ Ind, + Abstr])

(boy, [+ N, + Ind, + App, Bel, + Mensch])

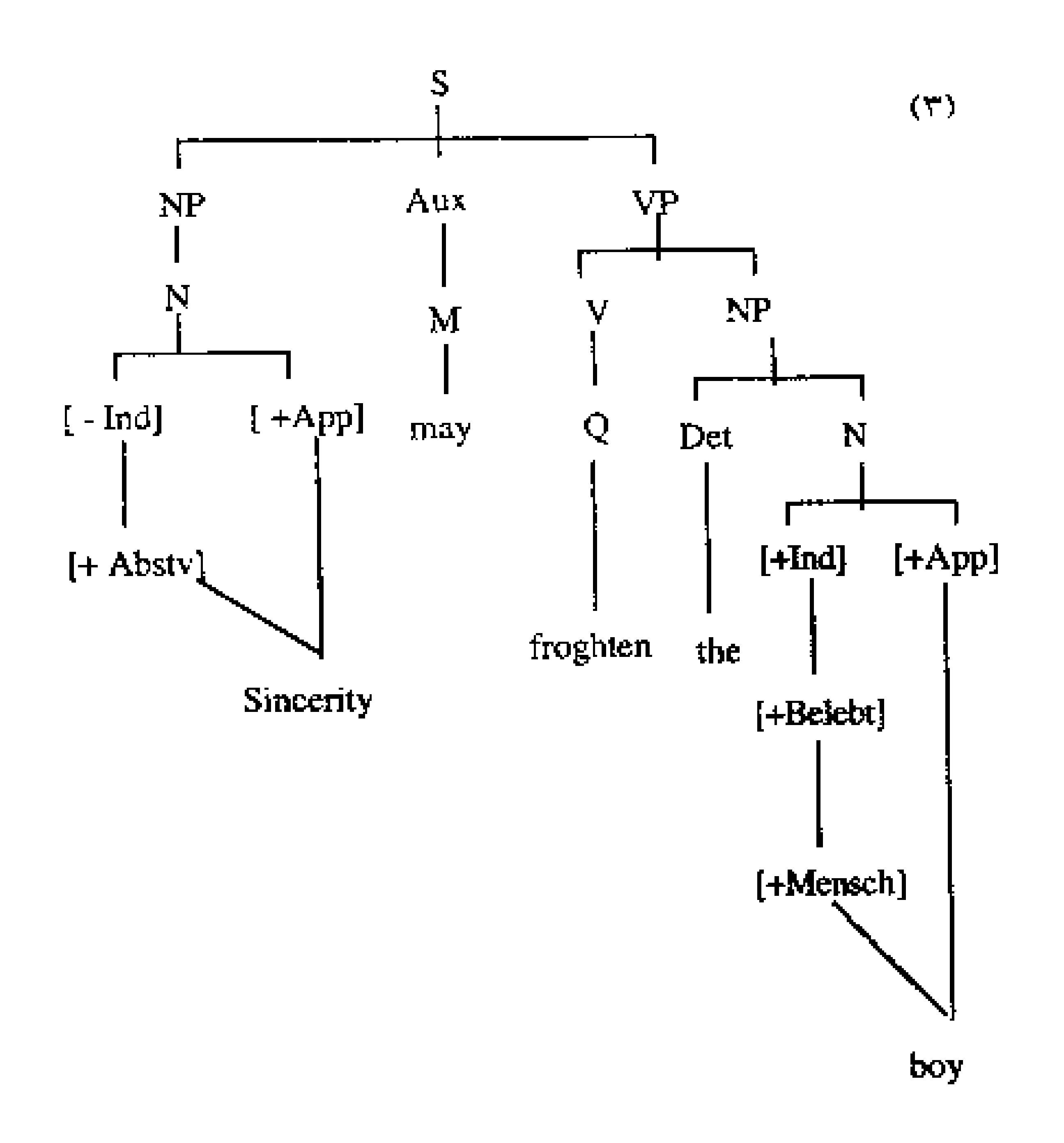
(may, [+ M])

التمثيل من خلال رسم شجرة (الواسم ــ م)

---

(٧) المختصرات التي لم توضح بعد: Aux (فعل مساعد)، Det (مُحَدِّد)، M (فعل تصيغة)، App (الاسم العام)، Ind (مفرد)، Bel (حي)، Abstr (مجرد)؛ وفي الرسم (٢): Q = فعل مُحَلَّل من خلال قواعد.

(٣)

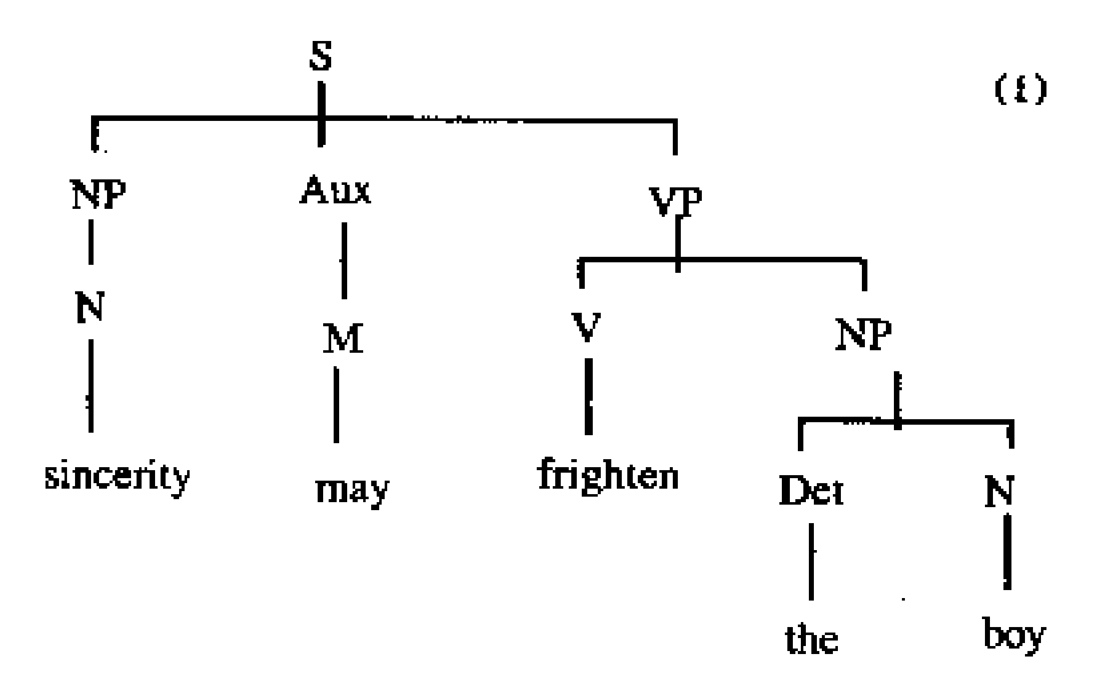


يمثل الرسم البنية العميقة، التى طبقت عليها قواعد التحويل، حتى نحصل من خلال ذلك على البنية السطحية، أى الشكل النحوى لجملة:

Sincerity may frighten the boy.

١٧٨ / وتتضح المناسبة الاكبر لمثل ذلك الوصف للبنية بوجه خاص فى مقابلته بوصف البنية فى «الأبنية النحوية» (انظر ما ورد تحت ٨ ـ ٢). هنا ربما كان يطابق هذه الجملة الوصف النحوى الآتى:

(٤)



٢ ـ عرض الوظائف النحوية

فى النحـو التقليدى توصـف إلى جانب الفصـائل النحوية وظائـف عناصر الجـملة، أى: الفـاعل والمفـعول والمسـند (المحمـول)... إلخ. النمـاذج الأولى لتـشـومـسـكى لم تراع تلك الوظـائف، بخـلاف نـظرية المعـيـار، أى نموذج «الجوانب...». «فالفاعل» يشير هنا داخل النظرية إلى **وظيفة** نحوية فى مقابل ***الفصيلة*** النحوية؛ مـركب اسمى (NP). بمعنى أن الفاعل والمفـعول... إلخ **مفاهيم علاقية** relationale Begriffe ولذا فهى متـصلة دائماً بالجملة. وهكذا فإن sincerity (الإخـلاص/ الصدق) فى الجـملة المثـال فى المبحث السـابق هى مركب اسمى (م س)، **وتقوم بوظيفة** فاعل الجملة. ولما كان يفرق بين وظائف الفصـائل فإنهـا أيضاً بالقـياس إلى الأخـيـرة لم تُدرج مبـاشـرة فى عـمـل الرسـوم الشجرية، ولا تصف أية عقد؛ ولكن الوظائف موجودة ضمنياً من قبل فى الرسوم (على سبيل المثـال فى الرسم رقم (٣))، وهى محددة من خلال علاقات مـتـدرجة للعقد بعضها ببعض كما يأتى:

(i) فاعل ــ لـ : [NP, S]

(ii) محمول ــ لـ: [VP, S]

(iii) مفعول ــ مباشر ــ لـ: [NP, VP]

(iv) فعل رئيسي ــ لـ : [V, VP][٨]

/ وبالنسبة للمثال (i) يجب أن يُقرأ: فاعل الجملة هو ذلك المركب الاسمى (م س) الذى تتسلط عليه مباشر الجملة (S). قارن بذلك (iii): المفعول المباشر لجملة ما هو ذلك المركب الاسمى الذى يتسلط عليه مباشرة المركب الفعلى (م ف)، ولا تتسلط عليه الجملة (S) إلا بشكل غير مباشر. ١٧٩

ويشكل استخدام الوظائف النحوية تجديداً مهماً فى تطوير نظرية النحو التوليدى.

٣ ـ كفاية الأنحاء

كما ذكر من قبل فى الفصل الثامن ٨ ــ ٢ لم يطالب تشومسكى خلافاً لهاريس بإجراءات الكشف (الاكتشاف)، فقد عُدَّ من غير الممكن التوصل إلى نحو عبر تلك الإجراءات من نص ما. وبدلاً من ذلك عَمِل بأوجه تقويم (evaluations)، وقارنَ إذن بين أنحاء بالنظر إلى كفاءتها. وفى نموذج «الجوانب..» المعيار الحاسم فى ذلك، هو كيف يمكن لنحو ما أن يشكل بكفاءة فهمَ متكلم لغة ما عبر ذلك (النحو). ووضع تشومسكى ثلاثة مراتب للكفاية Adäquatheit: كفاية الملاحظة والكفاية الوصفية، وكفاية التفسير. وتشكل المراتب الثلاثة تدرجاً (سلمية)، ليست المرتبة الدنيا فيها أيضاً بأية حال تافهة، لأنه للتوصل إليها يجب أن تبدو المواد الملاحظة صحيحة. ولا تتوصل الكفاية الوصفية إلى نحو إلا حين:

تصف موضوعه وصفاً صحيحاً ــ أى الحدس، الكفاءة اللغوية للمتكلم(*) [انظر ما يرد تحت ٥ ــ ب. ب. (المؤلفة)]. وبهذا المعنى يكون النحو

---

(٨) من كتاب تشومسكي المترجم إلى الألمانية ١٩٧٠، ص ٧٥.

(*) من الصعب المقابلة بين مفهومى اللغة والكلام لدى دى سوسير ومفهومى الكفاءة والأداء لدى تشومسكى. ثمة فروق دقيقة بينهما، إذ الكفاءة لدى كل متكلم أو مستمع هى المعرفة الحدسية أو المعرفة الضمنية للغة بمعنى القدرة على إنتاج عدد غير محدد من الجمل لم يسمع بها من قبل، وفهمها على حد سواء [وهو ما يسميه أيضاً المظهر الإبداعي للغة]، كما يعنى القدرة على التمييز بين الجمل النحوية والجمل غير النحوية فى لغة ما. فأين الالتقاء بين مفهوم الكفاءة ومفهوم اللغة؟! ومن الممكن كذلك تمثيل كفاءة الناطق باللغة بنظام كامل من القواعد الواضحة والمنظمة والثابتة التى تسمح بتوليد عدد يمكن أن يكون غير محدود من الجمل الصحيحة فى لغة ما، وهذه الجمل فقط. وليس الأداء سوى التمثيل المادى لهذه الكفاءة. (المترجم)

مسوغاً لأسباب **خارجية**؛ لأسباب التطابق مع الوقائع اللغوية. (١٩٧٠، ٣٥).

ويدخل في ذلك ضمن ما يدخل إمكان معرفة فروق البنية الكامنة تحت أوجه التشابه السطحي.

وأخيراً لا يمكن لكفاية التفسير إلا أن تطالب بنظرية تجيز الاختيار من عدة أنحاء معمقة،

مع مواد لغوية أساسية معطاة، تكون معها كل الأنحاء رهن الاختيار متساوقة. وبهذا المعنى يكون النحو مسوغاً لأسباب ***داخلية***؛ لأسباب علاقته بنظرية لغوية تقدم فرضاً تفسيرياً حول شكل اللغة في ذاتها. (١٩٧٠، ٣٥).

ومن العسير للغاية الوصول إلى تلك المرتبة العليا من الكفاية، وبالنسبة لتشومسكي لا يكون قادراً على ذلك إلا نحو توليدي. وقد صمم نموذجه في «الجوانب...» لهذا المطلب.

٤ـ مشكلة الكليات «الشموليات»

يرتبط بزعم كفاية التفسير الزعم أيضاً بإمكان معالجة كليات لغوية، أي خصائص، تشترك فيها كل اللغات الطبيعية. وفي الستينيات بدأ تشومسكي إقامة علاقة بين نحوه التوليدي والإرث الفلسفي للأنحاء العامة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين(*). وكانت نتيجة هذه/ الجهود بادىء الأمر الدراسة التي تعرضت للنقد في الغالب بسبب أوجه عدم الدقة الفلسفية، وهي: "Cartesian

١٨٠

(*) برز هنا بصفة خاصة نحو بور رويال الذي قام على أسس الفلسفة العقلية للفيلسوف الفرنسي ديكارت في القرن السابع عشر الذي رد المعرفة الحقيقية إلى العقل مؤكداً الأفكار الفطرية والمبادىء العامة، ويبرز كذلك دور المفكر الألماني فون هومبولت الذي عده تشومسكي صاحب فضل كبير في ربط اللغة بالعقل، فقد كانت فكرة التوليد واضحة عنده، حيث كان يرى أن اللغة تنتج من وسائل محددة استعمالات غير نهائية، ويدخل كذلك نحو بانيني كما ذكر تشومسكي نفسه في كتاب «جوانب النظرية النحوية». وقد أطلق على تلك القدرة العقلية للإنسان «الجانب الإبداعي أو الخلاق creative aspect (kreativer Aspekt =) (ص ٩ من الترجمة الألمانية)

(المترجم)

"Linguistics" (علم اللغة الديكارتى) (١٩٦٦)، غير أنه قبل ذلك فى نموذج «جوانب النظرية النحوية» عنى تشومسكى بمشكلة الكليات؛ موضوع اهتم به دائماً بدءاً من ذلك الوقت، ووصل فيما بعد إلى ذروته من خلال تعميق «النحو الكلى» (UG).

وفى نموذج «الجوانب...» وضع نمطين من الكليات: ***الكليات المادية، والكليات الشكلية.***

أما ***الكليات المادية*** substantielle Universalien(*) فهى الفصائل والسمات التى تشكل المادة لوصف اللغات، قارن:

وتزعم نظرية للكليات المادية أن وحدات معينة ترد فى كل لغة، استقيت من فئة محددة من الوحدات. (١٩٧٠، ٧٣).

ويذكر تشومسكى مثالاً على ذلك نظرية ر. ياكوبسون للسمات الفارقة (قارن الفصل الرابع ٤ ـ ٥ ـ ١)، كلية مادية فى صورة ١٢ زوجاً من السمات، تختار منها لغات العالم سمات معينة لبناء نظامها الفونيمى

وأما ***الكليات الشكلية*** formale Universalien فعلى العكس مما سبق خواص كلية ذات طبيعة مجردة. تتعلق بأنماط القواعد فى النحو، وإمكانات ربط القواعد. ويعد تشومسكى البناء الداخلى لأنحاء توليدية مثل البناء الداخلى للنحو التحويلى التوليدى مرشحاً للكليات الشكلية. ذلك

يتضمن أن كل اللغات وضعت وفق النموذج ذاته، ولكنه لا يتضمن أنه يوجد تطابق أياً كان حذو النعل بالنعل بين لغات مفردة(**). (١٩٧٠، ٣٧).

(*) للصفة substantielle عدة معان: مادى، جوهرى، موضوعى، مهم... وقد اخترت المعنى الأول لأن لذلك صلة الثنائية اللغوية المعروفة المادة Substanz والشكل Form، ويؤكد ذلك الصفة المقابلة وهى formale (شكلى). (المترجم)

(**) تطلبت فرضية المعرفة الفطرية لدى الإنسان فرضية الكليات أو الشموليات فى اللغات مرحلة منطقية لاحقة، إذ إن الاستعداد الفطرى لا يمكن أن يقوم، فى الواقع، إلا على مجموعة آليات شمولية يسميها تشومسكى «جهاز اكتساب اللغة» linguistic aquisition device L.A.D. يمتلكها الطفل، وتسمح له بتجديد النموذج اللغوى الذى عليه أن ينسجم معه عبر ما يتلقاه من محيطه، وتمثل الخواص المشتركة بين اللغات تلك الشموليات الأساسية، التى لا تكتشف كما يرى تشومسكى إلا من خلال تحويل التنوع الضخم للأبنية السطحية للغات إلى عدد قليل من الأبنية العميقة (الفصائل، والسمات، والوظائف، والقواعد) التى تبدو واحدة فى اللغات معظمها أو كلها. (المترجم)

وفى التطور اللاحق للنظرية درس تشومسكى مشكلة الكليات مرتبطة بتعليم الطفل اللغة بوجه خاص. مثل تلك الأفكار، وكذلك موضوع الكفاءة اللغوية إجمالاً (انظر المبحث الآتى) أفضت بعد ذلك فى السبعينيات والثمانينيات إلى إنشاء النحو الكلى (UG).

٥ ـ الكفاءة اللغوية والأداء اللغوى

يبدأ تشومسكى توضيح هذه الثنائية بالتعريفات الآتية: موضوع النظرية اللغوية فى المقام الأول متكلم ــ سامع مثاليان، يحيان فى جماعة لغوية متجانسة تماماً، ويعرفان لغتهما معرفة ممتازة، وعند استخدام معرفتهما اللغوية فى الكلام الفعلى لا يتأثران بتلك القيود المنفكة الصلة لغوياً، مثل:

١٨١

/ ــ ذاكرة محدودة

ــ شرود واضطراب

ــ انحراف فى الانتباه والاهتمام

ــ أخطاء (عارضة أو نمطية)

[...]. وعند بحث الاستعمال اللغوى الفعلى يجب أن يُنْتَبَه إلى التأثير المتبادل لعدد من العوامل، لا تمثل الكفاءة الأساسية للمتكلم ــ السامع إلا واحداً منها. (١٩٧٠، ١٣).

وبهذا الطريقة وضع حداً بين معرفة المتكلم ــ السامع للغة ما (*الكفاءة* competence) عن الاستعمال الفعلى للغة فى مواقف محدد (الأداء performance)(*).. ويُلاحظ كذلك: أن الأنحاء التوليدية لا توُضَع نماذجَ

(*) للكفاءة مساحة مهمة فى نظرية تشومسكى اللغوية، فليست مقدرة تفسيرية بقدر ما هى مقدرة توليدية، مقدرة على الإنتاج والفهم والتمييز؛ إنتاج جمل غير محدودة من وسائل محدودة، وفهم جمل لم تسمع من قبل، وتمييز بين الجمل النحوية والجمل غير النحوية. ويتوقف الأداء على وجود تلك المقدرة، وإن كان يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن الأداء توجهه ظروف وعوامل غير لغوية مثل معارف الذاكرة وطاقتها المحدودة... إلخ. وقد فرق تشومسكى بينها فى صورة بسيطة حيث قال: نفرق إذن الكفاءة اللغوية، وهى معرفة المتكلم السامع بلغته، واستعمال اللغة (الأداء)، وهو الاستخدام الفعلى للغة فى موقف معين. (انظر التفاصيل فى: ص ١٤ من الترجمة الألمانية لكتاب جوانب النظرية النحوية). (المترجم)

للمتكلم ــ أو السامع، إنها تصف المعرفة اللغوية وصفاً محايداً بالنظر إلى هذا التفريق، الذى لم يَصِر وثيق الصلة إلا مع الاستعمال اللغوى (الأداء). ولذلك أكد تشومسكى (١٩٧٩، ١٩) أن «توليد جملة» هنا لا يجوز أن يفهم أنه متعلق بالمتكلم، بل إن هذا المفهوم[٩] ــ بالنظر إلى المنطق الحديث ــ يعنى فى هذا المعنى «إلحاق بجملة ما وصف لبنيتها».

إن المتكلم ــ السامع المثالى بالنسبة لتشومسكى هو إظهار مثالى (نمذجة) ضرورية، وبمساعدة هذا الفرض المنهجى فقط يمكنه أن يكتشف النظام القاعدى الأساسى، ***النحو*** Grammatik[*] الذى يمتلك بالنسبة له «واقعاً عقلياً»، أى لم ينجزه عالم اللغة، بل هو مُرَكَّب فى النظام الإنسانى للإدراك[١٠].

ويشير فرض الواقع العقلى للكفاءة اللغوية إلى شيئين آخرين من جوانبها، وفى الحقيقة إلى الإبداعية، وإلى شروط إمكانية التعليم:

فالإبداعية بالنسبة لتشومسكى ليست حكماً قيمياً؛ إنه لا يفهمها على أنها إبداعية مصطنعة، بل هى التعامل العادى باللغة، بمفهوم هومبولت أنها «استعمال لا نهائى من وسائل محدودة»، ويكون المتكلمون قادرين على ذلك، أى أنها ظاهرة أنه يمكن أن تبنى من رصيد محدود من وحدات لغوية وقواعد حول ائتلافها منطوقاتٌ لغوية كثيرة جديدة دائماً، ولا نهائية بمفهوم رياضى، وأن تفهم

---

(٩) هو حسب تشومسكى مرادف لمصطلح . ف . هومبولت "erzeugen" (توليد).

(*) هناك أسباب كثيرة جعلتنى استخدم ترجمة نحو للمصطلح "Grammatik"، وليس قواعد كما وردت فى عدد كبير من المؤلفات اللغوية التى عالجت نظرية تشومسكى أو غيره من الانحاء الأخرى، وأهمها إمكان مجىء كلمة Regeln صفة أو مضافاً للمصطلح، فهى يصح هنا أن يقال قواعد القواعد أو قواعد قواعدية، كما أن مفهوم قواعد أضيق من مفهوم نحو، إذ يتضمن النحو القواعد، وليس العكس، كما أن مفهوم «النحو» فى التراث العربى وبعض الاتجاهات اللغوية الأوربية يضم القواعد النحوية (التركيبية) والصرفية والصوتية. . . إلخ. (المترجم)

(١٠) فى كتاب تشومسكى (١٩٧٠ ب) يقول حول ذلك: يجب أن تبحث أنظمة مثالية، وبعد ذلك فقط يمكن للمرء أن يتساءل، كيف تتمثل هذه الأنظمة داخل الأفراد الواقعيين، وكيف تتفاعل؟

أيضاً. وصياغة هومبولت هي سبق عبقري لعملية صار إمكان استعمالها حقيقة، في الوقت الحاضر فقط، بعد أن حللت أسس بحث/ الرياضيات **عمليات تكرارية** rekursive Prozesse(*). وليس مستخدم اللغة على وعي بهذه العمليات مثل النحو التوليدي إجمالاً أيضاً، وربما لا يستطيع أيضاً أن يعيها، بل إن اللغوي يشيدها بوصفها نموذجاً للكفاءة اللغوية.

١٨٢

واستخدم تشومسكي بحوثاً حول ***الاكتساب اللغوي*** Spracherwerb معياراً لكفاية نظريته اللغوية. فاكتساب الطفل اللغة، وهو الذي يتمها في غضون سنواته الخمس تقريباً ــ وفي الحقيقة حتى النضج الدراسي ــ لا يُوَضَّح بنماذج ميكانيكية ــ سلوكية. إن تلك المدة الزمنية قصيرة للغاية، والطفل لا يستطيع في هذا الوقت أن يسمع إلا مقداراً متدنياً ضئيلاً من كل الجمل الممكنة في لغة ما. غير أن ذلك يهيئ امتلاك نظام قاعدي يجيز له أن يستخدمه بكفاءة في كل مواقف اللغة. ولا يمكن أن يفسر ذلك إلا مفهوم «الأفكار النظرية»[١١] الذي عرف منذ القرن السابع عشر الميلادي؛ مبادىء الإدراك المتنقلة وراثياً، التي تنشط عند اكتساب اللغة، وتختصر ذلك الاكتساب ــ إذ ليس ثمة حاجة إلى «يُتَعلم» كل شيء، فالتعلم يعني تنشيط هذه العمليات التي هي أولاً واحدة من الناحية الوراثية بالنسبة لكل اللغات، وثانياً متشابكة في المخ مع عمليات إدراكية أخرى(**).

٦ ـ موجـــز

إن النحو التوليدي في نموذج «جوانب النظرية النحوية» هو التخطيط الأول لنحو توليدي شامل، وحتى الآن لم تدرس إلا أجزاء من نظرية نحوية، ومن أكثر

(*) إذا كان النحو يتألف من عدد محدود من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات، وكانت هذه القواعد قادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل، فإن هذا يعني بالضرورة أن عدداً من هذه القواعد لابد أن يصلح للتطبيق أكثر من مرة، وتسمى مثل هذه القواعد أو التراكيب التي تولد باسم التراكيب أو القواعد المكررة. (المترجم)

(١١) قارن لايبنتس Leibniz «الأفكار الأصلية».

(**) يقول تشومسكي في كتابه مقالات في نظرية النحو التوليدي ص ٢١: لو كنا قادرين على تطوير مواصفات جهاز اكتساب اللغة من هذا النوع، لأمكن أن نزعم حقيقة أننا قادرون على توفير تفسير للحدس اللغوي، أي القدرة الضمنية، عند متكلم اللغة. (المترجم)

التجديدات ثراءً ضم المكون الدلالي[١٢]، وربطه بالمكونات الأخرى للنحو. وكانت الإشارة إلى الجانب الإدراكي للكفاءة اللغوية وإلى الكليات التي تعد أساساً لها، مُحَدَّدةً أيضاً للتطور اللاحق للنحو التوليدي.

و«نظرية المعيار» هذه كسب تشومسكي بصورة نهائية انتباه عالم التخصص العالمي، فقد وقف الأتباع والمعارضون على عرض إجمالي لها، استطاعوا أن يشتغلوا به أو يحتكوا به.

٨ ـ ٤ نظرة عامة حول التطور اللاحق

٨ ـ ٤ ـ ١ نظرية عامة حول التطور اللاحق للنظرية النحوية ١٨٣

منذ سنة ١٩٧٠ تقريباً أجرى تشومسكي تغيرات عدة، مهمة أحياناً على نظريته النحوية، وينبغي هنا أن يذكر أشهرها: EST (= Extended Standard Theory)، أي (نظرية المعيار الموسعة)، قارن حول ذلك بوجه خاص كتاب تشومسكي سنة ١٩٧٢[*] ـ و REST (= Revised EST)، أي نظرية المعيار الموسعة المعدلة. ويصف هو نفسه النظريات الموسعة.

ويُسْرَد فيما يأتي بعض التغيرات الأساسية في نقاط ودون شروح أكثر دقة، حيث يلاحظ مع ذلك أن تلك هي تغيرات في تعميق ***النظرية النحوية*** Grammatiktheorie، وأنه بالنسبة له قد صارت صلات النظرية النحوية ببناء الإدراك الإنساني أكثر أهمية، وأن الدافع الحقيقي لتطوير نظرياته هو سعيه إلى إنشاء علم اللغة فرعاً لعلم النفس الإدراكي، ويشار إلى ذلك فيما بعد في ٨ ـ ٤ ـ ٢.

ويسري على المرحلة الأولى من التطور اللاحق ـ EST ـ ما يأتي:

---

(١٢) قارن حول ذلك أيضاً الدراسة التي تناولت الفهم ذاته للنحو لكل من كاتز J.J. Katz/ وبوستال P.M. Postal (١٩٦٤).

(*) تعني بذلك خاصة مقالة تشومسكي التي هي بعنوان: البنية العميقة، والبنية السطحية والتفسير الدلالي، وهي في كتابه الذي يحمل عنوان: دراسات حول البحث الدلالي في النحو التوليدي، المنشور سنة ١٩٧٢ (انظر بيانات المراجع فيما يأتي). (المترجم)

١ ــ بُدِىء تعديل (أو مراجعة) للموضع الصحيح للدلالة (تشومسكى ١٩٧٢. وفى الواقع ظلت البنية العميقة كما كانت من قبل الفيصل فى التمثيل الدلالى، ولكن الآن يمكن للأبنية السطحية أيضاً أن تؤثر فى الدلالة. وظلت تلك لدى تشومسكى تفسيرية interpretativ، وتُوَلِّد كما كانت من قبل فى النحو(١٣).

٢ ــ يحصل المعجم على وضع مكون فرعى خاص داخل المكون الأساسى. وتتكون تقييدات المعجم من سمات فونولوجية، ودلالية، ونحوية، توضع من خلال **تحويلات معجمية** lexikalische Transformationen فى الواسم ـــ م المجرد (P - M) للمكون الأساس، ثم تطبق **تحويلات نحوية** grammatische Transformationen على النتيجة، تلك التحويلات التى تُنْشِىء الأبنية السطحية.

ويسرى على المرحلة الثانية من التطور اللاحق ــ REST ــ ما يأتى:

١ ــ تشكل قواعد الأساس مخطط اكس ــ وصلة - X - Bar „ Schema"،(*) وهى تولد الأبنية العميقة. ولم يعد يوجد أى جزء تحويلى، فكل

---

(١٣) لا يمكن هنا أن تُتناول النظرية المنافسة فى «علم الدلالة التوليدى» لدى (ج. لاكوف، وج. روس وآخرين)، فهى لم تثبت أركانها أيضاً.

(*) إن القاعدة التوليدية ــ المركبية (B - Rule) ستولد البنية العميقة (D - Structure)، ثم إن *القاعدة التحويلية* (T - Rule) ستحول البنية العميقة إلى البنية الضحلة (S- Structure) إن هذه البنية الضحلة ستتحول إلى بنية سطحية (Surface - Structure) من خلال قواعد مختلفة عديدة. والواقع لقد اقترحت هذه التعديلات الجديدة الطارئة على نظرية النحو التوليدى والتحويلى بأنه ينبغى على القواعد التوليدية ــ المركبية (Base - Rules) أن تُدْمَج فى إطار نظرية مضبوطة سميت نظرية اكس ــ وصلة (X - bar Theory)، تلك النظرية الأكثر دقة وضبطاً للتمثيلات التركيبية الناتجة عن القواعد التوليدية المركبية. وقد اقترحتْ التعديلاتُ الجديدة تخفيضَ القواعد التحويلية العديدة ــ التى تحول البنية العميقة إلى بنية ضحلة ــ إلى قاعدة تحويلية تجريدية واحدة فقط تدعى حَرِّك ألفا (Move - α)، حيث إن ألفا هى عنصر مجهول (يمثل س فى الرياضيات).
(المترجم)

التحويلات تنكمش فى تحـويل وحيد، هو *حَرِّك ألفا* movea، [أى الأثر والعائد إليه] الذى عند تطبيقه تحول الأبنية العميقة إلى أبنية سطحية.

١٨٤

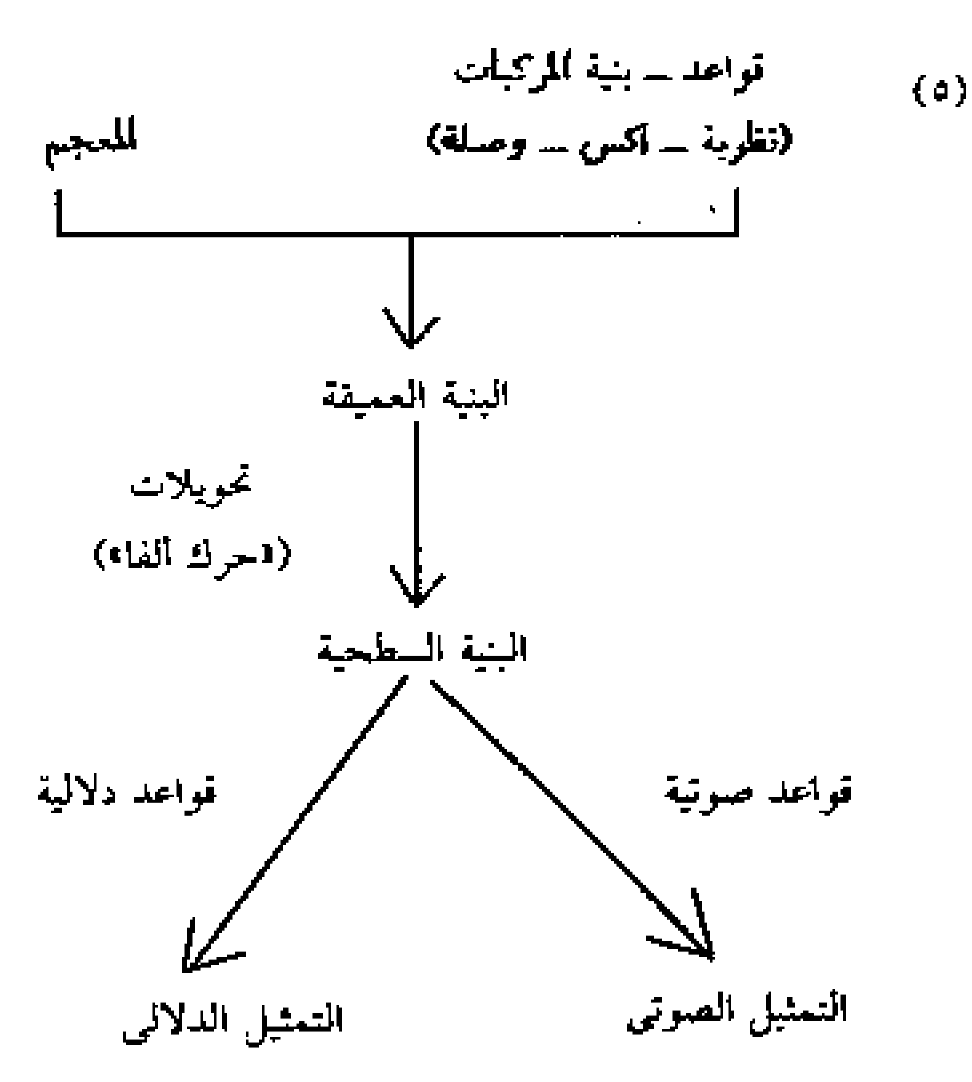
لاحظ: أن هذين/ النمطين للأبـنية النحـوية لم يعـودا متطابقـين مع نمطى نظرية المعيار.

٢ ــ تُفَسر البـنية السطحية فى اتجاهـين: التفسير الدلالى يتجه إلى المكون الجزئى «للشكل المنطقى» (L F)، والتفســير الفونولوجى يتجـه إلى المكون الجزئى «الشكل الصوتى» (PF)(*).

٣ ــ مع هبوط أهمـية الجزء التـحويلى تصعـد أهمية المعـجم. ففى نظرية المعـيـار لم يـكن إلا هامـشـياً، حـشـداً من الخـــواص العـارضـة؛ خـواص Idiosynkrasien لغة ما، وصـار المعجم منذ نظرية المعيار الموسعة المعدلة دائماً أكثر أهميـة. إنه المحور الذى تتلاقى فـيه المعلومـات من مكونات أخرى، وتتصل فـيه بعضها ببـعض. وبدءاً من الآن صار المعجم يتعقد تشكيله باستـمرار، ويوجد عدد خاص من القواعد التى توجه التنظيم الداخلى.

٤ ــ يمكن أن يُعْرَض نموذج نظرية المعيار الموسعة المعدلة **REST** فى صورة المخطط الآتى:

(*) يتحدث هنا عن بنية ضحلة أكثر تجريدية من البنى السطحية، إذ إنها تحوى عناصر مفرغة غير مدركة فى البنى العميقة، ولا تقدم البنى السطحية أى شرح دلالى فى الشكل المنطقى (LF) للجملة، ولكن البنى الضحلة نتيجة لتجريدها وعمقهـا الدال على وجود العناصر المفرغة هى أكثر معقولية وضبطاً وعمقاً لأن تكون مرشحة لعملية التفسير الدلالى للجملة فى الشكل المنطقى (LF). ويفرق هنا بين تحول البنيـة العميـقة إلى البنية الضحلة المرتبطة بالشكل المنطقى (LF) كما قلنا من خلال القاعدة التحـويلية العامة (حرك ــ ألفا)، وبين ارتباط البنيـة الضحلة بالشكل الصوتى (PF) للبنية السطحية الخاضع لقواعد الحذف والتحريك وغير ذلك. (المترجم)



٥ ــ تتصل مكونات النحو التوليدى بعضها ببعض بشكل منظم. ولكل مكون فى النحو التوليدى بنيته ووظيفته المستقلتين، وكلها تتفاعل، ولكن بشكل قالبى modular. والمكونات المفردة المستقلة هى قوالب أساسية Module ــ وهو مفهوم منقول عن/ بحث الذكاء الاصطناعى (KI =). ويُبيِّن فى ٨ ــ ٤ ــ ٢ كيف ينظر إلى القولبة Modularität عبر النظام اللغوى على أنها مبدأ منظم للفِطَر الإدراكية جميعها للإنسان(*).

185

(*) فى الواقع يمكننا أن نفترض أنظمة معرفية إدراكية أخرى، وذلك من خلال النموذج النحوى التوليدى التحويلى الذى يراعى المقدرة اللغوية البشرية فى الدماغ البشرى بالرغم من أن المعرفة اللغوية ليست المعرفة المركزية للمعرفة الإنسانية... ويبدو لى أنه ينبغى على نظرية العقل البشرى أن تصاغ من خلال تعيين الأنظمة المعرفية الإدراكية بشكل أولى، ثم دراسة هذه الأنظمة المعرفية دراسة منفصلة لتحديد خواصها وطبيعتها. (ومن أهم المعارف الإنسانية العقلية المعرفة اللغوية والمعرفة الرياضية، والمعرفة السلوكية، والمعرفة الاجتماعية، والمعرفة النفسية، والمعرفة الموسيقية...). ويمكن أن يفترض أن أنظمة المعارف الإنسانية هذه هى أنظمة متداخلة ومتشابكة فيما بينها قادرة على توليد القدرات الإنسانية المختلفة التى تشكل فهمنا الكلى للعالم الفيزيائى المحيط بنا. (راجع تفاصيل المعارف الإنسانية فى القضايا الأساسية ص ٢٧٥ ومابعدها).(المترجم)

وبهذا التغيرات اتخذت الاستعدادات لتوسيع نظرية الحكم النحوى والربط الإحالى (= G.B)، قارن كتاب تشومسكى سنة ١٩٨١، لنظرية الحواجز (Barriers، قارن أعمال تشومسكى سنة ١٩٨٦/ ١٩٩٠م)، وللتطور الأخير حتى «نحو العناصر الصغرى (الدنيا) "minimalistische Syntax" ,, (قارن أعمال تشومسكى سنة ١٩٩٢ و١٩٩٤م).

٨ ـ ٤ ـ ٢ النظرية النحوية وقولبة المعرفة الإنسانية

تسم مشكلات اكتساب اللغة والنحو الكلى (الشمولى UG) ومبدأ القولبة هم تشومسكى الحقيقى الذى لم تكن نماذجه إلا أعمالاً (معالجات) تمت على نحو محدد.

وبحث متابعاً فرضياته فى نموذج «الجوانب...» مشكلة (قارن بوجه خاص عمل تشومسكى ١٩٧٩)، كيف يوفق الأطفال بخبرات شديدة التباين إلى أنحاء قياسية، بل هى متطابقة فى الحقيقة، وذلك فى فترة زمنية قصيرة مذكورة.

ويفترض تشومسكى أن كل الأطفال لديهم القيود "constraints" المشروطة وراثياً ذاتها بالنظر إلى اكتساب النحو. وهكذا فإن الميزة التراثية توضح أيضاً لماذا يرتبط الاكتساب اللغوى الأول بدرجة محددة من النضج، ولِمَ لم يعد الأطفال الثعالب(*) يتعلمون الكلام، ولماذا يتعلم الكبار لغة ثانية على نحو مغاير للأطفال، ويتحدث هؤلاء (الكبار) بنبرة، وأسئلة أخرى قد ذكرت. وأكد أنه

(*) استخدم Wolfskinder، ويقصد به الأطفال الذين يولدون فى الغابة، وتقوم الثعالب بتربيتهم، ومن ثم لا يتعلمون لغة، بل أصواتاً تصلح للتعامل مع حيوانات الغابة، وهذا موضوع خيالى فى الأصل، ثم أقيمت حديثاً تجارب على أشخاص نشأوا هذه النشأة، ووجدت صعوبات بالغة فى تعلمهم مبادىء اللغة، وليس لغة كاملة، بل لم يكن من السهل أن يتقبلوا أشكال المدنية الأخرى كالملبس والمأكل ووسائل المواصلات والنظام وقواعد كثيرة أخرى. وقد تناول بيرس فى كتابه (أسس علم اللغة العام) مسألة «تعلم الطفل اللغة»، وعرض لاستقصاء مثير فى زمانه حول التفاهم مع «الأطفال الثعالب» والاتصال فيما بينهم. (المترجم)

كان من المفترض بشكل غير منطقي أن ما يكون لدى المرء مع المولد أو ما يولد فقط، المشروط وراثياً، أكثر بكثير مما يؤخذ في الاعتبار.

إن الفِطَر الوراثية وثيقة الصلة بالاكتساب اللغوي بالنسبة لتشومسكي هي ***النحو الكلي*** (الشمولي UG). وهو نظام من المبادىء التي وصلت بمساعدة ***معايير*** Parameter باللغات المحددة. والمعيار في ذلك هو متغير حددت قيمه من كم معطى على الطريق من النحو الكلي إلى النحو المفرد (الجزئي).

وأخيراً: يريد تشومسكي أن يستعمل النظرية النحوية ـ بكل أوجه التهذيب، التي أجراها هو نفسه أو أجراها مساعدوه وهم مستمرون في القيام بذلك، وأوجه التهذيب التي صارت ضرورية ولاسيما من خلال تضمين لغات جديدة باستمرار ـ في دراسة النظام المعرفي الكلي للإنسان. ويعني التطبيق الصارم «المبدأ القولبة» السابق ذكره: أن المعرفة الإنسانية بكل تعقدها بنيت بشكل قالبي باعتبار أن الأنظمة الجزئية المستقلة مثل قوالب نظام كلي تتضافر عند تمثيلها. أحد هذه القوالب اللغة، والقوالب الأخرى مثل الأنظمة السمعية وأنظمة الرؤية. ولا يحدد أي قالب من هذه القوالب من خلال آخر، ولذلك يجب أن تعد مستقلة. / ولكن تضافرها القالبي فقط كفل معرفة إنسانية؛ قدرة الإنسان على بناء أبنية معرفية. وحمل هذا الفرض تشومسكي على دمج علم اللغة في علم النفس المعرفي. ١٨٦

٥ ـ ٨ موجـز

يعرض الفصل الثامن محاولة تقريب روح مطلب تشومسكي إلى القارىء على الأقل في مداخل. ويمكن أن يضاف كذلك أنه برغم أصوات نقدية موجودة للأتباع والخصوم في المستقبل فإنه لم يعد من الممكن التقهقر في تعميق النظرية النحوية خلف مواقع تشومسكي. وقد حُدّدت في موضوعات ٨ ـ ١ و٨ ـ ٢ بوجه خاص جذوره التاريخية في علم اللغة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأوضحت المباحث من جهة أخرى أيضاً التجديدات الحاسمة في نماذج تشومسكي، وربطها بالعلوم الإنسانية بوجه عام.

ويمكن لذلك أن يتحقق من مسار التطور الخاص لتشومسكى كيف تحول التفكير اللغوى للوصفيين الذى صاغه علم النفس السلوكى إلى تفكير صاغه علم النفس المعرفى فى النماذج الأخيرة للنحو التوليدى(*).

٨ـ٦ بيانات المراجع

Die Publikationen Noam Chomskys sind nicht vollzählig aufgenommen, die Auswahl ist durchaus subjektiv; *ein* Kriterium für die Berücksichtigung war z. B. das Vorhandensein deutscher Übersetzungen.

J. Bechert/D. Clement/W. Thümmel/K. H. Wagner (1970): Einführung in die generative Transformationsgrammatik. München.

E. Bense (1973): Mentalismus in der Sprachtheorie Chomskys. Kronberg.

M. Bierwisch (1983): Semantische und konzeptuelle Repräsentation lexikalischer Einheiten. In: Untersuchungen zur Semantik. Hrsg. R. Růžička/W. Motsch. Berlin.

N. Chomsky (1955): Logical Syntax and Semantics. Their Linguistic Relevance. In: Language 31/1.

N. Chomsky (1956): Three Models for the Description of Language. In: IRE Transactions on Information Theory, vol. 1, T-2, 3.

(*) يجدر بالقارىء أن يستكمل رؤيتَهُ الشاملة بالمرحلة التالية لهذه النظرية، وهى ما يعبر عنها بـ (نظرية العامل والربط الإحالى) تلك النظرية التى وضعها وطورها تشومسكى بدءاً من ١٩٨١ ــ ١٩٨٢، وهى تمثل أعلى مراحل التعليل والشرح والكشف عن الفاعليات اللغوية التجريدية الرياضية، ويمكن للقارىء الرجوع إلى كتابَىْ تشومسكى:

Lectures on Government and Binding (1981)

محاضرات حول نظرية العامل (الحكم) والربط (الإحالى)

Some Concepts and consequences of the Theory of Government and Binding. (1982)

وباللغة العربية، الفصل الثالث: «نظرية القواعد التوليدية والتحويلية وعلاقتها باللسانيات البيولوجية» من كتاب د. مازن الوعر (قضايا أساسية فى علم اللسانيات الحديث، مدخل)، طلاس ــ دمشق، طـ. أولى ١٩٨٨ وكذلك كتاب زميلى الفاضل د. محى الدين حميدى الأحدث والأكثر تفصيلاً وتحليلاً وتطبيقاً، الذى أسماه «الألسنية الحديثة واللغة العربية، دراسة تحليلية تطبيقية لنظرية الحكم النحوى والربط على اللغة العربية» كتاب الرياض، العدد ٤٠، أبريل ١٩٩٧م.

(المترجم)

N. Chomsky (1957): Syntactic Structures. s'Gravenhage [deutsch: Strukturen der Syntax. Übersetzung von Klaus-Peter Lange. Ianua linguarum, Series minor 182. The Hague/Paris 1973].

N. Chomsky (1962a): A Transformational Approach to Syntax. In: Third Texas Conference on Problems of Linguistic Analysis in English. Ed. by A. A. Hill. Austin/Texas.

N. Chomsky (1962 b): Explanatory Models in Linguistics. In: E. Nagel/P. Suppes/ A. Tarski (eds.): Logic, Methodology and Philosophy of Science. Stanford.

N. Chomsky/G. A. Miller (1963): Introduction to the Formal Analysis of Natural Languages. In: Handbook of Mathematical Psychology, ed. by R. Duncan Luce, Robert R. Bush and Eugene Galanter. New York [deutsch: Die formale Natur der Sprache. In: E. H. Lenneberg (Hrsg.): Biologische Grundlagen der Sprache. Frankfurt/M. 1972]

N. Chomsky (1964a): Current Issues in Linguistic Theory. The Hague.

N. Chomsky (1964b): Categories and Relations in Syntactic Theory. Cambridge/Mass.

N. Chomsky (1964c): The Logical Basis of Linguistic Theory. In: Proceedings of the Ninth International Congress of Linguists, ed. by H. G. Lunt, Cambridge/Mass. 1962. The Hague.

N. Chomsky (1964d): A Review of B. F. Skinner's „Verbal Behavior". In: J. Fodor/J. Katz (1964).

N. Chomsky (1965a): Aspects of the Theory of Syntax. Cambridge/Mass. [deutsch: Aspekte der Syntax-Theorie. Übersetzung v. E. Lang et al.. Berlin 1970, [3]Frankfurt/M. 1983].

N. Chomsky (1965b): On the Notion „Rule of Grammar". In: The Structure of Language, ed. by J. A. Fodor und J. J. Katz. New Jersey.

N. Chomsky (1966a): Topics in the Theory of Generative Grammar. In: Currents Trends in Linguistics, ed. by Thomas A. Sebeok. Vol III: Theoretical Foundations. The Hague/Paris [deutsch: Thesen zur Theorie der generativen Grammatik. Übersetzung v. F. Coulmas u. B. Wiese. Mit einem Interview von H. Parret. Frankfurt/M. 1972].

N. Chomsky (1966b): Cartesian Linguistics. New York [deutsch: Cartesianische Linguistik. Tübingen 1968].

N. Chomsky (1968): Language and Mind. New York [deutsch: Sprache und Geist. Übersetzung v. S. Kanngießer et al. Frankfurt/M. 1973].

N. Chomsky (1970): Remarks on Nominalisation. In: Readings in English Transformational Grammar. Eds. R. A. Jacobs/P. S. Rosenbaum. Waltham/Mass.

N. Chomsky (1972): Deep Structure, Surface Structure, and Semantic Interpretation. In: N. Chomsky: Studies on Semantics in Generative Grammar. The Hague/Paris.

N. Chomsky (1975a): The Logical Structure of Linguistic Theory. The Hague.

N. Chomsky (1975b): Reflections on Language. New York [deutsch: Reflexionen über die Sprache. Frankfurt/M. 1977 = stw 185].

N. Chomsky (1979a): Morphophonemics of Modern Hebrew. Outstanding dissertations in linguistics 12 (bearbeitete Dissertation). New York.

N. Chomsky (1979b): Language and Responsibility. Based on Conversations with Mitsou Ronat. Hassocks [deutsch: Sprache und Verantwortung. Frankfurt u. a. 1981]

N. Chomsky (1980): Rules and Representations. New York [deutsch: Regeln und Repräsentationen. Übersetzung v. H. Leuninger. Frankfurt/M. 1981].

N. Chomsky (1981, [7]1993): Lectures on Government and Binding. The Pisa Lectures. Dordrecht.

N. Chomsky (1982): Some Concepts and Consequences of the Theory of Government and Binding. Cambridge/Mass.

N. Chomsky (^{3}1990): Barriers. Linguistic Inquiry monograph 13.

N. Chomsky (1992): A Minimalist Program for Linguistic Theory. In: MIT Occasional Papers in Linguistics 1. Cambridge/Mass.

N. Chomsky (1994): Bare Phrase Structure. In: MIT Occasional Papers in Linguistics 5. Cambridge/Mass.

G. Fanselow/S. W. Felix (1984): Noam Chomsky. In: Sprache und Literatur in Wissenschaft und Unterricht 54, 15. Jg., 2. Halbjahr.

G. Fanselow/S. W. Felix (^{7}1990): Sprachtheorie. 1. Grundlagen und Zielsetzungen; 2. Die Rektions- und Bindungstheorie. Tübingen (UTB 1441 + 1442).

Ch. J. Fillmore (1968): The Case for Case. In: Universals in Linguistic Theory. Hrsg. E. Bach/R. T. Harms. New York u. a. [deutsch: Plädoyer für Kasus. In: Kasustheorie. Hrsg. W. Abraham. Frankfurt/M. 1971]

J. Fodor/J. Katz (eds., 1964): The Structure of Language. New York.

G. Helbig (1986): Entwicklung der Sprachwissenschaft seit 1970. Leipzig.

J. J. Katz/P. M. Postal (1964): An Integrated Theory of Linguistic Descriptions. Cambridge/Mass.

E. F. K. Koerner/Matsuji Tajima (1986): Noam Chomsky: A Personal Bibliography, 1951-1986. Amsterdam/Philadelphia.

R. B. Lees (1957): Review of N. Chomsky (1957). In: Language XXXIII.

F. J. Newmeyer (1983): Grammatical Theory: Its Limits and Possibilities. Chicago.

J. A. Ney (1993): On Generativity: The History of a Notion that never was. In: Historiographia Linguistica XX, 2/3.

B. F. Skinner (1957): Verbal Behavior. New York.

H. Weydt (1976): Noam Chomskys Werk: Kritik, Kommentar, Bibliographie. Tübingen.

قائمة المصطلحات

A

Abgrenzbarkeit	إمكانية
Abhängig	تابع لـ/ معلق بـ/ غير مستقل
Abhängigkeit	تبعية / تعليق
Abhängigkeitsbeziehung	علاقة تبعية/ تعليق
Abhängigkeitsgrammatik	نحو / التعليق
(=Dependenzgrammatik)	
Abhängigkeitsstruktur	بنية التبعية
Ablauf	مجرى
Ablaut	تبديل الحركة
Ablautsystem	نظام تبديل الحركة
Ablautverhältnis	علاقة تبديل الحركة
Ableitbarkeit	إمكانية الاشتقاق/ الاستنباط
Ableitung	اشتقاق/ استنباط
Abstrakt	مجرد

(*) لا يضم الكتاب الأصلى قائمة بالمصطلحات التى استخدمتها المؤلفة فى الكتاب، ورأيت أنه من المفيد أن يعرف القارىء الكريم نوع المصطلحات التى استخدمت، ومقابلاتها العربية التى اقترحتُها فى الترجمة ليقف على صورة دقيقة لأداة أساسية مهمة من أدوات البحث اللغوى، ويمكنه بعد ذلك إن أراد أن يستعملها فى ثقة واطمئنان. ويلاحظ أن القائمة لا تضم كل المصطلحات، بل أهم المصطلحات من جهة شيوعها، ويهدف هذا المسرد أيضاً إلى إثراء رصيد المصطلحات اللغوية العربية.

Abstraktheit	تجريد
ad absurdum	مخالف للمنطق/ للمعقول
Adaption	تطويع
Adäquatheit	كفاية
Beobachtungs -	كفاية الملاحظة
deskriptive -	كفاية وصفية
Erklärungs -	كفاية التفسير
Addition	إضافة (عملية تحويلية)
Adjektivphrase	مركب وصفي
Adverbialphrase	مركب ظرفي
Affix	لاصقة
Agglutination	إلصاق
Aktionsart (= Aspekt)	الجهة
akustisch	سمعي/ فيزيائي
akzeptabel	مقبول
Akzeptabilität	مقبولية
akzessorisch (≠ wesentlich)	عارض/ ثانوي/ إضافي
Algorithmus	اتجاه خوارزمي/ جبري
Allgemeingültigkeit	صلاحية عامة

Allomorph	بديل صرفي (الومورف)
Allophon	بديل صوتي (الوفون)
Alternation	تبديل
amorph	غير مورفي/ بلا صورة
Anagramm	جناس تصحيفي
Analogie	قياس/ مطابقة / تمثيل
Analogiebildung	بناء قياسي
Analogiewirkung	تأثير قياسي
Analyseprogramm	برنامج التحليل
Anarchismus	فوضوية/ إباحية
Anfangskette	سلسلة البداية
(= Satz)	(= جملة)
Anfangszustand	حالة البداية
Angemessenheit	مناسبة
Anhäufung	تراكم
Anlaut	الصوت الاول
Annäherung	اقتراب (اتجاه)
Anordnung	ترتيب
Anthropophonik	انثروبولوجيا صوتية
Antinomie	تناقض
Antonymie	تضـــــاد

Anwendbarkeit	إمكانية التطبيق
Anwendungsbereich	مجال التطبيق
Anzeichen	أمارة/ علامة على
Aphasia	حُبْسَة
Appellfunktion	وظيفة مناشدة/ استدعاء
Appellstruktur	بنية الاستجابة/ التجاوب
Apperzeption	وعى الذات الاستبطانى
Arbiträr	اعتباطى/ جزافى/ عشوائى
Arbitrarität	اعتباطية/ جزافية/ عشوائية
Archiphonem	فونيم أساسى/ رئيسى
Argument	حجة/ مُتَغير (فى المنطق)
Argumentation	حِجاج/ جدل
artikulatorisch	نطقى
artikulierbar	ممكن نطقه
Assimilierung	تماثل/ مماثلة
Assoziation	ترابط/ تداعٍ
Atomismus	المذهب الذرى/ التجزيئ
Aufbau	بنــاء
stratischer –	بناء طبقى
Aufeinanderfolge	تعاقب
Auffassung	فهم/ إدراك

analoge ~	فهم مطابق/ قياسي
Ausdruck	تعبير
Ausdrucksebene	مستوى التعبير
Ausdruckseinheit	وحدة التعبير
Ausdrucksform	شكل التعبير
Ausdrucksfunktion	وظيفة التعبير
Ausgangsform	شكل البداية
Ausgangslage	وضع الانطلاق
Ausnahme	استثناء
Ausnahmslosigkeit	لا شذوذ
(der Lautgestze)	(في القوانين الصوتية)
Ausprägung	تشكيل / صياغة
Äußerung	منطوق
Autorität	سلطان/ مرجعية
unbestrittene ~	~ لا خلاف عليه

B

Barrierentheorie	نظرية الحواجز
Basiskomponente	مكون أساس
Basiswissenschaft	علم أساس
Bedeutung	معنى/ دلالة
funktionale -	معنى وظيفي

grammatische ~	معنى نحوى
lexikalische ~	معنى معجمى
Bedeutungs differenzierung	تمييز المعنى
Bedeutungserweiterung	توسيع المعنى
Bedeutungskomponente	مكون المعنى
Bedeutungssubstanz	مادة المعنى
Bedeutungsunterscheidung	تفريق فى المعنى
Bedeutungsunterschied	فارق في المعنى
Begriff	مفهوم
relationaler ~	مفهوم علاقى
Begriffsbestimmung	تحديد المفهوم
Begriffssystem	نظام مفهومى
Behaviorismus	السلوكية/ المذهب السلوكى
behavioristisch	سلوكى
beliebig	عشوائى/ كيفما اتُفق
beliebigkeit	عشوائية
Berechnung	تقدير
Beschreibung	وصف
Beschreibungsapparat	جهاز (مجموعة أدوات أو وسائل) الوصف
beseelt	حى
Besonderheit	خاصية

markante ~	خاصية بارزة
Betrachtung	نظرة
apriorsche ~	نظرة بدهية/ قبلية
geschichtliche ~	نظرة تاريخية
wissenschaftliche ~	نظرة علمية
Bezeichnendes	دال
(= signifiat)	
Bezeichenetes	مدلول
(= signifié)	
Beziehung	علاقة
assoziative ~	علاقة ترابطية
(= paradigmatische)	(= جدولية/ صرفية)
genetische ~	علاقة جينية
harmonische ~	علاقة متناسقة
hierarchische ~	علاقة متدرجة/ هرمية
Anreihungs ~	علاقة ترتيب
(= syntagmatische)	(= تركيبية/ نحوية)
Bezirk	مجال/ نطاق
äußerer ~	نطاق خارجي
innerer ~	نطاق داخلي
Bewußtsein	وعي

Bewuβtseininhalt	مضمون الوعي
Bewuβtseinsvorgang	عملية الوعي
Black - Box - Bedeutung	معنى غامض
Black - Box - prinzip	مبدأ الصندوق الأسود
Black - Box - Phänomen	ظاهرة غامضة
bracketing	تقويس/ وضع الأقواس
Binarität	ثنائية
Bindeglied	همزة وصل

C

casus obliqui	حالة غير مباشرة
casus rectus	حالة مباشرة
Charakterisierung	وصف
Charakteristika	خواص
Chauvinismus	شوفنية/ مغالاة في الوطنية
chronologisch	زمنياً / تاريخياً
Code	شفرة
genetischer	شفرة جينية/ وراثية
constraint	قيد
(= Begrenzung)	
Co - occurrence	وقوع مشترك/ توارد
(= Kookurrenz/ gemeinsames	

Vorkommen)	
co - occurrent	عنصر متوارد

D

Darstellungsfunktion	وظيفة العرض (لدى بولر)
Datenkorpus (s. Sprachdatenkorpus)	مادة البحث (اللغوية)
deduktiv	استدلالي/ استنباطي
deep structure (= Tiefenstruktur)	بنية عميقة
Deklination	تصريف الاسم
Deletion (= Tilgung)	حذف
delimitativ	مُحَدِّدة/ مُعَيِّنة للحد
Denken	تفكير/ فكر
kollektives ~	تفكير جمعي
Denkfehler	خطأ فكري
Denkprozeß	عملية فكرية
Denkschema	مخطط/ قالب فكري
Denkschrift	بحث
Denkstoß	باعث فكري

Determiniertheit	تحديد
Derivation	اشتقاق
(= Ableitung)	
diachron	تعاقبى
Diachronie	تعاقبية/ تاريخية
Dialektgeographie	جغرافيا لهجية
Dialektologie	علم اللهجات
Dialektspaltung	انقسام لهجى
Dichtomie	ثنائية
Diminutivum	التصغير
discovery procedures	إجراءات الكشف
(= Entdeckungsprozeduren)	
Diskontinuität	انقطاع/ انفصال
Diskrepanz	اختلاف
Diskursanlyse	تحليل الخطاب
Disposition	تنظيم / ترتيب
distinction	تفريق/ فصل
distinktiv	فارق/ مائز
Distribution	توزيع
Distributionalismus	التوزيعية/ المذهب التوزيعى
distributionell	توزيعى

Distributionsanalyse	تحليل توزيعى
DNS (= DNA)	دنا
Desoxyribose [se] - nukleinsäure	تحليل الأحماض النووية للخلايا الحية
Dokumentierung	توثيق
Doppeleinheit	وحدة مزدوجة
Dynamik	دينامية/ حركة
dynamisch	دينامى

E

Eckpfeiler	حجر الزاوية
Effektivierung	فعالية
Eigenschaft	خاصية
morphologische ~	خاصية صرفية/ مورفولوجية
phonetische ~	خاصية صوتية
phonologische ~	خاصية فونولوجية
semantische ~	خاصية دلالية
syntaktische ~	خاصية نحوية
Eigenständigkeit	استقلال/ تميز
Einbettung	تضمين
Einbindung	ارتباط
soziale ~	ارتباط اجتماعى
Eindeutigkeit	وضوح

formale ~	وضوح شكلي
Eindimenional	أحادي البعد
Eineindeutigkeit	أحادية المعنى/ اللا لبس
Einheit	وحدة
bedeutungstragende ~	وحدة حاملة للمعنى
morphologische ~	وحدة صرفية. مورفولوجية
negative ~	وحدة سلبية
oppositive ~	وحدة تقابلية
phonetische ~	وحدة صوتية
phonolgogische ~	وحدة فونولوجية
relative ~	وحدة نسبية
semantische ~	وحدة دلالية
syntaktische ~	وحدة نحوية
Einheitlichkeit	واحدية / توحد
Einzelkasus	حالة إعرابية مفردة
Einwortsatz	جملة من كلمة واحدة
Empiriepinzip	مبدأ التجريب
Endzustand	حالة النهاية
energeia	طاقة (إبداعية)
(=des zu Erzeugende/ immerwährende Schöpfung)	(= خلاّقة/ إبداع دائم)

Engagement	التزام/ انحياز
Enkodierung	تشفير
Entelechie	الكمال الأول
Entfernung	ابتعاد (اتجاه)
Erfahrung	خبرة
ergon	أداة
(= das Erzeugte/ das Geschaffene)	(مولدة/ منتجة)
Erscheinungen	ظواهر
reziproke ~	ظواهر متبادلة
Ersetzungsregel	قاعدة الإحلال
(= rewrite rule)	قاعدة إعادة الكتابة
Erstspracherwerb	اكتساب اللغة الأولى
Ethnolinguistik	علم اللغة العرقي/ الإثني
evaluation procdures	إجراءات التقويم
(= Bewertungsprozeduren)	
Exegese	شرح
regelrechte	شرح منظم
Expansion	توسيع

F

Fakt	حقيقة/ واقعة
positives ~	

Fehlinterpretation	تفسير خاطيء
Fiktion	افتراض
Flexion	تصريف
innere ~	تصريف داخلي
Form	شكل/ صيغة
logische ~	= منطقية
phonetische ~	= صوتية
Formalismus	الشكلية/ المذهب الشكلي
Formassoziation	تداعي الشكل
Formation	تشكيل/ صياغة
Formenbildung	بناء الصيغ
Formklasse	فئة شكلية
Forschungsprogramm	برنامج البحث
Fagetransformation	تحويل الاستفهام
Funktion	وظيفة/ دالة (في المنطق)
ästhetische ~	وظيفة جمالية
semantische ~	وظيفة دلالية
syntaktische ~	وظيفة نحوية
Funktionalität	وظيفية/ كيفية العمل
Funktionalstilistik	علم الأسلوب الوظيفي
Funktiv	دال (في المنطق)

G

Ganzheitsgrundsatz	أساس الكلية
Gebärden	حركات الجسد
Gedankengang	مسار الأفكار
Gedankengut	أفكار
Gedankenanstoβ	باعث فكرى
Gedankenassoziation	تداعى الأفكار
Gedankenaustauch	تبادل الأفكار
Gefügezusammenhang	سياق التكوين
Gegenstandsbereich	مجال الموضوع
Gegenstandsbestimmung	تحديد الموضوع
Gelehrtentum	تعليم
generativ	توليدى
Generierung	توليد
Geräuschlaut	صوت انفجارى
Gerichtetheit	توجه
Gesamtbedeutung	المعنى الكلى
Gesamtsystem	النظام الكلى
Gesetz	قانون
laut –	قانون صوتى
physikalisches –	قانون فيزيائى

Gestaltpsychologie	علم النفس الجشتالت
Gestaltqualität	خاصية الكلية
Gestaltwahrnehmung	إدراك كلى
Gleichmäβigkeit	انتظام
Gleichzeitigkeit	تزامن
(= synchronie)	
Glossematik	جلوسماتية
Government	حكم/ عامل نحوى
(+ Bindingtheory "GB")	
Grammatikalität	النحوية
Grammatikerwerb	اكتساب النحو
Grammatiktradition	إرث نحوى
grammatisch	نحوى
Grundanliegen	مطلب أساسى
Grundannahme	فرض أساسى
Grundeinheit	وحدة أساسية
Grrundfunktion	وظيفة أساسية
Grundgedanken	فكرة أساسية
Grundhaltung	موقف أساسى
Grundideen	أفكار أساسية
Grundwahrheit	حقيقة أساسية

H

hart	شديد (للصوت)
Hauptakzent	نبر أساسى
Hauptsatz	جملة رئيسية
Hegemonie	سيطرة/ تسلط
heuristisch	استكشافى
Hilfssprache	لغة مساعدة
Holismus	المذهب الشمولى
homonym	مشترك/ متجانس لفظى
Homonymie	اشتراك/ تجانس لفظى
syntaktische ~	اشتراك نحوى
Hörer	سامع
(= adressat/	(= مستقبل/
empfänger/	متلق
rezipient)	
Hörermodell	نموذج السامع
Hörerstandpunkt	موقف السامع

I

IC - Grammatik	نحو المكونات المباشرة
Idiolekt	لهجة فردية
Idiosynkrasie	خاصية فى البنية

in absentia	غيابياً
immanent	داخلي/ باطني
impluse	باعث/ حافز
Indianersprachen (= Indigensprachen)	لغات هنود أمريكا
Individualität	فردية
Individualpsychologie	علم نفس الفرد
induktiv	استقرائي
Infix	حشو (دواخل)
Informant	مساعد البحث
Informantenbefragung	استشارة/ الاستفسار من مساعد البحث
Information	معلومة
Informationsverarbeitung	استيعاب/ معالجة المعلومة
Inhalt	مضمون / محتوى
Inhaltsebene	مستوى المضمون
Inhaltseinheit	وحدة المضمون
Inhaltsmerkmal	شكل المضمون
Inhaltsform	سمة المضمون
Inhaltssubstanz	مادة المضمون
innate (ideas)	(أفكار) فطرية

in potentia	طاقة كامنة
in praesentia	حضوريا
Instrument	أداة/ وسيلة
instrumental	أداتي/ وسيلي
Instrumentarium	مجموعة أدوات (وسائل) التحليل
Intelligenz	ذكاء
künstliche ~ (= KI)	ذكاء اصطناعي
Interaktion	تفاعل
Interdependenz	تبعية/ تعليق داخلي
Interpretation	تفسير
phonetische ~	تفسير صوتي
semantische ~	تفسير دلالي
syntaktische ~	تفسير نحوي
Interrelation	علاقة داخلية
Intransitivität	اللزوم
(≠ Transitivität	(≠ التعدي)
Introspektion	استبطان/ ملاحظة ذاتية
Intuiton	حدس
(= Sprachgefühl)	(= حس لغوي)
Invarianz	لا تغير/ ثبات
Invarianzprinzip	مبدأ الثبات/ عدم التغير

Inventar	رصيد/ محتوى
Inversion	قلب
Isolierung	عزل/ فصل

K

Kalkül	حساب
logischer –	حساب منطقي
kartographiert	موضح برسوم/ بأشكال بيانية
Kartothek	بطاقات الفهارس
Kasus	حالة إعرابية
Kasusgrammatik	نحو الحالات الإعرابية
Kasuslehre	علم الحالات الإعرابية
Kasusrektion	عمل/ أثر الحالة الإعرابية
Kasussynkretismus	توفيق حالة إعرابية
Kasussystem	نظام الحالة الإعرابية
Kategorie	فصيلة/ مقولة
grammatische –	فصيلة نحوية
morphologische –	فصيلة صرفية
Kategorieninventar	رصيد الفصائل
Kategorienzugehörigkeit	إلحاق بفصيلة/ بفصائل (نحوية مثلاً)
Kausalzusammenhang	ارتباط سببي
Kern	نواة

Kernsatz	نواة الجملة
Klammern	أقواس
Klammerstellung	موقع مُحَدَّد (داخل أقواس)
Klammerung	تقويس/ وضع أقواس
nichtetikettierte ~ (= unlabelled)	تقويس غير موسوم
Klassifizieren	تصنيف
genealogische	تصنيف أُسَرِى/ نَسَبِى
Knoten	عقد
Knotenbezeichnung	وصف/ وسم العُقَد
Kode (= Code)	شفرة
Kodifizierung	تشفير
Koeffizient	معامل
sonantischer ~	معامل صوتى
Kognition	إدراك
Kognitionssystem	نظام الإدراك
Kombination	ائتلاف/ ضم
kombinatorisch	ائتلافى / تكوينى
Kommunikation	اتصال/ تواصل
Kommunikationsmittel	وسيلة اتصال
Kommunikationssituation	موقف الاتصال

kommunikativ	اتصالى/ تواصلى
Kommutation	إحلال
(s. Permutation)	(انظر: إعادة ترتيب)
Kommutationstest	اختبار الإحلال
Kompetenz (Sprachkompetenz)	كفاءة لغوية
Komponente	مكون
phonetische ~	مكون صوتى
semantische ~	مكون دلالى
syntaktische ~	مكون نحوى
Komponentenanalyse	تحليل المكونات
konfrontativ	تقابلى
Kongruenz	مطابقة
Konjunktiv	صيغة الاحتمال
Konsonant	صامت
Konsonantengruppe	مجموعة من الصوامت
Konstellation	تآلف
Konstituent	مكون
Konstituentenanalyse	تحليل المكونات
Konstituentenstrukturgrammatik	نحو بنية المكونات
Konstruktion	تركيب/ بناء
Konstruktionsregeln	قواعد التركيب/ البناء

Kontext	سياق
kontextabhängig	سياقى/ متعلق بالسياق
Kontextabhägigkeit	تبعية للسياق
Kontextualismus	السياقية
Kontinuität	تواصل/ توال/ استمرار
Kontrastdistribution	توزيع تقابلى
kontrastiv	تقابلى
Konverntionalität	توافقية/ عرفية
Kookurrenz	توارد/ وقوع مشترك
Kookurrenzbeziehung	علاقة التوارد
Koordinatensystem	نظام إحداثى/ تناظرى
Koordination	عطف/ ربط
Korrelat	متلازم/ متعالق
Korrelation	تلازم
asymmetrische ~	تلازم غير متناسق
morphalogisehe ~	تلازم مورفولوجى
phonologische ~	تلازم فونولوجى
Korrespondenz	تراسل/ توافق
Kreativität	إبداع/ خلق
Kredo	عقيدة
kulminativ	مميز للقمة

Kultur	ثقافة/ حضارة
geistige ~	= روحية
materielle ~	= مادية
Kulturwissenschaft	علم الثقافة/ الحضارة
Kybernetik	سبرانية (علم الضبط/ التحكم)

L

Langue	لسان/ لغة معينة
laryngal (= kehlkopflaut)	صوت حنجرى
Laut	صوت
Lautentwicklung	تطور صوتى
Lautgesetz	قانون صوتى
Lautkomplex	مركب صوتى
Lautphysiologie	فسيولوجيا الصوت (علم وظائف الأعضاء الصوتية)
Lautstilistik	أسلوبية صوتية
Lautsubstanz	مادة صوتية
Lautwechsel	تبديل صوتى
Leerstelle	موقع شاغر
Lexem	وحدة معجمية/ لكسيم

Lexikologie	علم المفردات المعجمية
Lexikonkomponente	مكون المعجم
Linearität	أفقية/ خطية
Logik	منطق
mathematische ~	منطق رياضي
lokativ	مكاني
lokutiv	فعل الكلام/ قولي
(= lokutionär)	

M

Maßstab	مقياس
Materialsammlung	جمع المادة
Mathematisierung	جعل علم اللغة
(der Linguistik)	علماً رياضياً
Maximal	أكبر عنصر/ عنصر أكبر
Mechanismus	الآلية/ الميكانيكية
Mehrdeutigkeit	تعدد المعنى/ الغموض
mehrdimensional	متعدد البعد
Meinungsstreit	خلاف في الرأي
Menge	كم
endliche ~	كم نهائي/ محدود
unendliche ~	كم لا نهائي/ غير محدود

Mentalismus	الاتجاه/ المذهب العقلانى
Merkmal	سمة
distinktives ~	سمة فارقة
(= differentielles) ~	سمة مميزة
merkmalhaft	ذو سمة/ مُعَلَّم
(= merkmalhaltig)	
merkmallos	بلا سمة/ غير مُعَلَّم
Metasprache	اللغة الواصفة/ ما وراء اللغة
Minderheitensprachen	لغات الأقليات
minimal	عنصر أصغر/ أصغر عنصر
Minuszeichen	علامة ناقص (ـــ)
Mischsprache	لغة خليط/ هجين
Mischungspartner	شريك المزج/ الخلط
Mitteilungsfunktion	وظيفة الإخبار
Modell	نموذج
generatives ~	نموذج تحويلى
Modalität	صيغية
Modularität	قولبة
Modularitätsprinzip	مبدأ القولبة
Monopolstellung	مكانة احتكارية
Morphem	وحدة صرفية/ مورفيم

grammatisches ~	
lexikalisches ~	
Morphonem	وحدة مورفونيمية (عند تروبتسكوى)
Morphonemvariant	بديل مورفونيمى
Morphonologie	مورفونولوجيا/
(= Morpho - phonologie)	صواتة صرفية
Morphophonemik	تحليل مورفيمى صوتى
Morphotaktik	دراسة تتابع الوحدات الصرفية
Motiviertheit	حافزية
(≠ Arbitrarität)	
move α	حرِّك/ انقل ألفا

N

Nachbarschaft	جوار
sprachliche ~	جوار لغوى
Nachschlagwerk	مرجع
nasal	صوت أنفى
silbische Nasale	أصوات أنفية مقطعية
nasalis sonans	أصوات أنفية مشكلة للمقطع
Naturgesetze	قوانين الطبيعة
Negation	نفى

Negationstransformation	تحويل النفى
Neopositivismus	الوضعية الجديدة
Neuerung	تجديد
Neutalisation	تحيد
Nominalphrase	مركب اسمى
Nominalstamm	جذر اسمى
Normierung	وضع معيار
Notwendigkeit	ضرورة/ حتمية
blinde –	الضرورة العمياء للطبيعة
Numismatik	علم النُّميات

O

Oberflächenähnlichkeit	تشابه سطحى
Oberflächenstruktur	بنية سطحية
Objektivität	موضوعية/ مفعولية
Objektsprache	اللغة الموضوع/ الموصوفة
Onomatopoetika	الأصوات المحاكية للطبيعة
Opposition	تقابل
äquiollent ~	تقابل ترادفى/ مترادف
graduelle –	تقابل تدريجى
privative ~	تقابل دال على السلب
Ordinarius	أستاذ كرسى

(≠ Extraordinarius)	
Ordnung	نظام
Organismus	كائن حى
Organonmodell	نموذج الأورجانون
Originalarbeit	عمل أصلى
Originalmanuskript	مخطوط أصلى
Originaltext	نص أصلى
Originalität	أصالة
Orthographie	قواعد الكتابة
Orthographiereform	إصلاح قواعد الكتابة

P

Palatalisation	تحنيك
Panchronie	زمن عام
Parallelismus	التوازى
grammatischer ~	توازٍ نحوى
Parameter	معيار/ مقياس
Paraphrase	إعادة صياغة
parole	الكلام
parol - ereignis	واقعة الكلام
(= Sprechereignis)	
partitiv	تبعيضى

per Dekret	بمرسوم
Performanz	أداء لغوى
(= Sprachverwendung)	
Permutation	إعادة الترتيب
Phänomen	ظاهرة
black - box ~	ظاهرة غامضة
Phonem	وحدة صوتية/ فونيم
Phonematik	علم الوحدات الصوتية/ الفونيمية
Phonembegriff	مفهوم الفونيم
Phonemgehalt	مضمون الفونيم
Phonemsystem	نظام فونيمى
Phonemvariant	بديل فونيمى
Phonologie	فونولوجيا/ علم وظائف الأصوات
diachrone ~	فونولوجيا تعاقبية
synchrone ~	فونولوجيا تزامنية
Phonotaktik	دراسة تتابع الوحدات الصوتية
Phrase	مركب
Phrasenstruktur	بنية المركبات
Phrasenstrukturmodell	نموذج بنية المركبات
Physikalismus	المذهب الفيزيائى/ الطبيعى
Pluralsuffix	لاحقة الجمع

Pluszeichen	علامة زائد (+)
Popularisierung	تعميم
Positivismus	الوضعية
positivistisch	وضعى
Prädikat	محمول
psychologisches –	محمول نفسى
Prädikation	حمل
Präferenz	خيار
Präfix	سابقة
Präposition	حرف سابق
Präpositionsphrase	مركب حرفى
präskriptiv	معيارى
Praxis	واقع عملى
Praxisorientiertheit	توجه إلى الواقع العملى
Prinzip	مبدأ/ أساس
Prinzipienwissenschaft	علم المبادىء
Projektion	إسقاط
Projektionsregeln	قواعد الإسقاط
Propagierung	بث/ نشر
Prozedur	إجراء
Prozeß	عملية

rekursiver ~	عملية إرجاعية/ تكرارية
Pseudonym	اسم مستعار
Psychophonetik	علم الأصوات النفسي
Publikationsorgan	مجلة النشر/ لسان حال جماعة ما
Publikationssprache	لغة النشر
purport	فحوى / مفاد

R

Reaktion	رد الفعل/ الاستجابة
(= response)	
Realisierung	تحقيق
Rede	كلام
menschliche ~	كلام إنساني
Redeabsicht	قصد الكلام
Redestrom	تدفق الكلام
(= flow of speech)	
Reduktion	قصر/ إنقاص
Referenz	إحالة
Regel	قاعدة
Regelanwendung	تطبيق القاعدة/ قاعدى
Regelaufbau	بناء القاعدة
Regeln	قواعد

rekursive ~	قواعد إرجاعية/ تكريرية
Regellos	بلا قاعدة
Rhema	حديث
(= Neues / focus)	
Reibelaut	صوت احتكاكى
Reihenfolge	تتابع
freie ~	تتابع حر
gebundene ~	تتابع مقيد
Reihenfolgebeziehung	علاقة التتابع
Reiz	مثير
(= stimulus)	
Reiz - Reaktions - Schema	مخطط المثير ـ ورد الفعل
Rekonstruktion	إعاد بناء
Rektion	عمل/ أثر إعرابى
Relation	علاقة
symmetrische ~	علاقة متناسقة
Relationensystem	نظام العلاقات
Relativitätstheorie	نظرية النسبية
Relevanz	وثاقة الصلة/ أهمية
Repräsentation	تمثيل
phontische ~	تمثيل صوتى

semantische ~	تمثيل دلالي
syntaktische ~	تمثيل نحوى
Rezension	مراجعة/ نقد
Rezeption	تلقي
Richtung	اتجاه
genetische ~	اتجاه جينى/ سُلالى
Ruhe	سكون (اتجاه)
Russifizierung	تحويل إلى الروسية

S

Sachverhalt	حال
sprachlicher ~	حال لغوية
Sammelpunkt	نقطة التقاء
sandhi	نحت/ صهر (تغير صوتى/ مورفيمى يصيب الكلمة فى موقع معين)
äußere ~	ساندهى خارجى
innere ~	ساندهى داخلى
Satz	جملة
fertige ~	جملة جاهزة
Satzart	نوع الجملة
Satzaussage	خبر/ حديث فى الجملة

Satzbauplan	خطة بناء الجملة
Satzform	شكل الجملة
Satzgegenstand	موضوع الجملة
Satzglied	ركن الجملة
Satzgliedfunktion	وظيفة ركن الجملة
Satzperspektiv	منظور الجملة
Satztyp	نمط الجملة
Schallereignis	واقعة صوتية
Schicht	طبقة
Schlussfolgerung	استنتاج
Schlüsselbegriff	المفهوم المفتاح
Schriftsystem	نظام الكتابة
Segmentieren	تجزيء/ تقطيع
Selektionsregeln	قواعد الاختيار
semantisch	دلالي
semantische Komponente	مكون دلالي
semantisches Merkmal	سمة دلالية
Semasiologie	علم دلالة الألفاظ
Semem	سميم/ وحدة دلالية صغرى
Semeologie	علم العلامات
Semiotik	سيميوطيقا/ علم العلامات

Sequenz	تتابع/ توالٍ/ متوالية
Signal	إشارة
Signalfunktion	وظيفة الإشارة
Signalisierung	تأشير
Simplifizierung	تبسيط
Sinnbezirk	مجال/ حيز/ نطاق المعنى
Solidarität	تضافر/ تضامن
Sondersprache	لغة خاصة
Soziolekt	لهجة اجتماعية
spiritus rector	مرشد روحي
Sprachbau	بناء لغوي
Sprachbenutzer	مستخدم اللغة
Sprachbesehreibung	وصف لغوي
taxonomischer ~	وصف لغوي تصنيفي
Sprachbund	رباط اللغة
Sprachdatenkorpus	مادة البحث اللغوية
Sprachdenkmäler	آثار لغوية
Sprachdidaktik	تعليم اللغة
Sprache	لغة
formale ~	لغة شكلية
natürliche ~	لغة طبيعية

poetische ~	لغة شعرية
rituelle ~	لغة مقدسة
rückständige ~	لغة متخلفة
Sprachentwicklung	تطور لغوى/ اللغة
Spracherlernung	تعلم اللغة
Spracherwerb	اكتساب اللغة
Sprachfähigkeit	القدرة اللغوية
Sprachfamilie	عائلة لغوية
Sprachgebiet	منطقة لغوية
Sprachgebrauch	استعمال لغوى
Sprachgefühl	حس لغوى
Sprachgemeinschaft	جماعة لغوية
Sprachgeschichte	تاريخ اللغة/ لغوى
Sprachinhalt	مضمون لغوى
Sprachkarte	خريطة لغوية
Sprachkompetenz (= competence)	كفاءة لغوية
Sprachkontakt	احتكاك لغوى
Sprachkünstler	مبدع اللغة
Sprachlaut	صوت لغوى
sprachlos	أعجم/ بلالغة

Sprachmaterial	مادة لغوية
Sprachmischung	خلط/ تهجين لغوية
Sprachperformanz	أداء لغوى
(= performance)	
Sprachplanung	تخطيط لغوى
Sprachprozeß	عملية لغوية
Sprachschicht	طبقة لغوية
einheitliche ~	طبقة لغوية موحدة
Sprachsoziologie	علم الاجتماع اللغوى
Sprachstandardisierung	نمذجة لغوية
Sprachstörung	خلل/ اضطراب لغوى
Sprachsystem	نظام لغوى
(= langue)	
Sprachtheoretiker	منظر لغوى
Sprachtheorie	نظرية لغوية
Sprachträger	صاحب/ ابن/ حامل اللغة
Sprachtyp	نمط لغوى
agglutinierender ~	نمط لغوى لاصق
flextierender ~	نمط لغوى متصرف
inkorporierender ~	نمط لغوى مدمج
isolierender ~	نمط لغوى عازل

Sprachtypologie	تنميط لغوى
Sprachveränderung	تغير لغوى
Sprachvergleich	مقارنة لغوية
Sprachverwandtschaft	قرابة لغوية
Sprachverwendung	أداء لغوى
(= Performanz)	
Sprachzustand	حال لغوى
Sprechereignis	واقعة كلامية
Sprechermodell	نموذج المتكلم
Sprecherstandpunkt	موقف المتكلم
Sprechorgane	أعضاء الكلام
Sprechtätigkeit	نشاط كلامى
Stabilät	ثبات
Standardsprache	اللغة المعيار
Stamm	أصل/ جذر
Stammbautheorie	نظرية شجرة النسب
Stellenwert	قيمة موقعية
stimmhaft	مجهور
Stimmlage	وضع الصوت
stimmlos	مهموس
Störung	خلل

Stratum (pl. strata)	طبقة
Strömung	تيار
sprachwissenschaftliche ~	تيار لغوى
Struktur	بنية
archaische ~	بنية ركامية
surface ~	بنية سطحية
(= Oberflächenstruktur)	
Strukturalismus	بنيوية
Strukturmerkmal	سمة البنية
Strukturunterschied	فارق فى البنية
Stummfilm	فيلم صامت
Subjekt	موضوع/ فاعل/ مسند إليه
psychologisches ~	موضوع نفسى
Subjektstellung	موقع الفاعل
Subjektivität	ذاتية/ فاعلية
Subkategorisierung	تفريع/ تصنيف للفصائل
Subkategorisierungsregeln	قواعد ~
Substantiv	اســـم
Substanz	مادة/ جوهر
substituierbar	قابل للاستبدال
Substitution	استبدال

Suffix	لاحقة
Symbol	رمز
Symbolfunktion	وظيفة الرمز
Symptom	ظاهرة
(s. Ausdrucksfunktion)	(انظر: وظيفة التعبير)
synchron	تزامني
Synchronie	تزامنية
synonym	مترادف
Syntagma	وحدة نحوية
[illegible]tisch	نحوي
Syntax	نحـــو
minimalistische ~	نحو العناصر الصغرى
Syntaxbehandlung	معالجة النحو
System	نظام
dynamisches ~	نظام دينامي
semiotisches ~	نظام سيميوطيقي
Systemcharakter	خاصية النظام
Systemhaftigkeit	الالتزام بالنظام

T

Tätigkeit	نشاط
psychische ~	نشاط نفسي

psychophysische ~	نشاط نفسى فيزيائى
Tautologie	حشو/ تكرير بلا فائدة
Taxonomie	التصنيفية
Teilbedeutung	معنى جزئى
Teilkategorie	فصيلة جزئية
teleologisch	غائى
Text	نص
Textanalyse	تحليل النص
Textkorpus	مادة نصية
Thema	موضوع
(= Bekanntes / topic)	
Theorie	نظرية
graue ~	نظرية غامضة
Theoriebewuβtsein	وعى بالنظرية
Theorieentwicklung	تطور النظرية
Tiefenstruktur	بنية عميقة
Tilgung (s. Deletion)	حذف
Tonfilm	فيلم ناطق
Tonstufe	درجة النغمة
Topic	موضوع
Transform	صورة محولة

Deutsch	العربية
Transformation	تحويل
obligatorische ~	تحويل إجبارى
optionale ~	تحويل اختيارى
Transformationsanalyse	تحليل تحويلى
Transformationsmodell	نموذج تحويلى
Triebfeder	باعث/ دافع/ حافز
Trugschluß	استنتاج خاطىء

U

Deutsch	العربية
Übereinstimmung	تطابق / توافق
inhaltliche ~	تطابق مضمونى
übereinzelsprachlich	متجاوز للغة المفردة
Überlegung	تفكير
deduktive ~	تفكير استنباطى
synthetische ~	تفكير تأليفى
Übersetzung	ترجمة
maschinelle ~	ترجمة آلية
spontan ~	ترجمة فورية
wörtliche ~	ترجمة حرفية
Umfang	مجال/ نطاق/ محيط
Umformungsregeln	قواعد تغيير التشكيل
Umgangssprache	اللغة المستعملة

Umgebung	محيط
kontextuelle ~	محيط سياقى
Umgestaltung	تحول/ تغيير
Uminterpretierung	تحوير فى التفسير
Umlaut	إمالة الحركة
Unabhängigkeit	استقلال/ عدم تبعية
unbeseelt	غير حى
Unbeweglichkeit	جمود/ عدم حركة
ungebräuchlich	غير شائع/ نادر الاستعمال
Universalgammatik (UG)	نحو كلى
Universalien	كليات
formale ~	كيات شكلية
substantielle ~	كليات مادية
Universalienprobem	قضية/ مشكلة الكليات
Universalität	كلية/ شمولية
unmotiviert	غير محفز/ غير مبرر
(= arbiträr / beliebig)	
Unterdrückung	اضطهاد / قهر
sprachliche ~	~ لغوى
Unterscheidbarkeit	إمكان الاختلاف
Unterscheidungsmerkmal	سمة تفريق

unverständlich	غير مفهوم
Unzulänglichkeit	قصور
Urheberschaft	ملكية أصلية/ إبداع
Ursprache	اللغة الأصل
utterance	منطوق

V

Variante	بديل
freie ~	بديل حر
kombinatorische ~	بديل ائتلافى/ تآلفى
Variation (s. Varietät)	تنوع
Variationsmöglichkeiten	إمكانات التنوع
Varianz	تنوع
Vagheit	غموض
valeur	قيمة
(= Wert)	
Verbalphrase	مركب فعلى
Vereinigung	اتحاد
Verfallsperiode	مرحلة التدهور
Verhalten	سلوك
(= behavior)	
Verhaltenslehre	علم السلوك

(= Behaviourismus)

Verknüpfbarkeit — إمكانية الربط

Verknüpfung — ربط

Verletzung — خرق

poetische ~ — خرق شعرى

systematische ~ — خرق منظم

Verschiedenheit — اختلاف / تنوع

Verschlußlaut — صوت انفجارى

Vertändigungsmittel — وسيلة الإفهام

verständlich — مفهوم

Vitalismus — المذهب الحيوى

Vokal — حركة

Vokalalternation — تبادل حركى

Vokalharmonie — انسجام حركى

Vokalismus — وضع الحركات

Vokalphonem — فونيم الحركة

Vokalsystem — نظام للحركة (للحركات)

Volk — شعب

rückständiges ~ — شعب متخلف

Völkerpsychologie — علم نفس الشعوب

Vollkommenheit — الكمال/ التمام

Vorgehen	معالجة/ مقاربة
mehodisches ~	~ منهجية

W

Wahrscheinlichkeit	احتمال/ إمكان
Wechselbeziehung	علاقة تبادل/ متبادلة
weich	لين (للصوت)
Weltanschauung	رؤية العالم
Welthilfssprache	لغة معاونة عالمية
Wende	اتجاه
kopernikanische ~	اتجاه سيراني/ كوبرنيكي
Wert	قيمة
Widerspruchsfreiheit	اللاتناقض
willkürlich	عشوائي/ جزافي/ اعتباطي
Wissen	معرفة/ علم
Wissenstruktur	بنية المعرفة
Wissensystem	نظام المعرفة
Wissenschaft	علم
induktive ~	علم استقرائي
Wissenschaftshistoriker	مؤرخ العلم
Wissenschaftsmethodologie	منهجية العلم
Wissenschaftstheorie	نظرية العلم

Wort	كلمة
Wortableitung	اشتقاق الكلمة
Wortart	نوع/ قسم الكلمة
Wortbedeutung	معنى/ دلالة الكلمة
Wortform	صيغة الكلمة
Wortgruppe	ضميمة / مركب
(=Phrase)	
Wortschatz	ثروة لغوية
Wortstellung	موقع الكلمة

Z

Zeichen	علامة
auditives ~	علامة مسموعة
visuelles ~	علامة مرئية
Zeichencharakter	خاصية علاماتية
Zeichendepot	مخزن العلامات
Zeichenfunktion	وظيفة العلامة
Zeichensystem	نظام العلامات
Zeichentheorie	نظرية العلامات
Zentralbegriff	مفهوم مركزي/ محوري
Zentrum	مركز/ محور
(≠ Periphere)	(≠ هامشي)

Zerstreutheit	تشتت/ شرود الفكر
Zugehörigkeit	تبعية/ إلحاق
Zuordnungsrelation	علاقة إلحاق/ تبعية
Zusmmenhang	صلة/ علاقة/ سياق
genealogischer ~	صلة نَسَبية
synchroner ~	صلة تزامنية

ترجمات أخرى للمترجم

١ - « جموع التكسير في اللغات السامية » لـ ا ـ مورتونن

مترجم عن الإنجليزية، نشر المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ١٩٨٣م .

٢ - « تاريخ الأدب العربي » لـ كارل بروكلمان

القسم الرابع ٧ - ٨ بالاشتراك، مترجم عن الألمانية، نشر الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣م .

٣ - « علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات » لـ فان دايك

مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠١م .

٤ - « الأساس في فقه اللغة العربية » لمجموعة من المستشرقين

بإشراف أ. د/ فولفديتريش فيشر، مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٢م.

٥ - « القضايا الأساسية في علم اللغة » لـ كلاوس هيشن

مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م .

٦ - « مدخل إلى علم اللغة » لـ كارل ديتر بونتنج

مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م .

٧ - « تاريخ علم اللغة الحديث » لـ جرهارد هلبش

مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٣م .

٨ - « المدخل إلى علم لغة النص » لـ فولفجانج هاينه مان، وديتر ڤيهفجر

مترجم عن الألمانية، نشر مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٣م .

٩ - « مدخل إلى علم النص » مشكلات بناء النص، لـ زتسيسلاف واورزنياك

مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٣م .

١٠ ـ « مناهج علم اللغة » من هيرمان باول حتى ناعوم تشومسكى

لـ بريجيته بارتشت، مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٤م .

١١ - « التحليل اللغوى للنص » لـ كلاوس برينكر

مترجم عن الألمانية، نشر زهراء الشرق ٢٠٠٤م .

تحت الطبع

١ - «دراسات فى العربية » لمجموعة من المستشرقين

مترجم عن الألمانية، نشر مؤسسة المختار ٢٠٠٤م .

٢ - «تطور علم اللغة منذ سنة ١٩٧٠م » لـ جرهارد هلبش

مترجم عن الألمانية .

٣ ـ «النماذج اللغوية للنص» لـ جوليش/ رايله

مترجم عن الألمانية.

٤ ـ «المعرفة اللغوية الأساسية» لـ دنيلّا كليمون

مترجم عن الألمانية.

٥ ـ «مدخل إلى علم اللغة» لـ هاينتس فاتر

مترجم عن الألمانية.

٦ - « تاريخ الأدب العربى » لـ كارل بروكلمان

القسم الحادى عشر بالإشتراك، مترجم عن الألمانية .

٧ - « مقالات حول جهود المستشرقين فى التراث العربى »

مترجم عن الألمانية .